المرأة في ظل العولمة

بين تحجر الشرق وابتذال الغرب
جدلية الهوية والدور !! أين يكمن الحل ؟!

الشيخ توفيق حسن علوية

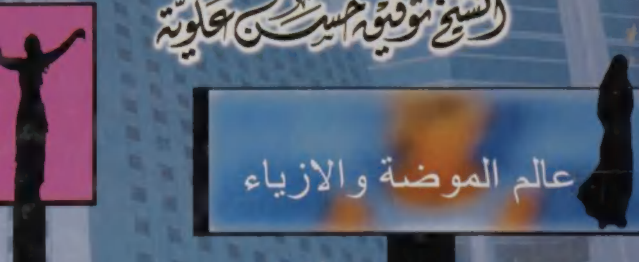

دار المحجة البيضاء

المرأة

في ظل العولمة

٤/١٠ت
ع ت م

المرأة

في ظل العولمة

بين تحجّر الشرق وابتذال الغرب
جدلية الهويّة والدور !! أين يكمن الحل ؟!

الشيخ توفيق حسن علويّة

دار المحجة البيضاء

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمـال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

الإهداء

إلى من لولاها لم يخلق الله عزَّ وجلَّ هذا الكون الفسيح بما فيه. . .

إلى من استحقت لقب سيدة نساء العالمين. . .

إلى من حملت أشرف مخلوقين في الوجود الحسن والحسين عليهما السلام. . .

إلى من تزوجت خير الناس بعد الرسول. . .

إلى من صبّت عليها مصائب لو أنها صبّت على الأيام لصرن لياليا. . .

إلى من كانت أول الناس لحاقاً بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم. . .

إلى من هضم ذاك اللعين حقها. . .

إلى من آذاها اللعين الآخر. . . فضربها. . . وأسقط جنينها. . . وكسر ضلعها. . .

إلى من عانت من أذى المنافقين بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما عانى النبي ﷺ من المشركين في حياته. . .

إلى من دفنت سراً حتى لا يحضر الذين ظلموها وآذوها دفنها. . .

إلى من لم يُعرف قبرها وهي من هي. . . وبنت أشرف رسول. . .

إلى سيدتي ومولاتي وشفيعتي السيدة العظيمة فاطمة الزهراء بنت محمد، وزوجة علي، وأم الحسن والحسين، صلى الله عليهم أجمعين.

إلى مولاتي فاطمة عليها السلام وكل امرأة تسير على منهاجها.

أقدم هذا السفر المليء بالعثرات والهنّات راجياً من الله عزَّ وجلَّ أن يجبره لي ببركة حب فاطمة عليها السلام.

المؤلف

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسول الله محمد، وعلى آله الأطهرين المعصومين الميامين.

«المرأة في ظل العولمة» كتاب يحمل في طياته كل شأن من شؤون المرأة، أردت من خلاله الكشف عن حقيقة المرأة من حيث هي هي، بمعزل عن المديح المفرط، والتهجم المبالغ فيه، فأردت أن يتعرف القارئ على المرأة كما هي، وكما أرادها الله عزَّ وجلَّ، وذلك لأن المرأة لا تريد أن يتعامل معها الناس إلا من حيث ما تستحق ويجب أن تكون كذلك، وهي بالتالي لا تريد أن يبالغ الناس في مدحها إلى درجة الانتفاخ، ولا تريد أن تعطى من الحقوق ما يزيد عن حقها ليصبح تطبيق ذلك متعذراً، وكذلك لا تريد المرأة أن يبالغ الناس في التهجم عليها حتى لا يصلها حقها، بل إن كل ما تريده المرأة وتتوخاه هو أن تُعامل كما هي عليه، تُعامل كإنسان خلقه الله تعالى لغاية، وكموجود له قيمته وفعاليته، وبالتالي تريد أن تُعامل كما هو شأنها الحقيقي.

وهذا الكتاب يقترب من التعرف على المرأة بحسب شأنها الحقيقي الذي جعله الله عزَّ وجلَّ لها. وإن كان التعرف على المرأة كما أرادها الله

عزَّ وجلَّ أمر صعب لأنها لها من القيمة ما لا يعلمه إلا الله عزَّ وجلَّ، فإننا كما ذكرنا نعمد إلى المحاولة.

وفي هذا الكتاب نلاحظ أن التقسيم المتعارف في الكتب مفقود، وما هو موجود عناوين حرة تترى، ولهذا وتبعاً لذلك فلم نتقيد بالتقسيم المتعارف، بل ما فعلناه هو أننا عالجنا مواضيع متعددة تحت عناوين عديدة، لنتمكن من تكثير الموضوعات ومعالجة كل ما يتصل بالمرأة بشكل أفضل.

وأخيراً فإن القصور والتقصير باديان هنا بشكل واضح، ولكن نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يجبر ذلك ببركة محمد وآل محمد.

توفيق حسن علوية

غفر الله له ولوالديه

الجنوب - إقليم التفاح ١/٨/٢٠٠٤م

تصدير

المرأة كالشجى في حلوق الذين يراهنون على إحدى وجهتين:

الوجهة الأولى: هي الوجهة التقليدية الوراثية، المتخلفة وغير الصائبة.

الوجهة الثانية: الوجهة المعاصرة المتنكرة لكل القيم الصحيحة.

وبحق فإن المرأة ضاعت في مجاهل غابات هؤلاء، وتاهت في أوديتهم السحيقة، وغرقت في أوحالهم المتسخة.

وهاتان الوجهتان أرادتا للمرأة أن لا تكون على ما أرادها الله عليه، فالوجهة التقليدية تبتغي أن تكون المرأة رهينة البيت والقبر، وأصحاب هذه الوجهة كما لا يخفى عطلوا مداركهم الفكرية، وجمّدوا كل مشاعرهم، وأوقفوا كل أحاسيسهم، وحصروا حياتهم وقصروها على الحفاظ على التقاليد، وعلى غلق باب كل جديد وحديث.

وأما الوجهة الحديثة الناكرة لكل القيم الصحيحة، فإنها خرقت كل النواميس الإنسانية الطبيعية والحقوقية، وبرّحوا المرأة في أعماق التهور، والتدهور، والخطيئات والمعيبات، وجعلوها بشكل إفراطي خارج الدار مطلقاً، نزيلة دور الخطيئة، ونصبوا المرأة لوحة ترمقها أعين العابثين واللاهثين، وعطاش الشهوة، وجياع النزوة.

وبقيت المرأة أمام هاتين الوجهتين تتلقف تلقف الكرة، وتُقاد قيادة

العمي، فاختارت حيرة لا تحسد عليها، فإنها إن أذعنت لهؤلاء فإن حياتها تتعطل وتُشل، وإن انصاعت لأولئك تُكسر وتهوي إلى المجهول.

فالمرأة أسيرة هذين العملاقين، يأخذها كل منهما إلى عالمه الخاص، وكل منهما يريدها ضحيته، فالأول يريدها أن تكون ضحية الانكماش، والثاني يريدها أن تكون ضحية الانفلاش. وللمرأة أن تسأل هل هناك وجهة ثالثة؟؟ والجواب:

نعم إنه اتجاه الحقيقة، والواقعية، والصواب، فهو اتجاه ليس منطلقاً من أحجار التاريخ، وليس مرتبطاً ببنات أفكار الحداثة والحرية، بل هو اتجاه واحد ينظر إلى المرأة نظرة مطابقة للواقع، وينسجم مع جميع تطلعاتها وآفاقها، إنه ليس ذاك الاتجاه الذي يرى المرأة على أساس أنها مصدر العار والفضيحة، وليس ذاك الاتجاه الذي يراها مركزاً ومخدعاً لقضاء اللذات، وتنفيس الشهوات عبثاً، إنه الاتجاه الإسلامي الذي ينظر إلى المرأة نظرة إنصاف، وهذا ما ستعاينه فيما يأتي.

المرأة إنسان

هذا الكون بما فيه مخلوق إلهي يقع تحت إرادة الله عزَّ وجلَّ وتدبيره من أوله إلى آخره، بما لا يتنافى مع اختيار الإنسان وحريته في اتخاذ ما يقرره. والمخلوقات الإلهية على أنواع، من الجمادات، إلى المائعات، إلى النباتات والحيوانات، إلى الإنسان الذي هو أشرف الموجودات المخلوقة، وأفضل الكائنات وأكرمها لخصائص منها:

١ ـ إنه يمتلك خاصيتي النطق والإدراك، وكذا خاصية الإرادة.

٢ ـ إن جميع المخلوقات الأخرى مخدومة له.

٣ ـ إن وجود سائر المخلوقات منوطٌ بوجود الإنسان، فلولا الإنسان، والغاية التي خُلق لأجلها لكان وجود باقي المخلوقات أمراً عبثياً.

والمرأة من هذا النوع الإنساني كما الرجل، فالمرأة إنسان، والرجل إنسان، فإذا قلنا «إنسان» وقصدنا بهذا اللفظ محض الرجل فالمعنى لا يكون تاماً ها هنا، وإذا قلنا إنسان وقصدنا بهذا اللفظ المرأة فكذا المعنى لا يكون تاماً.

فالمرأة إذن إنسان كما الرجل، غايته أن المرأة تختلف عن الرجل من الناحية الجسدية، ويختلف الرجل عن المرأة من الناحية الجسدية، لامن ناحية صرف الجسد، بل من حيث التركيبة الجسدية لكل منهما وهذه التركيبة

الجسدية للمرأة تتفق وتتسانخ مع التركيبة الجسدية للرجل في أغلب مستوياتها، ما عدا ذلك الاستثناء المعروف.

وهذا الاختلاف بين التركيبتين في تلك الاستثناءات المعروفة، إنما مرده إلى الحكمة الإلهية القاضية بوضع كل شيء في موضعه المناسب لديمومة الحياة واستمرارها وفقاً للأسباب والمسببات.

ومهما يكن فالمرأة إنسان، ومن النوع الإنساني الذي كرّمه الله عزَّ وجلَّ، وجعله محلاً لخطابه وتشريفه، وتعظيمه، وتكريمه، والذي فضله عزَّ وجلَّ على سائر مخلوقاته، وهذا التفضيل والتشريف معتضد بالدليل تصريحاً وتلميحاً، ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم، ومن ذلك:

١ ـ ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[1] وهذه الآية تثبت مدلولين هما:

الأول: أن أبناء آدم ذكوراً وإناثاً هم ممن كرّمهم الله عزَّ وجلَّ حصراً، ولا ريب بأن تكريمهم نشأ عن الاستحقاق المتضمن فيهم، وبُمكنة أي ولد من ولد آدم أن يُخرج نفسه عن دائرة التكريم الإلهي بفعل عمله المخالف لما يقتضيه التكريم.

الثاني: أن أبناء آدم ذكوراً وإناثاً هم ممن فضلهم الله عزَّ وجلَّ على غيرهم، وكذا ممن جعلهم الله عزَّ وجلَّ ممكّنين في التصرف بالجمادات والمائعات، والنباتات والحيوانات وغيرها ولكن ليس للعبث بل لغرض.

٢ ـ ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾[2] وهذه الآية تثبت أن الملائكة ـ وكذا الجن ـ قد أُمرت

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٤.

بالسجود لآدم من جهة، وأن الملائكة قد سجدت فعلاً لآدم من جهة أخرى، وسجود الملائكة لآدم عليه السلام هو فعل تكريمي وتشريفي للإنسان، لأن آدم عليه السلام إنسان، وهذا مما يدل على أفضلية الإنسان على الملائكة، ويندرج تحت عنوان الإنسان شخص المرأة لأنها من النوع الإنساني كما لا يخفى.

٣ - ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[(١)]. وهنا تأكيد واضح على أن الإنسان هو حاكم على مملكة الحياة من الجماد والنبات، والحيوان، والجن، والمرأة بما أنها إنسان ومن النوع الإنساني الذي منه سليمان عليه السلام فهي من هذا الطراز الحاكم.

قد يُقال إن هذه الحاكمية والمسخرية هي ثابتة لسليمان عليه السلام وهو نبي، وليست ثابتة لأحد غيره في عصره؟؟

والجواب: إن سليمان عليه السلام قد وصل إلى هذه المرتبة، ليس بصفته رجلاً، ولأنه اسمه سليمان، بل وصل إلى هذه المرتبة لكونه إنسان له هذه الجدارة التي تؤهله لأن يكون كذلك، ولو لم يكن يمتلك هذه الجدارة لما وصل إلى ما وصل إليه وإلا صار ذلك جبراً وإلجاءً، وهذا مما لم ينهض به دليل كما لا يخفى.

وبناء على هذا فمقام الإنسان هو الذي وصل إلى تلك المرتبة بشخص سليمان عليه السلام، والمرأة هي من هذا النوع الإنساني كما لا يُستراب.

وقد يقال بأن الآية الآنفة الذكر اثبتت مخدومية الإنس لسليمان عليه السلام؟؟
والجواب: إن هذا لجهة الأفضلية، ضرورة أن الأفضلية ثابتة للناس على الناس تبعاً للعمل والإخلاص وضمائم أخرى، مضافاً إلى أن سليمان عليه السلام

(١) سورة النمل، الآية: ١٧.

هو نبي، والأنبياء إنما اختيروا كأنبياء لأنهم الأفضل من جهة، ومن جهة ثانية فإنهم في خدمة الناس من جهة ارشادهم وقودهم نحو الصلاح، وليسوا بصدد التسلط على الناس.

ونظير الآية المتقدمة قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾(1)، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾(2)، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾(3)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(4)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾(5)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا

---

(1) سورة سبأ، الآيات: ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣.
(2) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(3) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤.
(4) سورة يونس، الآية: ٦٧.
(5) سورة النحل، الآية: ١٤.

تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾[1].

ولا ريب بأن الآيات المتقدمة وغيرها مما لم نذكر، تدل دلالة وافية وكافية، على أن هذه المخلوقات مسخرة للإنسان ذكره وأنثاه، بل هذا مما دلّ عليه الوجدان، ومن البديهي أن من يسخر له كل هذا لا يكون وجوده هامشياً وغير متسم بالضرورة والفائدة، إذ أن كل موجود له دوره في الحياة، ولو لم يكن له دور لما كان الله عزَّ وجلَّ حكيماً والعياذ بالله العظيم، وعلى هذا فكل موجود له قيمته ودوره، وهذه القيمة وهذا الدور إنما هما يتفاوتان شدة وضعفاً بحسب موقع هذا الموجود، وطاقته ودوره المرسوم.

فكلما امتلك هذا الموجود المخلوق مميزات وخصائص أزيد من غيره، كلما كان أفضل من غيره وأكثر قيمة، وانفع دوراً، وأجدى عملاً، والمرأة بما أنها تمتلك خصائص إنسانية أزيد من الخصائص المتملكة لدى الكائنات الأخرى غير الإنسانية، فإن وجودها أشرف، وقيمتها أعظم، وشأنها أكبر، ودورها أخطر، ومثلها الرجل بلا أي تفاوت.

ولمجرد التأكيد على هذا الذي ذكرناه، نأخذ النحل كمخلوق موجود مثالاً شاخصاً لنا، حيث يحدثنا الله عزَّ وجلَّ عن النحل ودوره في القرآن الكريم قائلاً: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾[2] فمن أدوار النحل:

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨.
(٢) سورة النحل، الآيتان: ٦٨ ـ ٦٩.

أ ـ بناء البيوت في الجبال والشجر وفي غير ذلك.

ب ـ الأكل من الثمر المتنوع لغاية وظيفية لا لمجرد الأكل.

ج ـ سلوك السبل المتعددة.

د ـ إنتاج العسل الذي يتصف بمواصفات عديدة، أهمها الشفاء من الداء.

وإذا كان النحل، هذا المخلوق الصغير، له كل هذه الأدوار، فما بالك بالمرأة الإنسان، فإن دورها عظيم جداً، بل إن فعالية دورها لا يحد ولا يوصف.

ومن قابليات المرأة قدرتها على التعقل والإدراك، حيث أن لها قوة «العقل والإدراك» الذي تميزها عن سائر المخلوقات أسوة بالرجل، وبواسطة هذه القوة العقلية والإدراكية تدرك المرأة كل ما يدور حولها، وكل ما يستقبلها، وما يمكن أن تؤول إليه، وهي مع تحصيلها للعلم تصبح متلبسة بالصفة العلمية، وبالتالي عالمة معدودة من العلماء، وكونها عالمة يعني أنها تتقدم على الجهلة وأهل الجهالة من هذه الجهة.

ولا غضاضة بأن كل الامتيازات التي ينفرد بها أهل العلم، تجعلهم من أهل التقدم والتفوق، فهم يتفوقون على من سواهم من غير أهل العلم، وهذا الأمر ينطبق على الذكور والإناث بمستوى واحد، فأي من الرجل والمرأة يكون من أهل العلم على من هو من غير أهل العلم بحكم البديهة والعقل، فأيما امرأة كانت متوصفة بالعلم فإنها تتقدم على الرجال الذين لم ينالوا نصيباً من العلم، وتتساوى مع الرجال إذا ما نالت ونالوا نصيباً من العلم بشكل متساوي، والعكس صحيح فإن الرجال يتفوقون على النساء فيما لو توفر فيهم العلم وانتفى عند النساء.

وعلى هذا فالمرأة تندرج في إطار الآيات القرآنية التي تميز أهل العلم

عن غيرهم، والتي تعطي لأهل العلم تلك المنزلة الرفيعة، حيث قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌ بَيِّنَٰتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَٰبِ﴾[3]، وقال تعالى في وصف طالوت: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَٰلِمُونَ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰؤُا﴾[6]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَٰبِ﴾[7].

ومما تقدم نعلم بأن المرأة تنفرد بهذه الامتيازات، أو تشترك مع الرجل فيما لو أنها تملكت صفة العلم، وصارت من العلماء أو المتعلمات، فإذا كانت المرأة من أهل العلم تكون مبصرة، ومتنورة، ومستظلة بظل الله عزَّ وجلَّ، وحية، وطيبة، وإذا لم يكن الرجل في المقابل من أهل العلم يكون أعمى، ومن أهل الظلمة، ومن أهل الحرور، ومن الأموات، وإذا كانت المرأة كذلك تكون كذلك، وهذا ما دلت عليه الآيات القرآنية، حيث قابلت بين صفات إيجابية يحوزها أهل العلم، وبين صفات سلبية يحوزها غير أهل العلم، حيث قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾[8].

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.

(٣) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٤٧.

(٥) سورة العنكبوت، الآية: ٤٣.

(٦) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٩.

(٨) سورة المائدة، الآية: ١٠٠.

﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾﴾.
﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾﴾.
﴿وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾.
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾[١].

وإن ما تقدم يكشف عن وجود قابليات لكل من الرجل والمرأة، فإذا ما استغلت هذه القابليات أستطيع الوصول إلى هذه المراتب.

وبناءً عليه فقد بات من المعلوم بأن الرجل متساوٍ مع المرأة من هذه الجهة العلمية، بل ربما تكون المرأة أفضل من الرجل من الناحية العلمية، وربما يكون الرجل الأفضل أيضاً، فإذا كانت المرأة محسنة للقراءة والكتابة وكان الرجل أمّياً!! وإذا كانت المرأة عالمة بالهندسة، والطب، والفيزياء، والكيمياء، وعارفة بمعالم دينها، وكان الرجل خالي الوفاض من هذه الجهات!! وإذا كانت المرأة قادرة على الإجابة على أي سؤال علمي وعملي، والرجل غير قادر!! فإن المرأة في كل هذه الحالات أفضل من الرجل، وأكثر حضوراً، وأنفع وجوداً، والعكس في كل ذلك صحيح، وكذا إذا تساويا فهما في كل ذلك نظيران.

قد يقال بأن العلم لوحده لا يكفي إذا لم يكن منضماً مع الإيمان؟!! والجواب: ما المانع من أن تكون المرأة عالمة ومؤمنة في آن، ونريد بالإيمان أي العمل وفق الشريعة الإسلامية الصحيحة وهذا أولاً، وثانياً: نحن قلنا بأفضلية المرأة على الرجل إذا كانت من أهل العلم وهو ليس كذلك، فقط وفقط من الناحية العلمية وليس من جميع النواحي بحال لم تكن المرأة مؤمنة ومتدينة.

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢.

قد يُقال: إننا نرى بالوجدان كيف أن الرجال يسبقون النساء في حيازة هذه العلوم والعمل بها بشكل عام؟!!

والجواب: لا نرتضي بهذا القول، لأن المرأة إن لم تكن حائزة على قصبة السبق في هذا المجال، فهي تتشارك مع الرجل في هذا المجال، وهذا أولاً. ثانياً: إذا صدق هذا القول فمرد ذلك إلى وجود الموانع التي منعت المرأة من الخوض في هذه العلوم من جهة، ومن ترجمتها عملاً ميموناً من جهة أخرى، وإلا فإن القابلية موجودة، ولولا وجود الموانع والعوائق ـ عرفياً واقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وغيرها ـ لأمعنت المرأة في هذه العلوم، ولتفوقت كما هو حال بعض نساء عصورنا هذه، وكل هذا بعد التسليم بهذا القول.

إن المرأة ومضافاً إلى قدرتها على استخدام طاقاتها العقلية كما الرجل لأجل التعلم والتعليم، فإنها تستطيع اختيار ما يناسب شأنها، ويصلح حالها، ويسعدها، وذلك عند وقوفها على عروض دينية ودنيوية متعددة، فإذا عُرض عليها الإيمان أو الكفر فإنها تستطيع اختيار الإيمان أو الكفر، وكذلك تستطيع اختيار مسائل كثيرة، كالطاعة والمعصية، والحركة والقعود، وغير ذلك.

ورب رجال كُثر يرفضون دعوة الإيمان، وتحسن المرأة برجاحة عقل اختيار الإيمان، فتبتعد عن هؤلاء الرجال من حيث القيمة والأفضلية، ومما يؤكد هذا حديث المعصوم عليه السلام حيث يقول: «الإمرأة الصالحة خير من ألف رجل غير صالح»[١].

ولقد حدثنا التاريخ عن كثير من النساء كن صائبات في القرار، وفي

---

(١) ميزان الحكمة، مادة المرأة.

الأختيار، في الوقت الذي كان الرجال فيه يرتعون في معمعة الجهل والتخلف، ويضعون أنفسهم في خانة الاختيار السيء، فهذه خديجة بنت خويلد ﷺ وهي أفضل وأشرف زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تتخذ قرار الإيمان بالإسلام من خلال قناعة راسخة، وبمحض اختيار في حين كان الرجال بعددهم الكبير لا يحسنون الاختيار الصحيح، وهذه سمية زوجة ياسر تختار الإيمان بالإسلام فيما كان أكثر الرجال يوغلون في بحر التخلف والغي والجهل، وكذا غير واحدة من النساء المؤمنات، اخترن الإيمان، لرجاحة عقولهن، ووضوح بصائرهن، وكان اختيارهن للإيمان في وقت كان الرجال فيه ـ وما أكثرهم ـ يختارون الكفر والشرك لجهلهم وتخلفهم.

ولا شك بأن هذه النسوة لا يُقاس بهن هؤلاء الرجال البتة، بل لا يمكن المقارنة أبداً، وهذا يعبر عن سمو مكانة المرأة المسلمة والمؤمنة وعظمتها، فقد أصبن وأخطأ الرجال، وفزن وخاب الرجال، وعلمن وجهل الرجال، واهتدين وضلّ الرجال.

ولقد حدثنا التاريخ أيضاً عن نساء نطقن بالحق في وقت صمت فيه الرجال، فها هي سمية الشهيدة رضي الله عنها تنطق بكلمة التوحيد أمام جبابرة قريش وعتاتها، وها هي السيدة المعصومة فاطمة الزهراء ﷺ تقف بين الحشود بحضور جبارين ـ بالمعنى السلبي للكلمة ـ هما الأول والثاني ومن معهما، لتظهر حقها المغتصب، وحق زوجها عليّ ﷺ، ولتفحم الجميع بالحق والعدل.

وكذلك تقف السيدة العظيمة زينب بنت علي ﷺ، لتؤنب أهل الكوفة على خذلانهم لأخيها الحسين ﷺ، وكذا تخاطب الطاغيتين عبيد الله بن زياد، ويزيد بن معاوية، خطاباً تأنيبياً تبكيتياً إفحامياً، ينبئ عن علم مكنون داخل صدرها المبارك، وفي هذه الأوقات التي كانت تنطق فيه النساء بالحق

أمام الجبابرة والعتاة، كان يخرس الرجال وفيهم فقهاء وعلماء من أهل البلاط، وكانوا يخرسون ولا ينبسون ببنت شفة، ولا يُستطاع الإدعاء البتة ها هنا بأن الرجال أفضل من النساء، بل العكس واضح.

وإن من قابليات المرأة مضافاً إلى ما ذكر، مسألة «الإرادة»، هذه الإرادة التي متى ظهرت وكانت قوية، فإنه من المحال كسرها، وبديهي أن لكل من الرجل والمرأة، بحكم كونهما من النوع الإنساني إرادة تدفعهما للثبات والديمومة على ما قرراه ويقرراه من خيارات.

وكلما كانت إرادة أحدهما أقوى وأصلب، كلما كانت الأفضلية له، ولكن في مظان الخير والصلاح طبعاً. فإذا ما اختارت المرأة طلب العلم مثلاً، وصلّبت إرادتها دعماً لهذا السبيل، واستمرت ولم تضعف، فإنها تكون مثالية وفعّالة، بينما إذا انكسرت إرادة الرجل وضعفت أثناء سيرة في هذا السبيل، فسيكون أقل شأناً من المرأة المذكورة، وكذلك تكون المسألة إذا تقرر العكس.

ونظير ما تقدم في المثال الأول، فإن المرأة إذا ما تصلّبت إرادتها في رفضها للظلم ودعمها للحق، وفي توبتها واستغفارها فإنها سوف تكون الأفضل في ميزان الأفاضل. وكذا في اختيارها للإيمان، ولقد رأينا كيف أن الكثيرات من النساء قد تصلبت إرادتهن في وجه الأعداء للدين، حينما هددن وتوعدن بالشر والأذى لقاء تركهن للإيمان، ولكنهن لم يأبهن لكل تلكم التهديدات والتوعدات من أجل الإيمان، بل قويت إرادتهن أكثر بفضل تلك العزيمة الراسخة، والإرادة الصلبة، بينما نجد في المقابل أن الكثير من الرجال، قد وهنت إرادتهم لمجرد استشعار الخطر، والمرأة هنا أفضل من الرجال لتصلب إرادتها.

إن إرادة خديجة بنت خويلد كانت قوية جداً أمام تلك التهديدات

الخطيرة في عهد الشرك وبداية بزوغ الإسلام، وبقيت إرادتها ﷺ صلبة حتى نهاية حياتها، هذه المرأة الراقية التي وهبت كل ما عندها من طاقات مادية ومعنوية في سبيل الإسلام، ورضيت مع كل تلك الصعاب أن تعيش شظف العيش، وانعدام الأمن في شعب أبي طالب أيام الحصار المفروض من قِبل قريش على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وبالطبع فإن كل هذا الصبر إنما مرده إلى القناعة الراسخة بالخيار التي اختارته، وبالإرادة الصلبة التي تدعم خيارها. وإذا ما أجرينا مقارنة مفيدة بين خديجة بنت خويلد، وبين عائشة، نلاحظ أن خديجة ﷺ وهبت كل طاقاتها من خارج عوائد وفوائد الإسلام من أجل بناء الإسلام، بينما استغلت عائشة كل فوائد وعوائد الإسلام لهدم الإسلام من خلال معصيتها للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ومن خلال ركوبها الجمل تارة في حرب الجمل، وركوبها البغلة تارة أخرى لمنع جنازة ابن النبي ﷺ، أي الحسن ﷺ من دفنها بقرب قبر جده ﷺ؛ ولقد كان بوسع خديجة ﷺ أن تبقى مرتاحة إزاء كل هذه الأجواء المحفوفة بالمخاطر، ولكنها اختارت خط الرسالة وأرادته جداً، وصلبت إرادتها في سبيل الدفاع عن الإسلام.

وهكذا فعلت سيدتنا العظيمة فاطمة الزهراء ﷺ، فقد تصلبت إرادتها الحيّة في وجه الشرك تارة، وفي وجه خليفة عصرها الظالم الذي آذاها، وغصب حقها بمعية الخليفة الثانية تارة أخرى، وكل هذا العمل من أجل الإسلام والمسلمين.

وهكذا كانت سمية الشهيدة الأولى في الإسلام، فقد جرّتها إرادتها القوية إلى أن تستمر وتداوم على التوحيد حتى طعنها ذاك المشرك الجاهلي في قلبها، فاستشهدت جراء تصلب إرادتها على ذلك الموقف التوحيدي المهيب في حر الرمضاء.

وكذلك سيدتنا زينب عليها السلام بنت علي عليه السلام، هذه السيدة العظيمة الإرادة، والقوية والتي دفعتها لأن تتمتع بأعظم صور الصبر إنفاذاً لرغبتها في الدفاع عن الإسلام وأهله.

وفي المقابل أي في مقابل هذه النماذج بين النسوة، نجد الكثيرين من الرجال كانوا ضعفاء الإرادة في أوقات الشدة والشهوة، فهذا الأعشى كما يُروى ضعفت إرادته عندما أراد الدخول في حريم الإسلام، وحينما قيل له بأن الإسلام يحرّم شرب الخمر والزنا، فعندها رجع ولم يسلم ومات على الشرك، لأجل ضعف إرادته. وكذلك فإن جماعة من الرجال المسلمين، ممن عُدّوا من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله، فروا من بعض المعارك، وشككوا بنبوة محمد صلى الله عليه وآله، ومنهم من هاب الأعداء، وفزع منهم، وأرجف المؤمنين، يقول ابن هشام في سيرته: «انتهى أنس بن النضر عم أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم ـ أي استسلموا ـ فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم عاد إلى المشركين فقاتلهم حتى قُتل»[1].

أنظر إلى هؤلاء كيف ضعفت إرادتهم في معركة «أحد»، مما جرّهم هذا الأمر إلى ثلاثة أفعال مشينة:

الفعل الأول: الهزيمة.

الفعل الثاني: التخلي عن نصرة النبي صلى الله عليه وآله، لأنه كان حياً كما هو معلوم.

الفعل الثالث: التخلي عن نصرة دين الله «الإسلام»، لأنهم كانوا يتعاملون مع ملك لا مع «نبي»، فإذا مات هذا الملك فلا شيء بعده.

---

(١) سيد المرسلين، ج٢، ص ١٦١.

ولا ريب بأن عمر بن الخطاب الفار من معركة أُحد، والمرجف للمؤمنين، هو الهاجم على بيت علي وفاطمة عليهما السلام، ومحرقه، والكاسر لضلع فاطمة عليها السلام، والمسقط لجنينها عليه السلام.

وهذا هو الواقدي يحدثنا أيضاً في هذا الصدد، في حديث منقول عن خالد بن الوليد، حيث قال: «الحمد لله الذي هداني للإسلام، لقد رأيتني ورأيت عمر بن الخطاب حين جالوا وانهزموا يوم أُحد وما معه أحد وإني لفي كتيبة خشناء فما عرفه منهم أحدٌ غيري فنكبت عنه وخشيت إن اغريت به من معي أن يصمدوا له فنظرت إليه موجهاً إلى الشعب»[1].

ولا بد لعمر بن الخطاب هنا أن يشكر خالد بن الوليد لأنه لم يتعرض له بسوء حال كونه هارباً، ولكن ليسمح لنا خالد بن الوليد فإنه لم يُهدى إلى الإسلام بل أُهدي من خلال شيطانه إلى تصنع الإسلام.

وعلى أي فهذا عمر بن الخطاب قد ضعفت إرادته، ووهنت عزيمته، الأمر الذي جرّه إلى الهزيمة، هذا إذا كان لديه عزيمة الدفاع عن الإسلام من رأس!!! وفي مقابل عمر بن الخطاب كرجل، نجد أن امرأة كنسيبة المازنية، تلك المرأة المجاهدة، قد قويت إرادتها ولم تهزم كعمر في معركة أحد، وبقيت صامدة بوجه المشركين دفاعاً عن النبي صلى الله عليه وآله، فهذه المرأة كما لا يخفى أفضل من عمر لأنها تصلّبت إرادتها يوم أُحد، وضعفت إرادته يوم أحد.

ومضافاً إلى ما مر من ضعف ووهن إرادة الرجال في مواطن عدة، وعدم ضعف إرادة النساء في مواطن عدة، فقد ذكر التاريخ أن بعضهم تخلى عن مبادئه الإسلامية، وعمد إلى اللواذ بأهل الشرك، ففي معركة أُحد قال

---

(١) م.ن، ص ١٦٢.

بعضهم عندما حمي وطيس المعركة: «ليت لنا رسولاً إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان»[1].

وكل هذا يحكي عن ضعف الإرادة لدى الرجال، فكيف لو كان هؤلاء تحت نير الشمس، وتحت وطأة حجارة أبي جهل، وتحت حرابه كما حصل ذلك مع سمية أول شهيدة في الإسلام؟!؟

فهنا ضعف إرادة، ونظير ذلك ما ورد في تاريخ المسلمين، حيث ورد أن النبي ﷺ استشار أصحابه في مسألة مواجهة المشركين قبيل معركة بدر الكبرى حول القتال وعدمه، فقام أبو بكر وقال: يا رسول الله إنها قريش وخيلاؤها ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلت منذ عزت ولم نخرج على أهبة الحرب!! ثم قام عمر بن الخطاب فكرر ما قاله الأول، ولكن المقداد بن عمرو وقف موقفاً شجاعاً حيث قال: يا رسول الله امضِ لما أراك الله فنحن معك والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[2] ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا وإنا معكما مقاتلون، فسُر النبي ﷺ منه بعدما انزعج من قول ما قاله من سبقه[3] ومن هنا نعلم بأن الخليفة الأول، وكذا الثاني، قد برز منهما أمور:

١ ـ إن إرادتهما سارتا بطريقة معاكسة لإرادة الله ورسوله، فقررا عدم القتال، وكرها المواجهة خوفاً وجبناً.

٢ ـ إنهما كانا من أهل الإرجاف فقد عمدا إلى تكبير وتفخيم صورة قريش لتخويف المؤمنين وبعث الجبن فيهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا كان يصر عمر بن الخطاب على

(١) م.ن، ص ١٦٣.
(٢) م.ن، ص ٦٠، سورة المائدة، الآية: ٢٤.
(٣) م.ن، ص ٦٠.

قتل بعض أسرى أهل الشرك في مواطن متعددة، بينما كان يخاف من مواجهة أهل الشرك في بدر، ويخوف ويرجّف المؤمنين!! وكان يفر في معركة أُحد، وينقلب على عقبيه؟!! ولا يجرؤ على قتل رجل واحد في معارك أخرى؟!!

٣ ـ إنهما غائبان بالكلية عن وجود عامل غيبي، وغير مرتبطان بعالم الغيب مطلقاً، وكل ما يريدانه شاخصاً أمامهما هو العامل المادي وآثاره، وكأنه لا يوجد بين ظهرانيهما رسول الله ﷺ، وهذا الأمر الذي غاب عنهما لم يغب عن المقداد بن عمرو كما لا يخفى.

ومما تقدم نعلم بأن إرادة الرجال في أوقات شديدة كهذه كانت ضعيفة، فإرادة أبو بكر وعمر وأمثالهما ضعفت أيام الشدة، فيما قويت إرادات نساءٍ جليلات من أمثال خديجة، وسمية، ونسيبة، والدينارية، وهند بنت عمرو بن حزام.

والسؤال الجدير هنا: أيهما الأفضل هنا المرأة أم الرجل؟؟ هل ذاك الرجل الذي يود ويتمنى الأمان من أبي سفيان أفضل من سمية صاحبة الصبر القوي؟!! أليست نسيبة المازنية غير الفارة من معركة أُحد أفضل من عمر بن الخطاب الفار يوم أُحد؟!! أليست تلك المرأة التي تعرضت لكل الأذى من أجل الديمومة على الإسلام أفضل من الأعشى الذي ضعف أمام شهوته فلم يسلم مع أنه كان يريد ذلك؟!!

وبناءً على جميع ما تقدم فإن من قابليات المرأة «العقل والإرادة»، وكلما كانت هذه أقوى كلما علت قيمة المرأة بلا شك، وكلما عظم دورها أيضاً، وهذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا نتلمس قيمة المرأة ـ وكذا الرجل ـ ومن وراء ذلك الإنسان من خلال بيان الهدف من خلق الإنسان، وبتعبير آخر: الجواب عن سؤال لماذ خُلق الإنسان؟؟

وإذا ما استنطقنا القرآن حول سؤال لماذا خلق الإنسان؟؟ فإننا نجد أن الإنسان أي المرأة والرجل، خلق لأجل:

١ ـ العبادة بالمعنى الواسع، حيث قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[١] والعبادة هنا تعني أن يكون الإنسان مطيعاً لله في كل مجريات حياته، بدءاً من علاقته مع نفسه، مروراً بعلاقته مع الله عزَّ وجلَّ، وانتهاء بعلاقته مع الناس حتى في إماطة الأذى عن طريق المسلمين.

٢ ـ الوصول إلى مقام القرب: قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[٢] فيسعى الإنسان لكي يصل إلى مقام القرب من الله عزَّ وجلَّ.

٣ ـ الوصول إلى لقاء الله عزَّ وجلَّ: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾[٣].

٤ ـ حيازة الرضى الإلهي: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨﴾[٤].

٥ ـ الكمال اللائق به: قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾[٥] حيث لاحظنا هذا التكامل التدريجي.

٦ ـ أن يكون خالصاً لله عزَّ وجلَّ: قال تعالى في حق موسى عليه السلام: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ۝٤١﴾[٦] وورد في الحديث القدسي: «خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي»[٧].

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ١٠.
(٣) سورة الإنشقاق، الآية: ٦.
(٤) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.
(٥) سورة الإنسان، الآية: ٢.
(٦) سورة طه، الآية: ٤١.
(٧) مكارم الأخلاق ص ٤٠.

وهنا في هذه الغايات لا فرق بين المرأة والرجل، فإذا ما حققت المرأة هذه الغايات فإنها ستكون من أهل المقامات العالية بلا ريب، وسيكون الرجل دونها إذا لم يحقق هذه الغايات، والعكس صحيح.

وبالطبع فإن للمرأة القابلية لتحقيق ذلك، وإلا لما خوطبت بهذا الخطاب من قبل الله عزَّ وجلَّ، حيث أن ها هنا ثلاث مزايا للمرأة:

المزية الأولى: القابلية.

المزية الثانية: الوسيلة.

المزية الثالثة: الغاية.

أما القابلية فقد عرفت بأن الخطاب الإلهي موجّه لكلي الإنسان الرجل والمرأة، ولو لم يكن لدى المرأة قابلية لكان الخطاب الإلهي لها لغوياً وعبثياً وبلا طائل، وهذا قبيح على المولى الحكيم عزَّ وجلَّ، وأما الوسيلة فهي الشريعة الإسلامية التي كلف الرجل والمرأة بحملها على حد سواء، وأما الغاية فكما ترى.

وصفوة الكلام أن المرأة إنسان بكل مدلولات هذه الكلمة، وللأسف فقد عرفنا أن بعض الفئات البشرية لم تنسب وجود نفس بشرية للمرأة، وقد قالت مقالات غير منصفة للمرأة، واستكشافاً لهذا وغيره نعرض تعليقاً مهماً لصاحب الميزان التفسير القرآني المميز والمعروف، حيث يقول قُدس سره: «المشاهدة والتجربة تقضيان أن الرجل والمرأة فردان من نوع جوهري واحد وهو الإنسان، فإن جميع الآثار المشهودة في صنف الرجل مشهورة في صنف المرأة من غير فرق، وبروز آثار النوع يوجب تحقق موضوعه بلا شك، نعم يختلف الصنف بشدة وضعف في بعض الآثار المشتركة وهو لا يوجب بطلان وجود النوعية في الفرد، وبذلك يظهر أن الاستكمالات

النوعية الميسورة لأحد الصنفين ميسورة في الآخر، ومنها الاستكمالات المعنوية الحاصلة بالإيمان والطاعات والقربات، وبذلك يظهر عليك أن أحسن كلمة واجمعها في إفادة هذا المعنى قوله سبحانه: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1] وإذا قايست ذلك إلى ما ورد في التوراة بان لك الفرق بين موقعي الكتابين، في سفر الجامعة من التوراة «درت أنا وقلبي لأعلم وأبحث ولأطلب حكمة وعقلاً، ولأعرف الشر أنه جهالة، والحماقة أنها جنون، فوجدت أمرّ من الموت المرأة التي هي شباك، وقلبها أشراك، ويداها قيود، إلى أن قال: رجلاً واحداً بين ألف وجدت أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد» وقد كانت أكثر الأمم القديمة لا ترى قبول عملها عند الله سبحانه، وكانت تسمى في اليونان رجساً من عمل الشيطان، وكانت ترى الروم وبعض اليونان أن ليس لها نفس مع كون الرجل ذا نفس مجردة إنسانية، وقرر مجمع فرنسا سنة ٥٨٦م بعد البحث الكثير في أمرها أنها إنسان لكنها مخلوقة لخدمة الرجل، وكانت في إنجلترا قبل مائة سنة تقريباً لا تعد جزء المجتمع الإنساني، فارجع في ذلك إلى كتب الآراء والعقائد وآداب الملل تجد فيها عجائب من آرائهم»[2].

وإن من أهم العجائب اعتبار المرأة غير إنسان، وبالحق والحقيقة فهي من آبهى مظاهر الإنسانية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج٩، ص ٩٥ ـ ٩٦.

المرأة لم تخلق من ضلع آدم

الإنسان يتألف من جسد وروح، نفس ومادة، وبما أن الإنسان فيه الذكر والأنثى، فإن كلاً من الذكر والأنثى خلقا خلقاً مستقلاً، أي كل واحد مستقل بخلقته عن الآخر استقلالاً تاماً، نعم هما من جنس واحد كما لا يخفى، ومن جوهر وحقيقة واحدة، وغير صحيح ما قيل بأن الله عزَّ وجلَّ خلق الرجل أولاً، ثم خلق المرأة من هذا الرجل ثانياً، أي أن الرجل هو الأصيل والمرأة متابعة له.

ومع عدم صحة ما قيل بتبعية المرأة للرجل في الخلقة، فإن الصحيح في ذلك أن المرأة خلقت أصيلة ومستقلة، تماماً كما خُلق الرجل أصيلاً ومستقلاً، ولم تكن المرأة تابعة للرجل وأداةً له، وليست المرأة مفتقرة في أصل وجودها إلى الرجل، بحيث أنه لو لم يكن لم تكن.

إن المشيئة الإلهية كما تعلقت بخلق الرجل، تعلقت بخلق المرأة من دون تبعية لأحد، على أحد، فالمولى عزَّ وجلَّ لما خلق الإنسان، خلق الإنسان الكلي ذكراً وانثى، ولم يخلق الذكر بالأصل والأنثى بالتبعية.

وعلى هذا فالله عزَّ وجلَّ خلق طبيعي الإنسان، ومن ثمّ صوره ذكراً وانثى كما عبّر عن ذلك الله عزَّ وجلَّ بقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦.

ومهما يكن فإن آدم خُلق من تراب، وحواء خُلقت من تراب، ولم تخلق من ضلع آدم الأيسر الأسفل كما هو شائع، ومما يدل على أن حواء خلقت من تراب ولم تخلق من ضلع آدم الأيسر والأسفل والقصير، ما ورد عن العياشي عن عمرو بن أبي المقدام عن أبيه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام - الباقر - من أي شيء خلق الله حوّاء؟ فقال: أي شيء يقولون هذا الخلق؟ قلت: يقولون أن الله خلقها من ضلع من أضلاع آدم، فقال: كذبوا كان يعجزه أن يخلقها من غير ضلعه، فقلت: جعلت فداك يا ابن رسول الله من أي شيء خلقها؟ فقال: أخبرني أبي عن آبائي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله تبارك وتعالى قبض قبضة من طين، فخلطها بيمينه وكلتا يديه يمين، فخلق منها آدم وفضلت فضلة من الطين فخلق منها حواء»[1].

وقد علّق السيد نعمة الله الجزائري على هذا الحديث قائلاً: «أقول: هذا الخبر معمول عليه بين أصحابنا «رض» وما ورد من أنه خلق من ضلع من أضلاعه وهو الضلع الأيسر القصير، محمول على التقية أو على التأويل، أو بأن يرد أن الطينة التي قررها الله سبحانه لذلك الضلع، خلق منها حواء لا أنها خلقت منه بعد خلقه، فإنه يلزم كما قال عليه السلام أن يكون آدم ينكح بعضه بعضاً، فيقوى بذلك مذهب المجوس في نكاح المحرمات[2].

ومما تقدم يظهر الآتي:

١ - إنّ حواء خلقت من الطين تماماً كما خُلق آدم من الطين.

٢ - إن الأخبار الواردة بأن حواء خُلقت من ضلع آدم من قبيل قوله عليه السلام. «إن الله تعالى خلق آدم من الطين وخلق حواء من آدم فهمة الرجال

---

(١) قصص الأنبياء، ص ٤١.

(٢) م.ن.،

الأرض وهمة النساء في الرجال»[1]، وقوله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾[2]. إن الله تعالى خلق آدم عليه السلام من الماء العذب، وخلق زوجته من سنخه فبراها من أسفل أضلاعه، فجرى بذلك الضلع بينهما نسب، ثم زوجها إياه، فجرى بسبب ذلك بينهما صهر، فذلك قوله «نسبا وصهرا»[3]؛ هذه الأخبار محمولة إما على:

أ ـ التقية لأن السواد الأعظم آنذاك كان يذهب إلى هذا القول.

ب ـ التأويل لأنها تخالف ثلاثة أمور:

الأول: تخالف قدرة الله عزَّ وجلَّ، فإن القول بأن حواء خُلقت من ضلع آدم يثبت العجز لله عزَّ وجلَّ وهو محال.

الثاني: تخالف مبدأ حرمة نكاح المحرمات، فبناءً على أن حواء خُلقت من ضلع آدم، يعني أن آدم ينكح نفسه وبعضه بعضاً.

الثالث: تخالف التكريم الإلهي للمرأة، حيث أنها إنسان مكرّم، وهذا التوجه ينقص من شأن المرأة، وهذا مناقض للتكريم الإلهي.

فالمرأة إذن لم تُخلق من ضلع آدم، يقول العلامة الطباطبائي «إن المشاهدة والتجربة تقضيان أن الرجل والمرأة فردان من نوع جوهري واحد وهو الإنسان... فما في بعض التفاسير: إن المراد بالآية ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ كون زوج هذه النفس مشتقة منها وخلقها من بعضها وفاقاً لما في الأخبار، أن الله خلق زوجة آدم من ضلع من أضلاعه، مما لا دليل عليه من الآية»[4]

(١) م.ن، ص ٤٠.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.
(٣) قصص الأنبياء، ص ٤٠.
(٤) الميزان، ج٤.

ويقول العقبري المطهري «إحدى المسائل التي ألقى القرآن ضوءاً على تحليلها موضوع (تكوين المرأة والرجل) فلم يصمت القرآن بهذا الصدد، وفوّت الفرصة على ثرثرة المهرجين، الذين يبتغون أن يرسموا فلسفة لتعاليمه المتعلقة بالمرأة والرجل، فيعرضها بوصفها نظرية الإسلام بحق المرأة... فالقرآن الكريم في آيات متعددة يصرّح بوحدة الطبيعة التكوينية للجنسين»[1].

والظاهر أن الذين ينحون هذا المنحى، أي القول بأن حواء خلقت من ضلع آدم، يستندون في ذلك إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾[2].

ومحل الشاهد (وخلق منها زوجها) على أساس أنه يُراد من زوجها هنا (حواء) أي المرأة، ويرد على ذلك:

أولاً: إن لفظ (من) هنا في (فيها) ليس للتبعيض بل للإنشاء والتكوين، بمعنى أن الله عزَّ وجلَّ خلق الزوج الذكر والأنثى معاً، لا أنه عزَّ وجلَّ خلق الذكر أولاً، وخلق الأنثى من نفس الذكر، ثانياً، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝٧٢﴾[4] وعلى هذا فإن بداية الخلق البشري

---

(١) المعارج، عدد ٤٠، ص ٣٣.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.
(٤) سورة النحل، الآية: ٧٢.

كانت من خلال زوج مؤلف من ذكر وأنثى، خلقا من طينة واحدة، ولم يخلق حواء من ضلع آدم.

ثانياً: إن المراد من النفس الواحدة ليس آدم، بل الحقيقة الإنسانية، وطبيعي الإنسان، والزوج في قوله (وخلق منها زوجها) لا يُراد منه الأنثى بل الذكر والأنثى معاً، وعلى هذا فالصحيح أن الله عزَّ وجلَّ خلق الحقيقة الإنسانية مجردة عن الذكورة والأنوثة، ومن ثم أبدع هذه الحقيقة بصورة الزوج المؤلف من ذكر وأنثى. يقول الجوادي الآملي: «هل إن خلق المرأة والرجل هو من جوهرتين مستقلتين ومبدأين قابليين منفصلين، كي يكون لكل منهما آثار خاصة ولوازم خاصة مثل جوهرتين مستخرجتين من منجمين منفصلين، وجنس كل منهما هو غير جنس الآخر؟ أم أنهما من جوهرة واحدة، وليس بينهما أي امتياز من حيث الجوهرة الوحدوية إلا بالأوصاف الاكتسابية والأخلاقية التحصيلية وغيرها؟ أم أن الرجل خُلق بالأصالة من جوهرة خاصة واحدة، ثم خُلقت المرأة من زوائد المبدأ التابع للرجل بشكل متفرع عليه؟ أم بالعكس، أي أن المرأة خلقت بالأصالة من جوهرة معينة ثم نتج الرجل من زوائد هذا المبدأ التابع للمرأة بشكل طفيلي»[1]

وها هنا إذن أربعة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن المرأة هي جوهر مستقل عن الرجل، والرجل جوهر مستقل عن المرأة ومنفصل عنه، بمعنى أن الرجل من جنس مغاير لجنس المرأة، وهذا الاحتمال مردود لأنه «ليس له محل في التفسير والشواهد القرآنية»[2].

الاحتمال الثاني: أن الرجل والمرأة من جوهرة وحقيقة واحدة، وهو

(١) جمال المرأة وجلالها، ص ٢٤.
(٢) م.ن.

الصحيح والسديد. «فالعمدة هو الاحتمال الثاني... إن ما يُستنبط من ظواهر الآيات الواردة في أساس الخُلق وتؤيده بعض الأحاديث أيضاً هو الاحتمال الثاني... أما آيات الخلق مثل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[1]، المقصود من النفس في هذه الآية الكريمة هي جوهرة وذات وأساس، والحقيقة العينية للشيء وليس المراد من ذلك معنى، وروح أو نفس وأمثال ذلك، فمثلاً إذا قيل أن فلاناً شيء في نفسه، أي في ذاته ووجوده الأصلي هكذا، وعدنما يُقال: جاءني فلان نفسه، أي أن فلاناً شخص جاء نفسه حيث أن معنى النفس يكون مرادفاً للعين في أصل الذات. . . والمراد من النفس هي الذات والواقعية العينية، بناءً على هذا فإن مفاد الآية المذكورة أولاً هو أن جميع الناس من أي صنف، سواءً امرأة أو رجل (لأن كلمة ناس تشمل الجميع) خُلقوا من ذات وجوهرة واحدة، والمبدأ القابلي لخلق جميع الأفراد هو شيء واحد، وثانياً إن أول امرأة هي زوجة أول رجل، خُلقت هي أيضاً من نفس الذات والجوهرة العينية، وليس من جوهرة أخرى، وليست فرعاً على الرجل وزائدة عليه وطفيلية وأمثال ذلك، بل إن الله خلق أول امرأة من عين الذات والأصل ثم خلق الله تعالى جميع الرجال والنساء من ذلك الأصل، ثم يشار إلى كيفية تكثير النسل. . . وهذه المسائل المذكورة يمكن استفادتها من الآية ١٨٩ من سورة الأعراف ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ يُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخٗاۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبۡلُۖ وَلِتَبۡلُغُوٓاْ أَجَلٗا مُّسَمّٗى وَلَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ ومن الآية ٦ من سورة الزمر ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا﴾ فمفاد الآيات التي تذكر أصل الخلق هو وحدة المبدأ

(١) سورة النساء، الآية: ١.

القابلي لخلق جميع الرجال والنساء، وكذلك أول رجل وأول امرأة اللذين ينتهي إليهما النسل الحاضر. وأما الأحاديث الواردة في المبدأ القابلي للخلق كالحديث الذي ذكره محمد بن بابويه القمي (الصدوق) بشكل مسند إلى علل الشرائع وبشكل مرسل في من لا يحضره الفقيه: عن زرارة بن أعين أنه قال: سُئل أبو عبد الله عليه السلام عن خلق حواء وقيل له: إن أناساً عندنا يقولون: إن الله عزَّ وجلَّ خلق حواء من ضلع آدم الأيسر الأقصى، فقال: سبحان الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً أيقول من يقول هذا أن الله تبارك وتعالى لم يكن له من القدرة ما يخلق لآدم زوجة من غير ضلعه؟ ويجعل للمتكلم من أهل التشنيع سبيلاً إلى الكلام أن آدم كان ينكح بعضه بعضاً إذا كانت من ضلعه... إن هذا الحديث رغم أنه مفصل... ولكن هناك مسائل مهمة ومفيدة تستفاد منه نشير إلى بعضها:

أولاً: إن خلق حواء من الضلع الأيسر لآدم غير صحيح.

ثانياً: إن خلق حواء هو كخلق آدم بديع ومستقل»[1].

الاحتمال الثالث: أصالة خلق آدم وتبعية حواء له.

الاحتمال الرابع: أصالة خلق حواء وتبعية آدم لها. أما «الاحتمال الثالث فهو ليس فقط لا يستظهر من ظواهر الآيات الواردة في الخلق بل إن بعض الأحاديث تراه غير صائب»[2] «كما أن الاحتمال الرابع أيضاً يفتقد آية شواهد قرآنية وروائية»[3].

ومن هنا يظهر ضعف ما ذهبت إليه نوال السعداوي في كتابها (المرأة

---

(١) م.ن. جمال المرأة وجلالها، ص ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧.
(٢) م.ن، ص ٢٥.
(٣) م.ن، ص ٢٤.

هي الأصل) حيث قالت: «إن المرأة هي الأصل والرجل هو الفرع» ومن ثمّ تراجعت لتساوي بينهما مع افتراضها أنه إن كان ثمة سمو لأحدهما على الآخر فالمرأة هي الأسمى»[1].

وبتقديري فإن كلام نوال السعداوي جاء تحت تأثير العاطفة، وتحت وطأة مؤثرات أخرى، فلعلها عاشت مرارة احتقار المرأة، فأرادت أن تواكب خيالها الواسع في الانتصار للمرأة، وكلامها بالحقيقة ينحى منحىً إفراطياً لا يلامس الحقيقة والإنصاف، وهو مفتقر إلى الأدلة والبراهين.

وصفوة الكلام أن غاية ما يقال حول أن حواء هي مخلوقة من ضلع آدم، هو أن هذه المقولة مستلة من العقائد اليهودية المحرّفة، وقد دخلت إلى الثقافة الإسلامية، وأضحت في تصنيف ما يعبر عنه بالإسرائيليات.

ولا يخفى أخيراً أن ما يُشاع في الأوساط الشعبية الإسلامية، ويؤخذ أخذ المسلمات، حول قضية أن حواء كانت السبب في إغواء آدم حينما أصرت عليه بأن يأكل التفاحة، لا يخفى بأن هذا الأمر لا أساس له في الإسلام، ولا أساس له بالتراث الإسلامي، إنما هذا أمر غريب وأجنبي ودخيل، تسرب إلى المسلمين من دون مستند، وهو دخيل غير أصيل. والقرآن صرّح بأن آدم وحواء استزلا معاً، وأُغريا معاً، ولم تكن حواء هي السبب في إغواء آدم، ولم يكن آدم هو السبب في إغواء حواء، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[2].

---

(١) المعارج، عدد ٤٠، ٣٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٣٦.

التكامل بين الرجل والمرأة

لقد خلق الله جلّ شأنه الناس جميعاً، وصورهم فأبدع صورهم، وجعل تصاويرهم نابعة من حكمته عزَّ وجلَّ، ومشيئته التي لا ترقى إليها مشيئة، حيث قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾[2].

ولقد صور الله عزَّ وجلَّ الناس على صور الذكور والإناث، وتبعاً لحكمته عزَّ وجلَّ فإن لكل من الذكر والأنثى قيمته، ودوره الخاص به، والذي به تتكامل الحياة وتتزن، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[3] وقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾[6]. وبالحق فإن الرجل لا يستقيم أمره في الحياة من دون المرأة، والمرأة لا يستقيم أمرها من دون الرجل، فهما يتكاملان معاً، ومن دون بعضهما البعض لا يحصل التكامل.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦.

(٢) سورة الانفطار، الآية: ٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٤) سورة الصلات، الآية: ٣.

(٥) سورة الأعلى، الآية: ٣.

(٦) سورة الحجر، الآية: ١٩.

فمجموع ما تقوم به المرأة من دور، ومجموع ما يقوم به الرجل من دور، يمثل حياةً منتظمة ومتكاملة، أما إذا استغنى الرجل عن المرأة، وكذا استغنت المرأة عن الرجل ـ ولا يتسنى لهما ذلك ـ فإن الحياة تكون ناقصة من ناحية الانتظام والتكامل، ولهذا صح القول بأن الرجل نصف المجتمع والمرأة نصفه الآخر.

وهكذا فكلما اتسعت دائرة الاستغناء عن الرجل من قبل المرأة، والعكس؛ كلما اختل النظام الاجتماعي، وكلما ضاقت الدائرة فكذلك، فإذا استغنى المجتمع النسوي عن الرجال، والمجتمع الرجالي عن النساء، فإن كلا المجتمعين يختّل ويتداك، وإذا استغنى الرجل الفرد دون المجتمع الرجالي عن المرأة الفرد فإن حياته تكون مختلة ومتداكة، وهكذا إذا ما استغنت المرأة الفرد دون المجتمع النسوي عن الرجل الفرد فإن حياتها تصاب بالاختلال والتداك. وترك الزواج هو جزء من الاستغناء عن كل منهما، وليس كل الاستغناء، فربما يكون الرجل غير متزوج ولكنه غير مستغنٍ عن المرأة، وهكذا المرأة كالعكس.

وأزعم بقوة أن الذي يستغني عن المرأة ـ سواءً كان الاستغناء عن المرأة ذات العلاقة النسبية أو السببية ـ فإنه لن تنتظم حياته البتة، بل حتى أولئك الذين يدعون قدرتهم على الاستغناء عن الزوجة أو الزوج، نراهم يتحسسون ألم ووجع هذا القرار الذي اتخذوه، أما رجال الدين الذين يتعبدون لله عزَّ وجلَّ ويتقربون إليه بعدم التزويج، أو اللواتي يترهبن تقرباً إلى الله بترك الأزواج، فإن جميع هؤلاء يعانون في حياتهم من عقد نفسية، ويعيشون حياتهم تحت وطأة ونير الضغوط النفسية الإلحاحية، ولا أقل من كون الاضطراب حليفهم، والاستقرار فقيدهم، وهم مع ذلك لا خبرة لهم بقضايا الزواج وآثاره ولوازمه.

بل إننا سمعنا ونسمع وجود حالات مقيتة عند هذه الطبقة، ومنها ظاهرة الشذوذ الجنسي والاعتداء على القصّر.

ومن منطلق عدم مكنة الرجل من الاستغناء عن المرأة، والعكس، ندرك بطلان ما قاله جان جاك روسو حيث قال: «إن الرجال يعيشون حياة أفضل بدون النساء، أما النساء فلا يمكن أن يعشن حياة أفضل بدون الرجال»[1] إذ أنه لو صح ما قال لما كان موجوداً في الحياة على أقل تقدير لفقدان عامل التناسل.

والصحيح أن الرجل لا يعيش الحياة الأفضل إلا مع المرأة، والمرأة لا تعيش الحياة الأفضل إلا مع الرجل.

والظاهر أن جان جاك روسو تفوه بهذا المنطق لا لأنه لم يتصور ويفترض الحياة بلا امرأة، بل لعله رأى من النساء الكثير فخمّن ذاك المنطق، وتلك الرؤية، ولهذا لو أنه عشق امرأة، أو تخيل الوجود بلا امرأة لما تسنى له النطق بهذا.

ولو أن الحياة تصلح من دون امرأة، أو تكون الأفضل من دونها، لخلق الله عزَّ وجلَّ الرجال حصراً دون النساء، ولأزال غرائزهم وأعدمها، ولقصر الوجود على الرجل الأول آدم لاستحالة التناسل وحفظ النوع البشري.

إننا نرى بالوجدان أن الكثير من الرجال ـ إن لم يكن الكل ـ لا يطيقون العيش من دون النساء، بل هذه قاعدة مطردة سيما إذا ضممنا إلى ذلك عوامل منها الأنس، والاستقرار، والغريزة والسكينة وغير ذلك.

إن الرجل يحتاج إلى حنان المرأة، كما أن المرأة تحتاج إلى الاحساس بالأمن في كنف الرجل » وإن الرجل يحتاج إلى أنوثة المرأة كما تحتاج هي

---

(١) المعارج، عدد، ٤٠، ص ٣٠.

إلى رجولته، وإن الرجل يحتاج إلى وعاء المرأة كما تحتاج هي إلى ماءه، وبالتالي إلى الطفل المتولد منهما فمن دون الرجل لا تصير المرأة أماً، ومن دون المرأة لا يصير الرجل أباً، وهذا بالحقيقة مظهر من مظاهر حكمة الله عزَّ وجلَّ، وعينة من عينات بديع خلق الله عزَّ وجلَّ، ومن هنا يظهر ضعف ما قاله الشاعر حيث قال:

بنونا بنو آبائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

حيث اعتبرت المرأة مجرد وعاء لماء الرجل، وهذا الكلام باطل من رأس، ضرورة أن المرأة شريك تام في عملية الإنجاب، فإذا ما انتفت انتفى الإنجاب، مضافاً إلى تأثيرها البالغ على تركيبة الطفل، ومزاجه وأخلاقه، ثم أن المدح القرآني للمرأة في حال كونها حاملاً، عظيم جداً يفوق كل وصف، ثم أننا إذا عكسنا الإدعاء فهل يمكننا القول بأن الرجل مجرد صاب للماء الأعظم، ويقتصر دوره على هذا الفعل الشهوي التلقيحي دون غيره.

لا شك ولا ريب بأن التكامل والتوازن واضح تمام الوضوح بين الرجل والمرأة، فإننا لو جئنا بعدة أطفال للمرأة فإنها تستطيع الاهتمام بهم، أما لو جئنا بطفل واحد إلى الرجل فإنه سيرتبك به إرتباكاً شديداً، إذ كيف يرضعه، وكيف يسكته، وكيف يتابع شؤونه وشجونه، نعم إذا كان الرجل متخصصاً فهذا شيء آخر ولكن في غير الأمور التكوينية كالرضاع مثلاً.

وكذلك الحال إذا أتينا بأثقال الحديد لعدة نساء فقد يعجزن عن حمل ذلك، بينما إذا أتينا بذلك إلى رجل واحد فقد يمكنه ذلك، وهذا في الغالب طبعاً، وهذا يعود إلى ثقافة المرأة وحيث أنها بالعادة لا تهتم بحمل الأثقال بخلاف الرجل، ولهذا فإننا نرى بالوجدان أن نساءً عدة هن أقوى من الرجل بدناً.

وهكذا في مسألة الاستئناس فإن ألف رجل قد لا يبعثون الأنس في

رجل واحد، بينما تستطيع امرأة واحدة أن تبعث فيه الأنس، وكذلك بالعكس فإن ألف امرأة قد لا يبعثن في نفس امرأة واحدة الاطمئنان والأمان، ويستطيع رجل واحد ذلك.

ونريد بالأنس هنا الأنس الخاص بالنساء المؤنس للرجال، والأنس الخاص بالرجال المؤنس للنساء، لا مطلق الأنس ولا شك ولا ريب بأن الطبيعة البشرية المنتظمة، تقتضي أن يجتمع الرجل والمرأة لتتحقق مسألة الإنجاب، ومن الطبيعي أن يعمل الرجل وتريحه المرأة، فحينما يعمل الرجل ترتاح المرأة، وحينما يرتاح الرجل تعمل المرأة، وقد يعملان معاً، وقد يرتاحان معاً بحسب ظروفهما وأوضاعهما، مع أنه وباعتقادي فإن المرأة لها عمل تكويني من جهة، وعمل اختياري من جهة أخرى، فالاهتمام بالطفل وإصلاح شأنه، وتصنيع الرجال هو عمل تكويني، والعمل الاجتماعي، والسياسي، والعبادي، والريادي الذي تضطلع به المرأة هو عمل اختياري بمحض الإرادة ومن هنا نعرف أن ما يتعب الرجل لأجله، يتوازن ويتكامل مع ما تتعب به لأجله المرأة.

ونريد بالراحة أعلاه للمرأة، الراحة عن العمل الخاص بالرجال، لا مطلق الراحة، فلا نريد بالراحة «البطالة»، مع أني اعتقد أن المرأة في عمل دائم.

وإذا كان الرجل يرتاح، فإن المرأة لا ترتاح من العمل البتة، فإذا كانت المرأة تعمل في خارج المنزل فإن عملها هذا يكون مركباً مع العمل داخل المنزل في رعاية الأسرة، بينما الرجل لا يعمل إلا عملاً واحداً.

ومن وحي ما تقدم، ومن باب الإشارة، فإن في بعض الأخبار تعبير دقيق عن تكامل وتوازن عمل المرأة والرجل، بحيث أن عملهما وإن اختلف من حيث الكيفية والأداء، إلا أن مجموعهما من حيث النتيجة واحد، فقد

أخرج البيهقي عن أسماء بنت يزيد الأنصارية، أنها أتت النبيﷺ وهو بين أصحابه فقالت: بأبي أنت وأمي! إني وافدة النساء إليك، واعلم نفسي لك الفداء أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأيي، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء، فآمنا بك وبإلهك الذي أرسلك، وإنا معاشر النساء محصورات مقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فُضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم فما نشارككم من الأجر يا رسول الله؟؟

فالتفت النبيﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: هل سمعتم مقالةً قط أحسن من مسائلتها من أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا!! فالتفت النبيﷺ إليها ثم قال لها: انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها، وطلبها مرضاته، واتباعها موافقته يعدل ذلك كله.

فأدبرت المرأة وهي تهلل وتكبر استبشاراً[1].

فهنا أعلن النبيﷺ أن كل ما يفعله الرجال يعدل ما تفعله النساء من حسن التبعل، ومرضاة الزوج عن زوجته، واتباع موافقته.

وإن ها هنا ملاحظات إيجابية في هذا الخبر هي:

الملاحظة الأولى: حرية المرأة في التعبير عما يختلج في داخلها.

الملاحظة الثانية: التكلم مع الرجال في خصوص الأمور الدينية، والصالح الاجتماعي العام.

---

(١) ميزان الحكمة، مادة المرأة.

الملاحظة الثالثة: وجود الوعي الباهر لدى المرأة.

الملاحظة الرابعة: إن دور المرأة عظيم جداً، وإن حسبه الناس غير عظيم، حيث أن الكثير من الباحثين والنقّاد يعتبرون العمل الذي تقوم به المرأة في المنزل، وفي تربية الأولاد وما شاكل، إنما هو تقزيم لشخصية المرأة، وهذا مما لا يصح البتة، إذ أن هذا العمل الذي تقوم به المرأة يعدل كل ما يقوم به الرجال كما في الخبر.

وهذه الملاحظات الإيجابية مستفادة من هذا الخبر «ويستفاد منه ومن نظائره أولاً: إن الطريقة المرضية في حياة المرأة في الإسلام أن تشتغل بتدبير أمور المنزل الداخلية وتربية الأولاد، وهذه وإن كانت سنة مسنونة غير مفروضة لكن الترغيب والتمريض الندبي ـ والظرف ظرف الدين، والجو جو التقوى وابتغاء مرضاة الله، وإيثار مثوبة الآخرة على عرض الدنيا، والتربية على الأخلاق الصالحة للنساء كالعفة والحياء ومحبة الأولاد والتعلق بالحياة المنزلية ـ كانت تحفظ هذه السنة. وكان الاشتغال بهذه الشؤون والإعتكاف على إحياء العواطف الطاهرة المودعة في وجودهن يشغلن عن الورود في مجامع الرجال، واختلاطهن بهم في حدود ما أباح الله لهن، ويشهد بذلك بقاء هذه السنة بين المسلمين على ساقها قروناً كثيرة بعد ذلك حتى نفذ فيهن الاسترسال الغربي المسمى بحرية النساء في المجتمع فجّر إليهن وإليهم هلاك الأخلاق، وفساد الحياة وهم لا يشعرون، وسوف يعلمون. . .

وثانياً: إن من السنة المفروضة في الإسلام منع النساء من القيام بأمر الجهاد. . .

وثالثاً: أن الإسلام لم يهمل أمر هذه الحرمانات كحرمان المرأة من فضيلة الجهاد في سبيل الله دون أن تداركها، وجبر كسرها بما يعادلها عنده

بمزايا وفضائل فيها مفاخر حقيقية كما أنه جعل حسن التبعل مثلاً جهاد المرأة، وهذه الصنائع والمكارم أوشك أن لا يكون لها عندنا ـ وظرفنا هذا الظرف الحيوي الفاسد ـ قدر لكن الظرف الإسلامي الذي يقوّم الأمور بقيمها الحقيقية، ويتنافس فيه في الفضائل الإنسانية المرضية عند الله سبحانه، وهو يقدرها حق قدرها، يقدر لسلوك كل إنسان مسلكه الذي ندب إليه، وللزومه الطريق الذي خُطّ له، من القيمة ما يتعادل فيه أنواع الخدمات الإنسانية وتتوازن أعمالها فلا فضل في الإسلام للشهادة في معركة القتال والسماحة بدماء المهج ـ على ما فيه من الفضل ـ على لزوم المرأة وظيفتها في الزوجية»[1].

إن ما ينبغي التنبيه عليه دواماً هو أن العظمة تكمن فيما عظمّه الله عزَّ وجلَّ، وليس في ما يعظمه الناس، وإن الحقارة هو في ما يحقره الله عزَّ وجلَّ، وليس في ما يحقره الناس، فرب أمرٍ عند الله عزَّ وجلَّ عظيماً وعند الناس حقيراً، والعكس بالعكس، وعليه فإن ما تقوم به المرأة من وظائف بيتية، وتربوية وزوجية، إن كان عند الناس عظيماً فبها ونعمت، وإن لم يكن عند الناس عظيماً فهو عند الله عزَّ وجلَّ عظيم، «فليس من المستبعد أن يعظم الإسلام أموراً نستحقرها ونحن في هذه الظروف المضطربة، أو يحقر أموراً نستعظمها ونتنافس فيها فلم يكن الظرف في صدر الإسلام إلا ظرف التقوى وإيثار الآخرة على الأولى»[2].

نعم إنه وبلا أدنى شك فإن الظروف المعاشة، والجو البيئي المعاصر، والأحوال العديدة، كل هذه تعطي للظاهرة قيمة معينة، أو تفقدها قيمة معينة، فإذا كان الظرف إسلامياً وتقوائياً فإنه يعطي لعفة المرأة وحجابها،

---

(١) م.ن، ج٩، ص ٩٨.
(٢) م.ن، ص ٩٩.

وبيتوتتها وعملها التربوي داخل الأسرة، كل القيمة والفعالية والجدوائية، أما إذا كان الظرف غير إسلامي، وغير تقوائي، فإنه يعظم مضادات هذه الأمور.

وعوداً على بدء وبالحق والحقيقة، فإننا إذا نظرنا إلى المرأة وما تستقل به وتعطيه، وإلى الرجل وما يستقل به ويعطيه فإننا سنجد أن بضاعة الرجل لا تنفع بلا ضميمة بضاعة المرأة، وكذا العكس.

إذ كيف يكون الزوج زوجاً بلا زوجة؟!! وكيف يكون الأب أباً بلا زوجة وأم؟!! وكيف يكون الخال خالاً بلا أخت؟!! وكيف يكون العم عماً، والخال خالاً، والخالة خالة، والعمة عمة، والأخت أختاً، والأخ أخاً، والجد جداً، والجدة جدة، والصهر صهراً، بلا رجل وامرأة معاً؟؟!!! ولمن يكد الرجل ويعمل إذا لم تكن لديه زوجة، ولم يكن لديه أولاد ذكوراً وأناثاً؟!!

وبمن يأنس الرجل إذا لم تكن هناك امرأة تؤنسه؟!! ومن يطفي نار شوق الرجل لولا المرأة، ومن يطفئ نار شوق وتوق المرأة غير الرجل؟!!!

ولمن يخزن الرجل كل هذا الشوق؟!! وأين يصرفه؟!! ولمن تخزن المرأة كل هذه العواطف والأحاسيس وأين تصرفها؟!!! إن الرجال يأنسون بالرجال أنس الصداقة والأخوة، وأن النساء يأنسن بالنساء أنس مودة وصداقة، ولكن الرجال بحاجة إلى أنس من نوع آخر، والنساء يحتجن إلى أنس من نوع آخر!!!

وهذا الأنس من النوع الآخر، لا يلبيه للرجل إلا المرأة، ولا يلبيه للمرأة إلا الرجل.

المرأة ليست أداةً بيد الرجل

لقد أخطأ أوجستين خطأً فظيعاً حينما قال: «المرأة ليست إلا أداة تحت سيطرة الرجل»[1].

وهذا الكلام فيه مغالطة كبيرة لما عليه الواقع من جهة، وهو كلام اعتباطي وغير منهجي بالكلية، ويرد على هذا الكلام ملاحظات هي:

الملاحظة الأولى: إن المرأة مختارة في قبول الرجل وعدم قبوله إذا كان طالباً للزواج منها، هذا إذا كان المقصود بالمرأة ها هنا الزوجة، أما إذا كان المقصود بالمرأة البنت فإن لها حقاً على أبويها، وليست هي أداة بيد أبيها، وأما إذا كانت أختاً فليس لأخوتها عليها ولاية.

الملاحظة الثانية: إذا كان يُراد بهذا الكلام أن الناس يحكمون سيطرتهم على المرأة على الصعيد العملي التطبيقي، فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً، ولا بد من تغيير هذا الواقع المشين والمهين بالمرأة، ولا بد من قلع هذه الظاهرة من جذورها إلى غير رجعة، ولكن النقاش في عالم الفكر يجري حول النظرية، لا حول التطبيق الخاطئ، فمن حيث النظرية فإن الإسلام الأصيل لا يعتبر المرأة أداةً طيعة بيد الرجل، بل يعتبرها إنساناً حراً في قبال الرجل الحر، نعم هناك من المسلمين من يتعاطى مع المرأة على نحو السيطرة والاستعباد

(١) المعارج، عدد ٤٠، ص ٣٠.

وهذا عمل مرفوض، لأنه ينبغي على المسلم تطبيق نظرية الإسلام، لا نظريته المتوحشة أو نظريات غيره التي هي دون اللياقة.

الملاحظة الثالثة: إن للمرأة حقاً على الرجل، كما أن للرجل حقاً على المرأة، فقد قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، إن لنساءكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حقاً، حقكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فراشكم، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، وأن لا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع... فإذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً»[1].

ومجموع ما للرجل على المرأة، يوازي مجموع ما للمرأة على الرجل.

الملاحظة الرابعة: إننا نرى بالواقع وبالوجدان أن ثمة نساء ورجال كُثر، إنما يعيشون حياتهم على تفاهم تام، ووفاق دائم، من دون سيطرة أحد على أحد.

الملاحظة الخامسة: إننا نشاهد بالوجدان أن ثمة نساء يسيطرن على الرجال، حتى أن بعض الرجال هم بمثابة الميت، والنساء هم بمثابة الغاسل، يقلبن الرجال كيفما بدى لهن. حتى قيل «أن وراء كل عظيم امرأة».

الملاحظة السادسة: ماذا لو كانت المرأة أماً، أو جدة، فهل تكون الأم أداةً بيد ولدها، والجدة أداة بيد حفيدها؟؟

الملاحظة السابعة: إذا أُريد بكون المرأة أداة للرجل، وتحت سيطرته، ذاك الرجل الذي يستغل ضعفها، أو فقرها، أو حاجتها، أو ظروفها الخاصة كاليتم

(١) تحف العقول، ص ٣٠.

وما شاكل، فإن هذا الرجل يكون رجلاً متوحشاً، وغير لائق بالإنسانية، إذ أنه لم يدرك حق المرأة، وقيمتها، ولم يعمل بوصية الله عزَّ وجلَّ المتعلقة بحفظ المرأة، ولا بوصية النبي ﷺ.

واعتقد فيما اعتقد أن أوجستين لم يقصد بكلامه هذا إلا ما كان يعانيه في عصره من ظلم للمرأة، فجرى كلامه هذا مجرى توصيف الواقع، أما إذا كان كلامه يجري مجرى النظرية فهذا مما لا دليل عليه نعم عرفنا أن بعض المجتمعات اعتبرت المرأة في خدمة الرجل، ولكن اعتقاد هذه المجتمعات متولد من الأعراف التي كانت سائدة.

وما يهمنا هنا هو تبرئة النظرية الإسلامية من مقولة أن المرأة أداة بيد الرجل، وتحت سيطرته نعم في الحياة المعاشة قد تكون المرأة منقادة للرجل جرّاء العشق والخلابة، ولكن قد يكون الرجل كذلك فلا فرق.

المرأة ليست أداةً للشيطان

«المرأة أداة للشيطان» هذا الكلام على إطلاقه فيه ظلم وإجحاف كبيرين بحق المرأة، بل هو تعرض بشع لساحة الحِكمة الإلهية.

لقد أخطأ «تولستوي» حينما قال: المرأة أداة للشيطان، إنها غبية في جملة حالاتها، ولكن الشيطان يعيرها دماغه حيث تعمل في طاعته[1].

والخطأ الذي وقع فيه «تولستوي» يتضح من خلال ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: المرأة ليست أداةً للشيطان، بمعنى أنها متى تكون أداةً للشيطان، ومتى لا تكون كذلك؟؟ الصحيح أنها تكون أداةً للشيطان إذا ما عصت الرحمٰن عزَّ وجلَّ، والصحيح أنها لا تكون أداةً للشيطان إذا أطاعت الرحمٰن عزَّ وجلَّ، وعملت صالحاً بعد الاستقامة المستديمة حتى الموت.

إن العقل ينفي أداتية وطواعية المرأة للشيطان، إذا ما أرادت وأبت أن تكون أداةً للشيطان وطيِّعة له، وذلك لأن المرأة صاحبة خيار يستوي فيه القبول وعدم القبول، ولذلك فإن المرأة تختار الطواعية للشيطان، وتختار عدم الطواعية، ثم أن الشيطان أعم من إبليس فقد يكون الإنسان بنفسه شيطاناً، وعلى أيٍ فإن العقل يأبى أن يكون الإنسان مختاراً وحراً ومن ثم يكون أداة بيد غيره من دون اختياره.

---

(١) المعارج، عدد ٤٠، ص ٣٠.

وإن الآيات القرآنية تنفي أداتية المرأة وطواعيتها للشيطان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠﴾[1] وبالطبع فإن الوالج إلى الجنة ليس أداةً للشيطان، والخطاب هنا موجه للذكر والأنثى، ضرورة أن النفس تصدق على كليهما.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾[2] ومحال للشيطان أن يجعل من عامل الصلاح، وقاصد الفلاح، أداة طيعة له، لأنه ختم حياته بالإيمان، وعاش تلك الحياة الطيبة التي ليس للشيطان فيها حظ ولا نصيب، ولقد وجه القرآن هنا خطابه صريحاً للذكر والأنثى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٣٠ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١﴾[3].

فهنا ولاية الله عزَّ وجلَّ على المستقيم في خط التوحيد، والعامل بالشريعة، محصورة في الدنيا والآخرة به، مما ينفي ولاية الشيطان عليه ولو للحظة، ولا فرق بين الذكر والأنثى هنا.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[4] فإذا كانت المرأة مؤمنة فلا ولاية للشيطان عليها، لأن ولاية الشيطان على اللواتي لا يؤمنن.

---

(١) سورة النازعات، الآية: ٤٠.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٣) سورة فصلت، الآيتان: ٣٠ ـ ٣١.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

ومن ذلك قوله تعالى مخاطباً الشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1] فهنا ينفي الله عزَّ وجلَّ سلطنة الشيطان على عبادة المؤمنين ذكوراً وإناثاً، ويثبت سلطنة الشيطان على من اتبعه، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[2] أما على المؤمنين فلا سلطة له عليهم ذكوراً وإناثاً كما عرفت قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3].

ومهما يكن فإن المرأة إذا أرادت أن لا تكون من أدوات الشيطان فهي ليست كذلك، وبالتالي فإنها إذا أرادت أن تكون من أهل طاعة الله عزَّ وجلَّ فلا تكون مشمولة في عداد أتباع الشيطان.

ألا ترى أن أم مريم عليها السلام، قالت داعية لابنتها عليها السلام، كما أمر تعالى: ﴿وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[4]، وقد استجاب الله عزَّ وجلَّ دعوتها، وأعاذ الله عزَّ وجلَّ مريم وعصمها من الشيطان فعلاً، وجعلها صديقة بعدما تقبلها وأنبتها نباتاً حسناً، وأعاذ ولدها من الشيطان الرجيم، وجعله نبياً من الأنبياء، وكرّمه كذلك بالمعجزات.

لا شك بأن المرأة إذا دخلت في حريم الإخلاص، فإن الشيطان بنفسه يذعن ويعلن عجزه عن غوايتها، ويصبح رجيماً خائباً من قبلها، حيث يقول تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[5] فالقرآن إذن ينفي أداتية المرأة للشيطان كما عرفت.

ونستطيع نفي أن المرأة هي أداة للشيطان بالآتي: لا ريب أن الشيطان

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.
(٢) سورة النحل، الآية: ١٠٠.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٥) سورة ص، الآية: ٨٢.

يعبر عن الشر ذاتاً، وينطق عنه فعلاً، وبطبيعة الحال فإن المرأة إذا كانت أداةً له، فمعنى هذا تمظهرها بمظهر الشر، وتلبسها بلبوسه، الأمر الذي يؤدي إلى عدم صدور الخير منها البتة، بل لا يظهر منها الندم على ما فعلت، ولا حتى العتاب النفسي، ولا الخوف من تكرار الفتنة والشر، مع أننا نرى بالوجدان صدور الخير من المرأة، وحصول الندم، والخوف، والشفقة وغير ذلك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المرأة إذا لم تطع الشيطان، فلا تكون أداةً له، وإذا أطاعته فلا تكون طوال العمر أداةً له، فهي تتفلت منه في بعض الأحايين.

المستوى الثاني: لا فرق في كون الإنسان أداة للشيطان بين كونه ذكراً أو أنثى، إذا لم يكن مطيعاً لله عزَّ وجلَّ، وكان مريداً لأن يكون طيعاً للشيطان.

وعلى هذا فليست المطواعية للشيطان من قِبل الإنسان منحصرة بالأنثى، بل يشمل الإنسان ذكراً وأنثى وبقيد كونه منحرفاً عن خط الله عزَّ وجلَّ.

وقد تكون المرأة الفاسدة أكثر خطراً، وأشد إغواءً من الرجل من جهة خاصة، وقد يكون الرجل أكثر خطراً، وأشد فتكاً من المرأة من جهة خاصة أخرى.

وإنما المرأة تكون أشد خطراً، ومن أعظم جند الشيطان إغواءً من الرجال نظراً لاستخدامها العنصر الأنثوي الخاص بها، والمتميز والباعث على الجذب والملفت للانتباه، ولكن في مواقع مخصوصة وبما يناسب طريقة الشيطان في عملية الإغواء، حيث أن كل إنسان سواءً كان رجلاً أو أنثى يستخدم ما هو قوي فيه ومؤثر لتنفيذ أغراضه وأغراض آمره، فالرجل يرى أن تأثيره يكمن في قوته البدنية مثلاً، والمرأة ترى أن تأثيرها يكمن في جسدها ومفاتنها، ولهذا فإن المرأة تكون أشد تأثيراً من الرجل في عملية الإغواء من هذه الجهة الجسدية والمفاتنية، والرجل أشد تأثيراً من المرأة في أعمال الشر من هذه الجهة البدنية التي تعبر عن القوة والبطش.

وهذا الأمر يتوضح من خلال الآتي:

لنفترض أن المرأة مع احتمال فسادها كانت أداةً للشيطان، وأراد الشيطان أن يغوي رجالاً مؤمنين، وكانوا أقوياءَ، فإن الشيطان في هذه الحالة لا يجد نفعاً بتسليط رجالٍ بالغاً ما بلغوا من القوة عليهم، وذلك لاحتمالين:

١ ـ أنهم مع احتمال الهزيمة المادية ـ أي أهل الإيمان ـ فلا يتأثرون معنوياً وروحياً، ومع احتمال القتل فإن القتل عند هؤلاء شهادة وانقلاب إلى الله عزَّ وجلَّ بنعمة دائمة.

٢ ـ أنهم قد يغلبون وينتصرون وفي هذا خزي للشيطان وأتباعه وبطبيعة الحال فإن الشيطان يريد سلب إيمانهم، فعند ذلك يرى الشيطان أن من المناسب أن يرسل لكل مؤمنٍ مستقلاً أو جميعاً، تلك المرأة المطواعة له، أو تلك النساء المطواعات له، فيخاطب بهن غرائز هؤلاء المؤمنين، واحتمال السقوط والإفتتان هنا قوي جداً.

وعلى هذا فالقاعدة هنا أن كل فاسد ومفسد ـ رجلاً وامرأة ـ يستخدم ما يناسب عنده لإعمال فساده، وتنفيذ مآربه الشريرة، على أن تأثير رجل واحد قد يكون أبلغ من تأثير مائة امرأة في بعض الحالات كعالم سوء مثلاً، وقد يكون تأثير امرأة واحدة أبلغ من تأثير مائة رجلٍ، كما لو أن امرأة حسناء عرضت جسدها للناس، وأسقطت حرمتها أمام الناس، وجعلت نفسها مباحة لرجال عصاة، فإنهم يقبلون عليها إقبالة الوحوش بلا رادع، وعندها لا تنفع فيهم موعظة مائة عالم أتقياء بررة.

فهنا صورتان نجدها في أجواء الحياة العامة:

الصورة الأولى: أن رجلاً واحداً يغوي الكثير من النساء، ويديرهن بحسب ما يحب ويشتهي، فقد نُقل أن عبد الله بن أبي بن أبي سلول «شيخ

المنافقين»، كان يتجر بالنساء، ويجرهن إلى البغاء، وفي أيامنا هذه لشيخ المنافقين نظائر، فهؤلاء يتجرون بالمومسات ويدعونهم إلى البغاء لقاء أجرة.

الصورة الثانية: إن امرأة واحدة قد تسلب إيمان الكثير من الرجال، وقد تسبب في إضلال الكثير من الرجال، كما رأينا ذلك بالوجدان مع هند وعائشة.

وخلاصة الكلام أن المرأة الفاسدة لديها نقاط قوة تستخدمها في مواطن لا يستطيع الرجل الفاسد التأثير فيها، كما أن الرجل الفاسد لديه نقاط قوة لا تستطيع المرأة الفاسدة التأثير فيها، وبمعنى آخر فثمة تكامل وتوازن في الأدوار الشريرة والفاسدة بين الرجل والمرأة.

والجدارة الحقيقية لتلك المرأة إنما تحقق بتقواها وخوفها من الله عزَّ وجلَّ فلا تستخدم قدراتها إلا للصالح العام.

المستوى الثالث: إن المرأة إذا كانت أداة للشيطان، فكذلك من الممكن أن تكون أداة طيعة بيد الرجل، وكذلك من الممكن أن يكون الرجل أداةً طيعة بيد المرأة.

المستوى الرابع: المرأة ليست غبية، والغباء تكويناً منتفٍ ضرورة أن لكل من الرجل والمرأة قابلية التعلم، ونفي الغباء وطرد الجهل، بل لديها قابلية اختيار ما يناسب صالحها والصالح العام، ولديها الوعي التام لما يحيط بها، ويجري حولها.

وأما الغباء الناتج عن عدم الوعي بسبب الجهل وعدم التعلم، فإن ذلك يحصل للرجل كما يحصل للمرأة دون تمييز، فإذا كانت المرأة متعلمة وواعية فليست غبية، وكذا الرجل.

امرأة أعبد وأتقى من الرجال

كانت في بني إسرائيل امرأة وكانت متزوجة من رجل عابد مؤمن، وكان لديه أخ قاضٍ، فعندما أوكل الرجل الصالح بمهمة من قبل ملك زمانه، أوصى أخاه القاضي بزوجته، ولكن القاضي استغل غياب أخيه، وأراد أن يقضي الوطر مع زوجته، ولكنها أبت عليه ذلك، فغضب القاضي منها، ودبر لها تهمة عند الملك، حيث اتهمها بالزنا، فصدّق الملك كلامه، وطلب منه معاقبتها، فهددها القاضي: إما أن تقبلي معي بما دعوتك إليه من قضاء الوطر، وإما أقوم برجمك، فرفضت المرأة العابدة الاستجابة له، وقالت له: اصنع ما بدا لك، فرجمها بعد أن حفر لها حفيرة، ولكنها في الليل تحركت لأنها لم تمت حيث كان بها رمق، فخرجت من الحفيرة، وثم خرجت من المدينة، حتى وصلت إلى دير ونامت فيه، وفي الصباح سألها الديراني عن حالها فأخبرته، وكان له ولد صغير، وكان عنده قهرمان ـ وكيل ـ فأعجب القهرمان بالمرأة وطلب منها قضاء الوطر، فأبت ذلك، فعمد إلى ولد الديراني فقتله، واتهم المرأة بذلك، فغضب الديراني وطردها من الدير بعدما أعطاها عشرون درهماً لتتزود بها في سفرها، وخرجت من الدير حتى انتهت إلى مكان فيه رجل مصلوب على خشبة، فسألت عن سبب صلبه، فقيل لها: هذا عليه دين عشرون درهماً، فإذا قضي دينه فُكّ من الصلب، فدفعت ما معها من مال وفكت صلبه وأنقذته، فقام الرجل وشكرها وأبى إلا

أن يكون بخدمتها طوال الوقت، فسارا حتى انتهيا إلى ساحل بحر، فرأى جماعة وسفناً، فقال لها: أجلسي حتى آتي بالطعام، فأتاهم فقال لهم: ما في سفنكم هذه؟؟ فقالوا: أشياء كثيرة لا نحصيها؟؟ قال: إن معي ما هو خير مما في سفينتكم، قالوا: وما معك؟؟ قال: جارية لم تروا مثلها قط! فطلبوا منه أن يبيعها لهم، فباعها لهم بعشرة آلاف درهم، فقاموا وأخذوها بعدما فوجئت بغدر الرجل المصلوب، ولما وضعوها في السفينة اختلفوا عليها، فاتفقوا على جعلها في سفينة البضاعة، وركبوا في سفينة الركاب، فأرسل الله عزَّ وجلَّ ريحاً فأغرقتهم، وبقيت سفينتها سالمة حتى انتهت إلى جزيرة فيها كل ما يحتاجه المرء من طعام وشراب وثمر، فتفرغت لعبادة الله هناك.

ثم أن الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل في ذلك العصر أن يقول لذاك الملك طالباً منه أن يأتي هو وجميع من في مملكته إلى تلك الجزيرة التي فيها المرأة، ويقروا بذنوبهم جميعاً أمامها، فإن غفرت لهم غفر الله لهم ذنوبهم، وإلا فلا، فجاء الملك مع جميع من في مملكته إلى تلك المرأة، فتقدم الملك وقال لها: إن هذا القاضي أخبرني أن امرأة أخيه زنت ولم يعطني بينة فسمحت له برجمها من دون بينة، فأحب أن تستغفري لي، فقالت: غفر الله لك فاجلس، ثم أتى زوجها العابد وهو لا يعرفها فقال: أنا هاجرت وتركت زوجتي الصالحة مع أخي فأخبرني أنها زنت فرجمها، وأخاف أن أكون قد ضيعتها، فاستغفري لي، فقالت: غفر الله لك فاجلس، ثم جاء القاضي واعترف بذنبه، وطلب الاستغفار، فقالت غفر الله لك، ثم جاء الديراني وقص قصته مع المرأة، وأنه طردها من دون بينة، وطلب الاستغفار، فقالت: غفر الله لك، ثم جاء القهرمان وقص قصته وظلمه للمرأة التي اتهمها بقتل الولد، وطلب الاستغفار، فقالت: غفر الله

لك، ثم أقبل المصلوب وقص قصته عليها، وطلب الاستغفار، فقالت: لا غفر الله لك، ثم أقبلت لي زوجها فقالت: أنا امرأتك، وكل ما سمعته فإنما هو من قصتي، وأخبرته أنها لا تحتاج إلى شيء في الدنيا سوى أن تتفرغ لعبادة الله عزَّ وجلَّ[1].

أنظر إلى تقوى هذه المرأة وورعها الذي جعلها قبلة للرجال، حيث يطلب الله عزَّ وجلَّ منهم أن يتوجهوا إليها للاستغفار، وربط الله عزَّ وجلَّ مغفرتها بمغفرته إعظاماً لشأنها.

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن المرأة بتقواها وورعها تكون أفضل من الرجل، كما أن الرجل بتقواه وورعه يكون أفضل من المرأة.

(١) قصص الأنبياء، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٥ و٤٩٦.

المرأة والحرية

المرأة حرة ومختارة، وقد خلقها الله عزَّ وجلَّ كذلك، وقد يقال بأن مقتضى الحرية لدى المرأة كونها لا بدَّ لها من التفلت والإنفكاك عن كثير من القيود والسدود الموضوعة قبالها.

وكلمة الحرية تنسحب على جميع القضايا الحياتية العامة، ولا أقل من انسحابها على الغالبية العظمى منها.

وقبل الحديث عن حيثيات حرية المرأة، لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة ترتبط بمسألة الحرية بشكل مطلق وهي:

إن كلمة الحرية تستخدم وتمارس بطريقة مطاطية غير مرتكزة، وغير ممنهجة، وفي الغالب هي تفتقر إلى ضابطة صحيحة، لأن الناس يحاكمون بعضهم بعضاً من منظار الحرية بصورة عشوائية وفوضوية.

والحق يقال بأن الحرية تلحظ مطلقة من منظار واحد، ومعيار فارد خلاصته «عدم الفساد». ومن الفساد التبعية، واليوم يريدون أن نكون أحراراً نحن المسلمين في بلادنا، ولكن تحديد معنى الحرية من عندهم هم، يريدوننا أن نكون أحراراً ولكن من منظار العبودية لهم، والتبعية العمياء لإشاراتهم. فنحن أحرار في بلادنا، ولكن نمارس حريتنا في سجون أوطاننا لأنهم حبسونا فيها كعبيد وأتباع، يحركونا من الخارج، أو عبر عملاء لهم في الداخل كيفما يريدون.

وعلى هذا فالحرية حق الحرية تلك التي لا تؤدي إلى الفساد، فأيما حرية يؤدي ممارستها إلى الفساد، فهي ليست حرية، فكل فساد ليس حرية، إذ لا يصح أن يكون إيجاب الحرية سلباً، وصحيح الحرية خطأً، وحقانية الحرية باطلاً، ونور الحرية ظلاماً، ولا أظن أن أوحدياً عاقلاً من الناس يوافق على تسمية الحرية بالحرية إذا كانت مؤدية إلى الفساد والإفساد.

فلا تتقبل حرية في القوة والبطش تؤدي إلى قهر الآخر وإذلاله، ولا تُقبل حرية في جمع المال بالسرقة والاحتكار تؤدي إلى إفقار الآخرين وإعدام معيشتهم، ولا تتقبل حرية في مخالفة الأمن تؤدي إلى القتل والسرقة والاغتصاب، ولا تُقبل حرية في الكلام تؤدي إلى شتم الآخر وتحقيره والنيل منه ظلماً وزوراً، ولا تتقبل حرية في العري والبغاء تؤدي إلى ضياع الأنساب، وهتك الأعراض، وانتشار الأمراض، ولا تتقبل حرية في تسفيه المقدسات وإهانتها بلا إتكاء على أدلة وبراهين موضوعية وهكذا.

إذن لا أحد يريد حرية تؤدي إلى الفساد، لأن موضوع الحرية هنا يكون منتفياً، ويحل محله موضوع آخر هو «الفساد».

إننا وبالوجدان نرى أن الحرية مقيدة عند الناس، فالقانون إنما وضع لأجل الحد من الحرية في الفوضى والتسيب، والسلطات إنما توضع لأجل عدم إعطاء الحرية لكل أحد كي يعمل على تنفيذ قانونه الخاص به بمعزل عن النظام العام.

إن الحرية لا حدّ لها ولكن داخل مفهومها، وضمن نطاقها الواسع والشاسع، فإذا ألفينا حركة باسم الحرية، أو أي فعل باسم الحرية، ثم نتج عن ذلك «فساد»، فهذا لا يسمى «الحرية»، لأن هذا العمل أو الفعل خرج عن مفهوم ونطاق الحرية، ودخل ضمن نطاق ومفهوم آخر هو «الفساد»، وبناءً على هذا فليس صحيحاً ما أُشيع بين الناس، وما هو شائع بأن «حرية

الفرد تنتهي عند حرية الآخر»، وذلك لأن الحرية لا حد لها في داخل إطارها، ومنع الآخرين من ممارسة حرياتهم يدخل في إطار مفهوم آخر هو «القهر والعدوان».

وهذه المقولة الآنفة الذكر غير صحيحة كما ذكرنا، ولأننا لا ندري ما المقصود من الحرية أولاً، فقد يكون المقصود من الحرية ضدها أي «الاستعباد والفساد»، فعلينا إذن أن نعلم ما هو المقصود من الحرية أولاً، وثانياً: ما هي سعة هذه الحرية؟؟ وثالثاً: مدى قبول هذه الحرية عند الأطراف، فإن مفهوم الحرية مختلف عليه بين الشعوب، والحضارات، فعلى سبيل المثال: الحرية عند أمريكا وإسرائيل وبريطانيا تعني استعباد الأمم والشعوب، واستغلال ثرواتهم، وكل واحد من هذه الشعوب يخضع لهم فهو حر، بينما الحرية عند الشعوب الإسلامية تكمن في مقاومة ومناهضة قهر هذه الدول وهيمنتها، وهكذا فإن الحرية عند بعض الغربيين تكمن في أن يتخذ الرجل الرجل زوجاً له، بينما يعتبر هذا عندنا غاية الاستعباد للنفس والهوى والشيطان.

وبالعودة إلى الحرية لدى المرأة، فقد أثيرت وما زالت تُثار مسألة «حرية المرأة»، وقيل الكثير في ذلك، ومن ذلك يجب أن تكون المرأة حرة، وليس من العدل والإنصاف تقييد حرية المرأة، ولا بد للمرأة الشرقية أن تعيش كالمرأة الغربية، وهكذا، ومع أنه لم يشار إلى ما هو المقصود من حرية المرأة، بيد أننا نستطيع الإقتراب من ذلك من خلال ذكر المطالب التالية:

المطلب الأول: للمرأة الحرية في اختيار الطريقة التي تعجبها أثناء سيرها في الحياة دون رادع أو مانع، ودون ضغط أو تأثير من أحد.

المطلب الثاني: للمرأة الحرية في الخروج من المنزل أنى تشاء، وكيف تشاء، وتعود إلى المنزل في أي وقت تشاء.

المطلب الثالث: للمرأة الحرية في اختيار الزوج الذي توده وتريده دون أن يمنعها من اختيارها أحد، ولها أن ترفض من تريد.

المطلب الرابع: للمرأة الحق في العري التام والكامل، وكذا للمرأة الحق في شبه العري.

المطلب الخامس: للمرأة الحرية في أن تعمل، وفي اختيار العمل الذي تريد، ولها الحرية في أن تتبوأ أرقى المناصب أسوة بالرجال.

المطلب السادس: للمرأة الحرية في أن تتساوى مع الرجال، وأن تأخذ دورهم، وتعمل عملهم، وتنجز إنجازاتهم، وتأخذ امتيازاتهم.

المطلب السابع: للمرأة الحرية في التمرد على نظرة المجتمع، وعاداته، وتقاليده، وكسر مقولة أن «النساء تابعات للرجال».

وغير ذلك من المطالب تحت عنوان «حرية المرأة»، أو «حق المرأة»، وقبل الحديث عن كل مطلب بعينه، نشير إلى نقطتين مهمتين هما:

النقطة الأولى: لا ريب بأن المرأة حرة، وقد خُلقت حرة ومختارة، ويكفي شاهداً على كونها حرة:

١ ـ إن العقل البشري آبٍ عن اعتبارها غير حرة.

٢ ـ إن العقلاء في إباء تام عن اعتبارها غير حرة، سيما وأنهم ينادون بحرية الإنسان الكامل، ويذمون تقييد حرية المرأة تبعاً لإنسانيتها، فيما لو لم يؤدِ ذلك إلى الفساد.

٣ ـ إن الأديان الصحيحة تعتبر المرأة حرة، وعندما نقول الصحيحة فهذا يعني أن لا تكون محرفة من جهة، أو مفسرة تفسيراً خاطئاً من جهة أخرى.

٤ ـ إن الإسلام الصحيح، والسليم من التراث السيء، يصرح بأن المرأة حرة، فهي مخاطبة من قبله بخطاب عقائدي عقلي، وبخطاب تشريعي اختياري.

▪ ـ الوجدان صريح وناطق بحرية المرأة، فهي لديها القدرة على مخالفة الشرع أو موافقته، وعلى مخالفة العادات والتقاليد أو موافقتها إذا تسنى لها ذلك، مضافاً إلى إقدارها من قبل الله عزَّ وجلَّ على مخالفته أو موافقته، ويكفي كشاهد على ذلك ما أخبرناه عن تلكم النسوة اللواتي خالفن شرائع الأنبياء، واللواتي خالفن شرائع وقوانين الظالمين.

النقطة الثانية: الحرية ليست حقاً للمرأة كما يشاع، وذلك لأن الحق يُعطى ويُسلب، ويستطيع المرء إسقاطه وتثبيته، والصحيح أن الحرية هي قيمة إنسانية للمرأة، ولا يستطيع أحد أن يسلب من المرأة قيمتها، ولا تستطيع المرأة نفسها إسقاط هذه القيمة، لأنها خُلقت معها، وتبقى معها حتى الممات.

وبناءً على هذا فمتى سلبت الحرية من المرأة حتى تطالب بها؟؟!!، فهي لم تسلب منها البتة، بل هي مودعة فيها من حين وجدت وستبقى معها.
وبعد الإشارة إلى هاتين النقطتين، نعود إلى المطالب الآنفة فنقول:

المطلب الأول ــ الاختيار الحر في طريقة العيش:

تريد المرأة أن تعيش كما يحلو لها بحرية تامة، من دون أي تقييد أو مساس لهذه الحرية، وهذا المطلب يلخص كل المطالب بالحقيقة، وهو مطلب يدغدغ مشاعر كل امرأة، ويبعث في نفسها الأنس والاطمئنان ونحن بدورنا نسعد لسعادة المرأة، ونفرح لفرحها ولكن لا على حساب الحقيقة الناصعة، ولذلك فإن الاختيار الحر في طريقه العيش لدى المرأة، لا يخلو من ثلاث أطروحات:

الأطروحة الأولى: أن تتغافل المرأة وتتجاهل كل الطرائق التي يعيشها الناس سابقاً وحاضراً مستقبلاً، وأن تطوي دون كل هذه الطرائق كشحاً، ومن ثمّ تخترع لنفسها طريقة عيش مبتكرة من عندها، من دون تقليد لأحد، لا في الملبس، ولا في المأكل، ولا في الشكل الظاهري، ولا في العلاقات الاجتماعية، ولا في جميع الظواهر الحياتية التي نشأت فيها، والتي تعاصرها، وبطبيعة الحال فإن هذا صعب مستصعب، لأنه لا يوجد أحد على هذه البسيطة إلا وينحى منحى الآخرين في طريقة العيش.

إذن لا تستطيع المرأة أن تكون حرة في اختيار طريقة العيش وفقاً لهذه الأطروحة.

الأطروحة الثانية: أن تختار طريقة من طرق العيش المتبعة عند الآخرين، أو أن تختار خليطاً من الطرق، فتجعلها طريقة واحدة، وتعيش بحرية على منوالها، وبالطبع فهذه الطرق متبعة عند الآخرين، ولكنها غير منسجمة في بعض خطوطها أو في كل خطوطها مع شريعة الله عزَّ وجلَّ، وبالتالي فإن هذه الطريقة التي اختارتها المرأة من مجموع هذه الطرق، هي أيضاً لا تنسجم مع شريعة الله عزَّ وجلَّ بالتضمن.

وهذه المرأة بالحقيقة غير حرة، لأنها تتبع طرق الآخرين، وتحذو حذوهم في طرق العيش وتكوين الرؤية، وغاية ما فعلته هو أنها اختارت ما اختاره الآخرون، وهذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإنها وفي الخطوط التي لا تنسجم مع شريعة الله عزَّ وجلَّ مستعبدة وغير حرة البتة، لأنها وقعت في حبائل الشيطان، لأن كل ما لا ينسجم مع شريعة الله عزَّ وجلَّ ينسجم بالبديهة مع ما يريده الشيطان ويعمل لأجله.

الأطروحة الثالثة: أنها تختار الطريقة التي تشاء، أو خليطاً من الطرق مصاغاً بطريقة واحدة، ولكنها ترفض كل ما لا ينسجم مع شريعة الله عزَّ وجلَّ،

وبمعنى آخر تختار شريعة الله عزَّ وجلَّ بمفهومها الواسع طريقة للعيش.

ويظهر من هذه الأطروحة، ومن الأطروحتين السابقتين، أن المرأة لا تستطيع ـ وكذا الرجل ـ العيش إلا بطرق متبعة، فليست هي حرة في شيء سوى في اختيار ما اختاره الآخرون نعم الحرية الحقيقية تكمن في اختيار ما اختاره الله عزَّ وجلَّ لها، فإذا اختارت ما اختاره الله عزَّ وجلَّ لها تكون حرة بإمتياز، وذلك لأن لله عزَّ وجلَّ القدرة المطلقة وقد منح عزَّ وجلَّ المرأة الحرية بقدرته ومنّه، وبما أنه عزَّ وجلَّ خلقها حرة، وجعل حريتها قيمة أساسية ومركزية لها، فقد ترك لها الاختيار في طاعته أو معصيته، وبما أنه عزَّ وجلَّ هو الذي وهب المرأة الحرية فمن المحال أن ينزعها منها، ولذلك فإنه عزَّ وجلَّ يبقيها على حريتها، وطالما هي عابدة له عزَّ وجلَّ ومطيعة لأوامره، طالما هي حرة، فإذا ما تركت طاعته لأجل الغير صارت مستعبدة لدى الغير.

فمثلاً إذا أطاعت المرأة الشيطان فلن تبقى حرة، لأن الشيطان عندما يسيطر على إنسان لا يفعل معه كما يفعل الله عزَّ وجلَّ ـ والعياذ بالله ـ فالله عزَّ وجلَّ خلقه حراً مختاراً ويبقيه كذلك، بينما الشيطان لم يهب الحرية للإنسان لكي يبقيه عليها، بل إن وظيفته سلب الإنسان حريته لا الإبقاء عليها، ولهذا هو يستعبده ولا يسمح له أن يكون حراً البتة.

المطلب الثاني ـــ حرية الدخول إلى المنزل والخروج منه:

وللنقاش في هذا المطلب، نوجه الأسئلة التالية مع أجوبتها، وبعد ذلك نخلص إلى النتيجة.

١ ـ هل يعد المنزل مقراً موحشاً وللاستعباد؟؟

الجواب: بالسلب، إذ أن المنزل قد يكون كذلك إذا كان أهله ظلمة يمارسون الوحشية بحق المرأة، أما إذا كان أهل هذا المنزل من العناصر السوية والمستقيمة فلن يكون المنزل مقراً موحشاً وللاستعباد، بل على

العكس سوف يكون مقراً للرحمة، والأنس، وسوف يكون جنة للمرأة وهي سيدته دون منازع.

إن الكثيرات من النساء تتمنى أن تسكن في منزل تغمره السعادة، ويعطره الحب، ويتصدّره الأنس، ومن فرط ما تسعد المرأة بمنزل كهذا فهي لا تخرج منه لحاجاتها الضرورية إلا وتتمنى العودة إليه بشغف وعلى هذا فليس المنزل مقراً موحشاً ومما يكون محفزاً على الخروج منه، بل على العكس من ذلك، فإن المنزل مما يكون محفزاً لعدم الخروج منه فيما لو عشعش فيه الصلاح والوئام، ثم أن المرأة إذا تزوجت فهي باختيارها وإرادتها تعيش في المنزل إذا كان الجو فيه سعيداً ومريحاً، وإذا لم يكن الجو سعيداً ومريحاً تستطيع الخروج منه بموافقة أهله من جهة، وبواسطة حقوقها من جهة أخرى. وبالحقيقة فإن المرأة تحتاج إلى جو ثقافي عام يسير وفق الظروف والمشاكل التي يمكن أن تتعرضها، فتحتاج إلى ثقافة تنويرية حول اختيار الزوج، وإلى ثقافة تنويرية حول حقوقها كزوجة، وكأخت وكإبنة، وكأم وما شاكل، وتحتاج أيضاً إلى ثقافة تمكنها من معرفة كيفية انتقالها من بيت كانت فيه شقية إلى بيت لا تكون فيه شقية أو أشقى.

٢ ـ هل الخروج من المنزل ممنوع ومحظور على المرأة؟؟ وللإجابة عن هذا السؤال نقول بأن هناك ثلاثة أصناف من الناس في هذا المجال:

الصنف الأول: وهم أتباع التقاليد والعادات والأعراف التي لا مستند شرعي أو قانوني، أو أخلاقي، أو حقوقي لها، وهؤلاء ممن يمنعون المرأة من الخروج من المنزل بمبررات عديدة لا أساس لها من الواقع، حتى اشتهر أن رجلاً من هذا الصنف افتخر بأن زوجته لم تخرج من المنزل إلا مرتين، في المرة الأولى خرجت من منزل ذويها إلى بيت زوجها، وفي المرة الثانية خرجت من بيت زوجها إلى قبرها، وبطبيعة

الحال فإن ما يذهب إليه هذا الصنف في تحجيره على المرأة غير صحيح البتة.

واعتقد جازماً أن لا أحد ينحى هذا المنحى في هذا العصر، فهذا المنحى أما يكون قديماً، وأما ينحاه الشاذ من الناس حالياً، نعم التضييق على المرأة موجود عند هكذا أصناف كما لا يخفى.

الصنف الثاني: أولئك الذين يطلقون العنان للمرأة، حيث تخرج متى تشاء وتعود متى تشاء، من دون أية ضوابط أو نظم، وهؤلاء لا يفعلون هذا لأجل المرأة، وليس لصالحها، بل إما لأجل تعميم ثقافة اللامبالاة بالأعراض، وانعدام الحياء، وإما لتنقيص قيمة المرأة، والاقتدار على الاتجار بالمرأة والاستحواذ عليها بلا أي مشقة، وبالحقيقة فإن هؤلاء ممن يسعون إلى تعويم المجتمع الذكوري، والعمل على هيمنة الذكور على الإناث، لكي يصبح الذكور ممن لا يتجشمون أية مشقة للحصول على المرأة كشهوة، أو للاتجار بالمرأة في مجالات العمل والتجارة، ولهذا لو أن هؤلاء لم يسعوا إلى هكذا فعل، وكانت هناك ثمة ضوابط لخروج المرأة ودخولها، لما تسنى لهم استرخاص المرأة بهذا الشكل.

ولنفترض أن أكثر النساء ومن هذا المنطلق خرجن وعملن عملاً محصوراً بالجسد، فمن أين ينتج المجتمع مفكرات، ومثقفات، ومبدعات، ومخترعات؟؟!!

ولهذا فإن الذين يقومون بفسح المجال للمرأة لحرية الخروج والعودة إلى المنزل بلا تفاهم وانضباط، هم على قسمين:

القسم الأول: أولئك الذين يتعاملون مع هذا العمل على أساس عقائدي استراتيجي، يقضي باستسهال الحصول على المرأة من دون مشقة،

وباسترخاص المرأة حتى تكون ممن تتسابق على كسب رضى الرجال، لأنها تقتنع بأن هناك منها الكثيرات يتربصن الحصول على موقعها الرخيص فيما لو رفضت، وهذا بخلاف فيما لو كانت المرأة تعيش ضمن ضوابط أخلاقية، وحقوقية، فإن عدد النسوة القابلات لسيطرة الرجل يكن أقل، وهذا ليس لصالح الرجل بالطبع!!

القسم الثاني: أولئك الرجال الذين تأثروا بدعوة أولئك، فعملوا على إفساح المجال للمرأة لا لقناعة منهم بذلك، بل خوفاً من أن يقال عنهم بأنهم من أهل التخلف وبالحقيقة فإن كان على الرجال ذنب في هذا المجال، فإن على النساء ذنب أكبر، لأنهن واعيات بما فيه الكفاية لكي يمنعوا استرسال الرجال في استرخاصهن، واستسهال الحصول عليهن.

وبالتالي هن في غاية الوعي والفهم لكي يمنعوا هؤلاء المحتكرين بثقافتهم العوجاء من تعويم المجتمع الذكوري على حساب المجتمع الأنثوي.

إن المرأة إذا خرجت من بيت زوجها من دون علمه، أو مع علمه ولكن رغماً عنه، ولم يعلم هو متى ستأتي، فإنه إن احتاج إليها لأنه زوجها ولم يجدها، فإنه سيذهب لقضاء حاجاته مع أخريات، وهي وبحكم خروجها من دون تنسيق معه، وكما لا تراه ولا يراها فتعمل على اختيار آخر لقضاء حاجاتها.

وبطبيعة الحال فإن عدم التنسيق بين الزوجين في عملية الدخول والخروج، سوف يؤدي إلى سلبيات عديدة، على كلا الزوجين وعلى الأسرة، منها:

أ ـ أن ذلك يورث الجفاء بين الزوجين.

ب ـ عدم خضوعهما لقانون الزواج.

ج ـ انتفاء الغرض من الزواج.

د ـ أن ذلك يؤدي إلى مشاكل لا يمكن حلها، فيما لو احتاج أحدهما إلى الآخر فلم يجده.

هـ ـ ضياع وتشتت الأسرة.

ولهذا فإنهما حتى لو تفاهما على هذه الحرية المفرطة، فإن التفاهم على الباطل لا يجعله حقاً، ولا يريح من المشاكل.

الصنف الثالث: أولئك الذين يتبعون شريعة الإسلام وقوانينه في هذا الأمر، والنظرية الإسلامية في ذلك على مستويين:

المستوى الأول: وهو الجانب التشريعي الحقوقي، وهو يجّوز للمرأة الخروج من بيت زوجها بشرط عدم منافاة حقه.

وبالحقيقة فإن ذلك من العدل والإنصاف، حيث أن الزواج مسألة ارتباط، فإذا كان خروج الزوجة منافياً لحق الزوج فهو ظلم، وتعبير آخر عن عدم الارتباط.

وكما نعلم فإن على الرجل واجبات لصالح المرأة، فيجب عليه النفقة عليها، ومعاشرتها بمعروف، وله في قبال هذه الواجبات حقوق عليها، فإذا ما عمل كادحاً لأجل أن ينفق على زوجته، ثم أتى إلى منزله ولم يجدها بدعوى الحرية المزعومة، فكيف يكون مرتبطاً معها، وآنساً بها، ولماذا تزوج هو بالأصل؟؟!! أتزوج من أجل أن تسهر زوجته في الخارج أم لأنه وإياها في ارتباط قلبي وأبدي؟؟!! ونحن لا ننكر على المرأة الخروج فيما لو كانت على تنسيق تام معه في ذلك.

المستوى الثاني: ويقوم على مبدأ التفاهم بين الزوجين، فيعطي الزوج

زوجته قسطاً إضافياً من الحرية بالخروج والدخول، والزوجة بالمقابل تراعي هذا الكرم النبيل منه، وهذه الثقة العميقة، فتعمل على أن لا تجعله يفتقدها فيما لو حضر إلى المنزل.

ومن ذلك نعرف بأن الخروج من المنزل والدخول إليه بحرية ليس محصوراً لا على المستوى الأول، ولا على المستوى الثاني، ومن الواضح أن معالجة هذه القضية لا تتم بمعزل عن الحب، والوفاء، والارتباط القلبي والجسدي بين الزوجين، فإذا حضرت هذه العوامل مع إرادة كل من الزوجين عدم ظلم الآخر، فتكون النتيجة من جهة لصالح المرأة في حريتها، ومن جهة ثانية لصالح الزوج في تحكيم الارتباط الزوجي، ولهذا فإننا نلاحظ أن الرجل لا يستطيع الخروج والدخول إلى المنزل إلا بتفاهم وتنسيق مع زوجته كما ذكرنا.

وهذا كله فيما لو كانت المرأة زوجة، أما لو كانت فتاة غير متزوجة، فمن الواضح عدم تقييد حريتها في الخروج من المنزل، والدخول إليه، لأن ولاية الأب والجد منحصرة في إذن الزواج على قول، يبقى وجود ملاحظات حول هذا الأمر هي:

الملاحظة الأولى: إن أهل الفتاة ممن تعضدهم الخبرة في مجالات الحياة، وعلى الفتاة أن تتقبل نصائحهم وإرشاداتهم القائمة على أساس خبروي بعين الرضى والتسامح، خصوصاً إذا علمت منهم الرأفة بها، والحرص عليها.

الملاحظة الثانية: على الفتاة أن تحرص على عدم إغضاب ذويها وسخطهم خشية التفكك الأسري، فإذا كانت محقة في خياراتها فعليها الجمع بين رضاهم قدر الإمكان، وبين السعي نحو ممارسة حريتها في قراراتها الصائبة والمحقة.

الملاحظة الثالثة: على الفتاة أن تتنبه إلى العادات والتقاليد والموروثات الشعبية والاجتماعية، فتتعامل معها بحكمة وروية بحيث أنها لا تصطدم مع هذا المحيط اصطداماً يؤثر عليها سلباً، ولا تذعن لها إذعاناً يجعلها تنساب مع هذه التقاليد والعادات الخاطئة، وتنجرف إلى عقباها المدمرة، نعم إذا كانت سليمة فهذا مما ينبغي عليها مراعاتها والجري على وفقها.

الملاحظة الرابعة: على الفتاة الحذر الشديد من خياراتها، ومن ذلك إعمال الخروج المنزلي من دون أي تأطير، فتلتفت إلى أنها وبسبب معاندة أسرتها في ذلك ليست محمية الظهر، وليست مجبورة الخاطر، وستكون مكسورة الجناح فيما لو أخفقت عند خروجها من منزلها الأسري سيما إذا تعرضت لاحتيال محتال، ولأذى ظالم، أو لخطف خاطف، ولاغتصاب غاصب، وبالحق فإن هناك ثلاثة أنوع من الفتيات بهذا المجال:

النوع الأول: تلك الفتاة التي تذعن لإرادة كل واحد من أفراد أسرتها، فلا تستطيع أن تكون صاحبة شخصية متماسكة ومختارة، وهذه فتاة مسلوبة الإرادة والاختيار بالحقيقة، وتحتاج إلى جرأة كافية لمواجهة من يريد سلب حريتها واختيارها.

وهنا قد يكون سلب حريتها واختيارها مرده إلى ضعفها، وقد يكون مرده إلى شدة بطش الأسرة وظلمها.

النوع الثاني: تلك الفتاة التي تفرط في الحرية في الخروج من المنزل والدخول إليه، فتخرج ساعة ما تشاء، وتعود ساعة ما تشاء، وإذا كان أهلها في حالة رضىً عليها فإنهم لا يعملون لصالح ابنتهم ولا لخيرها، وصلاحها، وإذا كانوا في حالة سخط عليها، فإن هذه الفتاة تكون قد

خسرت نفسها وخسرت أسرتها في آن، أما خسرانها لأسرتها فلأنهم عليها في سخط، وأما خسرانها لنفسها، فإن أي حادثة خيانة أو خداع أو غش تتعرض لها فسوف تجعلها في إخفاق دائم، وخسران باقٍ.

وعمل هذه الفتاة أقرب إلى الفساد من الحرية، وعملها خاطئ سيما مع وجود ملاحظات تقدمت.

النوع الثالث: تلك الفتاة التي تجمع بين حريتها في الخروج من المنزل والدخول إليه، وبين رضى أهلها ومجتمعها، وتحاول أن تبقى النظرة الأسرية والاجتماعية إليها نظرة جيدة، من غير المساس بحريتها.

وفعل الفتاة من النوع الثالث صائب كما لا يخفى، فهي حرة في فعل أي شيء من دون أن يتطرق الفساد إليها.

٣ ـ ما المراد من حرية المرأة في الخروج من المنزل والدخول إليه؟؟ فإن خروج المرأة من المنزل على نحو حر ومستقل لا يخلو من إحدى صورتين:

الصورة الأولى: الخروج لأجل قضاء الحاجات الضرورية، والأخرى الكمالية، أو لأجل العبادات والطاعات، أو لأجل تسجيل المواقف السياسية، وغيرها من الأمور المتعارفة.

الصورة الثانية: الخروج للعبث، ومنادمة الرجال، والمشاركة في أجواء الفساد واللهو، وشرب الخمر، والرقص والمجون وغير ذلك وبتعبير آخر فإن الصورة الأولى تعني خروج المرأة لأجل ما هو محلل ومشروع، وفي الصورة الثانية خروج المرأة لأجل ما هو محرم وممنوع.

وعلى هذا فالصورة الأولى لا إشكال فيها البتة، مع ملاحظة عدم منافاة حق الزوج، وحق الأسرة.

أما الصورة الثانية ففيها من الفساد الكثير، ضرورة أن هذا الخروج مخالف للطبيعة البشرية القائمة على الضوابط والمبادئ التي لا يمكن تجاهلها، وكذلك مخالف للشرع القادس المانع من ارتكاب المحرمات.

ففرق كبير بين أن تقول المرأة الخارجة من المنزل للتو: أنا خارجة للصلاة في المسجد، وبين أن تقول: أنا خارجة لاحتساء الخمرة في نادٍ ليلي!!! وفرق بين أن تقول: أنا خارجة لمظاهرة سياسية دفاعاً عن الوطن أو الدين، وبين أن تقول: أنا خارجة من أجل مطارحة الغرام مع أحد الرجال!!! وفرق كبير بين أن تقول: أنا خارجة للمشاركة في منتدى ثقافي علمي، وبين أن تقول: أنا خارجة للمشاركة في مسبح أكون فيه عارية مع العراة أو شبه عارية!!!

ولهذا فإن خروج المرأة من منزلها لا بدَّ أن يكون خروجاً من منزل صالح إلى المجتمع الصالح، أو إلى مجتمع يُعمل على إصلاحه، لا أن تخرج من منزل عابق بالفساد أو بالصلاح لا فرق، إلى مجتمع فاسد أو إلى مجتمع تعمل على إفساده.

قد يُقال: هب أن فتاةً ما خرجت من منزل ذويها، لتعيش مع إحدى صديقاتها مغمورة بالأنس!!

والجواب: إن هذا الفعل لا يعد مستنكراً ولا مستقبحاً، سيما إذا ترافق مع رضى الله عزَّ وجلَّ ورضى الأهل، وبالوجدان نرى هذا النموذج ماثلاً أمامنا في المجتمع، حيث أن الفتيات يقمن بهذا الفعل بغية الدراسة، أو بغية الرفاهية، نعم الخطأ يكمن هنا في ما لو عاشت هذه الفتاة في مكان فاسد، مع فتيات فاسدات، فالمرء على دين خليله، فإنها والحال هذه تمرر مع صديقاتها المشاريع السيئة التي تولجها - وتولجهن - إلى متاهات ومتاهات.

وبالتأكيد فإن الفساد سوف يخيّم على كل من كان في مظان الفساد، وسوف يفرض الفساد وقعه وتأثيره على كل أحد ـ وعليها حتى لو أبت ذلك ـ سيما وأنه من المسلمات عند الناس، ولا يسلم من الفساد في جو كهذا إلا من رحم الله عزَّ وجلَّ.

وحتى ولو سلمت الفتاة من هذا الجو الفاسد فيما بينها وبين نفسها، فلن تسلم من ألسن الناس وتهمهم المركومة.

إن قيل: إن هذه الفتاة لا يهمها رأي الناس، المهم ما هي قانعة به.

والجواب: هذه الفتاة كغيرها داخلة في إطار المنظومة البشرية، ورأي مجتمعها ينعكس عليها سلباً وإيجاباً، ضرورة أن الكثير من مصالح الفتاة الآنية والمستقبلية ترتبط ارتباطاً عضوياً بنظرة المجتمع إليها.

نعم إذا كانت التهم موجهة إليها من المجتمع الفاسد، فلا عبرة بهذه التهم، بينما إذا كانت من المجتمع الصالح فلا شك في تأثيره ونفاذ أغراضه، وهذا إذا كانت التهم صحيحة من جهة المجتمع الصالح، أما إذا كانت تهماً باطلة فالفتاة تبقى صالحة ولا غبار عليها، نعم الخطأ الذي ارتكبته الفتاة هو في تموضعها بمواضع الشبهات.

وعلى أي فإن المدار في النهاية على نفس هذه الفتاة، فإن صلّحت فلن تفسدها آراء الناس، وإن فسدت فلن تصلحها آراء الناس بلا ريب.

٤ ـ ما الفائدة من الخروج من المنزل؟؟

هذا الإصرار من قِبل المرأة على الخروج من المنزل بحرية، لا بدّ وأن يكون له فوائد، فإذا كان هذا الخروج منصباً في صالح المرأة وتحصيلاً للفوائد الجمة، والعوائد المهمة فلا مانع من الخروج بحرية لأجل ذلك مع ما ذكر من ضوابط، من قبيل عدم منافاة حق الزوج، وسخط الله، والأهل

وغير ذلك، وبالوجدان فإننا نرى المرأة تخرج إلى السوق، والمسجد، والمدرسة، والجامعة، والمعاهد الدينية والفكرية، والجيران، والأقارب، والنزهات، والعمل، وكذا المظاهرات، والندوات وغير ذلك.

وبالجملة فإذا كان الخروج لأجل ذلك فهو مما لا غبار عليه، أما إذا لم يكن خروج المرأة لصالحها، وغير عائدٍ بالنفع عليها، فلماذا هذا الخروج؟!! فإن الخروج لأجل سهرة ليلية مع شابٍ لممارسة الترهات ليس لصالح المرأة!! وإن خروجها لأجل احتساء الخمرة حتى الثمالة ليس لصالح المرأة!! وإن خروجها لأجل حضور حفلات الرقص، والغناء، والمعانقة، والتقبيل ليس لصالحها!! وإن خروجها لأجل الإنفلاش اللا أخلاقي ليس لصالح المرأة!!

ولا مانع أن تخرج المرأة من أجل سهرة ليلية في جو صالح وسليم، أو لأجل نزهة لطيفة غير مخالفة للشرع. لا شك ولا ريب بأن الزوج، والقريب كالأب والأخ، ممن يهتم بزوجته أو بقريبته في الغالب، ويحب مصلحتها، هو لا يغشها ويعمل لصالحها.

أما غير الزوج والقريب، فإنه يتعاطى مع المرأة في أجواء الخروج من المنزل، على أساس تنفيذ مآربه ورغباته في الغالب، فلو أن صديقها الذي تريد الخروج من المنزل لأجله ومعه، كان أهلاً ومَحلاً للثقة فإنه بالأصل لا يعرض هذه المرأة لهجران الديار والأهل وبالتالي لاسوداد سمعتها، وتشويه صورتها، بل بالعكس هو يقنعها بعدم الخروج حرصاً عليها، وإذا كان حبيبها وحريصاً عليها فلماذا لا يتزوجها إذا كانت خلية؟؟!!

ولو أن أصحاب هذه المرأة المتزوجة من أهل الثقة والأمانة، لما شجعوها على خيانة زوجها!!

ثم أنه ما الفائدة من المبيت خارج المنزل؟!! فإذا كان الغرض هو مجرد إثبات أن المرأة حرة، فهذا ليس من الحرية بشيء لأن العمل الحر هو الذي يكون معقباً بنتيجة معينة، والعاقل لا يتحمل الأضرار الجسيمة والسمعة السيئة من أجل أن يثبت بأنه حر ومختار، لأنه إن كان حراً في الواقع فهو لا يحتاج إلى إثبات أنه حر، نعم هو يتحمل الأضرار فيما لو هدف من ذلك نفي الاستعباد والقهر والظلم.

المطلب الثالث ــ حرية المرأة في اختيار الزوج:

ومنشأ المطالبة بحرية المرأة في اختيار الزوج، هو مشكلة كانت قائمة وتصرمت في الغالب، وهي: أن الفتاة عادة لا تختار الزوج بل يختاره لها أهلها، وما عليها إلا القبول والإذعان، وإذا رفضت فإن رأيها يُضرب بعرض الجدار.

وفي الحقيقة فإن هذا من الظلم المجحف بحق المرأة، حيث أن الفتاة التي لم ترَ زوجها المستقبلي، ولم تتعرف على شكله ولا على مضمونه، وأخلاقه وسجاياه، ومدى تعقله، هي بذلك كأنها موضوعة في سفينة لا تدري من هو ربانها، وإلى أين سيؤدي بها؟؟

وإن الكلام عن هذا المطلب يبتني على الآتي:

١ ـ إن هذا المطلب هو من صميم حرية المرأة، ويلزم الاستجابة له استجابة كاملة، لأن قبول الزوج وعدمه، منوطان بنفس الفتاة وشخصها، فإن قبلت فكذلك، وإلا فلها ذلك.

٢ ـ إن دور الأهل، وبدلاً من أن يكون إجبارياً قهرياً غير مراعٍ لتطلعات الفتاة، وأحاسيسها ومشاعرها، لا بدّ وأن يكون توعوياً وإرشادياً، إذ أنهم لما عاشوا في مختبر الحياة ومجرياتها، علموا ما لم تعلمه الفتاة، فلزاماً

عليهم إرشادها إلى ما هو الصحيح والسقيم، ويبقى الاختيار لها في نهاية المطاف، حيث تتحمل مسؤولية اختيارها.

٣ ـ على الفتاة أن تكون متفهمة لخصوصية وجود الأهل، فتتصرف على وفق ونسق هذه الخصوصية، بما لا يتنافى مع دورها في اختيار الزوج المناسب، فتحاول قدر الإمكان الجمع بين رضى الأهل، واختيار الزوج بحرية تامة.

٤ ـ يلزم على الفتاة المختارة للزوج المناسب لها بحرية، أن تكون مذعنة للشرع القادس، لكي يكون اختيار الزوج متناغم مع الشريعة الإسلامية.

فليست الفتاة حرة وعاقلة فيما لو كانت مخدرة تحت تأثير الإعلام الفاسد، والدعايات الساقطة والمزيفة الآتية من مراكز الفساد والسوء، إذ أن هؤلاء الفسدة يصورون للفتيات الشاب غير المثالي على أنه مثالي طبقاً لما نسجته أياديهم الإجرامية، فما تلبث هذه الفتاة إلا وهي حالمة بهذا الرجل على أن يكون زوجاً لها، وللأسف فهو ليس مثالياً في الواقع، بل هو في غاية الحقارة والضعة سيما وأنه من صنائع الأيادي الإجرامية الفاسدة.

وصفوة القول: أن من حق الفتاة أن تختار الزوج الذي تحب وترغب، ولكنها حتى تمارس حريتها في هذا المجال عليها أن لا تكون فريسة الإعلام الرديء، ولا رهينة العادات والتقاليد السيئة.

المطلب الرابع ــ حرية المرأة في العري وشبه العري:

قد تظن المرأة أن كامل حريتها إنما تكمن في أن تختار لنفسها أية طريقة في التعبير عن نفسها ووجودها، ومن ذلك «العري»، فإن هذا الجسد هو جسدها، وهي حرة التصرف بإزائه، ففي أي وقت تستطيع ستره، وفي أي وقت تستطيع تعريته بلا رادع.

وللبحث في هذا المطلب نذكر النقاط الآتية، ومن خلال بيانها يتضح لنا الجواب الصحيح:

١ ـ إن هذا المطلب غير منسجم مع الطبيعة البشرية الصرفة ـ غير المحرّفة ـ القائمة على ركني «الحياء» و «الستر»، والدليل على ذلك السيرة العامة للناس، حيث إن عموم الناس يعيرون كل متعرٍ، ويعيبون كل ظاهرة عري، مع اختلافهم في سعة ومقدار العري وعدمه، وظاهرة العري لم تنشأ إلا على أيدي المنحرفين من الناس طوال السنوات الماضية، حيث تراكمت هذه الظاهرة بشكل تدريجي وبشكل خاص ومنحصر على أيدي الغواة العابثين، والمنحرفين والمستغلين.

وفي هذا العصر فإن هذه الظاهرة ـ العري ـ إنما نشأت في أحضان الفسدة، وأهل الانحراف والانعدام الخلقي، ويحاول الإعلام المعادي للأخلاق الصحيحة، والفضائل القويمة، تعميمها على سائر المجتمعات بغية استغلالها، لتحقيق المآرب الاقتصادية، والسياسية، والأمنية من جهة، ولإخماد مظاهر الانتفاضة والمقاومة بوجه القوى المستعمرة من جهة أخرى.

وعلى هذا فإن المرأة المطالبة بالعري، والتي تظن بذلك أنها تمارس الحرية، إنما هي في عبودية تامة لأولئك الذين يدعونها لذلك، لأن هذا المطلب هو مطلب ذكوري ممنهج بإمتياز، وهي للأسف تتأثر بهم، وعلى هذا فإن هذه المرأة إنما تنطق بلسان هؤلاء الذكور الذين يستغلونها تمام الاستغلال.

وإذا أراد هؤلاء أن تمارس حريتها حق الممارسة، فليقلعوا عن كل الأساليب الإعلامية، والدعائية، والمؤثرات الأخرى لحفلات الجمال،

ووضع الجوائز المغرية، وليتركوا كل هذا التأثير الفاسد المتراكم والمنصب على المرأة، والذي لا يترك لها مجالاً للتفكير والاختيار، وعند ذلك لنرى هل ستختار المرأة العري أو الحشمة؟!! وبتعبير آخر: هل لو تركت المرأة وجبلتها وفطرتها بلا أي تأثير خارجي، سوف تختار العري أم الحشمة؟؟!! وهذا من جهة، ومن جهة ثانية فليسمحوا لدعاة الفضيلة أن يذيعوا مبادئهم واعتقاداتهم حول الحجاب والستر والساتر، وبنفس الزخم الذي يذيعه الإعلام الفاسد، ولنرَ ماذا تختار المرأة؟!!

٢ ـ إن هؤلاء الذين يحثون المرأة على المطالبة بالحرية في مسألة «العري» بشكل مباشر وغير مباشر، لا يهمهم شأن المرأة وتقدمها وعصرنتها، إذ أنهم لو كان يهمهم أمر المرأة فلماذا لا يهمهم أن تكون عارية إلا عندما يريدون قضاء شهوة، أو فائدة مالية، أو تسويق إعلامي لسلعة ما، أو تشجيع الناس على ارتياد النوادي الليلية، والمسابح، ومعارض الموضة والأزياء؟!! فهم لا يريدونها أن تكون عارية لمجرد أنها عارية!! ولماذا لا يهتمون بالمرأة عندما يهجم عليها الشيب، وتكون طاعنة في السن؟!! ولماذا لا تهمهم المرأة المشوهة جسدياً؟!! أو المرأة المقعدة؟!! ولماذا لا يعملون على حماية المرأة من أذى الناس؟!! ولماذا لا يهتمون بتلك المرأة الرافضة للعري؟!! وماذا لو أن كل نساء العالم رفضت العراء، وتسبب رفض العراء من قبل النساء خراب التجارات، وانخفاض أسعار السلع، فهل هؤلاء يصفقن للمرأة أم أنهم يكيلون لها الشتائم والسباب؟؟!!!

٣ ـ إن الغاية من العري الكامل، لا تخلو من أحد وجهين:

الأول: لقصد إشباع أعين النظّار، ونيل إعجاب المشاهد، وتهافت المديح، وقضاء الوطر، والشهرة، وإلهاء الناس وترفيههم.

الثاني: لمجرد ممارسة الحرية، وتكريس القناعة الشخصية أما الوجه الأول فهو فاسد قطعاً، ولا يقبل به عاقل، وذلك لأن إعجاب المعجبين، وتهافت المدائح من المادحين، ليس مرده إلى خصوصية هذه المرأة وميزتها، أو تلك، بل مرده إلى جسد المرأة الصرف، إذ أن جسد المرأة يفعل نفس الفعل، ويؤدي نفس الوظيفة في حال كان موجوداً عند أي امرأة بل لو ركّب هذا الجسد في القرد لفعل فعلته، وأدى نفس الوظيفة، ولو أن هذه المرأة لم تعرف كأن وضعت مبرقعاً على وجهها مثلاً، وأظهرت جسدها عارياً لنالت إعجاب الناس، وكسبت مديحهم، فالشهرة والإعجاب لنفس الجسد لا للمرأة الكذائية، ونحن هنا لا نقول أن جسد المرأة لا قيمة له، بل له كل القيمة، وكل الميز التي تحاول المرأة أن تعطيه لجسدها، ولكن قيمته وميزه تكون لأهله الذين ارتبطوا بصاحبته ارتباطاً مقدساً شرّعه الله عزَّ وجلَّ، وليس للذين لا يرتبطون بهذا الجسد إلا بتلك الالتصاقة السريعة الانقضاء والزوال، فالزوج الذي ارتبط بهذا الجسد وبصاحبته، يبقى مرتبطاً به في كل الحالات، قبل تلك الالصاقة وبعدها، في الشدة والرخاء، في المرض والسفر، في أوان نضارته، وفي أوان شيخوخته، بنعومته وبتجاعيده.

وهذا من ناحية الوجه الأول، أما من جهة الوجه الثاني فهو أمر عبثي لا طائل منه، لأن المرأة لو كانت حرة حقيقة وقنوعة، لكانت ثقتها بنفسها أمتن وأقوى من أن تجسدها بجسدها العاري لمجرد العبث، ومن دون هدف سوى تكرارها لما هو موجود عندها حقيقة.

قد يُقال: إن لفت انتباه المعجبين أمر مهم ومطلوب بالنسبة للمرأة.

والجواب: إنّ الإعجاب ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الإعجاب بأخلاق المرأة، وبعفتها، وعلمها،

واختراعاتها، وإنجازاتها، وحضورها الميداني والعملي في جميع القضايا السياسية والاجتماعية والتربوية وغيرها. وهذا مما لا محيص من مطلوبيته.

القسم الثاني: الإعجاب بالجسد المثير للشهوة البهيمية الموجودة عند كل أحد، وهذا الإعجاب من قبل المُعجبين، ليس لوجود ميزة خاصة بالمرأة تستقل بها عن غيرها، بل لوجود جسد موجود عند كل امرأة، لأنهن جميعاً لديهن أجساداً تبعث على الإثارة والشهوة وبالتالي على الإعجاب، وتهافت المدائح فرب جاهلة جسدها باعث على الإثارة تنال إعجاب الناس، ورب عالمة مخترعة جسدها يبعث على الإثارة بنفس المستوى، فهنا لا ميزة بين الجاهلة والعالمة من ناحية الجسد وبعثه على الإثارة ورب جاهلة أمية فاضحة لجسدها تبعث النفوس على الإثارة والإعجاب، ورب عالمة مفكرة تستر جسدها لا دخل لها ببعث الإثارة والإعجاب، والسبب العري وعدمه. لا شك ولا ريب بأن الإعجاب من خلال القسم الثاني لا يمثل شيئاً البتة وذلك بافتراض وجود امرأتين:

المرأة الأولى: جميلة جداً ولكنها ساترة لبدنها.

المرأة الثانية: قبيحة جداً ولكنها عارية.

فهنا تتوجه أعين النظّار إلى الثانية دون الأولى، فهل نسمي هذا إعجاباً أم إثارة، بالطبع هذا إثارة وشهوة ومجون، وليس إعجاباً لأن الجميع يعلم بأن تلك الجميلة لو أظهرت جسدها بشكل عارٍ لفاقت القبيحة إثارة واشتهاء، ولكن لما سترت بدنها فلم يعد هناك ثمة ما يثير، ولما تعرت الثانية فإن هناك ما يثير، وهكذا فيما لو افترضنا وجود امرأة جميلة عارية، وأخرى أجمل غير عارية.

٤ ـ إن العري ليس مستنكراً بالمطلق بل هو مستنكر في مواطن، وغير

مستنكر في مواطن أخرى، فالعري مستنكر أمام سائر الرجال والنساء، وغير مستنكر أمام الزوج، بل إن المستنكر أمام الزوج هو عدم العري، ونريد بالعري هنا العري التام.

وإنه خير للمرأة أن تنال إعجاب زوجها الذي يتقبلها كيفما كانت وتكون، بدلاً من إعجاب الجمهور الزائف.

فإن المرأة إذا كانت قبيحة وعارية فإن الجمهور سوف يصفق لها تصفيقاً زائفاً لا لأجلها بل لإثارة جسدها الناتج عن عريه، والدليل على أن التصفيق الجماهيري زائف أنه إذا اجتمعت امرأة جميلة عارية، مع امرأة قبيحة عارية، فإن الاهتمام والتصفيق سوف ينصب على الجميلة دون القبيحة، لأن وتيرة الإثارة ها هنا أعلى، بينما إذا كانت الجميلة ساترة لبدنها فلن يصفق لها أحد، وسوف يتوجه التصفيق إلى القبيحة العارية. وإن المرأة إذا فقدت خاصيتي «الشباب» و «الجمال»، فإن الجمهور سوف لن يصفق للمرأة العجوز المليئة بالتجاعيد، ولن يصفق للمرأة الساترة لبدنها.

ولهذا فإن المرأة إذا أرادت فعلاً أن تثبت بأنها جديرة فعليها أن تثبت ذلك من خارج مفاتن الجسد وخصائصه، وإلا فإنها إذا أصرّت على إثبات جدارتها من خلال الجسد فإن الجدارة ها هنا للجسد وليس لها، لأنها لو خلقت بجسد مهترئ وقبيح لما كان لها جدارة من رأس.

والآن وبعد الانتهاء من النقاط الأربع يتضح لنا أن العري كظاهرة خارج الإطار الزوجي الخاص، هي ظاهرة تكرس توهين المرأة، وتفقدها مميزاتها التي لا بدّ وأن تتميز بها، وتجعلها كائناً بلا أي ميزة سوى أنها متعادلة مع بقية النساء من ناحية الجسد، هذا الجسد الذي لا يعرفه الناس إلا حين استعراضه، ولا يعرفون له قيمة حين كمونه وستره، فكل الناس يحترمهم الناس على مزايا خاصة بهم دون غيرهم، ما خلا المرأة فإنهم لا

يقبلون عليها إلا حينما تكون عارية!! إن العري ليس من صميم الحداثة والعصرنة، وليس من صميم الحرية، وكذا ليس من قشور الحداثة فضلاً عن لبابها، إذ أن العري بعيد كل البعد عن هذه المفاهيم النظيفة.

فالعري ظاهرة رجعية استطاع الإنسان القديم التخلص منها عندما اهتدى بفطرته إلى اللباس والاحتشام، وانتقل بذلك من قعر التخلف إلى التقدم شيئاً ما، بعدما اعتبر أن العري عيباً من العيوب.

إن هذه الظاهرة الرجعية والمتخلفة والتي تعيدنا إلى عصر الإنسان القديم، وحياة الأدغال والغابات، يود من تعميمها من قبل القوى الكبرى الاستعمارية والاستكبارية، وأجهزتها الدعائية الكبرى، عرقلة المسيرة الإنسانية، والأخلاقية، والفضائلية، بغية التوسع والسيطرة على مقدرات الشعوب.

ومن العجيب أن يعيش الإنسان المعاصر والمتمدن تماماً كما كان يعيش الإنسان القديم بتلك الظروف القاسية.

وعلى هذا فظاهرة العري ليست حالة ابتكارية إبداعية، بل هي استنساخ لما سبق في القدم.

والأسئلة التي توجه إلى المرأة المطالبة بالعري، أو التي تمارس العراء فعلاً هي:

ـ في أي ظرف ستمارس عملية العري، وفي حضور من؟؟ هل في حضور أولادها؟؟ أم في حضور أخوتها؟؟ أم في حضور الأطفال الصغار؟؟ أم في حضور شبان يغمرهم النزق والتيه؟؟

ـ هل يتسنى لها العري في ظرف يتقبل به الناس هذه الظاهرة، أم في وقت ترفض فيه هذه الظاهرة؟؟!!

ـ هل ستعرى بشكل دائم أم مؤقت؟؟ وهل أنها إذا تعرت في وقت دون آخر، فمعنى هذا أنها لا تمارس الحرية إلا في أوقات العري، وفي غير هذه الأوقات هي لا تمارس الحرية؟؟!!

ـ هل تعلم من يدعوها إلى العري؟؟ ولماذا يدعوها إلى ذلك، وهل تعلمه محباً وشفيقاً بها، أم غير ذلك؟؟!!

ـ هل سألت المرأة المحبذة لهذه الظاهرة نفسها، هل العري فضيلة أم رذيلة؟!!

ـ هل المرأة المتسترة لا تمارس الحرية لأنها غير عارية، بينما تنحصر الحرية في المتعريات؟!!

ولا ريب بأن الإعلام الدعائي العالمي، والإقليمي، والمحلي، يدعو ليل نهار، سر جهار، المرأة لأن تنحى باتجاه هذه الظاهرة والمرأة العارية هي تتناغم مع هذه الدعوات، بينما كل هذا الإعلام ضد الحجاب، والمحجبة والمتسترة تختار الحجاب والستر بحريتها رغماً عن تلك الدعايات الكثيفة، فمن تكون حرة هنا؟؟!! طبعاً المتسترة والمحجبة، لأن العالم اليوم يسير مع العاريات لا مع المتسترات، والحرية الحقيقية تعني إعمال القناعة الخاصة وإن كانت مخالفة لما هو سائد، والمرأة العارية هي متماشية بشكل استعبادي مع ما هو سائد. لا شك ولا ريب بأن العراء الكامل للمرأة هو خيانة لخالقها ومبدعها، لأن الله عزَّ وجلَّ خلق المرأة بهذا الجسد، وأعطاها القدرة على التصرف بهذا الجسد بشرط أن تتصرف به تصرفاً حسناً، ولكن المرأة وبدلاً من أن تستخدم جسدها كأداة لصلاحها، وصلاح الآخرين، وطاعة لله عزَّ وجلَّ الذي وهبها إياه، استخدمته كأداة لفسادها، وفساد الآخرين، وبالتالي لمعصية الله عزَّ وجلَّ،

ومن جملة الفساد والمعصية لله عزَّ وجلَّ مسألة «العري»، وهذا العمل بالحقيقة هو خيانة، لأن الذي يأخذ من الآخر سيفاً يقاتل به عدوهما لا يقاتل به الذي وهبه السيف، وهكذا فإن المرأة المتعرية إذا أعطت لرجل ما جسدها ليتصرف به كما يشاء، فإذا ما قام هذا الرجل واستخدم جسدها ليعيّرها، ويسقطها أمام الناس، ويفضحها، فإنها سوف تعتبره خائناً، ومن هذا المنظار هي تخون الله عزَّ وجلَّ.

لماذا هي تخون الله عزَّ وجلَّ؟؟ لأنها تستخدم ما وهبها الله عزَّ وجلَّ في إبعاد الناس عن الله عزَّ وجلَّ من خلال جسدها.

وهذا كله في العري، أما بشأن مطلب المرأة بالحرية في شبه العري، فإننا نرى ثلاثة أصناف من النساء من هذه الجهة هي:

الصنف الأول: النساء المحجبات بالستر والحجاب.

الصنف الثاني: النساء المتعريات عراءً كاملاً.

الصنف الثالث: النساء غير المتعريات عراءً كاملاً، وغير المتسترات ستراً كاملاً، وهن على قسمين:

القسم الأول: النساء اللواتي يحتشمن في لباسهن، ولكنهن لم يصلن إلى درجة الحجاب الكامل.

ونجد أن هؤلاء النسوة في إباء تام عن ارتداء اللباس الفاضح، والباعث على الإثارة، والريبة في قلوب الرجال، نعم الإثارة منبعثة في الجزء غير المستور.

القسم الثاني: وهن النساء اللواتي يلبسن لباساً فاضحاً يكشف عن معظم أجزاء البدن، وأكثرها إثارة، ولكن لباس هؤلاء لم يصل إلى درجة العري التام، بل هو شبه عري وعلى الرغم من صحة ما هو عليه الصنف

الأول، وفساد ما هو عليه الصنف الثاني، فإن القسم الأول من الصنف الثالث غير كامل، وأما القسم الثاني من الصنف الثالث فهو في غاية الفساد، لأنه فعل متخبط، يتخبط بطريقة عشوائية في معمعة الضلال، حيث أنه يحاول الجمع بين مفهومي الستر والعري، والتلفيق بينهما، ولا وجه للجمع والخلط أبداً، وعلى هذا فثمة أمران لا ثالث لهما هما:

أ ـ صحة مفهوم الستر، وبطلان مفهوم العري.

ب ـ بطلان مفهوم الستر، وصحة مفهوم العري.

وهذه المرأة التي تدعي ممارسة الحرية في شبه العري، أما أن تختار الستر وإما العري، فإذا جمعت بينهما فمعنى هذا أنها تخلط ما بين هو صحيح وما باطل، سواة اعتبرت الستر صحيحاً أم لا، وسواء اعتبرت أن العري صحيحاً أم لا، فهي تخلط بينهما كما يُخلط العسل والسم، والفضيلة والرذيلة، والجنة والنار، وهذا أمرٌ غير مقبول لأنه يؤدي إلى اختلال المفاهيم، وعدم وجود ضوابط.

نعم إذا اعترفت بأنها تمارس الخطأ فهذا شأن آخر.

المطلب الخامس ـــ الحرية بالعمل للمرأة:

من الأمور المطروحة المطالبة بمشاركة المرأة الرجل في العمل، وهذا الأمر ليس مستهجناً البتة سيما وأنه ليس خارجاً عن الطبيعة البشرية، ولا المألوف بل هو في إطار الطبيعة البشرية، وفي إطار المألوف.

وإن النظرة التي لا بدّ من تكوينها حول هذا الموضوع تحتم علينا بداية أن نعرف من هي المرأة أولاً، وماذا يُراد من العمل ثانياً.

أولاً: من هي المرأة؟؟ والجواب: ربما تكفينا العناوين التي مضت،

والموضوعات المندرجة في إطارها مؤونة الإجابة عن هذا السؤال ولكننا نعمد إلى ذكر هذه التعميمات:

١ ـ إن المرأة مخلوق إلهي مُطالب بتحصيل وتحقيق أغراض وأهداف معينة لا يحققها إلا بالعمل.

٢ ـ إن ميدان عمل المرأة المحقق لأهدافها، هو الدنيا، ووقتها العمر المكتوب لها، والوسيلة العقل والبدن واللسان، وكل ما هو مسخر لها.

٣ ـ لا يصح وصف المرأة بأنها غير عاملة، خاصة مع عدم إيجاد ضابطة معينة للعمل، فكل ما تفعله المرأة هو عمل.

ثانياً: ماذا يُراد من العمل؟؟

قد يقال بأن المراد من العمل هو ما تعورف عليه بين الناس، أي العمل الكسبي في القطاعات المختلفة، والحقول الحياتية المتعددة، والمتعلق بالجانب المادي، وبتعبير آخر العمل في الجانب الإنتاجي، أو الخدماتي، فالإنتاجي كما لو حولنا المواد الأولية إلى مواد أخرى، والخدماتي كما لو قام الإنسان العامل بخدمات بأخذ أجرة بمقابلها من قبيل السياحة، والتعليم، والطب وما شاكل[١].

وعلى أي فقد يكون المقصود والمراد من العمل هو هذا، أي أن تعمل المرأة في تصنيع الألبان والأجبان، أو في المناجم، أو في مؤسسة تربوية، أو في قطاعات الدولة العامة، أو في القطاعات الخاصة، وهذا العمل يكون برتبة معينة، وبدوام وقتي معين، وبراتب معين.

ولكن حصر العمل بهذه الموارد ليس صحيحاً، لأن المراد بالعمل أعم من هذا كله، فهو يشمل كل جهد يبذل، وكل فعل يُقام به، ليس لأجل الدنيا

(١) راجع كتاب «اقتصادنا».

فقط، بل يشمل الآخرة أيضاً، وليس بالبدن فقط، بل باللسان أيضاً، وليس بالكلام فقط بل بالصمت أيضاً، وليس لأجل الإنسان فقط، بل لله عزَّ وجلَّ.

وعلى هذا فالعمل الحقيقي يتصور على عدة مستويات منها:

١ ـ إن العمل لا ينحصر بالشأن المادي البحت، بل يرتبط أيضاً بالشأن المعنوي، فكما أن المرأة تعمل كطبيبة، ومدرسة، وممرضة، ومربية، وقهرمانة للمنزل، فكذلك هي تعمل عندما تشتغل بالذكر، والدعاء، والصلاة، والصوم، والحج وغير ذلك.

٢ ـ قد يكون العمل بالفعل، وقد يكون بالترك، فالمرأة إذا قامت بتربية الولد فهي عاملة، والمرأة إذا ما تركت حراماً ما فهي عاملة أيضاً.

٣ ـ إن العمل قد يكون سلبياً وقد يكون إيجابياً، وقد تجتمع الإيجابية والسلبية بعرض واحد، فالمرأة إذا اشتغلت بالتعليم فعملها إيجابي، وإذا اشتغلت بالرقص فعملها سلبي.

٤ ـ العمل قد يكون في الإطار الخاص للمرأة كما لو كانت تعمل في مملكتها الأسرية لصنع الإنسان، وقد يكون في الإطار العام للمرأة كالمدرسة المربية للأجيال في مؤسسة تعليمية.

٥ ـ العمل ليس مقتصراً على حياة المرأة، فربما تموت المرأة وتبقى عاملة، كما لو تصدقت بصدقة جارية، أو ربت غلاماً تقياً تفرع منها، أو وضعت أطروحة علمية استفاد منها الأجيال.

٦ ـ العمل لا يقتصر على الدنيا فقط، بل هو يشمل عمل الدنيا والآخرة، وقد يكون عملها الدنيوي هو بنفسه عملاً أخروياً.

٧ ـ قد يكون عمل المرأة جدوائياً وذو فائدة، وقد لا يكون كذلك.

٨ ـ قد يكون عمل المرأة أساسياً، وقد يكون هامشياً.

٩ ـ قد يكون عمل المرأة اضطرارياً، وقد يكون اختيارياً.

١٠ ـ قد يكون عمل المرأة منحصراً بفائدة واحدة، وقد يكون عديد الفوائد، وكذا قد يكون منحصراً بمفسدة، أو عديد المفاسد.

١١ ـ قد يكون عمل المرأة شاقاً وقد يكون سهلاً.

١٢ ـ قد يكون عمل المرأة غريزياً فطرياً، وقد يكون نظرياً تكليفياً.

١٣ ـ قد يكون عمل المرأة مشتركاً مع الرجل، أو مستقلاً لها.

١٤ ـ إن العمل ليس منفكاً ولا منفلتاً عن وجود الناظر الأعظم ومراقبته أي الله عزَّ وجلَّ.

ومن هنا نعلم بأن المرأة عاملة بهذا المعنى الواسع للعمل، ومن المحال أن لا تكون عاملة، لأن كل تقلبات المرأة، وكل علائقها داخلة في إطار المستويات الآنفة الذكر. أما من ناحية المعنى الخاص للعمل، أي العمل الإنتاجي أو الخدماتي، فالكلام حول ذلك ضمن نقاط هي:

١ ـ المرأة مجبرة على هذا العمل سيما وأنه من المفروض على الزوج النفقة عليها، وعلى أهلها النفقة عليها بنفقة الأقارب، وعلى هذا فمن حق المرأة أن لا تعمل بهذا العمل الذي هو بالمعنى الخاص.

٢ ـ المرأة يجوز لها أن تعمل بهذا العمل، بشرط عدم وجود منافاة لحق الزوج، والمحافظة على الستر والحجاب، وعدم استلزام ارتكاب المحرمات من خلال هذا العمل. وهذا أيضاً ينسحب على الرجل فيما لو كان عمله يخل بحقوق الزوجة، ويستلزم فعل المحرمات.

وبما أن العمل جائز للمرأة، فأيهما أحب إليها:

أ ـ أن تكون مجبرة على العمل، وهذا تقييد للحرية.

ب ـ أن تكون مخيرة بأن تعمل وأن لا تعمل، وهذا يعني كامل الحرية والاختيار.

٣ ـ لا بدّ من مراعاة نوعية العمل الذي تود المرأة أن تدخل في نطاقه، حيث أن كل عمل لا بدّ وأن يتناسب مع قدرة العامل وطاقته وخبرته، وهنا لا بد للعمل أن يتناسب مع قدرة المرأة، ومع بنيتها الجسدية، وخزانها العاطفي.

فلا بدّ للمرأة من اجتناب الأعمال الثقيلة والمضنية والتي تحتاج إلى جهد بدني شديد من قبيل حمل الأثقال، وبناء العمارات وما شاكل.

وكذا على المرأة أن تجتنب الأعمال المؤدية إلى أذية المرأة من الناحية العاطفية الشعورية، حيث أن هذه الأعمال سلبية من جهتين:

الأولى: في حال عدم تعود المرأة على هكذا أعمال، فعند ذلك سوف تتأثر عاطفياً لتقع في نهاية المطاف في صدمات مدمرة.

الثانية: في حال تعود المرأة على هكذا أعمال، فإن هذا التعود سوف يؤدي إلى سلب الأنثوية منها، فتخرج من وضع أنثوي مطلوب في الإطار الخاص، لتدخل في واقع استرجالي غير مطلوب.

قد يُقال: إن كان عمل المرأة ها هنا ينصب في خدمة الصالح العام، فما المشكلة وما الضير من سلب الأنثوية إذا اقتضى الأمر؟ والجواب: إن سلب الأنثوية، واسترجال المرأة، مخالف لحكمة الله عزَّ وجلَّ القاضية بجعل الأنثى أنثى، والذكر ذكراً، مضافاً إلى أن تلك الأعمال يستطاع تأديتها من قبل الرجال، أما إذا انحصر ذلك في المرأة فعهدة ذلك على ظرف الانحصار حيث الضروريات تبيح المحظورات. وبالحقيقة فإن هذا

العمل النسوي هو عمل استعراضي أكثر مما يراد منه الفائدة.

وعلى هذا فإذا تجنبت المرأة الأعمال الشاقة عليها جسدياً وعاطفياً، فإنها تتوجه بكل سهولة ويسر إلى الأعمال المتناسبة مع قدراتها الجسدية والعاطفية ولا شك ولا ريب بأن هناك ثمة أعمال لا تستقيم إلا إذا تصدى الرجل لها، وهناك أعمال لا تستقيم إلا إذا تصدت المرأة لها، وهناك أعمال مشتركة تستقيم بتصدي أي من الرجل والمرأة لها على نحو التعادل والتساوي.

وعلى الرجل في الأعمال المختصة به أن لا يتركها للمرأة، وعلى المرأة في الأعمال المختصة بها أن لا تتركها للرجل، أما في الأعمال المشتركة فإنهما يمكنهما أن يتصديا لها معاً، أو كل واحد منهما على حدى.

وإن الرجل إذا ما انصرف عن الأعمال المختصة به، وكذا المرأة إذا ما انصرفت عن الأعمال المختصة بها، ومضيا للقيام بالأعمال المشتركة، فإن هذا سيؤدي إلى العبثية وعدم التكامل، وذلك أن الغاية من العمل فضلاً عن تقاسم الأدوار بحسب كل واحد، هو إنجاح العمل والترقي به، فالعمل الذي لا ينجح هو عمل فاشل، فإذا ما قامت المرأة بعمل مختص بالرجل، وإذا ما قام الرجل بعمل مختص بالمرأة، فإن عملهما سوف يكون فاشلاً، أما إذا قام كل واحد منهما بعمله المختص به، والمتناسب معه، فإنهما سيبدعان بلا شك، وهذا هو المطلوب.

٤ ـ إن ثمة أعمال أجدى وأهم من أعمال أخرى، فإن صنع الإنسان تربوياً وأخلاقياً أهم بكثير من صنع الصوف، لأ الإنسان أهم من الصوف، فإذا ما عملت المرأة على تربية طفلها ليصبح رجل المستقبل الباهر، فإن عملها هذا أفضل بكثير من ذاك الرجل الذي يصنع الحديد والخشب!!

ولهذا فإن الكثير من الأعمال التي تقوم بها المرأة هي أفضل من الأعمال التي يقوم بها الرجل، والعكس صحيح كذلك. فعمل المرأة بخصوص صنع الرجال أفضل من الأعمال التي يقوم بها الرجال، لأن جميع أعمال الرجال إنما هي ببركة صنع المرأة لهم.

وعلى هذا الأساس فإن المرأة لا تترك عملاً أشد جدوائية، في سبيل عمل أقل جدوائية.

لا شك بأنه قد ثبت في هذه الأعصار، ضرورة التخصص في العمل، وضرورة مجانبة العموميات في العمل، وذلك أن طبيباً متخصصاً بجزء من البدن، يكون عمله أكثر دقة وجدوائية من الطبيب الذي يشتغل بكل البدن، بل إن الطبيب المتخصص في جزء من هذا الجزء من البدن يكون عمله أكثر فائدة ودقة ومهارة من المتخصص بذاك الجزء. فطبيب العين أكثر مهارة من طبيب سائر البدن، وطبيب متخصص بجزء من أجزاء العين، أكثر مهارة وفائدة من طبيب العين نفسه.

والمرأة في مجال العمل تجري بهذا المجرى، فالمرأة المختصة بتربية أولادها لا بدّ من أن تبقى في تخصصها لإنجاح هذا العمل والاستفادة منه، وأن تبقى في تخصصها أفضل من أن تتوجه إلى عمل تكون أقل خبرة فيه، ويكون غير منسجم مع طبيعتها وتركيبتها الجسدية، وانفعالاتها العاطفية والمشاعرية، ولا زلنا نرى كيف أن امرأة تعمل في مجال حضانة الأطفال، وفي الوقت نفسه تترك رعاية أطفالها هي في كنف الخادمة الأجنبية، فيحصل أن الأطفال يكتسبون عادات وأخلاق تلك الخادمة وربما تكون سيئة، وربما تكون حسنة، والسؤال: لماذا تهتم بأطفال غيرها ولا تهتم بأطفالها؟؟ ولماذا غيرها يعهدون إليها بالاهتمام بأطفالهم ولا يقومون هم بهذا الدور، لتقوم هي بدورها مع أطفالها، ولا زلنا أيضاً نرى

كيف أن زوجة ما لا تعبأ بحقوق زوجها، فيما تذهب للعمل تحت أمرة رجالٍ آخرين تطيعهم فيما يقولون، وتخشى غضبهم وسخطهم، وتعمل على راحتهم، وفي الوقت نفسه تسيء إلى زوجها!!! كل هذا بحجة الحرية في العمل!!

والسؤال النقدي هنا: أين الحرية في العمل؟؟ فإذا ما أرادت المرأة أن تكون حرة في أن تعمل، فلماذا لا تكون حرة داخل العمل؟؟ ولماذا تكون بأمرة مدير عملها إلى حد الاستعباد؟؟ إنه من المؤسف أن تترك المرأة تربية أولادها، وحفظ أسرتها، وغمرها بالحب والحنان، وأن تترك زوجها بلا رعاية، وأن تضحي الفتاة بزوج المستقبل، كل هذا من أجل العمل، ومن أجل أن تثبت بأنها تعمل وأنها حرة في ذلك، ولأجل أن تطرد عقدة «أن المرأة لا تعمل»، والعجيب أن المرأة ليست حرة في ذلك، وإلا لما كانت رهينة أرباب العمل، ورهينة الدعايات الفاسدة، والمرأة الحرة الصريحة تقول لكل من يريد استقالتها من منصبها الأساسي على رأس الأسرة، لتغرق في تقديم التضحيات المجانية للعابثين بها، والمتجرين بطاقاتها المهدورة، تقول لهم: لن أترك حفظ أسرتي، وتربية أولادي، مقابل أن أثبت لكم بأنني عاملة حرة!!!

لن أضحي بطفلي الفاقد لحناني وعطفي، والذي يكبر وتكبر معه العقد النفسية جراء إهمالي له من أجل أن يحيا أطفالكم بمجد وعزة وغنى على أنقاض حياة ولدي البائس!! لن أترك بسمة ترتسم على محيا زوجي، لكي أعمل بكل جهدي وعرقي من أجل راحة صاحب المصنع، أو مدير الشركة!! لن أترك أسرتي تنام يائسة من عدم قربي منها، من أجل أن أُشعر أرباب العمل بالأنس في سهرة عمل ليلية؟؟ لن أمكث في العمل كل أيام حياتي، وأعطي القسط القليل من الوقت لمنزلي وأسرتي!!

وإلى هنا نكون قد ذكرنا خمسة مطالب للمرأة، يبقى هناك مطلبان وهما:

المطلب السادس: أن تعمل المرأة عمل الرجل وبالعكس، وأن تتساوى مع الرجال، وقد ظهر في طيات المطالب السابقة الجواب على ذلك.

حيث أن المرأة تتساوى مع الرجل لا في الدور الخاص به، بل في مجموع ما يفعله، فمجموع ما تفعله المرأة يساوي بأجره مجموع ما يفعله الرجل، وقد تتفوق المرأة على الرجل وبالعكس.

المطلب السابع: حرية المرأة في التمرد على نظرة المجتمع عليها، ولها الحرية في كسر مقولة أنها تابعة للرجل.

ونحن بدورنا نذعن لهذا المطلب، مع دراسة الظروف والأسباب، والعمل التدريجي الواعي والمنظم لتحقيق هذا المطلب.

ولكن التمرد على نظرة المجتمع بحسب نظرة المجتمع، فإذا كانت نظرة المجتمع إليها صحيحة وسليمة فلماذا تتمرد؟؟ وإذا كانت بالعكس فلها كامل الحق في ذلك.

وبالعودة إلى عنوان «المرأة والحرية»، فكم أعجب من أُناس يصطدمون بأحد خيارين:

الأول: ممارسة الحرية عبر قنطرة الإيجاب والصواب.

الثاني: ممارسة الحرية عبر قنطرة الخطأ والسلب، إن صح تسمية هذه الممارسة بالحرية. ومن ثم لا يمارسون الحرية عبر القنطرة الأولى.

إن المرأة لا يتسنى لها ممارسة الحرية إلا إذا أطاعت الله عزَّ وجلَّ، إذ أن الحرية من منظار الطاعة الإلهية، كاملة وغير منقوصة، وغير مقيدة، وتوضيح ذلك بالآتي: إن الله عزَّ وجلَّ خلق المرأة وأعطاها القدرة على فعل الأشياء، وهو قادر عزَّ وجلَّ على سلب هذه القدرة، وبث العجز محلها.

ولكن الله عزَّ وجلَّ لما أعطى القدرة للمرأة على فعل الأشياء، لم يجبرها على الفعل أو الترك، بل ترك لها الحرية في ذلك، وهذه قمة الحرية كما لا يخفى.

والله عزَّ وجلَّ وإن حدد للمرأة كيفية ممارسة هذه الحرية بما لا يتنافى مع حريتها الكاملة في قبول هذه الممارسة وعدم القبول، إلا أنه عزَّ وجلَّ لم يجبرها تكويناً على الوقوف عند هذا التحديد لممارسة الحرية، بل أقدرها على المخالفة، وعلى هذا فالله عزَّ وجلَّ أعطى المرأة حرية مركّبة.

الحرية الأولى: أن تكون حرة في اختيار المبادئ وعدم ذلك.

الحرية الثانية: أن تكون حرة في قبول تحديد سلوك الحرية الأولى أم لا.

نعم الله عزَّ وجلَّ وإن لم يجبر المرأة على عدم تخطي حدوده عزَّ وجلَّ بالجبر التكويني، إلا أنه عزَّ وجلَّ حمّلها مسؤولية هذا التخطي والتجاوز، لأن عقلها موجود معها، وإرادتها كذلك.

وعلى هذا فإن الحرية هبة إلهية للمرأة وهبها إياها منذ بداية خلقها، ومع قدرته عزَّ وجلَّ على نزعها إلا أنه لم ينزعها، بالرغم من وجود مخالفات شديدة لأوامره، وأخطاء كبيرة بحقه عزَّ وجلَّ. ومن هنا نعلم بأن أي طاعة لغير الله عزَّ وجلَّ هي بحد ذاتها تقييد للحرية الموهوبة من الله عزَّ وجلَّ للإنسان، إذ أن هناك طاعتان:

الأولى: طاعة الله عزَّ وجلَّ، ومن خلالها تظهر قيمة الحرية بكل تجلياتها وأنوارها.

الثانية: طاعة غير الله عزَّ وجلَّ، ومن خلال هذه الطاعة لا يصبح الإنسان حراً، لأنه يصبح مستعبداً لدى هذا الغير من خلال طاعته، لأن كل

ما سوى الله عزَّ وجلَّ لم يهب الحرية للإنسان، ولو وهب أي أحد غير الله عزَّ وجلَّ الحرية للإنسان لما أقدره على مخالفته طرفة عين، ولسلبها منه بمجرد معصيته.

ولهذا فإن الله عزَّ وجلَّ يقول للإنسان: أيها الإنسان خذ هذه الحرية، ولكني أرشدك إلى سلوك إن سلكته تبقى حراً، واحذر من عدوك، فلا تطعه البتة لأنك إذا أطعته لم تعد حراً وصرت عبداً له.

وعلى هذا فالحرية الموهوبة من الله عزَّ وجلَّ وسيعة، وفسيحة، ومطردة، وغير مرتهنة لشيء، غايته أن ثمة موانع تمنع الإنسان من الاستفادة من الحرية، وهذه الموانع تتمثل بمعصية الله عزَّ وجلَّ، وبطاعة الشيطان، وهوى النفس، فهذه تعد قيوداً حقيقية للحرية يجب كسرها حتى ينعم الإنسان بالحرية، ألا ترى بأن النبي محمدﷺ، بعث ليضيء ظلمات الجاهلية بنور الإسلام، وليكسر القيود والانحلال لينعم الناس بالحرية، وليبدد الأوهام والخرافات ويحل محلها الحقائق، وليحطم قيود الذل والاستغلال، حيث قال تعالى في هذا المجال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[(١)]. وعلى هذا الحرية هنا كامل الحرية تكمن في:

أ ـ الأمر بالمعروف والعمل به.

ب ـ النهي عن المنكر والانتهاء عنه.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

ج ـ أكل الطيبات وما أحل الله عزَّ وجلَّ.

د ـ الاجتناب عن الخبائث.

هـ ـ التحرر من قيود الجاهلية، ونزع جلباب العادات والتقاليد السيئة، واتباع الشريعة بتعقل واقتناع. وكل ما خالف ذلك فهو تقييد للحرية، وانتقال من طور الحرية إلى طور الاستعباد، فالمرء إذا خيّر بين طاعة من خلقه وأعطاه الحرية ومن يستطيع سلب الحرية منه ولم يفعل، وبين طاعة من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً وهو مخلوق مثله فماذا يختار؟؟ علماً بأن الله عزَّ وجلَّ لو أراد أن لا يجعلنا أحراراً ومختارين لما أعطانا الحرية والاختيار من أول الأمر. فالذي وهبنا الحرية بادئ ذي بدء، يريدنا أن نبقى أحراراً ولذلك حذرنا من عدونا.

ومما تقدم نعلم بأن المرأة إذا ما استدامت على طاعة الله عزَّ وجلَّ، فإنها تبقى في بحبوحة الحرية، وفي واحتها الفسيحة، وإلا فتغرق في الفساد والإفساد.

المرأة شر إن أساءت وريحانة إن أحسنت

هناك خلط كبير، وإساءة عظيمة لفهم كلام أمير المؤمنين عليه السلام، بحق المرأة، حين قال: «المرأة شر كلها، وشر ما فيها إنه لا بدّ منها»[1].

وبتقديري أن أمير المؤمنين عليه السلام أراد بذلك المرأة السيئة، التي تسيء إلى نفسها، وإلى مجتمعها، وإلى الخالق عزَّ وجلَّ.

فأيما امرأة تتبع خطوات الشيطان، وتركن إلى وساوس وأهواء نفسها، وتصغي إلى كلام أهل السوء، فهي شريرة وتعمل بالشر.

ولهذا فإن الإمام عليه الصلاة والسلام يمدح المرأة في موقعٍ آخر حيث يقول «المرأة ريحانة وليست بقهرمانة»[2] فالجمع بين الذم والمدح يقتضي تقسيم المرأة إلى قسمين من ناحية الفعل:

الأول: المرأة السيئة، والعاصية، والشريرة، وغير العاملة بالصلاح والتقوى.

الثاني: المرأة الحسنة، المطيعة، والخيرة، والعاملة بالصلاح وهذا من جهة، ومن جهة ثانية فإنه يمكن أن يكون الإنسان خيّراً في نفسه، ولكنه شرٌّ لغيره، وعندما يكون الإنسان خيّراً في نفسه وغير ذلك لغيره فليس الذنب

---

(١) نهج البلاغة، حكمة ٢٣٨.

(٢) نهج البلاغة، رسالة ٣١.

ذنبه، فمثلاً المال في نفسه خير للناس ولكنه يقتل الناس جرّاء سعيهم لامتلاكه بشكل غير مشروع، والمرأة هي خير في نفسها، ولكن إذا قام رجلان واقتتلا من أجل الحصول عليها فتصبح شراً لهما، مع أنها لا دخل لها حيث أنها تقية مؤمنة وواعية، وهكذا فيما لو تزوج رجل مؤمن امرأة مؤمنة فإنه من فرط حبه لها ينشغل عن ذكر ربه، أو عن الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، مع أنها لا دخل لها بهذا، وهكذا نجد هذا النموذج صارخاً في قصة تلك الأم في واقعة كربلاء حيث طلبت من ولدها أن يجاهد تحت راية الحسين عليه السلام رغم أنه حديث عهد بالزواج، وطلبت منه زوجته أن لا يفجعها بنفسه، ولكنه لما ذهب إلى الجهاد تحت راية الحسين عليه السلام قامت زوجته بمشاركته ذلك.

تحليل دقيق للشهيد الصدر (قده)

حول توزيع الميادين بين الرجل والمرأة، وتوازن وتكامل أدوارهما، من خلال الاتجاه الموضوعي، يحدثنا آية الله العظمى السيد الشهيد السعيد محمد باقر الصدر أعلى الله مقامه الشريف في كتابه القيم المدرسة القرآنية، والسنن التاريخية في القرآن ص ٨٩ ـ ٩٠، فيقول: «الاتجاه إلى توزيع الميادين بين المرأة والرجل، اتجاه موضوعي وليس اتجاهاً ناشئاً من قرار تشريعي، اتجاه رُكّب في طبيعة الرجل والمرأة، ولكن هذا الاتجاه يمكن أن يتحدى، يمكن استصدار تشريع يفرض على الرجل بأن يبقى في البيت ليتولى دور الحضانة والتربية، وأن تخرج المرأة إلى الخارج لكي تتولى مشاق العمل والجهد، وبهذا يحصل التحدي لهذا الاتجاه. لكن هذا التحدي لن يستمر، لأن سنن التاريخ سوف تجيب على هذا التحدي، لأننا بهذا سوف نخسر كل تلك القابليات التي زُودت بها المرأة من قبل هذا الاتجاه لممارسة دور الحضانة والأمومة، وسوف نخسر كل تلك القابليات التي زُود بها الرجل من أجل ممارسة دور يتوقف على الجلد والصبر والثبات وطول النفس. تماماً، كما أن بناية تسلم نجارياتها إلى حداد وحداددياتها إلى نجار، يمكن أن تنشأ البناية أيضاً، لكن هذه البناية سوف تنهار، سوف لن يستمر هذا التحدي على شوط طويل».

وعلى هذا فإنه ليس من المهم أن تقول المرأة أنا أطالب بكذا وكذا،

وأن يقول الرجل أنا أريد كيت وكيت، وليس المهم أن تُوضع قوانين وتشريعات وما شاكل، بل المهم حقيقة هو واقعية ما تختزنه المرأة من طاقات وما يختزنه الرجل من طاقات، فربما تطالب المرأة بأن تطير بجسدها بلا طائرة ولكن قانون الجاذبية لا يسمح لها بذلك.

المدار على التقوى

إن قيمة الإنسان عظيمة في نفسها من جهة، وفي فعله من جهة أخرى، ولكن هذه القيمة قد تهبط إلى مستوى أدنى، وقد تعلو إلى مستوى أعلى بحسب عمل الإنسان نفسه.

وذلك لأن المولى عزَّ وجلَّ لا ينظر إلى صور الناس وتراكيبهم الجسدية من ناحية التكريم والجزاء، بل ينظر إلى قلوبهم وأعمالهم، فلا فرق بين أن يتصف الإنسان بطول القامة أو بالقصر، ولا بجمال المظهر أو قبحه، ولا بصحة البدن أو اعتلاله، ولا بكبر السن أو بصغره، ولا ببياض اللون أو سواده، ولا بالمتلفظ بالعربية أو العجمية، ولا بالفقر أو الغنى، ولا بالذكورة والأنوثة، ولا بالقوة أو الضعف.

فلا فرق إذن بين كل هذه المواصفات، ولا بين صاحب التركيبة الجسدية الذكورية الخشنة، أو صاحبة التركيبة الجسدية الأنثوية الناعمة، لا فرق بين كل هذه الاعتبارات، فالله عزَّ وجلَّ ينظر إلى الإنسان من خلال حقيقته وليس من خلال آلته ووسيلته، فالإنسان ينظر إلى إنسان آخر من خلال ما يفعله ولا يأبه إلى ما يحمل من سلاح أو سكين مثلاً، وينتظر منه ما يفعل بهذا السلاح فإن علم أنه موادع فيقول هذا السلاح أو السكين لغرض من أغراضه العملانية الخاصة، وإذا علم أنه شرير فإنه يخشى من تصرفه السيء، وإذا كان الإنسان هكذا فكيف الله عزَّ وجلَّ؟!! فالله عزَّ وجلَّ

ينظر إلى مصدر أفعال الإنسان أي روحه التي تأمر البدن بفعل وعدم فعل، وينظر الله عزَّ وجلَّ بالإضافة إلى مصدر أفعال الإنسان إلى أفعاله، التي يريدها عزَّ وجلَّ أن تتوافق مع شريعته، أي ينظر إلى حالته الباطنية ومبرزاتها الخارجية العملية، أما الجسد بكلا تركيبتيه الذكورية والأنثوية فهو مجرد آلة لهذه الروح، وأداة لهذا العمل فإن المرأة تصلي ركعتين وكذا الرجل، وقد تكون صلاة المرأة أعظم من صلاة الرجل فيما لو تضمنت الخلوص وحضور القلب بخلاف الرجل وكذا العكس.

وإن المرأة تصوم يوماً كاملاً والرجل كذلك، وقد يكون صيام المرأة أعظم من صيام الرجل لشدة الخلوص. ومن قال بأن الجسد يمثل شيئاً زائداً عن كونه آلة للعمل؟؟ ومن قال بأن الحساب يوم القيامة يكون على وفق قياس الأجساد؟؟

ولا يُظن أن كلامنا هذا يجري مجرى التأييد لأولئك الذين يقولون: فلتكشف المرأة عن جسدها كلاً أو بعضاً لأن القيمة للروح والقلب لا للجسد!! فإن هذا الكلام باطل من رأس، وذلك لأن ستر البدن من العمل الذي لا بدّ منه، وهو داخل في إطار العبودية لله عزَّ وجلَّ.

وعلى هذا فإذا كان القلب مطواعاً لله عزَّ وجلَّ فإنه يأمر البدن بمقتضى آليته له أن يكون مطيعاً لله عزَّ وجلَّ، وإذ لم يطع البدن الله عزَّ وجلَّ فمعنى ذلك أن القلب ليس طيعاً له عزَّ وجلَّ، لأن الأمر ينطلق من القلب إلى البدن، وهذا مغزى قول النبيﷺ في رجل يعبث بلحيته أثناء صلاته: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه».

وبالوجدان فإن أي إنسان يقوم بأذية إنسان آخر بواسطة يده، فإن المتأذى لا يخاطب يد الذي آذاه بل يخاطبه بكله، يخاطب مشاعره وأحاسيسه وقلبه.

فالروح إذن هي حقيقة الإنسان، والبدن آلة وأداة بمعنى أن «المقصود هو أن البدن ليس هو حقيقة الإنسان ولا هو جزء من حقيقته بل هو أداة صرفة، الآن حيث لدينا في الدنيا جسم وروح، تقوم الروح بجميع الأعمال، وتتحمل الروح جميع الآلام والمتاعب أو اللذة والنشاط، عندما تتعرض اليد إلى ضربة فإن القوة اللامسة هي التي تشعر لا جرم اليد، كما أن قوة اللمس هذه هي جزء من شؤون الروح إذا خدرت وقطعت اليد قطعة قطعة لا تشعر بالألم، الروح هي التي تشعر، عندما نأكل رغم أن الفك يتحرك والأسنان تلوك ولكن الذائقة تلتذ والذائقة هي من شؤون الروح، عندما نشرب ماء رغم أن التجرع هو عمل فضاء الفم ولكن الارتواء والشعور برفع العطش يتعلق بالروح، في الألم هكذا وفي النشاط كذلك، فالآن حيث لدينا أبدان فإن جميع الأعمال تتولاها الأرواح والأبدان أدوات ليس أكثر»[1].

الروح إذن قائد، والبدن مقود، والروح مدبِر بكسر الباء، والبدن مدبَّر بفتح الباء، وبما أن الأمر كذلك فإن المرأة والرجل من سنخية واحدة، وحقيقة فاردة، غايته أن التركيبة الجسدية مختلفة اختلافاً يسمح بتكامل الحياة وتوازنها.

والمهم في هذا المقام العمل وعلى أي نحو اتفق شريطة كونه داخلاً في إطار الرضى الإلهي.

وذلك لأن الغاية المتوخاة عند الرجل والمرأة هي الوصول إلى منتهى الكمال الإنساني، والابتعاد والارتقاء عن كل نقيصة، وهذه الغاية حددت وسائلها من قِبل الله عزَّ وجلَّ وهي الشريعة الغرّاء، ومنظومة القيم

---

(١) جمال المرأة وجلالها، ١٢١.

الصحيحة، بقي أن الآلات والأدوات المستخدمة تختلف تبعاً للتركيبة الجسدية لكل من الذكر والأنثى، وبعض التفاعلات العاطفية، والوظائف المتناسبة مع التراكيب الجسدية والعاطفية وهذا لا يؤثر البتة في تحقيق الغاية بل على العكس من ذلك فإن هذا الاختلاف يساعد بشكل حيوي على تحقيق الغايات المرجوة، ولو كان الأمر مما يسبب خللاً في عملية تحقيق الغايات البشرية لخلق الله عزَّ وجلَّ الرجل والمرأة بتركيبة جسدية واحدة؟!!

ومثاله عدم المؤثرية في استخدام الآلات لتحقيق الغايات: أن شخصاً ما يريد شرب الماء، فالهدف هو شرب الماء، وقد يتحقق هذا الهدف من خلال الشرب بالإبريق، أو باليد المجردة، أو بالأنبوب، أو من عين الماء مباشرة، فكل هذه الوسائل المتعددة الغاية منها واحدة وهي شرب الماء، ورفع العطش، وتحصيل الارتواء، وهكذا بالنسبة للرجل والمرأة، فالرجل يحقق التقوى بخشونة، والمرأة تحققها بالرقة والنعومة، والرجل يجاهد في سبيل الله عزَّ وجلَّ باستخدام خشونته فيحمل السلاح ويقاتل، والمرأة تجاهد في سبيل الله عزَّ وجلَّ من خلال استخدام رقتها ونعومتها، فتحمل الضمادات والأدوية، والسلاح والضمادات وسائل لهدف واحد هو الجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

إننا نلاحظ وجود خصائص مشتركة بين الرجل والمرأة، وخصائص خصيصة بالرجل، وخصائص بالمرأة، والخصائص المشتركة بينهما من قبيل الصلاة والصوم والحج، والخصائص الخصيصة بالرجل من قبيل تأمين نفقة الزوجة، والخصائص الخصيصة بالمرأة من قبيل إرضاع الطفل، وإذا نظرنا إلى الخصائص المشتركة، والخصائص الخصيصة لكل منهما من حيث المجموع، فإننا نجدها متسمة وعادلة ومتوازنة، وهي متلائمة ملائمة شديدة مع تركيبة جسد كل منهما.

ومن اللطيف هنا ملاحظة أمرين هما:

الأول: أن لكل من الرجل والمرأة قوة بدنية، ولكنهما يتفاوتان شدة وضعفاً من حيث هذه القوة.

الثاني: أن لكل من الرجل والمرأة قوة عاطفية، ولكن هذه القوة تتفاوت شدة وضعفاً بينهما.

ولا شك بأن التمايز والتفاضل بين الرجل والمرأة ليس لأجل الأبدان، بل إن التمايز والتفاضل قاعدة عامة آخذة في الإطراد وسارية في جميع البشر ودون استثناء، فثمة تمايز بين رجل ورجل، وامرأة وأخرى، وامرأة ورجل، ورجل وامرأة، والذي يبعث على التمايز والتفاضل هو «العمل التقوائي»، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾[1].

ومما جاء في الحديث النبوي في التأكيد على أن ميزان التفاضل هو العمل التقوائي، قوله ﷺ: «أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى»[2].

ولهذا فإننا إذا نظرنا بإمعان إلى الآيات القرآنية نجدها تُركز على أمرين اثنين هما:

الأول: النفس الإنسانية.

الثاني: العمل.

وبطبيعة الحال فإن النفس الإنسانية لا تتصف بالذكورة ولا بالأنوثة،

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) تحف العقول، ٣٠.

وكذلك العمل الإنساني فإنه لا يتصف بالذكورة والأنوثة.

فليس هناك نفس ذكر، ولا نفس أنثى، وليس هناك عمل ذكر وعمل أنثى. فالإخلاص الكامن في نفس الرجل والمرأة ليس ذكراً ولا أنثى، والصدقة والصلاة والصوم والإحسان كل هذه لا تسمى ذكراً ولا أنثى.

إن الله عزَّ وجلَّ يقول في شأن النفس الإنسانية: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم﴾[4]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا﴾[5]، ويقول تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٤﴾[6]، ويقول تعالى: ﴿لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ﴾[7]، ويقول تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾[8]، ويقول تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾[9]، ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾[10].

وهذه الآيات عندما تشير إلى النفس أو القلب هي تتحدث عن مطلق

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٧ ـ ٨.
(٢) سورة يوسف، الآية: ٥٣.
(٣) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧ ـ ٢٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٧٤.
(٥) سورة الكهف، الآية: ٥٧.
(٦) سورة المطففين، الآية: ١٤.
(٧) سورة إبراهيم، الآية: ٥١.
(٨) سورة الانفطار، الآية: ٥.
(٩) سورة الشمس، الآيتان: ٩ ـ ١٠.
(١٠) سورة الشعراء، الآيتان: ٨٨ ـ ٨٩.

الإنسان، عن كل إنسان بلا فرق بين الذكور والإناث، فلا فرق بين الذكر والأنثى حينما تكون النفس تقية أو فاجرة، ولا فرق بينهما حينما تكون النفس أمارة بالسوء، ولا فرق بينهما حينما تكون النفس مطمئنة، ولا فرق حينما يكون القلب قاسياً أو خاشعاً، أو مغلقاً أو مفتوحاً، ولا فرق بين الذكر والأنثى حينما تكون النفس قادمة إلى الآخرة بالخير أم لا، ولا فرق بينهما حينما تكون النفس زكية أم خشنة، ولا فرق بينهما حينما يكون القلب سليماً أو سقيماً، لا فرق بين هذه جميعاً في الذكر والأنثى، وهذا من جهة النفس أو القلب، وأما من جهة العمل، فإنه أيضاً لا فرق بين الذكر والأنثى في قضية العمل، لأن العمل هو هوية الإنسان الحقيقية يوم القيامة، وليست هويته الذكورة والأنوثة، لأنه في الآخرة كما هو معلوم لا يوجد مزية للرجل على المرأة، ولا للمرأة على الرجل إلا بالعمل الصالح، وليست الآخرة مؤتمراً من مؤتمرات أهل الدنيا، ولا ندوة من ندواتهم، حتى ينتصر لقضية الرجل على حساب المرأة، أو ينتصر لقضية المرأة على حساب الرجل، وليست الآخرة مسرحاً لأولئك الذين يقولون للمرأة بهمس الحضارة، ورمز الحداثة: عليك أن تجندي كل طاقاتك الجسدية بما تتضمن من إثارة، وحماس، وشغف، ورقص، وتمثيل، وخمرة، وموسيقى، من أجل المجتمع الذكوري!! عليك أن تتواجدي في كل ساحات الخدمة للذكور شريطة أن تخلي ساحتك القيّمة!! عليك أن تشخصي في الحال والتوّ كلما هاجت شهوة رجل» وكلما اجتاح الملل أوقات الرجال، وكلما دق ناقوس التسلية!!! عليك أن تكوني دوماً رفيقة الخمرة، وجليسة الصخب، ولصيقة المنادمة!!! إنه من العار عليك أن يأتي زمن تدب في نفوس الذكور حماسة الشبق ومن ثم لا تتجهز قواك لاستقبالها!!!.

ولهذا فإن العمل الخيّر يُكسب الإنسان ذكراً كان أم أنثى مقاماً عظيماً،

وإذا ما اهتم الناس بتصفية قلوبهم، وتهذيب نفوسهم، وانكبوا على العمل فإنهم سيفوزون بلا شك، وهذا يحتاج إلى اتباع أوامر الشريعة والابتعاد عن كل هذه المظاهر التي يُراد ترويجها بحجة تساوي الرجل والمرأة.

فالعمل هو الأساس «والقرآن في أزيد من خمسمائة آية أمر وأكّد على العمل الصالح، ومن تلك الآيات قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[1] فترى أن الآية ترى أن خير الدنيا والآخرة مرهون بالعمل الصالح، كما أن قوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2]، يرى أن خسران الدنيا والآخرة مرهون بترك العمل الصالح والبطالة.

واختصاص العمل الصالح في هذه الآيات الشريفة بالعبادات التعبدية كالصلاة والزكاة والصوم والحج لا وجه له أصلاً، بل يشمل كل عمل فيه صلاح الدنيا كالزراعة والتجارة وصلاح الآخرة كالصلاة، بل يظهر من غير واحد من الروايات أن العمل الصالح أي عمل كان له ثواب عظيم وإن سيرة رسول الله والأئمة عليهم السلام كانت على ذلك»[3].

وكما ترى فإن العمل الصادر من الذكر والأنثى على حد سواء إذا اتصف بالصلاح فإنه يفضي إلى نتيجة سعيدة، وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة العصر، الآيات: ١ ـ ٢ ـ ٣.

(٣) الأخلاق، ص ١٤٠ ـ ١٤١.

ٱلثَّوَابِ﴾[1]. ويظهر مما تقدم أن المدار على «العمل الصالح»، والتفوق إنما يكون لأهل التقوى، وإنما قيدّنا بالتقوى لأن التقوى هي الشروط الجامعة للإيمان الحقيقي، ولأنها خلاصة وصايا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ولأنها تمنع من خلط الصالح من الأعمال بالطالح، حيث أن التقوى تؤمن لكل متصف بها:

أولاً: فعل الطاعات.

ثانياً: مجانبة المعصية.

ومن هنا نعرف بأن المرأة التقية خير من ألف رجل شقي، بل إن المرأة التقية خير من الرجل المؤمن، وذلك لأن التقوى أرفع شأواً من الإيمان في بعض مراتبها حيث يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾[2] فبينت الآية المتقدمة أمران:

الأول: إن التقوى أرفع درجة من الإيمان.

الثاني: إن التقوى على مراتب.

ونلاحظ من القرآن الكريم أن خطاب التقوى ليس مختصاً بالذكور دون الإناث، بل هو خطاب يشملهما معاً، نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾[3]، وإذا وردت بعض العبائر القرآنية بصيغة المذكر فهذا لا يعني اختصاصه بالذكور دون الإناث، بل هو جار مجرى الحوار.

يقول آية الله الجوادي الأملي: «قال تعالى في ذيل بحث الهجرة هذا: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٣) سورة القمر، الآية: ٥٤.

وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[1]، فالمرأة إذا هاجرت تكون مأجورة والرجل أيضاً إذا هاجر فهو مأجور، في هذه الآية ضمن أنه حكم بتساوي المرأة والرجل في فضيلة الهجرة، ولكنه اختار لفظاً بنحو يفهمنا أن سائر الألفاظ إذا كانت مذكرة، فليس المقصود بها الرجل في مقابل المرأة، لأنه قال في هذه الآية: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾[2]. فكلمة «من ذكر أو أنثى» هذه بيان للمقصود من كلمتي «عامل» و «منكم» إذ لو كان المراد بهما خصوص العامل الذكر في مقابل العاملة لا يمكن القول (عامل من ذكر أو أنثى) وإذا كان (منكم) في مقابل (منكن) عند ذلك لا يمكن القول (من ذكر أو أنثى) فيتضح أنه يجب عدم تفسير (عامل) بأنه في مقابل (عاملة) وكذلك (منكم) في مقابل (منكن)، وهذا شاهد جيد على هذا الادعاء وهو أنه إذا جاءت التعابير القرآنية بصورة مذكر فهي على أساس لغة الحوار وليس على أساس الأدبيات الكتابية»[3].

نعم إذا ورد لفظ الرجل وما شاكله قد نقول باختصاصه بالرجال، مع ما في ذلك من إمكانية القول بأن هذا من باب المثال ليس إلا. وبعد كل هذا يصح الإدعاء بأن الخطاب القرآني موجّه للرجال والنساء على السواء، اللهم إلا ما اختص بالرجال وما اختص بالنساء.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.
(٣) جمال المرأة وجلالها، ٧٤.

المرأة والحياء

لا يخفى وجود عنصر الحياء في طبيعة الإنسان، ولكنه قد يكون ضعيفاً عند البعض شديداً عند الآخر. ويتفاوت الحياء شدة وضعفاً بين رجل ورجل، وامرأة وامرأة، ورجل وامرأة، وامرأة ورجل، فقد يكون الحياء قوياً عند رجل ضعيفاً عند آخر، وقد يكون قوياً عند امرأة ضعيفاً عند أخرى.

ولا عجب إذا قلنا بأن الحياء عند الرجل قد يكون قوياً فيما يكون ضعيفاً عند امرأة تمردت على النواميس. نعم المتعارف والشائع توطن الحياء في المرأة أكثر من الرجل، حيث أن الحياء يعتور المرأة في الغالب. وفي المناخات والبيئة الإسلامية الإيمانية لا بدّ لحياء المرأة أن يتفوق على حياء الرجل، ولا بدّ لحياء الرجل أن لا ينعدم، وبطبيعة الحال فإن الحياء طبيعة إنسانية لا يمكن اعدامه ويمكن انغماره حيناً آخر.

وإنما لا بدّ من توفر الحياء في المرأة بقوة بالنظر إلى خصائصها الأنثوية، والتدفق العاطفي الكامن فيها والذي هو بالطبيعة يفوق المخزون العاطفي الموجود لدى الرجل أضعافاً مضاعفة، ويكفي كدلالة على ذلك الوجدان الحاكم بذلك، والطبيعة التكوينية، وكونها قابلة لأن تكون أماً، ناهيك عن كونها زوجة بالقوة والفعل مع ما يحمله عنوان الزوجة من خاصيات ومؤثرات. وليس المخزون العاطفي عند المرأة مصدر ضعف

لها، بل هو مصدر قوة ومن شأنه الجود والعطاء، إذ ليس الجمود والتصحر العاطفي مصدر قوة، فالقوي ليس فقط ذاك الذي يستخدم قوته وبطشه وخشونته، فربما يكون الخشن والبطاش والقوي ضعيفاً إذا عجز عن تقديم العطف.

كما أن المخزون العاطفي المتدفق عند المرأة لم يجعل مسخراً للرجل على سبيل الإنحصار، بل إن في هذا الكلام مغالطة كبيرة سيما إذا عرفنا بأن هذا التدفق العاطفي إنما هو يدخل في إطار ما تمتلك المرأة من طاقات، وهو معونة لها لكي تقوم بمهامها الخاصة بها كمهمة الأمومة والزوجية، وكذا هو معونة لها لكي تقوم بمهامها العامة ذات الصلة كمهنة التمريض مثلاً. ومضافاً إلى ذلك فإن هذا التدفق العاطفي يدخل في نطاق التوازن والتكامل الحياتي بين الذكور والإناث، فالرجل يمتاز عن المرأة بشدة خشونته، والمرأة تمتاز عن الرجل بشدة تدفقها العاطفي ولولا هذا لما كان ثمة توازن. على أن هذه العاطفة الدفاقة لدى المرأة ليست لأجل غواية الرجل، وإعمال التأثير فيه، ومع قطعنا بأن هذا المخزون العاطفي المشاعري ليس منحصراً بذلك، ولكن ما المانع من تأثيره إيماناً في غواية الرجل بمعنى إثارته وجلب رضاه، وجذب قلبه داخل الإطار الزوجي!!! نقول هذا لأن المرأة ممن عليها أن تخفي هذه المظاهر في السياق العام، ولكن من قال أنها يجب أن تخفي إبداعاتها الإغرائية في السياق الخاص؟؟!!

نعم إذا اخترقت المرأة ناموس الشريعة وعملت على استخدام هذا المخزون العاطفي المشاعري في السياق العام، فأين عقل الرجل هنا، وأين إرادته؟؟!!

وبهذا فالمخزون العاطفي الموجود عند المرأة يؤثر في عملية الإغواء

في السياق العام إلا أنه لم يخلق كطبيعة لأجل هذا الغرض حصراً.

ولا يخفى أن استخدام المؤثرات العاطفية من قبل المرأة ممكن، وكذلك عدم الاستخدام ممكن.

وعلى أيٍ فإن الحياء مما لا بدّ من توفره في المرأة أكثر بكثير من الرجل للآتي:

١ ـ لأن الحياء ينسجم مع تركيبتها الجسدية، وخصائصها الأنثوية كما عرفنا.

٢ ـ لأن الحياء إذا سلب منها، فتكون بذلك قد اخترقت جدار الأنثوية، فلم تعد جديرة بأن تنعت بالمرأة، وبطبيعة الحال لا يصدق عليها وصف الرجل، فتصبح ذات شخصية متأرجحة غير محددة الهوية، والأصح تسميتها بالمسترجلة.

٣ ـ لقد خُلقت المرأة بتلك الصورة والتركيبة التي أبدعها الله عزَّ وجلَّ، ولو أن الله جلّ وعزَّ وجد أن ثمة صورة أخرى أفضل من هذه الصورة لجعلها كذلك، وهذا يدل على أن أي من الصور الأخرى ليست أجدى نفعاً، وأعود فائدة، وأليق حالاً للمرأة من هذه الصورة التي هي عليه وجُبلت.

وبما أن هذه الصورة التي أبدعت عليها المرأة هي أعود الصور نفعاً وأجداها وأرقاها، فإن اختراق ناموسها يعد من القبائح والأخطاء، وما ترك الحياء إلا اختراق لهذا الناموس، حيث أن المرأة بتركها للحياء تنتقل من خلقة طبيعية جميلة، إلى دمية اصطناعية متكلفة.

إن الحياء كما قلنا موجود بالطبيعة لدى الإنسان ولا يتكلفه، وكما هو موجود في المرأة كذا في الرجل، ووظيفة كل منهما تقتضي أن يكون الحياء

أخف عند الرجل وأقوى عند المرأة بالسياق العام، مع أننا نرى وبالوجدان أن قلة الحياء عند الرجل في بعض المظان يشكل خطراً أكبر من قلة الحياء عن النساء، ولكن بصورة عامة ينبغي لحياء المرأة أن يكون أقوى بكثير من حياء الرجل، ولهذا نرى أن الحياء عند المرأة مطلوبٌ دائماً فيما أن الحياء عند الرجل ليس مطلوباً على سبيل الاستدامة، ومن الموارد التي يتطلب من الرجل أن يُعدم الحياء فيها:

أ ـ العمل: من حيث هو يعمل ويجهد من أجل تأمين قوته وقوت عياله، وبطبيعة الحال فإن الحياء في العمل ينبغي أن يُعدم لأنه حياء مذموم وقبيح، إذ أن الرجل الذي يعمل إذا خالجه الحياء من طلب العمل من جهة، ومن نفس العمل من جهة ثانية، سيما إذا كان بغير رتبة اجتماعية، ومن طلب الأجرة من جهة ثالثة، فهو لن يكون عنصراً فعالاً ومجدياً في المجتمع.

وإنما خصصنا العمل بالرجل لأنه وطبقاً لأحكام الشرع الإسلامي يجب عليه الإنفاق على زوجته وعياله وأقاربه على تفصيل في ذلك، وهذا لا يعني أن المرأة لا يجوز لها أن تعمل بل يجوز لها ذلك، ولكنها غير ملزمة بالعمل، فهي مختارة في ذلك وغير مجبرة كما الرجل.

وقد ورد ذم الحياء في مقام العمل للرجال، بل ورد ذم الحياء في العمل مطلقاً وليس للرجال خاصة، ومن ذلك قول أمير المؤمنين ﷺ: «الحياء يمنع الرزق»[(١)]، وقوله ﷺ: «قُرن الحياء بالحرمان»[(٢)]، وقوله ﷺ: «الحياء محرمة»[(٣)].

---

(١) ميزان الحكمة، مادة الحياء.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.

ب ـ الجهاد: فإن الرجل يتصدى للجهاد في سبيل الله عزَّ وجلَّ، والمرأة وإن خوطبت بالجهاد الدفاعي إلا أنها لم تُخاطب بالجهاد الابتدائي، والسر في ذلك معادلة مجهودها الخاص بها مع مجهود المجاهد في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

بل لا نبالغ إذا قلنا بعموم ذم الحياء في مقام الجهاد للمرأة والرجل على حد سواء، ولهذا قال علي ﷺ: «من استحى من قول الحق فهو أحمق»(١).

ج ـ إن الرجل طالب، وخاطب، وراغب، ومريد، وآتٍ، وإن المرأة مطلوبة، ومخطوبة، ومرغوبة، ومرادة، ومأتي إليها، ولهذا لا بدّ للرجل أن يتحلى بصفتي الجرأة والإقدام، ولا بدّ للمرأة أن تتحلى بصفتي الخجل والحياء، وهذا من الطبيعة وليس من التكلف، وليس يعني هذا مبالغة الرجل في الجرأة إلى حد الوقاحة المفرطة، ولا يعني مبالغة المرأة في الحياء إلى حد عدم نيلها ما تريد.

ولهذا فإذا وصل الأمر بالمرأة إلى حد أنها لا بد أن تأخذ موقفاً صارماً في أحد استحقاقاتها، كالزواج مثلاً فعليها أن تقف بقوة وصرامة، وبجرأة معهودة لكي تقول رأيها بلا خجل أو وجل.

ومن الإنصاف القول بأن الحياء الشديد لا بدّ أن يبقى خامراً في نفس المرأة، وبادياً على محياها طيلة حياتها إلى حد عدم وصولها إلى درجة الضعف، وإذا كان لا بدّ للرجل من الحياء فإنه لا بدّ أن يكون في المرأة أضعافاً مضاعفة، وهذا موافق تمام الوفاق لما ورد عن النبي ﷺ حيث قال: «الحياء عشرة أجزاء تسعة في النساء وواحد في الرجال»(٢).

---

(١) م.ن.
(٢) م.ن.

وللحياء فوائد جمة، وعوائد مهمة للرجل والمرأة معاً، فقد قال ﷺ: «أما الحياء فيتشعب منه اللين، والرأفة، والمراقبة لله في السر والعلانية، والسلامة، واجتناب الشر، والبشاشة والسماحة، والظفر، وحسن الثناء على المرء في الناس»[1]. ويكفي أن من ثمار الحياء العفة كما قال ﷺ: «سبب العفة الحياء»[2].

وبالطبع فإن امرأة واحدة تنزع جلباب الحياء، وتخرق ناموسه، تفسد أكثر مما يفسد ألف رجل، ولهذا فإن من علامات فساد وخراب أمة من الأمم خلع لباس الحياء عند النساء.

وإننا نلاحظ وبوضوح أن القرآن الكريم عندما أراد أن يشير إلى أنثوية المرأة، أشار إليها بصفة الحياء، حيث قال تعالى حكاية عن ابنة شعيب النبي المعاصر لموسى عليهما السلام: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾[3].

ولا يُظن أن الحياء عند المرأة هو منقصة لها، بل هو منقبة لها، وإلا لما خلقها الله عزَّ وجلَّ مغروزة بالحياء، بل إن الحياء من أفضل صفات المرأة، إذ لا شك بوجود بون شاسع من ناحية الأفضلية وعدمها، بين امرأتين:

الأولى: لا تراعي الحياء، فتفصح عن كل ما تريده بطريقة رجولية مخدوشة الحياء وتتعاطى مع الرجال وكأنها لا تختلف عنهم من ناحية الرجولة، فتتخشن خشونتهم، وتحاكي مسلكهم الذكوري، وتتحدث بطريقتهم، وتردد مصطلحاتهم الذكورية، وهذا بالحقيقة إهانة كبيرة لنفس خلق

(١) تحف العقول، ص ٢٠.
(٢) ميزان الحكمة، مادة الحياء.
(٣) سورة القصص، الآية: ٢٥.

المرأة كمرأة، إذ أن الرجال إنما يفعلون كذلك لأنهم رجال، ولو كانوا إناثاً لما فعلوا ذلك، فلماذا تريد المرأة أن تكون كواحد منهم؟؟ ألأنها تعترض على كونها امرأة؟؟ أم لأن المرأة لا تستحق أن يكون لها استقلالاً عن الرجال في تصرفاتها وكلامها وسلوكها العام؟؟ ولو أرادها الله عزَّ وجلَّ أن تكون كالرجال لخلقها رجلاً!!!.

إن المرأة التي تفعل ذلك تقر بأفضلية خلق الرجل على خلق المرأة من جهة، ومن جهة ثانية كأنها تقول للعالم: إن المرأة لا يمكن أن تكون جديرة بالاهتمام المجتمعي إلا إذا قلدت الرجل؟!!

ونحن نقول إن على المرأة أن لا تختلف عن الرجل من ناحية الإبداع، والإنسانية، ولكن أن لا تختلف عنه من ناحية النمط الذكوري الخاص به فهذا من المستحيلات، إذ أن الرجل لا يريد جسد رجل آخر بل يريد جسد امرأة، والرجل لا يريد أن يتبادل المشاعر الخاصة بذكوريته مع رجل بل مع امرأة، والرجل لا يريد إثبات ذكوريته مع رجل بل مع امرأة، ولو أرادت المرأة أن تتساوى مع الرجل في كل شيء فلماذا لا تطالب بإلغاء تركيبتها الجسدية الأنثوية؟؟ لماذا لا تطالب بأن تلغي قابلية الرضاع لديها؟؟ ولماذا لا تطالب بإلغاء ظاهرة النعومة في جسدها؟؟ ولماذا لا تطالب بإلغاء مسألة الحيض والنفاس؟؟ ومسألة الحمل والولادة أي قابلية الحمل والولادة؟؟ ولماذا لا تطالب بإلغاء شركات المساحيق وأدوات التجميل؟؟ ولماذا هي مصرة على إظهار مفاتنها ومحاسنها الأنثوية أمام الرجال؟؟ ولماذا تصر على أن تكون جميلة وجذابة؟؟

إن المرأة التي تحاول ترك الحياء، ومحاكاة الرجال هي تعمل على تذويب الأنثوية الكامنة فيها تذويباً مريراً، وهذا ليس لصالحها طبعاً لأن الرجل ينظر إلى الأنثى نظرة متميزة ومغايرة كلياً من نظرته إلى الرجال

أمثاله، وإذا ما شاهد امرأة ذات أفعال وممارسات رجولية فإنه يتنفر منها، ويتحرى امرأة أخرى تتمتع بأنثوية كاملة، وبفعل عاطفي أنثوي جذاب.

وقد تقول المرأة إنه لا يهمها كيف ينظر الرجل إليها، بل ما يهمها هو ممارسة قناعاتها ورؤاها؟!! والجواب: إن هذا الفعل لا يؤدي فقط إلى تغير نظرة الرجال إليها ـ وإن كان لوحده سبب كاف ـ بل يؤدي إلى أمرين اثنين:

١ ـ إن هذا العمل يفقدها قيمتها الأنثوية البارعة، والتي أن استخدمتها في صالحها الخاص المشروع وفي الصالح العام، فإنها سوف تجدي نفعاً لأنها تمتلك القابلية والدور والتأثير، أما استرجالها فلا يؤدي إلى أي نفع، لأنها لا تمتلك قابلية الرجولة، ولا تستطيع أن تكون رجلاً حقيقياً كالرجل، مضافاً إلى أن أي رجل يأخذ هذا الدور ـ الذي تطلبه لنفسها باسترجالها ـ بفعالية لأنه رجل ولن تقدر هي على مجاراة الرجل بذلك لأنها ليست رجلاً، ولهذا فإن المرأة البرزخ بين الرجل الحقيقي والمرأة الحقيقية لا نفع لها ولا دور.

إن المرأة التي تبقي على الحياء، وتحافظ على استقلالها الأنثوي، فإنها تستطيع القيام بدورها من موقعها كأنثى أفضل بكثير من المرأة المسترجلة.

٢ ـ إن ترك المرأة للحياء، واسترجالها هو اعتراض واضح على حكمة الله عزَّ وجلَّ، وهو اعتراض الممارسة أكثر مما هو اعتراض فكري فلسفي، فإن المرأة بفعلها هذا تعترض على التوزيع الإلهي للطاقات البشرية كل بحسبه، وبحسب دوره، وهنا في هذا المجال فإن هذه المرأة المسترجلة وغير الحيية، كأنها تقول لله عزَّ وجلَّ: لقد خلقتني أنثى، ووضعتني في هذا الدور، واعطيتني هذه الطاقة لاستكمل دوري في الحياة، وأنا سأخالف

حكمتك، وسأجعل طاقتي في سبيل دور مخالف للدور الذي طلبته مني، وسأخترق كل النواميس الطبيعية التي احطتني بها، ونسيت المرأة أنها وإن أرادت ذلك ولكنها لن تستطيع ذلك. لأن قدراتها وطاقاتها موضوعة في اتجاه، وهي تريده في اتجاه آخر.

الثانية: تلك التي تراعي مسألة الحياء، فتطرق رأسها خجلاً كالوردة المنحنية، وتخفض صوتها، ولا تقتحم مجالس الرجال باسترجال وبصلافة ووقاحة، وتلك التي تبقى متحفظة بخصائصها الأنثوية، وتظهر للمجتمع كامرأة أنثى.

وبالطبع فإن الفرق بين هاتين المرأتين واضح تمام الوضوح لصالح الثانية دون الأولى، وكل هذا بفضل وبركة «الحياء». ولا يساء الفهم في هذه العجالة فيقال: إننا نريد من المرأة أن تكون حيية لكي تحتجب عن المجتمع، وتمتنع عن أداء مهماتها الحيوية والمفصلية، بل إن ما نرمي إليه هو أن تجمع المرأة بين الحياء وبين أداء مهماتها المنوطة بها، ولا مانع من ذلك البتة.

وفيما اعتقده أن الله عزَّ وجلَّ ليس في خلقه تناقض، حيث أنه عزَّ وجلَّ خلق المرأة وأناط بها الأدوار المتنوعة من جهة، وفي نفس الآن طلب منها أن تحافظ على الحياء، ولو كان ثمة تناقض بينهما لما أمرها الله عزَّ وجلَّ بشيء وأمرها بنقيضه بنفس الآن، إذ كيف يأمر عزَّ وجلَّ بما لا يُطاق.

المرأة والستر

ليس من التشدد القول بأن المانع الوحيد، والعائق الفريد من إظهار القيمة الإنسانية عن المرأة هو عدم ستر البدن، وبمعنى آخر «عدم الحجاب».

فإظهار البدن كلاً أو بعضاً أمام الناس من دون التمييز بين من يجوز الكشف أمامه وبين من لا يجوز هو عين التخلف والتحجر، والمرأة بهذا الفعل سواءً كانت قاصدة لذلك أم غير قاصدة هي تحاكي العصور البائدة، والشعوب المتخلفة، أما ستر البدن والحجاب فهو عين التحضر والحداثة كما لا يخفى.

فإنه وطالما أن المرأة لا تستر جسدها فإنها تقتصر النظرة الاجتماعية العامة إليها على أساس كونها مخلوقة لأجل العامل الشهوي الغرائزي.

وقد يقال إن الجمال يكمن في جسد المرأة وفيما تظهره من محاسن ومفاتن، وعدم إظهار ذلك يعني حجب الجمال!!

والجواب: إن الجمال مفهوم جميل، ونظيف وشفاف، والمرأة الكاشفة لجسدها، والمظهرة لمفاتنها أمام أي أحد تفسد الناس وتذهلهم عن أغراضهم الجدية في الحياة قصدت ذلك أم لا، وهذا من شأنه استقذار مفهوم الجمال وتدنيسه وهو آبٍ عن ذلك لأنه نظيف، وكل شيء يؤدي إلى استقذار مفهوم الجمال فهو غير جميل.

نعم نحن لا ننكر استيطان الجمال داخل جسد المرأة وتضمنه فيه، ولكن لهذا الجمال وظيفة محصورة وهي إظهاره لأهله المستحقين له شرعاً أي الزوج.

وها هنا إشارة مهمة وهي أنه من قال بأن كل مظهر جميل لا بدّ وأن يكشف للنظار، إذ يلزم من ذلك إعدام الخصوصيات والمحتفظات!!

إن الجمال على قسمين إن صح التقسيم وهما:

الأول: الجمال الذي يثير الإعجاب، ويحرك النفس من الداخل ولكنه لا يحرك الغريزة الجنسية، ولا يثير الشهوة، ولا يدفع الإنسان إلى التحرك باتجاهه والوثوب عليه، كما في منظر طبيعي خلاّب، ولوحة فنية بديعة وغير ذلك.

الثاني: الجمال الذي يحرك الغريزة، ويثير الشهوة، ويحفز الإنسان على التحرك والوثوب مشروعاً كان أم لا.

وهذا القسم ينطبق على جمال المرأة المستبطن في الجسد، حيث أن جمالها يحرك الناس باتجاهها، ويثير شهوتهم، ويحفزهم على الوثوب، وربما يكون هذا الوثوب والتحرك حيالها عنيفاً وغير مدروس لأنه شهوي بهيمي، الأمر الذي يؤدي إلى خلق مشاكل ومضاعفات خطيرة، وهذا بحد ذاته يسمم الأجواء العامة والخاصة، ويخل بالنظام البشري.

إن العلاج الحقيقي للجمع بين جمال المرأة الجسدي وبين إظهار القيمة الإنسانية في الخارج، والقيام بالدور الطبيعي المنوط بها دون مانع، إنما يتحقق من خلال عاملين هما:

١ ـ قصر هذا الجمال على أهله ومستحقيه ضمن الإطار الخاص والمشروع من قبيل الزوج.

٢ ـ الظهور في العالم الخارجي بمظهر العقل والعلم، والعمل، والإنسان المجرد، ويلازم هذا الظهور لإنسان المرأة ومعناها، غياب الجسد وكل ما يكون، عائقاً أمام ظهور المعنى الإنساني للمرأة من قبيل الإغراء والإثارة ونحو ذلك.

والمرأة التي تستخدم العامل الأول في الإطار الخاص المشروع، والعامل الثاني في الأجواء الخاصة والعامة، هي امرأة ناجحة بكل الموازين، وليس لديها ثمة إفراط وتفريط، فهي ليست تفرط في العامل الجسدي المادي إلى حد الفساد، وبمعنى آخر هي لا تعوّم جسدها من جهة.

وأيضاً ومن جهة ثانية ليست تعمد إلى التفريط في العامل المعنوي الإنساني إلى درجة نسيان وإهمال الجانب المادي الذي هو حق لها، وله حق عليها وما الفائدة يا ترى من كشف الجسد الأنثوي أمام كل أحد، ما دام الذي أحبته واصطفته وارتضته زوجاً لها يرى جمالها ويفتتن بها، وينجذب إليها؟؟!! فما دام جسدها ومحاسنه يقوم بدوره المنوط به في الإطار الخاص المشروع، فأي نفع يتحقق من خلال إقحامه في الميادين العامة سوى الإنجرار إلى الفساد والإفساد؟!! ولماذا هذا الشاب وذاك كلما نظر إلى لوحة إعلانية، أو شاشة تلفزيونية، أو محلاً للمواد الغذائية، أو شاحنة سوائل غازية، أو متجراً للثياب وغيره، هو يرى نساءً شبه عاريات؟؟!! ولماذا تعود المرأة هؤلاء الناس على أن يقرنوها بهذه المشاهدات؟؟ لماذا تكون المرأة قريناً للثوب، أو الحذاء، أو المشروب الغازي، أو فرشاة الأسنان؟؟!! لماذا لا يتعود الناس أن ينظروا إلى المرأة كقرينة للعفة، والحياء، والإبداع، والعلم، وقوة العقل والإرادة؟؟!! لماذا يقول الرجال إننا عند العمل الجاد لا حاجة لنا بالنساء، وعند اللهو والتسلية

نختار بعضهن؟؟ لا ريب بأن هذا الكلام يوحي بأن النساء جاهزات دوماً لأن يكن مظنة للهو والتسلية!!!

إن هذا الفلتات الثقافية العارمة تمثل إهانة للنوع النسوي.

إن المرأة التي تكشف جسدها كلاً أو بعضاً، وتظهر، في الميادين العامة إنما تقصر وجودها ووظيفتها في الحياة على جسدها فقط، فتأثيرها دائر مدار تأثير هذا الجسد وعدمه، فإذا ما شاخ وبلي ذهب تأثيره، وتحولت إلى قرميدة بالية لا تستخدم إلا لبعث الشفقة في قلب الناس.

إن المرأة كلما حجبت جسدها في الميادين العامة كلما أظهرت إنسانيتها وإبداعاتها، وكلما أظهرت جسدها كلما غاب عنها أي أمر آخر.

أنا أفهم أن المرأة التي تنتج علماً إنما تنتج مجتمعاً معرفياً، والمرأة التي تفرز محبة إنما تنتج مجتمعاً محباً، ولكن المرأة التي تزرع جسدها في حقول الغرائز والشهوات ماذا تنتج؟؟ بالطبع ستنتج نتاجاً قذراً ولا ريب.

إن المرأة ـ أي امرأة ـ وإن كانت على وتيرة عالية من الفساد لا تقبل بأن تهب جسدها مجاناً لكل أحد، والمرأة غير الساترة لبدنها وكاشفته وليست على وتيرة عالية من الفساد لا ترضى بوهب جسدها لكل أحد بطريق أولى، وطالما هي كذلك فلماذا تقوم بعمل من شأنه أن يوصلها إلى نتيجة تأباها؟؟ إن المرأة الكاشفة لبدنها كلاً أو بعضاً تتحرك باتجاهها خلقياً ميول الناس وغرائزهم، وطالما أن العروض الذكورية تتغامز عليها بنحو أو بآخر، فإن المرأة والحال هذه لا يسعها أن تقول لكل راغب بنفس ميوله وغرائزه معها: إن هذا الجسد إنما اكشفه ولا استره فقط لإبراز الجمال والمظهر الخلاّق!!! وذلك لأن طبيعة كشف الجسد الأنثوي يفتح شهية الجنس عند الرجل، تماماً كما أن طبيعة تصاعد رائحة الشواء يفتح

شهية الجائع، بل إن كشف الجسد الأنثوي يركز في الأذهان أن المرأة إنما تقوم بهذا العمل لخلق جو غرائزي أعمى، وإلا فلزاماً على المرأة الكاشفة لجسدها أن تضع إعلاناً على جسدها يقول: هذا للنظر وليس لشيء آخر!! وهذا للفن وليس لشيء آخر!! وهذا للرياضة وهكذا!! فكلما كشفت المرأة جسدها لغرض معين عليها أن تلفت نظر الناس إلى هذه الخصوصية، فإذا تعرت المرأة لأجل الاستحمام فتقول للناس: هذا للاستحمام وليس للشهوة!! وإذا كشفت جسدها لأجل السباحة فتقول: هذا للسباحة؟! وإذا ما كشفت جسدها لأجل الرياضة فتقول: هذا للرياضة!! وما أود قوله هنا: إن الجسد الأنثوي خلقه الله عزَّ وجلَّ قابلاً لتنفيس الاشتهاء الذكوري، كما أن الجسد الرجولي هو قابل لتنفيس الاشتهاء الأنثوي، وبما أن جسد المرأة كذلك فإن الميل الشهوي الغرائزي لا يميز بين أن تكشف المرأة جسدها لأجل الجنس أو لأجل شيء آخر، فمهما تعددت دواعي كشف الجسد وعدم ستره لدى المرأة فإن هذا لن يجعل الاشتهاء الذكوري معدوماً في حالات وموجوداً في حالات أخرى، بل يبقى قائماً حتى ينال مناه، وتتحقق أهدافه.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن جسد المرأة لم يُخلق فقط لأن يكون قابلاً لتنفيس الاشتهاء الذكوري بل له أغراض أخرى وجليلة لا يمكن حصرها، كما لا بدّ من الإشارة إلى أمر آخر ومهم ومحصله: أن الجسد الأنثوي لا يعيبه أن يكون قابلاً لتنفيس الاشتهاء الذكوري بل هذا من أحد وظائفه المهمة، وهو شرف للمرأة، ولكن هذا الدور الهام المنوط بالجسد الأنثوي لا بدّ من أن ينفذ من باب مشروع ومنظم لا من باب ممنوع وعبثي.

والباب الوحيد والمشروع في هذا المجال هو «الزواج»، إذ أنه لا يحتضن مفاهيم الحب، والإخلاص، والإيثار إلا البيت الزوجي، وهذا

الحبيب والعشيق إذا لم يكن مستعداً لأن يكون زوجاً لحبيبته ومعشوقته فأي معنى لهذا الحب والعشق؟!!!

إن الشرع الإسلامي الملاحظ بدقة لحاجيات البشر، ينظر إلى الجسد الأنثوي المنفس للاشتهاء الذكوري المشروع، وكذا إلى الجسد الذكوري الذي ينفس الاشتهاء الأنثوي المشروع، ينظر إليه على أساس أنه عمل عظيم ومشرف وله الأفضلية الكبرى على عدم استخدام هذه الطاقة، ومن هذا ما ورد عن رسول الله ﷺ حيث قال: «المتزوج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب»[1]. ومن جملة أعمال الزوجة تنفيس الاشتهاء الذكوري المشروع، وكذا هذا من جملة أعمال الزوج، ولهذا لا بدّ للزوجة من أن تظهر لزوجها العشق بالخلابة والهيئة الحسنة[2] كما أن الزوج لا بدّ أن يتهيء تهيئاً حسناً لزوجته[3].

وعلى هذا فإن كشف الجسد الأنثوي وعدم ستره يؤدي بنحو أو بآخر إلى نتيجة مفادها: أن المرأة تصبح عرضة للاشتهاء العام غير المخصص، فيما يتضح أن الصحيح هو أن تكون عرضة للاشتهاء الخاص المشروع في جنبة من جنبات وظائف الجسد الأنثوي لا مطلقاً. ونحن نقول بلزوم ستر البدن لدى المرأة لقطع دابر الفساد والإفساد، فإننا نعرف بأن هناك اعتراضات على كلامنا من جملة هذه الاعتراضات: أن كشف الجسد الأنثوي هو عمل مألوف في عموم المجتمع الغربي، وفي بعض أو في جزء لا يستهان به في المجتمعات الإسلامية والعربية، بل إن منظر النساء غير المتسترات أضحى عادياً جداً ومألوفاً، وبالتالي فإن عدم كشف الجسد

(١) ميزان الحكمة، مادة زواج.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.

الأنثوي لأنه أصبح عادياً ومألوفاً فإن ضرره وخطره صار معدوماً.

والجواب على كل هذا بالآتي:

١ ـ إن الإسلام وضع قانون الستر، لأنه كقانون فيه مصلحة للجميع، وإذا ما تفلت الناس من القانون ولم يؤدِ تفلّتهم هذا إلى ضررهم فهذا لا يعني أن القانون فاسد، ولذا فإن حالة واحدة من حالات عدم الستر لو أدّت إلى الفساد فإن الإسلام يرى نفسه مسؤولاً عن هذه الحالة، ولهذا فإننا نجد مثلاً أن القانون يمنع القتل فإذا ما قام أحدهم بعملية اغتيال ولم يفلح فهل هذا يعني أن القتل جائز لأنه لم يؤدِ إلى ضرر لفشل هذا الرجل بعملية القتل؟!! ولنفترض أن رجلاً قام بحيازة سلاح لم يعمل على ترخيصه من قبل الدولة، وبالتالي هو لم يؤذِ أحداً فهل هذا عمل قانوني؟؟!! وفي المقابل فإن شخصاً حاز على السلاح بالترخيص واعتدى على الناس فهل منعه القانون من ارتكاب الجريمة؟!!

فهذه مغالطة كبيرة، فليس كل ما لا يؤدي فعله إلى الفساد فإن فعله يكون مشروعاً!!!

٢ ـ من قال بأن كشف الجسد الأنثوي وعدم ستره لا يؤدي إلى الفساد، وهذه التقارير واضحة في أن الدمار الأخلاقي قد حل بالبشرية مذ دَعيت المرأة إلى مائدة العري وشبه العري، بل إن الدمار جراء ذلك ليس أخلاقياً فحسب بل هو دمار صحي، واجتماعي، ويؤدي إلى تخفيض القيمة الإنسانية للمرأة ويجعلها عملياً أقل شأناً من الرجل، بل هي مفردة من مفردات استمتاع الرجل، وتقترن عادة بالأجواء اللهوية والاستمتاعية للرجل، بل أن المرأة تظهر وكأن مهمتها الإنسانية في الحياة تتمثل بتوفير كامل الاستمتاع والاسترخاء للرجل، وليس لرجل محدد بل لأي رجل، فأي شخص يتصف بسمة الذكورة هو مبعث مخدومية المرأة له من هذه

الجهة، وهذا بالحقيقة يشكل كارثة كونية بحق المرأة، فالمرأة وبسبب ظاهرة العري أو شبه العري هي مرادفة للخمر، والغناء، والرقص، وشهوة الرجل، فإذا ما ذهب الرجل للعمل فتبقى مع مرادفاتها تنتظر انتهاءه من عالم الجدية ليعود إليها في عالم اللهو والعبث، ولو كان يعود إلى امرأة محددة لهان الخطب ولكنه يعود إلى أي امرأة، وهي تنتظر أي رجل، وفيما هو يحرز تقدماً اجتماعياً هاماً أو صناعياً أو غيره، تبقى هي قابعة في مواطن التدني والانحطاط، نعم هكذا هم، يريدون للمرأة أن تكون جسداً محضاً وظيفته تنفيس رغبات الذكور، تماماً كقطعة الحلوى، وكأس النبيذ، والموسيقى، فإذا ما اجتمع شخص ما مع ذكور آخرين وكانوا في مكان يتواجد فيه الخمر، والتلفاز، والآت الموسيقى فإنهم رأساً يعرفون ماذا ينقصهم!! بالطبع الجسد الأنثوي الشاب، لأن الجسد الأنثوي المصاب والمريض، أو العجوز لا قيمة له!!

٣ ـ إن التآلف مع ظاهرة العري أو شبه العري، وعدم تأثر الرجال بذلك إنما يكون في أوقات المجاملات، والمجالس العامة العاجة بالناس ـ مع أن بعض المجتمعات حتى في هذه الحالات يقع بعضها مع بعض في أفخاخ الرذيلة والانحطاط الجنسي جراء العري وشبه العري ـ، أما في الخلوات، ومظان السكر فإن التأثر بالعري وشبهه يؤثر بالرجال أيما تأثير، ففي البداية يجتمع هؤلاء فيجامل بعضهم بعضاً، ولما يأخذ السكر والهوس الليلي الغريزي منهم مأخذه تتحول الجلسات الليلية، والسهرات المخملية إلى مسرح للجنون، والزنا والفتنة وغير ذلك.

٤ ـ إن التآلف مع أجواء كشف الجسد الأنثوي كلاً أو بعضاً، لا يجعلها مشروعة، هب أن مجتمعاً ألف السرقة والقتل فهل تصبح السرقة أو القتل أمراً مألوفاً وصحيحاً؟!!

فالمدار والميزان على ما يبيحه الله عزَّ وجلَّ ويجعله حلالاً، وكذا على ما يراه العقل صحيحاً.

٥ ـ إن هذه المجتمعات لا تنسجم مع بعضها البعض انسجاماً كاملاً من هذه الجهة، بل إن ثمة تفاوت في هذه المسألة بين المجتمعات الغربية فيما بينها من جهة، وفيما بينها وبين المجتمعات الشرقية من جهة أخرى، كما أن ثمة تفاوت بين المجتمعات الشرقية والمجتمعات الإسلامية، وبين المجتمعات الشرقية غير الإسلامية، والمجتمعات الشرقية الإسلامية، وبين المجتمعات الإسلامية فيما بينها.

٦ ـ ما المانع من أن تكون بعض هذه المجتمعات متمردة على تراثها، وثقافتها، فالمجتمعات الإسلامية على أقل تقدير إذا إلفت أجواء كشف الجسد الأنثوي تكون متصادمة مع تراثها الديني، ومتمردة على تعاليم الإسلام وإذا كان الأمر كذلك فإن هذا التآلف هو عين الباطل.

٧ ـ إن تآلف هذه المجتمعات مع ظاهرة كشف الجسد الأنثوي أمام أي أحد، هو نتاج ثقافة الغير، الذين يريدون نقل ثقافتهم إلينا، وتصدير المفاهيم السامة والمغلوطة إلى حيّز القبول عندنا، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نحتّم على أنفسنا الرضى والقبول بهذه الثقافة، ولماذا لا نقوم نحن بتصدير ثقافة الحجاب والستر إليهم؟؟ ولماذا لا نعرض ثقافة السفور عندهم جنباً إلى جنب مع ثقافة الحجاب عندنا، ومن ثم نتناقش فيهما، وفي أي من العرضين تكمن مصلحة المرأة؟؟ لماذا يريدون منا دائماً أن نفرض ظاهرة كشف الجسد الأنثوي على الواقع المعاش من دون نقاش في النظريات والظواهر الأخرى؟؟ لماذا لا نفعل كما يفعل العلماء والخبراء الذين يدرسون ويناقشون كافة النظريات والاحتمالات والآراء المتصلة بموضوع محدد؟؟ لماذا لا يجربون منهج الستر والحجاب ولو مرة وبعد ذلك فليقولوا

لنا: نحن لا نرغب بالستر والحجاب؟؟ لماذا نحن نعيش ثقافة الآخرين في كل نفس نتنفسه وهم لا يجربون ثقافتنا ولو لمرة واحدة؟؟ نحن قد جربنا كل شيء عندهم وهم لم يجربوا أي شيء عندنا؟؟ لقد جربنا فلتانهم فليجربوا اتزاننا؟؟ ولقد جرّبنا ابتذالهم فليجربوا احتشامنا!! ولقد جربنا دياثتهم فليجربوا غيرتنا!! ولقد جربنا استخفافهم بالمرأة فليجربوا صوننا لها!! ولقد جربوا وجربنا شرائع الناس وأفكارهم فليجربوا شريعة الله عزَّ وجلَّ!! وبالمقابل فإن ها هنا دعوة إلى من عندنا: فلقد جربنا انعدام الثقة فلنجرب عيش الثقة التي عندهم!! فلنتعلم منهم كيف نخترع ما يفيد حياتنا!! ولنأخذ منهم ما يقوي حيويتنا، ويجبر ضعفنا، ويوسع حيلتنا!!

لماذا أيها الشباب تأخذون منهم تغيير شكل الوجه والجسم بدلاً من أن تأخذوا منهم تعاليم الإبداع التقني والاختراع؟؟

لماذا تتلقفون منهم الإيدز والسيدا بدلاً من تلقف ثقافة احترام الوقت والمواعيد!!

لماذا تأخذون منهم الآلات الإلكترونية بغية اللعب واللهو بدلاً من محاكاتهم في بحث القضايا العلمية؟؟

لماذا سمحتم لهم ببرمجة عقولكم وتوجيهاتكم بحسب ما يحبون ويشتهون؟؟

لماذا تأخذون منهم تعاليم التمرد على دينكم وقيمكم بدلاً من أخذ تعاليم الإبداع والاختراع؟؟

لماذا تسمحون لهم بالتحكم بعقولكم بعدما سمحتم لهم بالتحكم بأجسادكم؟؟

ترى لو كانوا يحبونكم فلماذا يسرقون البسمة من شفاه أطفالكم، ويعدمون الثقة في قلوب شبابكم، ويغتصبون اللقمة من أفواهكم؟؟!!

لماذا كلما أرادوا زيادة نسبة الترفيه عندهم زادت المأساة عندنا؟؟

لماذا هم كلما احتاجوا إلى رفع المستوى المعيشي للفرد كان هذا على حساب شعب بأكمله؟؟

لماذا تصادر وتغتصب مقدرات الشعب الصومالي من أجل ترفيه فرد أمريكي؟؟

لماذا يؤخذ قرار بقتل الآف الشعوب من أجل احتمال ضئيل بوجود خطر على فرد أمريكي أو صهيوني؟؟!!

لماذا تحد حرية المحجبة في فرنسا بينما تتسع حرية المومس عندنا؟؟!!

لماذا تُمنع المحجبة والمتسترة من دخول المعاهد العلمية، وفي نفس الآن والتو يسمح للمومسات فعل أي شيء؟؟

لماذا تُمنع المحجبة والمتسترة من نشر الفضيلة ويسمح للمومس بنشر الرذيلة؟؟!!

لماذا يُراد للمحجبة المتسترة أن تكون مبتذلة ولا يُراد للمبتذلة أن تكون عفيفة ومحجبة؟؟!!

لماذا يراد للجسد أن يكشف وللإنسان أن يغمر، بدلاً من العكس؟؟

لماذا يقبل المسلم المؤمن أن يطبق تعاليم فرنسا ولا تقبل فرنسا تطبيق تعاليم الله؟؟

لماذا يقوم شيخ الأزهر ويرفع عقيرته قائلاً: هذا حقهم بمنع الحجاب؟؟

من أين أعطيتهم هذا الحق يا شيخ الأزهر؟؟ هل نزل عليك الوحي وقال لك هذا؟؟ ومن أين أخذت هذا الوحي من جبرائيل أم من الشيطان؟؟ قل لنا بصراحة يا شيخ الأزهر هل أنت مقتنع بالحجاب أم لا؟؟ هل أنت مع الحجاب أم ضده؟؟ وأنا اعتقد جازماً أنك ضد الحجاب، ولو أن مقتضيات السلطة والمال حتّمت عليك الذهاب بعيداً لذهبت بلا شك!!! لا ريب بأن هذا النموذج ليس غريباً علينا، فبالأمس البعيد كان فقهاء السلطان يبررون لملوكهم ولسلاطينهم كل فعل شنيع!!!

٨ ـ إن التآلف مع أجواء كشف الجسد، وعدم إثارة الغريزة ليس مرده إلى أن الاعتياد والتآلف مع أجواء كشف الجسد من شأنه إماتة الغريزة الشهوية الجنسية، بل مرده إلى كون هذه الغريزة شبعانة، ولو لم تكن شبعانة لطلبت إطفاء نائرتها ولو كان صاحبها بين ألف امرأة عارية، والسر في ذلك أن الشهوة الجنسية كباقي الشهوات لا تلح على صاحبها إلا حين جوعتها، أرأيت كيف أن المتخم جراء أكله للطعام كيف يتآلف ويعتاد على صنوف الطعام الموضوعة قدامه ولا يحرك ساكناً باتجاهها، بل ربما هو تقيء من مشهد الأطعمة أمامه في حال كونه شبعاناً ومتخماً، ولكنه وبمجرد شعوره بالجوع فإنه سوف يخترق جدار التآلف والاعتياد، وسوف يقبل على الأكل ولو كان أمامه ألف صنف من الطعام، وهنا مع غريزة الجنس هكذا فإنه يعتاد على كشف الجسد النسوي حال كونه شبعاناً ولكن حينما يجوع جنسياً فإنه سوف يعمل لسد جوعه بلا ريب ومن هنا يدرك بأن كشف الجسد الأنثوي أمام أي أحد فيه مضرة كبرى للإنسان.

وقد يقال: بأن المرأة لا يتسنى لها الزواج إذا التزمت بالحجاب ولم تكشف عن بعض مفاتنها!! والجواب:

١ ـ لا اعتقد أن هناك فتاة في العالم تكشف عن مفاتنها الجسدية لأجل

الزواج، نعم ثمة استثناء في ذلك سيما مع وجود ظروف اجتماعية واقتصادية قاسية.

٢ ـ إن الزواج وإن كان يتحقق في بعض الأحايين بسبب الافتتان، بيد أن الداعي الأبرز للزواج هو مجموع مواصفات المرأة من قبيل العلم والثقافة، والحضور الاجتماعي وغير ذلك.

٣ ـ إن الزواج ليس مرهوناً بكشف الجسد، ولا بإظهار المفاتن والمحاسن الأنثوية، فقد تكشف مائة امرأة عن جسدها بغية الزواج أمام الرجال ولا تحظى إحداهن بزوج واحد، بينما قد تتزوج امرأة لا يظهر منها شيء، بل إن في عصرنا هذا من تتزوج على الهاتف، أو عبر الجهاز الآلي كما لا يخفى.

٤ ـ قد تكون لدى الشاب الراغب بالزواج رغبة بالزواج من فتاة لا تظهر جسدها إلا لزوجها الذي سيكون في المستقبل.

٥ ـ لنتوجه بالسؤال إلى كل المتزوجين والمتزوجات في العالم: هل تزوجتم لأن الجسد كان مكشوفاً وأغراكم؟؟ هل لم تتزوج أيها الزوج إلا تلك التي كشفت عن جسدها أمامك؟؟ وهل لم تتزوجي أيتها الزوجة إلا حينما أظهرت جسدك أمام من اختارك زوجة؟؟ ولتحديد الجواب لا بدّ من دراسة أسباب اختيار الزوج للزوجة وبالعكس.

٦ ـ إن معرفة مفاتن ومحاسن الزوجة المختارة ليس صعباً كما لا يخفى، وبمقدور الرجل أن يتعرف على محاسن ومفاتن المرأة بطرق شرعية حددها الشارع القادس.

٧ ـ على العكس يمكن أن يكون إظهار الجسد الأنثوي سبباً مانعاً للزواج، لأن الزواج يعني للرجل تحمل المسؤولية، فيما يستطيع الرجل أن

لا يتجشم مشقة الزواج وينال مراده بسهولة مع توفير دواعي نيل المراد السهل.

إلى هنا نكون قد أجبنا على هذا الإشكال، وعوداً على بدء فإننا نرى وبالوجدان أن البشر عموماً يتفقون على لزوم الستر للمرأة من حيث الأصل والمبدأ ـ إلا ما شذّ وندر ـ، واتفاقهم على لزوم الستر للمرأة لا ينفي اختلافهم على مقدار الستر سعة وضيقاً، فهم متفقون على لزوم الستر بالأصل، ومختلفون حول مقدار وحدود الستر على ثلاث طوائف:

الطائفة الأولى: تقول بستر خصوص العورة، وفي الباقي المرأة بالخيار بين أن تستر وأن تكشف، فإما تستر ما خلا العورة وإما تكشف، وسترها إما يكون لباقي الأجزاء أو بعضها دون البعض الآخر، وكشفها إما يكون لباقي الأعضاء وإما لبعضها، ولكن تُراعى الظروف، والأماكن، فاللباس في الأحزان والمآتم بخلافه في الأعراس والمسابح.

وللأمانة لا بدّ من الإشارة إلى أن هذه الطائفة تنقسم إلى قسمين:

الأول: من يكشف عن بعض المفاتن ولكنه لا يكشف عن كل المفاتن، ويراعي العنوان العام للاحتشام دون جزئياته وتفاصيله.

الثاني: من يكشف عن كل المفاتن والمحاسن ولا يراعي العنوان العام للاحتشام ولا جزئياته وتفاصيله، والقسم الأول يشترك فيه الإيجاب والسلب، أما القسم الثاني فهو سلب محض.

الطائفة الثانية: ستر المرأة كلياً وحجبها عن الحياة، وعدم إشراكها في أي شيء وحتى ممن هو هو معدود من وظائف الحياة العامة.

الطائفة الثالثة: تقول بستر العورة أيضاً كما الطائفة الأولى، إلا أن معنى العورة هنا يتوسع ليشمل جميع الجسد ما خلا الوجه والكفين، وهذه

بالحقيقة وجهة النظر الإسلامية التي تعتبر أن جسد المرأة كله عورة ما خلا الوجه والكفين، وعلى هذا فالرأي متحد بين الطائفة الأولى والثالثة بخصوص ستر العورة بيد أن العورة عند الأولى بالمعنى الخاص، أما العورة عند الثالثة هي بالمعنى العام.

إن هذه الطوائف الثلاث وبالرغم من اختلافها في مقدار الستر إلا أنها متفقة على الآتي:

أ ـ مبدأ الستر كما أسلفنا.

ب ـ إباحة كشف كامل الجسد أمام الزوج.

ج ـ إباحة كشف الوجه والكفين مطلقاً.

د ـ إباحة كشف كل ما عدا العورة بالمعنى الخاص أمام المحارم، أي ما يحرم الزواج منهم.

وعلى هذا فإننا نلاحظ أن هذه الطوائف الثلاث مشتركة في أمرين اثنين مهمين:

الأول: مبدأ كشف كامل البدن، وهو أمام الزوج فقط، وقد يشذ عن ذلك من ينتسب إلى ظاهرة العري.

الثاني: مبدأ الستر للعورة بمعنييها الخاص والعام. ونلاحظ مما نلاحظه عن هذه الطوائف الثلاث، أن هناك ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: هو مستوى إفراطي تجسده الطائفة الأولى، حيث أنها تعدت الحدود الأخلاقية، والعرفية، والعادية، والعقلية والشرعية، عندما قررت عدم لزوم ستر ما عدا العورة، بل إن بعض أتباع هذه الطائفة يبالغون في الإفراط إلى درجة أنهم يقولون بعدم لزوم ستر العورة، ويدعون إلى تعميم ظاهرة العري.

المستوى الثاني: هو مستوى تفريطي وتجسده الطائفة الثانية التي حجزت المرأة في قمقم التخلف والانحطاط، وجعلتها مقضى للشهوات الخاصة، ووضعتها في لائحة المخلوق الذي لا يجدي ولا ينفع. ونلاحظ هنا أن الطائفة الأولى والطائفة الثانية، هما ممن جعلا المرأة مجرد مقضى للشهوات مع فارق واحد قوامه أن الطائفة الأولى جعلت المرأة مقضى للشهوات العامة، والطائفة الثانية جعلتها مقضى للشهوات الخاصة وهما بذلك يشتركان في تقزيم المرأة، مع أن الطائفة الأولى فعلها غير مشروع وممنوع، والطائفة الثانية فعلها مشروع ولكنه لا يعطي المرأة حقها ويمنعها من القيام بدورها الحياتي الفعال.

المستوى الثالث: هو مستوى وسطي تجسده الطائفة الثالثة، حيث أن هذه الطائفة تدعو إلى الجمع بين ستر المرأة لجسدها ما خلا الوجه والكفين من جهة، وإلى مشاركة المرأة الفعالة في الميادين العامة والخاصة من جهة أخرى، وهذا الجمع من شأنه تأمين المحفز العالي للمرأة في إثبات وجودها ونجاحها من خلال عاملين اثنين:

الأول: كشف الوجه والكفين لتسهيل الوظائف التي تقوم بها المرأة، وبهذا تأمن المرأة من الفساد والإفساد العمدي وغير العمدي والذي يسببهما كشف أعضاء الجسد الأنثوي كلاً أو بعضاً.

الثاني: تواجد المرأة وحضورها في شتى الميادين العامة والخاصة، وقيادتها لعجلة الحياة، وصياغتها لدورها المنوط بها بأفضل صياغة.

ومن هنا نرى أن المرأة بسترها لبدنها ما خلا الوجه والكفين لم تذهب ذهاباً إفراطياً كما الطائفة الأولى، والمرأة بحضورها في الحياة لم تذهب ذهاباً تفريطياً كما الطائفة الثانية، فهي لم تتهور ولم تختنق.

وعوداً على بدء فإن الإسلام أمر المرأة بوجوب الستر والحجاب ليس لأجل الستر والحجاب بل لقطع دابر الفساد، ولهذا فإن الستر والحجاب لا يجبان إلا في حالة وجود ناظر أجنبي، أما مع عدم وجود ناظر أجنبي فلا يجبان، ومن هنا نفهم فلسفة الستر في الإسلام حيث يُفرض الستر من أجل «عدم الفساد».

ومع الأمن من الفساد فإن الإسلام لا يفرض الحجاب والستر حتى أمام النظار الخواص، ويظهر ذلك من خلال هذين النموذجين:

النموذج الأول: كشف الجسد كلياً أمام الزوج، حيث أن هذا لا يؤدي إلى الفساد، لأن الزوج لا يحتاج إلى العنف حتى يُشبع رغبته، ولأن الزوجة لا تقلق من هذه العلاقة لأنها تعلم مسبقاً بأن الزوج سيتحمل مسؤولية علاقته بها، ومن ذلك الاعتراف بها وبطفلها، بل لا نبالغ إذا قلنا بأن الستر أمام الزوج ها هنا يسبب بعض الخلل وكشف الجسد فيه صلاح للزوج وللزوجة.

النموذج الثاني: كشف ما عدا العورة أمام المحارم من قبيل الأب والجد، والأخ، والعم، والخال، والكشف وعدم الستر هنا لا يؤدي إلى الفساد، لأن المحارم هنا لا ينظرون إلى قريبتهم نظرة شهوة وغريزة بل ينظرون نظرة قرابة وعطف وبر، نعم إذا نظروا إليها نظرة ريبة وتلذذ وشهوة فهذه النظرة محرمة.

والحاصل أن الستر في الإسلام هو من أجل عدة غايات شريفة غير محصورة، وأهمها غايتان:

١ ـ قطع دابر الفساد.

٢ ـ الحفاظ على النظام العام البشري وإيجاد نحو توازن.

وذلك لأن كشف الجسد من قبل المرأة كلاً أو بعضاً أمام الناس، يعني تحقيق الشهوات والغرائز بطرق فوضوية وعشوائية، وغير منظمة وثمة رجال ونساء لا يعرفون بعضهم البعض إلا على الفراش وبعد انتهاء وظيفة الفراش يجهلون بعضهم البعض، بل ثمة رجال ونساء يقومون بوظائف الفراش ولا يعرفون بعضهم البعض من رأس ليسجلوا بذلك مقولة التعارف الجسدي فقط.

وللأسف فإن بعض الكتّاب أو الأدباء يتحدثون عن أفضلية أبجدية الجسد ولغته على أبجدية الروح ولغتها، إنهم يتحدثون عن أبجدية الجسد وكأنها الصلاح بعينه، مع علمهم المسبق بأن أبجدية الجسد شكلت كتاب الدمار الأخلاقي والصحي.

لا ريب بأن ثقافة كشف الجسد الأنثوي وعدم الستر لا تعطي ضمانة للمرأة في علاقتها مع الرجل سيما إذا نالها الأخير بلا ثمن، إذ أن أجواء كشف الجسد الأنثوي وعدم الستر تستدعي من الرجال التملق للنساء، وكيل العبارات الشعورية والعاطفية المعبرة عن الإعجاب والتقدير، الأمر الذي يستدعي من المرأة رد المجاملات والتملقات بالشكر والامتنان، ومن ثمّ تنشأ تلك العلاقة وبعدها لن تكون الأمور كبداياتها، وهذه الأجواء بالحقيقة نتاجاتها أرقام خيالية في مجال امتهان المرأة، ووقوعها في شباك الرجل، نعم المرأة مسؤولة عن تلك النتائج المدمرة والناتجة عن أجواء العري وشبهه حيث أن لها كل الرغبة كما الرجل.

إن الإسلام يقول للناس: إذا أردتم المرأة فليكن اختياركم لعلاقة ما معها نابعاً من الإحساس بالمسؤولية، فليست المرأة مجرد دمية تُتلقف، ولا هي شهوة تغر، ونزوة تمر، بل هي قيمة تحترم وتُصان، وهي إنسان يوظف بدنه في إطار السير العام نحو الله عزَّ وجلَّ، ولا يلقيه في حقل الغرائز الذكورية.

إن الإسلام وانسجاماً مع مبدأ «قطع دابر الفساد»، حدد للمرأة إطاراً خاصاً في طريقة التعامل مع جسدها الأنثوي ومحاسنه، ستراً وكشفاً من خلال الآتي:

١ ـ أمام الأجنبي: حتّم الإسلام ستر الجسد بأكمله ما خلا الوجه والكفين.

٢ ـ أمام المحارم: حتّم ستر خصوص العورة، وأباح كشف باقي أجزاء البدن.

٣ ـ أمام الزوج: أباح كشف سائر البدن بما في ذلك العورة.

٤ ـ أمام النساء: حتّم ستر العورة وأباح كشف سائر البدن.

٥ ـ أمام الأطفال غير المميزين: أباح كشف سائر البدن، وفي مقابل المرأة حتّم الإسلام على الرجل ستر خصوص العورة على الجميع ما خلا الزوجة وغير المميزين من الأطفال. ولقد أوجب الإسلام الحجاب والستر على المرأة حيث قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[1].

فهنا أمر واضح من قبل الله عزَّ وجلَّ بالحجاب، حيث أمر الله عزَّ وجلَّ نبيه بقوله «قل» أن يأمر أزواه وبناته، ومن خلفهن أزواج المؤمنين وبناتهم بالحجاب، وقد ظهرت في الآية المتقدمة ثلاث نقاط:

الأولى: مخاطبة عموم النساء من خلال كل من:

أ ـ أزواج النبي ﷺ.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

ب ـ بنات النبي ﷺ.

ج ـ نساء المؤمنين.

الثانية: لزوم الحجاب ووجوبه من خلال قوله عزَّ وجلَّ «قل» و «يدنين».

الثالثة: تعليل ارتداء الحجاب بعدم الأذية، حيث قال تعالى: «فلا يؤذين».

وعليه فالحجاب هنا واجب لوضوح الأمر بالأمر، حيث أمر الله عزَّ وجلَّ نبيه ﷺ أن يأمر النساء بالحجاب.

ونظير الآية المتقدمة قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[(١)].

وبالحقيقة فإن هذه الآية أعطت المعنى الحقيقي للحجاب والستر ولم تقصرهما على المظهر الشكلي بل بيّنت كونهما منهجاً متكاملاً شكلاً ومضموناً.

وقد بينت الآية الأمور التالية:

١ ـ الأمر الإلهي الواضح متصدراً بقوله عزَّ وجلَّ و«قل»، والنداء موجّه إلى المعني بالتشريع أي محمد ﷺ.

٢ ـ غضّ البصر من قِبل النساء عن كل ما حرمه الله عزَّ وجلَّ عليهن.

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

٣ ـ حفظ الفروج ووقايتها من الحرام نظير الزنا والسحاق وما شاكل.

٤ ـ ستر كامل البدن ما خلا الوجه والكفين «إلا ما ظهر منها». ويُراد بكل من:

أ ـ الخمار: أي الغطاء واللباس. و «خمرهن» أي لباسهن.

ب ـ الجيب بقوله «جيوبهن» أي الصدر وصدورهن. وورد عن ابن عباس في تفسير وليضربن بخرمهن على جيوبهن تغطي ـ أي المرأة ـ شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها» وقيل أيضاً: أنهن أُمرن بذلك ليسترن شعورهن، وقرطهن، وأعناقهن»[1]. وعلى أي فإن هذا يعني ستر سائر البدن ما خلا الوجه والكفين.

٥ ـ جواز كشف ما عدا العورة بالمعنى الخاص، أمام المحارم وهم الأقارب بنسب أو سبب، ومن المحارم:

أ ـ الآباء والأجداد.

ب ـ الأبناء والأحفاد.

ج ـ آباء الأزواج.

د ـ أبناء الأزواج.

هـ ـ الأخوة وأبناء الأخوة وبنات الأخوة. وهذا التعداد في الآية المتقدمة.

٦ ـ جواز كشف البدن أمام الصغار غير المميزين.

وعلى أي فإن الأمر الإلهي بوجوب الحجاب واضح تمام الوضوح في

---

(١) مجمع البيان، مجلد ٧، ج١٨، ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

القرآن الكريم، وفي الأخبار والروايات وواضح تمام الوضوح من خلال سيرة المعصومين، وسيرة أهل البيت سيما سيدتنا فاطمة الزهراء، بل أن وضوح وجوب الحجاب ظهر جلياً من خلال سيرة المتدينات كما لا يخفى، حيث أن اللاحجاب كان مستغرباً في جو التدين.

ولقد ورد عن علي أنه قال: كنت قاعداً في البقيع مع رسول الله في يوم دجن ومطر، إذ مرّت امرأة على حمار فهوت يد الحمار في وهدة فسقطت المرأة فأعرض النبي بوجهه، قالوا: يا رسول الله إنها متسرولة، قال: اللهم اغفر للمتسرولات ـ ثلاثاً ـ يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم، وحصّنوا بها نسائكم إذا خرجن»[(١)].

وهذه الرواية نطقت عن ثلاث نقاط جديرة بالاهتمام والرعاية وهي:

١ ـ حرمة النظر إلى أجساد النساء.

٢ ـ وجوب الحجاب على المرأة.

٣ ـ اتخاذ الثوب الفضفاض من قبل النساء مبالغة في الستر والحجاب.

وفي ذلك كله حصانة لكل من الرجل والمرأة من الفساد وهذا ما عبّر عنه بقوله: «وحصنوا بها نسائكم إذا خرجن»[(٢)].

وكون الحجاب مما فيه خير للرجل والمرأة لا شك فيه، وقد أوصى أمير المؤمنين ولده الحسن المجتبى بقوله: «فإن شدة الحجاب خير لك ولهن»[(٣)].

ولو فرضنا عدم تأثير الحجاب البتة، فيكفي أنه وقاية للمرأة من حر

---

(١) ميزان الحكمة، مادة المرأة.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن، مادة حجاب.

النار الحريق حيث قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار. . . ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات. . لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد في مسيرة كذا وكذا»[1].

تأملي أيتها المرأة في هذا الخبر وقولي للمجتمع الذي يدعوك إلى اللا حجاب: إن جنة ربي أربح لي مما تدعونني إليه، وإن حريق ربي أولى بكم مني.

لا ريب بأن على المرأة التي لا بدّ لها أن تحرز بالدليل العقلي والوجداني، بأن الله عزَّ وجلَّ حكيم ويضع الأمور في مواضعها، أن تذعن لأمر الله عزَّ وجلَّ في مسألة الستر والحجاب، إذ أن المرأة بموضوع الستر والحجاب تقف أحد موقفين حصراً:

١ ـ تخالف إرادة الله عزَّ وجلَّ وتذعن لإرادتها، وهنا محذوران:

الأول: مخالفة حكمة الله عزَّ وجلَّ.

الثاني: مطابقة إرادتها المخالفة لإرادة الله عزَّ وجلَّ، لإرادة الشيطان لأن كل ما يخالف إرادة الله عزَّ وجلَّ هو مطابق لإرادة الشيطان بالضرورة.

٢ ـ تذعن لإرادة الله عزَّ وجلَّ وهذا مخالف لإرادة الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، وهذا هو المطلوب.

ولنا في هذا المجال سؤال وهو: لماذا أمر الله عزَّ وجلَّ المرأة بالحجاب؟؟ هل أمرها بذلك لكي يقيد حريتها؟؟

ونجيب عن السؤال الثاني بالآتي: إن الله عزَّ وجلَّ خلق المرأة حرة، ولو أرادها مقيدة الحرية وبالتالي غير حرة لما خلقها بالأصل أولاً، ولخلقها

(١) م.ن، مادة المرأة.

غير حرة بالأصل ثانية، كما أن الستر والحجاب أمر تشريعي يتسنى للإنسان مخالفته، ولو أراد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن لا تكون حرة لخلقها تكويناً محجبة من جهة، ولم يعطها القدرة على خلع الحجاب أو عدم ارتدائه من رأس على أقل تقدير من جهة أخرى، ولكننا على العكس من ذلك نجد المرأة قادرة على مخالفة تشريع الحجاب بلا أدنى مشكلة.

وللإجابة على السؤال الأول نقول:

إن الله عزَّ وجلَّ لما خلق الإنسان جعل الكون بأسره مسخراً له، وكل جارحة من جوارحه جعل بخدمتها مخلوقات كثيرة، فخلق للعين أزهى الألوان، وأبهى المناظر، وجعل للأذن موسيقى الطبيعة من حفيف الأشجار، إلى خرير المياه، إلى زقزقات الطيور، إلى تحرك موج البحر وغيرها. وهكذا. ولو أراد الله عزَّ وجلَّ هلكة الإنسان وعدم صالحه لخلق له شهوة الطعام مثلاً بلا خلق الطعام، ولخلق له القوة الغضبية بلا بدن يترجم غضبه، ولخلق له قوة نظر بلا اشراقة شمس وطلوع نهار، وبالجملة فإن الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان في الكون وجعل كل شيء في الكون لصالحه وهذا في عالم التكوين، وفي عالم التشريع نفس الشيء، فكما أن الله عزَّ وجلَّ خلق الغذاء للإنسان لأجل صالحه، أمره بالصلاة لأجل صالحه، وكما أن الله عزَّ وجلَّ خلق له الهواء والشمس لأجل صالحه، فكذلك حرّم عليه لحم الخنزير، وكما أن الله عزَّ وجلَّ جعل له أجفاناً تحمي عينيه، كذا أمره بحرمة شرب الخمر وقاية له ولأجل صالحه.

وهنا في مسألة الستر والحجاب للمرأة نفس الشيء حيث جعلهما الله عزَّ وجلَّ لصالح المرأة.

لذا أمر الله عزَّ وجلَّ المرأة بالحجاب حفاظاً على مصلحتها أولاً، وحفاظاً على مجتمعها ثانياً، وتحت شعاع هذه المصلحة المطلقة للمرأة

تتنامى مفاهيم العفة والحشمة، وعلو قيمة المرأة وسموها الإنساني، وتعاظم شأنها المعنوي وهذا كله من جهة، ومن جهة ثانية أمر الله عزَّ وجلَّ المرأة بالحجاب لأجل دفع المفسدة عنها، هذه المفسدة التي تتنامى تحت سواد ظلامها مفاهيم الابتذال، والخلاعة، والمجون، واسترخاص المرأة، وقصر وجودها على ذلك الجسد الذي سوف يهترئ.

إن المرأة وبلا أدنى ريب لها جسد باعث على الإثارة والاشتهاء، وكل امرأة تفتخر بذلك بل لا يمكنها تصور العكس، وهذا فخر كبير للمرأة ويعطيها ميزة حقيقية خلاقة، لكن هذه الميزة لا يمكن أن يفرط بها بشكل يجعلها بلا ميزة، وأنا زعيم بأن بعض النساء وبسبب إفراطهن في استخدام هذه الميزة بشكل مبتذل هن يعملن على استرخاص قيمة المرأة، فأنا أفهم بأن الخضار والفاكهة سلعة تسويقية، والذهب والفضة كذلك، لكن أن تصبح المرأة سلعة سوقية فهذا إهانة كبرى للمرأة والإنسان، ولهذا فإننا نجد أن شخصاً ما على سبيل المثال يمتلك سيارة جميلة جداً أو معرضاً للسيارات وراح وهكذا وبكل بساطة يبيع السيارات بسعر زهيد جداً، هنا هو عمل على استرخاص قيمة السيارات الأمر الذي يستدعي بلا شك ثورة باعة السيارات عليه، وهنا في المرأة ـ ونحن لا نقيس السيارة على المرأة والعياذ بالله ـ إذا قامت مجموعة من النساء بوهب أجسادهن بطريقة سوقية، ومبتذلة إلى الرجال فإن هذا الأمر الذي يؤدي إلى غضب النساء العاقلات المنصفات على هذه المجموعة الآثمة. وعلى هذا إذن فإن بعض النسوة يهددن قيمة المرأة بالسقوط بسبب ابتذالهن.

وأنا أزعم بأن النساء الساقطات هن يعن أنفسهن بأرخص الأثمان، بل حتى على الصعيد المادي هن لا يأخذن ما ينبغي، وعلى هذا فهن يسترخصن أنفسهن مادياً ومعنوياً.

أليس من المعيب أن يدفع أي رجل ثمناً بخساً لا يصل إلى حد ثمن سجائره لينال بالمقابل جسد امرأة!!!

أليس من المعيب للمرأة أن يأتي الرجل إلى أي ناد ليلي فتعرض عليه العشرات من النساء ليختار واحدة فقط!!!

إن الذين يطالبون بالمساواة بين الرجل والمرأة لا يقبلون بأن تعرض مائة امرأة على رجل واحد؟!! إن الذين يطالبون بالمساواة بين الرجل والمرأة لا يرضون بأن تكون المرأة مفردة من مفردات استمتاع الرجل؟!! إن الذين ينادون بالمساواة بين الرجل والمرأة لا يرضون بأن يرفض صاحب الشركة، أو الحانة، أو النادي الليلي نساءً غير فائقات الجمال؟!!

إن الذين ينادون بالمساواة بين الرجل والمرأة لا يرضون بأن تكون المرأة حاضرة في جميع أيام السنة من أجل تنفيس شهوة رجل واحد في يوم إجازة؟!! إن الذين ينادون بالمساواة بين الرجل والمرأة لا يرضون بأن يخرج الرجل من عند المرأة المبتذلة ليجلس مع عائلته وأسرته لتجلس هي مع رائحة الزنا والعار؟!!

وبالجملة وعوداً على بدء فإن الله عزَّ وجلَّ لما خلق المرأة بجسد مثير وهذا فخر وميزة لها، أراد سبحانه وتعالى لها الحجاب ليحجب الفساد عنها وعن المجتمع، وإلا لو كانت المرأة بجسد ليس له إثارة ولا يبعث على الاشتهاء الذكوري لما أمرها الله عزَّ وجلَّ بالحجاب؟!! فلو كانت المرأة قطعة حلوى مثلاً لما أمرها بالحجاب، ولو كانت المرأة بلا قيمة إنسانية وكانت جسداً محضاً لما أمرت بالحجاب، ولتمتع الناس بجسدها كيفما أرادوا؟!! إذ أنها لو كانت جسداً محضاً وبلا أي قيمة إنسانية تذكر لكان الاستمتاع بهذا الجسد تماماً كأي استمتاع بجسد آخر يعني كما أن الإنسان يستمتع بأكل جسد الضأن هو يستمتع بهذا الجسد الأنثوي.

بينما إذا كان الجسد الأنثوي مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بالمرأة الإنسان، وهو الذي يسبب امتهان المرأة وعلو شرفها فإن الله عزَّ وجلَّ أمر المرأة بالحجاب. نعم لأن للمرأة قيمة عظمى أمرها بالحجاب، وفي نفس الوقت لم يحرم الله عزَّ وجلَّ المرأة من الاستمتاع بهذا الجسد وقال لها: امنحيه لمن تريدين، ضعيه في تصرف من تحبين، أعطه لمن تعشقين، ولكن ليكن هذا المنح، والتصرف، والعطاء مشروعاً من جهة، ومسؤولاً من جهة أخرى، بل حتى لو كان منح هذا الجسد للزوج يسبب مذلة وتطييراً للمبادئ فهذا خطأ. إن المرأة إنسان كالرجل تتألف من روح وجسد، وعليها أن لا تستغرق في إبراز الجسد على حساب تخبئة الروح، وإذا كان الإسلام هو الآمر بستر البدن فإنه لا يأمر بحجب الروح وتغطيتها، بل على العكس من ذلك فإن الإسلام يريد من المرأة أن تهتم بالجسد والروح معاً، فتهتم بجسدها في الإطار الخاص المشروع فتتزيّن في منزلها، وتتهيء لزوجها، وتجلس أمام المرآة وتلبس ما تشاء، ولا تلبس أيضاً فهو شأنها، ولكن المرأة نفسها عندما تخرج من منزلها تطلق لروحها العنان وتستر بدنها في نفس التو والآن، وبناءً على هذا فإن اهتمام المرأة بجسدها إبرازاً وكشفاً وما شاكل يبقى في الإطار الخاص، أما اهتمام المرأة بروحها فهو الأهم والأبرز حيث تعمل على إبراز قيمتها الإنسانية، والتحرك ضمن الإطار العام لأجل الإنسان والإنسانية، وأي خلل في توزيع الأدوار بأن جعلت جسدها يحتل موقع نشاطها الإنساني، ودورها الحياتي فإن هذا سيخرب قيمتها، ويعطل دورها، وعندها لا مجال لهذه المرأة إلا أن تترك الساحة العامة للرجال والذكور لأنها في استغراقها الجسدي الأنثوي الإغرائي أسقطت دورها بمعية الرجل في صناعة الحياة، ولهذا فإن المرأة إذا أرادت أن تكون متوازية مع الرجل فعليها أن تحافظ على دورها في الحياة لا أن تعطله من

خلال تحولها إلى مفردة من مفردات راحة الرجل في أوقات إجازته.

إن قيمة المرأة تظهر من خلال صنع الحياة لا من خلال إيقاع الرجل في شباك غرامها، وإن قيمة المرأة الحقيقية تظهر من خلال إعجاب المجتمع الرجالي بإنجازاتها العملانية في عالم الإنسانية لا من خلال لفت انتباههم، وكسب إعجابهم بجسدها الخارق للجمال والإغراء!!! إن المرأة إذا تلهت بجمال جسدها وقدرته على الإغراء والإغواء، وافتتان الرجال والشبان، وأدّى تلهيها هذا إلى غفلتها عن قيمتها ودورها في الحياة، فإنها بلا شك سوف تخسر الكثير من مقدراتها، فالمرأة التي تصرف جُلّ وقتها في التسمر أمام المرآة على حساب وقتها التي ينبغي صرفه في تربية نفسها، وتربية الأجيال هي امرأة على منسوب عالٍ من السذاجة، وإن المرأة التي تصرف وقتها وتسرفه سفاهة في اهتمامات جسدية كتسريحة الشعر، أو مواكبة الموضة وما شاكل، على حساب تدمير موقعها في إدارة عجلة الحياة، هي امرأة تسقط دورها في الحياة وتتنحى عنه لصالح الرجل، ولتسمح لنا نساء هذا العصر اللواتي ينادين بحقوق المرأة، إذ أنهن يشاركن بتحطيم دور المرأة، وبتهشيم حقوقها، وبتقزيم مهماتها المنوطة بها، سواءً علمن بذلك أم لا، فهل تقبل المرأة المطالبة بإنصاف المرأة أن تكون وزيرة للإعلام أو الداخلية أو الثقافة ثم تصادق على أن تبيت النساء عاريات في بيوت البغاء ليأتي الرجل ويضاجع إحداهن لقاء حفنة من المال؟!!

هل تقبل بأن تُباع النساء في سوق الدعارة والبغاء ولكن بطريقة غير مباشرة أو حتى مباشرة؟!!

اللهم إلا إذا كان المُراد بحقوق المرأة هو أن يجهز الأب سريراً خاصاً لعشيق ابنته لتمارس البغاء وإياه بلا رادع؟!!

اللهم إلا إذا كان المُراد بحقوق المرأة أن يقبل الزوج ويرضى بأن تنام زوجته مع آخر؟!! وإذا كانت المرأة القروية في خدمة زوجها أو أبيها ـ ونحن نتحفّظ ونعترض على هذه النظرة ـ فإنها في خدمة الزوج أو الأب في جميع قضاياه ولكنها تبقى في دائرة العفة مع أنها تلقى الاضطهاد، أما المرأة التي يطالبون بحقوقها فهي ليست في خدمة زوجها ولا أبيها بل هي في خدمة رجل لا تعرفه ولا يعرفها، وهي في خدمته بماذا؟؟ بالطبع ليس في جميع قضاياه بل فقط وفقط في خدمة شهوته اللا مشروعة.

للأسف إن المرأة المطالبة بحقوق المرأة هي لا تطالب إلا بمطلب واحد وهو إحكام سيطرة الرجل على المرأة.

يقولون للمرأة بأسلوب مزيف عليك أن تتحرري من التقاليد، لماذا؟؟ ليجعلوها قلادة لا يتقلدها الرجل إلا حين انبعاث شهوته، وتحرك غريزته.

وليُعلم بأن تجار تحويل المرأة الإنسان إلى المرأة الخادمة لشهوات الرجال، يعملون على إيصال امرأة ما إلى سدة حكم في دولة ما، ولكنهم ومن خلف هذا العمل يرمون مئات الآلوف من النساء في القذارة حيث الجنس الأعمى، وأمراض السيدا والإيدز، ومظان البغاء، وتجارة الأجساد.

والسؤال: هل المطلوب فقط إنصاف امرأة واحدة من بين ملايين النساء؟؟ أم أن النساء القلة المتقلدات لمناصب مختلفة هن النساء فقط، والكثيرات هن لسن نساء بل مجرد أجساد؟؟!!

لا ريب بأن المرأة مخيرة بين الحجاب وعدمه، بين أن تصطف إلى جانب الخمر، والقمار، والسينما، والتلفاز، وصخب الرجال، والغناء، والرقص، والعابثين بالقيم، والمخدرات وغيرها، وبين أن تصطف إلى

جانب الإنسانية، والحياء، والعفة، والأنوثة، والشرف، والقيم، والعمل الصالح.

وفي هذه العجالة لا بدّ من الإشارة إلى مفارقة مهمة وهي:

إن الرجل مأمور كما المرأة بالحجاب، فالمرأة مأمورة بستر العورة وكذا الرجل، ولكن وبما أن جسد المرأة كله عورة فيجب ستره، وبما أن بعض جسد الرجل عورة فيجب ستره.

وبما أن جسد المرأة كله يثير الشهوة فيجب ستره، وبما أن بعض أعضاء الرجل تثير الشهوة فيجب سترها.

وإنما أمر الله عزَّ وجلَّ المرأة ستر جسدها لأنه إذا كشف يسبب الفساد والإفساد، وأيضاً إنما أمر الرجل بستر عورته لأن كشفها يسبب الفساد والإفساد.

وعليه: فإن حكمة الأمر بوجوب الحجاب والستر لدى المرأة تقع في نفس المدار الذي من خلاله أمر الله عزَّ وجلَّ الرجل بستر عورته. ولهذا لو أن للمرأة عضواً خاصاً يثير الشهوة وباقي الأعضاء لا تثير الشهوة لأمر الله عزَّ وجلَّ المرأة بستر هذا العضو دون غيره، ولو أن جسد الرجل كله يثير الشهوة لأمره الله عزَّ وجلَّ بحجب جسده كله، بل لو كانت الشجرة تثير الشهوة كما جسد المرأة لأمر الله عزَّ وجلَّ بضرورة إلباسها الحجاب؟؟ فالمدار إذن على عدم الفساد والإفساد.

نصوص في الحجاب والستر

نعمد ها هنا إلى ذكر نصوص مختلفة في لزوم ووجوب الحجاب، ولكن مقصودنا بالحجاب ما هو أعم من مجرد ارتداء الثوب، أي الحجاب الشكلي والمضموني الذي يشمل طريقة المشي، والكلام، والتحرك العام، والعمل بمقتضيات الحجاب وهو ما نسميه بالمنهج المتكامل للحجاب كما سنرى قريباً:

١ ـ عن علي ﷺ: كنت قاعداً في البقيع مع رسول الله ﷺ في يوم دجن ومطر، إذ مرّت امرأة على حمار فهوت يد الحمار في وهدة فسقطت المرأة، فأعرض النبي ﷺ بوجهه، قالوا: يا رسول الله: إنها متسرولة، قال: اللهم اغفر للمتسرولات ـ ثلاثاً ـ يا أيها الناس اتخذوا السراويلات فإنها من أستر ثيابكم، وحصنوا بها نسائكم إذا خرجن»[(١)].

٢ ـ قال ﷺ: ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات... لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[(٢)].

٣ ـ عن علي ﷺ: «يظهر في آخر الزمان واقتراب القيامة، وهو شر الأزمنة، نسوة متبرجات، كاشفات، عاريات من الدين، داخلات في الفتن، مائلات إلى الشهوات، مسرعات إلى اللذات، مستحلات للمحرمات، في جهنم خالدات»[(٣)].

---

(١) م.ن، مادة الحجاب.

(٢) م.ن، مادة المرأة.

(٣) م.ن.

٤ ـ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «لا يصلح للمرأة المسلمة أن تلبس من الخُمر والدروع التي لا تواري شيئاً»[(١)]. والمراد بالخُمر والدروع التي لا تواري شيئاً: الثوب الشفاف الذي يُرى الجسد من تحته.

٥ ـ سُئل الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن المرأة وعما تُظهر من زينتها، فقال: «الوجه والكفين»[(٢)] يعني يجب عليها ستر كل جسدها ما خلا الوجه والكفين.

٦ ـ عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حينما سُئل عن الرجل يحل له أن ينظر إلى شعر أخت امرأته، فقال عليه السلام: لا[(٣)]. وهذا واضح في عدم جواز كشف المرأة لشعرها أمام صهرها. علماً بأن السائل أعقب السؤال الأول بسؤال استهجاني آخر حينما قال: قلت له: أخت امرأته والغريبة سواء؟ قال عليه السلام: نعم[(٤)].

٧ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النساء عي وعورة، فاستروا عيهن بالسكوت واستروا عوراتهن بالبيوت»[(٥)].

٨ ـ ورد أن امرأة سألت الإمام جعفر الصادق عليه السلام مكاتبة عن حرمة كشف الرأس أمام الخادم أم لا، فقالت: إن شيعتك اختلفوا علي فقال بعضهم: لا بأس، وقال بعضهم: لا يحل، فكتب عليه السلام: سألت عن كشف الرأس بين يدي الخادم، لا تكشفي رأسك بين يديه، فإن ذلك مكروه»[(٦)].

---

(١) وسائل الشيعة، ج٤، ص ٣٨٨.
(٢) م.ن، ج٢٠، ص ٢٠٢.
(٣) م.ن، ١٩٩.
(٤) م.ن.
(٥) مكارم الأخلاق.
(٦) م.ن، ج٢٠، ص ٢٢٥.

سيرة الناس في الحجاب

إننا إذا ما تفحصنا في سيرة الناس وكيفية تعاملهم مع الحجاب، نجد أن ثقافة الحجاب موجودة لدى الناس حتى عند غير أهل الإيمان، وبمعنى آخر فإن الحجاب يعد أمراً متعارفاً عند الناس سيما في بلاد الشرق، بل إن هذا الأمر نجده ماثلاً في بلاد الغرب قبل الثورة الصناعية الكبرى. وعلى أي فلا يستطيع أي أحد إنكار وجود ثقافة الحجاب بين الناس، والناس في العالم الإسلامي على قسمين:

١ ـ قسم متدين وملتزم بأحكام الإسلام، وهو ملتزم بالستر والحجاب، بل إن عدم الستر والحجاب من الأمور المستهجنة والمستقبحة عند هؤلاء، وممارسة الستر والحجاب عند هذا القسم منذ التاريخ الماضي وإلى الآن يدل على أن ارتداء الحجاب كان سلوكاً متصلاً بسلوك نساء النبي ﷺ، ونساء أهل البيت عليهم السلام، والأئمة المعصومين عليهم السلام، ونساء الصحابة الأخيار، ونساء التابعين، ونساء العلماء الأعلام رضي الله عنهم.

٢ ـ قسم غير متدين وملتزم بأحكام الإسلام، وهو أيضاً ملتزم بالحجاب، وهذا القسم إنما هو ملتزم بالحجاب لا لأجل المستند الديني بل لأجل العادة والعُرف، وهذا يكشف عن وجود جو عام للحجاب انتقل من الماضي إلى الحاضر، وما تخلي بعض أو معظم هذا القسم عن الحجاب في هذا العصر إلا دليل واضح على أن ثقافة الحجاب، وأجواء الستر انتقلت إليه من خلال التأثير العام، ولهذا فإن هذا القسم حينما إنفلت من هذا التأثير تخلى عن الحجاب ببساطة.

في المسيحية دلالات على الستر والحجاب

في الإنجيل دلالة واضحة على لزوم الستر والحجاب ففي إنجيل متى قال المسيح: «أما أنا فأقول لكم من نظر إلى امرأة فاشتهاها زنى بها في قلبه، فإذا جعلتك عينك اليمنى تخطأ فاقتلعها وألقها عنك، لأنه خير لك أن تفقد عضواً من أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم»[1].

فهنا بيّن السيد المسيح أن مجرد النظر حرام وموجب لقلع العين، ودخول جهنم، وإذا كان النظر حرام فمن الحري أن يكون كشف الجسد حراماً وبالتالي فلا بدّ من الستر والحجاب، وإلا فكيف يأمر المسيح عليه السلام أتباعه بعدم النظر إلى المرأة بشهوة ويسمح في نفس الوقت للنساء أن تتعرى؟!!

فهذا ضرب من إرهاق الناس وتحميلهم ما لا يطاق.

ويؤيد ضرورة الستر في المسيحية ما ورد في رسالة بولس إلى أهل كورنتوس حيث قال: «كل امرأة تصلي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه»[2].

---

(١) عبارة مشهورة في الإنجيل.

(٢) المعارج، عدد ٤٠، ص ٧٨.

وأردف قائلاً: «إن كانت لا تتغطى فليقص شعرها، وإن كان قبيحاً بالمرأة أن تقص أو تحلق، فلتتغط»[1].

ولا أعتقد أن المسيحية ورجال الدين المسيحيين يرجحون الابتذال على العفة فيما لو دار الأمر بينهما على سبيل الإنحصار.

(1) م.ن، ٧٩.

كلام في غير محله

قال البطريرك هزيم: «المسيحية ليست ضد تجمل المرأة وتزينها، والإنسان بشكل عام لا يتجمل فقط لنفسه، وإنما لغيره، لكي يبدو مقبولاً في نظر الآخرين، وهنا يتحول التقدير إلى قيمة ثانية، ليس قيمة الشهوة، وإنما قيمة الجمال. . . فمن لا يعتني بمظهره، يبدو وكأنه يستهتر بالذين حوله»[1].

ومن العجيب كلامه هذا الذي يدل على أن المرأة لا بد لها من إظهار نفسها بطريقة جميلة بين الناس، ونحن لا نتعجب لبروز المرأة بشكل لائق وبمظهر جميل بين الناس، ولكننا نتعجب لكلامه الذي يوحي بأن المرأة المحجبة والمتسترة ليس لها قيمة من جهة، وهي تسبب الإهانة للآخرين، نعم هذا من العجب العجاب إذ أنه يريد من المرأة أن تتعرى لكي يكون لها قيمة، ويريد منها أن تظهر جميع مفاتنها للناس حتى لا تهينهم، بل إنه يقرر بأن المرأة إذا تعرت أو شابهت العاريات فإن ما تفعله هو لإبراز الجمال فقط لا لبعث الناس على الشهوة.

والسؤال الذي يتوجه إليه هنا هو: هل أن المرأة إذا تعففت وتسترت، وارتدت الحجاب هي لا تظهر للناس بمظهر لائق، وهي تستهتر بكل من حولها؟؟!!

---

(١) م.ن، ٨٠.

هل على المرأة أن تتعرى كلياً أو جزئياً لتكتسب قيمة، ولتكون غير مستهترة بالناس؟!!!

وبناءً على هذا فإن مريم عليها السلام لم تكن لها أية قيمة، وكانت مستهترة بما حولها، اللهم إلا إذا قال البطريرك هزيم قولة جريئة مفادها: أن مريم العذراء كانت تتعرى أو تشبه العاريات؟!!! حاشاها وحاشا ساحتها العفيفة من ذلك!!

بين تمامية الحجاب ونسبيته

بعضهم لديه رؤية مختلفة عن الشريعة حول الحجاب حيث يدعي أن الحجاب يتغير بتقادم الزمن وبثقافته، فليس من المطلوب أن تستر المرأة كل بدنها ما خلا الوجه والكفين، بل المطلوب من المرأة أن تكون محجبة في هذا الزمن بحجاب يتلاءم مع روح العصر الحديث، وبناءً على هذا فالحجاب المقصود يتحقق بستر نسبة معينة من البدن لا كل البدن، فلا ضير من كشف الشعر، والذراعين، والأرجل.

وهذا الكلام بالحقيقة فيه إساءة للحجاب لأن الزمن لا يغير في هذه القضية شيئاً، وذلك لأن فلسفة الحجاب قائمة على عدم التفريق في الأزمنة والأمكنة، بل على العكس من ذلك كله، فإننا نجد أن العصر القديم لم يكن يشكل خطورة فيما لو أن النساء لم يسترن أبدانهن بقدر ما يشكل عدم ستر البدن الأنثوي هذه الخطورة في العصر الحديث.

وبناءً على هذا فإن الحجاب لا بدّ أن يكون تاماً وغير نسبي واستنسابي البتة.

ومن هنا ندرك خطأ الفعل الذي تمارسه بعض النساء المسلمات، واللواتي يكشفن شيئاً من شعر الرأس ويدعين بأن هذا مما لا تأثير له في عدم تمامية الحجاب.

والصحيح أن هذا الفعل يخرق قاعدة الحجاب، ويخرب عملية الستر، ويبعث المرأة على التحلل شيئاً فشيئاً من الحجاب الأمر الذي يؤدي إلى حد تصبح فيه هذه المرأة صنو المرأة غير المحجبة.

الحجاب ليس انغلاقاً

الحجاب ليس حجباً للمرأة عن الحياة، وليس إسدالاً لستارة وجودها ودورها عن مسرح الوجود، وليس إغلاقاً وإقفالاً لأبواب إبداعها وحيويتها وطاقتها، وليس كسراً لمعول حراثتها، وحرقاً لحصادها، وتهشيماً لزرعها، ولا تقزيماً لعملقتها، كما أن الحجاب ليس تطويقاً لجمال المرأة بل هو حافظ أمين للجمال الأنثوي الخلاّب.

إن الحجاب حجبٌ للمرأة عن الأذية، ومنقذها من الهلاك، فهو يُبعد عنها نتانة الفساد، وعفونة الأوغاد، وهو يدفعها لارتياد معالم الصلاح، وسكن دور الفضيلة.

والحجاب يُلصق المرأة بمنبت الخير، ويزرعها في حقل الخير والفضيلة.

لا يُستراب البتة بأن من البشر من يغلق باباً ليفتح أبواباً عديدة، ومنهم من يحجب أفراداً قلة ليستقبل الكثير الكثير من الناس، ومنهم من يزيل النفايات لتخيم في مكانها رائحة المسك والعنبر، ومنهم من يقلع شوكاً ليزرع ورداً، ومنهم من يقتلع ألماً ليعيش عافية، ومنهم من يتحصن لئلا يغدر به عدو أو يغتاله، ومنهم من يسد نافذة ليفتح باباً.

وكذا في الحجاب فإن المرأة تحجب جسدها عن الأذية عن نفسها

والناس لتعيش ويعيش الناس في أمان، وهي تحجب جسدها عن الفساد لتفتح لنفسها كل أبواب الصلاح، وهي تحجب جسدها عن أعين الناس لتفتح للناس عيون بصيرتهم، ولتتعمق بالنظر الصحيح والمجرد أبصارهم، وهي تحجب جسدها عن الشر لتسقط في أحضان الخير، وهي تحجب جسدها عن المادة لتجول بحرية في عوالم المعنى، وهي تحجب جسدها عن السقوط في الانتهازية لترتفع في قمم الإيثار، وهي تحجب جسدها عن النظرات العابرة لتستقر في عقول وقلوب الناس باحترام بالغ، وهي تحجب جسدها عن المرض لتكون خلية نحلة مشروعة مع الأصحاء، وهي تحجب جسدها عن الأعين الضيّقة لتسافر في رحاب القلوب الواسعة، وهي تحجب جسدها عن الإعجاب الزائف لتنال الإعجاب الحقيقي.

هي تحجب جسدها عن الخطأ لتعيش في الصواب، وهي تحجب جسدها عن الإغواء ليطير عطر معناها في كل الأجواء، وهي تحجب جسدها عن عالم السلعة لتربح تجارة معنوية لا تبور، وهي تحجب جسدها عن شهوة بهيمة بصورة رجل لتسعد بأنس رجل هو إنسان حقيقي عبر الارتباط المقدس.

وعلى هذا فالحجاب ليس انغلاقاً بل هو انفتاح ما أعظمه، وهو حرية ما أوسعها، وهو شرف ما أحوجه.

ولا ريب بأن ما يريدونه للمرأة من كشف للجسد، وخلع للحجاب، وتبرج وتزين تستطيع أن تقوم به المرأة في منزلها الذي هو دنياها الصغيرة، ومع زوجها الذي هو مركز اطمئنانها وسكونها.

ليس الحجاب مجرد ثوب

قد تقدم الفتاة أو المرأة على ارتداء الحجاب ـ الثوب الساتر للبدن والرأس ـ وهي تظن أن ثوب الحجاب هذا هو الإيمان بعينه، فطالما أنها ارتدت ثوباً حاجباً للبدن والرأس فهي قد حققت الإيمان، وبعد ذلك فهي ليست ملزمة بشيء آخر البتة.

وعلى هذا فمدار الإيمان وعدمه عندها هو في «الثوب فقط»، وعند ارتداء هذا الثوب تكون قد وفّت للحجاب قسطه العادل، وبعد ذلك لا مشكلة من السلوك المنحرف، ولا غضاضة من الإغواء المحرم، والكلام غير اللائق بالعفة وغير ذلك وكأن الله عزَّ وجلَّ لا يريد منها إلا أن تضع على جسدها هذا الثوب، أما الحياء والحشمة، والتصرفات اللائقة، والكلمات الصائبة وغيرها فليست مطلوبة ولا مرغوبة عند الله عزَّ وجلَّ!!!

وهذا كله من ناحية، ومن ناحية أخرى فقد تقدم امرأة أخرى في المقابل على ممارسة أفعال إيجابية متضمنة للحياء والحشمة، والسلوك الأنثوي الحسن، والعفة الصحيحة، ولكنها مع هذا هي ليست مرتدية للثوب الحاجب للرأس فقط، أو لجزء يسير من البدن، وهذه المرأة تظن أنها ومع عدم لبسها للثوب الحاجب لا تحقق شيئاً من الإيمان، وبالتالي فإنها طالما أنها غير مرتدية للثوب الحاجب فهي ليست مؤمنة، لأن الإيمان بحسب السائد ليس يتحقق إلا بلبس هذا الثوب.

وبالحق فإن نظرة المرأة الأولى غير صائبة، وكذلك نظرة المرأة الثانية أيضاً.

والنظرة الصحيحة هي أن الحجاب هو منهج كلي متكامل وغير جزئي ويتجزئ، وهذا المنهج له أسسه وقواعده وآثاره ولوازمه ومضاعفاته والحجاب على هذا ليس مجرد ثوب فالحجاب يتقسم إلى قسمين:

الأول: حجاب ظاهري: وهو حجاب يخص البدن، وهو عبارة عن ستر البدن الأنثوي بأكمله ما خلا الوجه والكفين أمام الناظر الأجنبي، وهذا الحجاب يحقق جزءاً مهماً وأساسياً من الإيمان، ومنهج الحجاب الكلي، ولا يحقق بالضرورة كل منهج الحجاب.

الثاني: الحجاب المضموني: وهو حجاب سلوكي عملاني، معنوي، وهو عبارة عن الإقلاع عن السلوك الخاطئ والتصرفات الأنثوية الإغرائية البعيدة عن الحجاب المطلوب، والمخالفة لمقتضيات المنهج المتكامل للحجاب.

وبعد تبيان هذا التقسيم يتضح لنا أن المنهج المتكامل للحجاب يتحقق بمراعاة كلا القسمين الظاهري والمضموني السلوكي. ويكون تحقيق المنهج المتكامل للحجاب بكلا قسميه مستنداً إلى خلفية ثابتة وأساسية هي طاعة الله عزَّ وجلَّ.

لا ريب بأن الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان من روح وجسد، واهتم بجسده وروحه معاً، فلم يخلقه عزَّ وجلَّ روحاً فقط ليقال بأنه ليس من المهم الظاهر بل المهم الباطن أي الروح والقلب فقط؟!! إذ لو صح ذلك لخلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان روحاً فقط !!!

وكذلك لم يخلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان جسداً فقط ليهتم الناس بمظاهرهم الظاهرية دون باطنهم، إذ لو كان هذا صحيحاً لخلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان جسداً فقط.

إن الإنسان مخلوق من جسد وروح، والله عزَّ وجلَّ شرّع للإنسان ما يصلح جسده وروحه معاً، فالله عزَّ وجلَّ يريد لهذا الجسد أن لا يفسد من جهة، وأن لا يُفسد من جهة أخرى، ولهذا فكما أوجب الله عزَّ وجلَّ على الإنسان الاهتمام بالبدن من حيث الطعام، والشراب، والتطبب، والتزين، والنظافة، وحرّم عليه إهلاك بدنه وإضراره، كذلك أوجب عليه حفظ البدن من الإغواء والفساد والإفساد.

وهذا ينطبق كامل الانطباق على المرأة حيث اهتم الله عزَّ وجلَّ بجسدها ليكون:

١ ـ أداة للخير من خلال الزواج، والإنجاب، والإرضاع، والعمل الصالح وما شاكل.

٢ ـ غير معد كأداة للفساد والإغواء وغير ذلك من خلال اتباع منهج الحجاب.

وهذا الأمر أيضاً ينطبق على الرجل من خلال حجب ما من شأنه أن يكون آلة للفساد والإفساد.

لا ريب بأن للمرأة الحق كل الحق أن تظهر مفاتنها، وتكشف عن معالم أنوثتها، وتفصح عن مكامن الإثارة فيها، وتسفر عن مفاجآت الإغواء لديها، وتعلن عن خفايا وخبايا إبداعاتها الخارقة لجدار الحياء، وتخترق كل المحظورات الجسدية، ولها أن تفعل ما تفعل، وتصنع ما تصنع، ولكن فقط وفقط في إطار المؤسسة الزوجية. وهذا كله من ناحية الجسد، أما من ناحية الروح فقد شرّع الله عزَّ وجلَّ للمرأة ما يصلح شأنها الروحي، وأمر أن تتزين بالفضائل، وأن تتخلى عن الرذائل.

وبما أن الروح هي التي تقود البدن فإن الاهتمام بها لا بدّ وأن يكون أعظم من الجسد لأن صلاحها صلاحه وفسادها فساده.

ومما تقدم نعلم بأن المرأة المرتدية لثوب الحجاب لا تكون محجبة إلا مع ضم السلوك الحسن، والمرأة التي لا ترتدي ثوب الحجاب وإن استطاعت أن تقطع شوطاً كبيراً في تطبيق منهج الحجاب لسلوكها الحسن إلا أن حجابها ليس كاملاً وغير صحيح ما لم ترتدِ ثوب الحجاب الظاهري، وعلى هذا فليس الحجاب مجرد ثوب يُلقى على البدن وتنتهي المسألة، وليس الحجاب مجرد تطبيق لسلوكه من دون ارتداء ثوب الحجاب أيضاً، ولكن الحجاب كما ذكرنا هو منهج متكامل قوامه:

١ ـ الشكل: ويتحقق بستر سائر البدن أمام الناظر الأجنبي ما خلا الوجه والكفين.

٢ ـ المضمون: ويتحقق بالسلوك الحسن والقويم وإذا كان الشكل مهماً فالمضمون أهم، ولكن المرأة التي ترتدي الحجاب الشكلي تكون قد حققت عنوان الحجاب، بينما تلك لم تحقق العنوان ولو بالظاهر وذلك لأن المرأة المرتدية للحجاب الشكلي يمكن أن يناقش الإنسان في أنها تسلك سلوك الحجاب بالمعنى المنهجي، بينما تلك التي لا ترتدي الحجاب فإن إمكانية النقاش ليست متيسرة لأن العنوان غير موجود. وهذه الإيجابية للحجاب الشكلي، تلازمها سلبية قوامها أن المرأة المحجبة بالشكل والمنحرفة في المضمون هي لا تمانع من خلع الحجاب بكل بساطة إذا استدعى انحرافها المضموني منها ذلك، كما أن المرأة المحجبة بالمضمون دون الشكل عندها إيجابية تلازم السلبية التي أشرنا إليها أعلاه وقوام هذه الإيجابية: أنها لا تمانع من ارتداء الحجاب الشكلي فيما لو استدعى حجابها المضموني منها ذلك.

وفي اعتقادي فإن المرأة المحجبة بالمضمون وغير المحجبة بالشكل هي تسيء إلى كل من:

أ ـ المحجبات بالشكل والمضمون: لأنها تقول لهن بأن حجابكن الشكلي غير لازم وليس فيه أي جدوى، طالما أن حجابكن بالمضمون متوفر. وهذا كما ترى هو خرق لمنهج الحجاب المتكامل.

ب ـ المحجبات بالشكل فقط: لأنها تقول لهن بأن حجابكن كالعدم.

ج ـ المحجبات بالمضمون دون الشكل: لأنها تقول لهن بأنكن لا تحتجن إلى الحجاب الشكلي، وأنا أشجع فيكن عدم ارتداء الحجاب الشكلي، وهذا من شأنه تخريب منهج الحجاب، وعدم بعث النساء على اتباع المنهج المتكامل للحجاب.

د ـ غير المحجبات شكلاً ومضموناً: لأنها تطلب منهن الاقتصار على الحجاب المضموني دون الشكلي، وهذه دعوة ناقصة غير كاملة.

وفي اعتقادي أيضاً أن المرأة المحجبة بالشكل دون المضمون تسيء إلى كل من:

أ ـ المحجبات بالمضمون دون الشكل: إذ كأنها تقول لهن بأن الحجاب الشكلي سيء نظراً لممارساتي السيئة فلا تقربوه.

ب ـ المحجبات شكلاً ومضموناً: حيث كأنها تقول لهن: ليكن الاقتصار على الحجاب الشكلي، وعليكنَّ التحرر من قيود الحجاب المضموني.

ج ـ المحجبات بالمضمون: إذ أنها تقول لهن: إن حجابكن المضموني كالعدم ما لم ترتدين الحجاب الشكلي، إذ أن المدار على الحجاب الشكلي لا المضموني.

د ـ غير المحجبات شكلاً ومضموناً: إذ أنها تدعوهن إلى الاقتصار على الحجاب الشكلي دون المضموني.

والإنصاف بأن المرأة المحجبة شكلاً ومضموناً، والمتبعة لمنهج الحجاب المتكامل هي مرآة حقيقية شديدة الصفاء تكتشف من خلالها أخطاء كل من:

١ ـ المرأة المحجبة مضموناً وشكلاً: لأنها تقول لها: إن حجابك لن يكون كاملاً إلا بارتداء الحجاب الشكلي، وإلا لكنت روحاً فقط ودون جسد.

٢ ـ المرأة المحجبة شكلاً لا مضموناً: لأنها تقول لها: إن حجابك الشكلي ليس كاملاً طالما أنك لا تلتزمين بالحجاب المضموني، لأن فلسفة الحجاب الشكلي هو الحجاب المضموني السلوكي.

٣ ـ المرأة غير المحجبة شكلاً ومضموناً: لأنها تقول لها: إن النقص يعتريك من الجهتين أي الشكل والمضمون، فعليك بكليهما معاً.

لا شك بأن المرأة العارفة بمكامن الخطأ سوف تنتفض لتصحيح الخطأ، فإن لم تنتفض لتصحيح الخطأ فستكون مذعنة للخطأ وبالتالي فهي عاجزة، مع أن الله عزَّ وجلَّ خلقها قادرة!!!

وعلى فرض كونها غير عاجزة فإنها وبلا شك مقتنعة بالخطأ لا مستنكرة له، وإلا فلماذا تبقى على الخطأ؟!!

أما المرأة الجاهلة بمكامن الخطأ فعلى من بحذائها تعليمها وإرشادها، وهذا بطبيعة الحال يحتاج إلى ثقافة عامة قوامها التقوى وخلاصة الكلام فميا تقدم:

إن الحجاب هو منهج متكامل لا يتجزئ، ولا يدعو إلى الاستنساب.

لماذا يريد الإسلام للمرأة أن تكون محجبة؟؟

بعد الإتفاق على أن الحجاب منهج متكامل قائم بنفسه، وقوامه الشكل والمضمون، نطرح السؤال التالي:

لماذا يريد الإسلام من المرأة أن تكون محجبة؟؟ وبتعبير آخر للمرأة أن تسأل لماذا يريدني الله عزَّ وجلَّ أن أكمون محجبة؟؟

والجواب يتوضح بالآتي:

١ ـ إن الله عزّ وجلّ حكيم، وبمقتضى حكمته عزَّ وجلَّ فإنه يضع الأمور في مواضعها، وبما أن الله عزَّ وجلَّ حكيم ومحيط بكليات الأمور وجزئياتها فإنه عزَّ وجلَّ يعلم بما يؤدي إلى فسادنا وصلاحنا.

وهنا في مسألة الحجاب فإن الله عزَّ وجلَّ الحكيم والمحيط لما علم ـ وهو العالم دوماً وسرمداً ـ بأن الحجاب لصالح المرأة والمجتمع أمر به، ولما علم بأن عدم الحجاب يسبب الفساد للمرأة والمجتمع نهى عنه.

وعلى هذا فإذا أذعنت المرأة لحكمة الله عزَّ وجلَّ فإنها ترتدي الحجاب وتعمل بمنهجه وإلا فلا.

وبناءً على ما تقدم فإن الله عزَّ وجلَّ أراد للمرأة أن تكون محجبة وعاملة بمنهج الحجاب:

أ ـ لتكون داخلة في إطار الصلاح.

ب ـ خارجة عن إطار الفساد.

وقد تعلم المرأة المصلحة من وراء ذلك وقد لا تعلم، والمهم أن تؤمن بأن الله عزَّ وجلَّ حكيم.

٢ ـ المرأة عموماً إما داخلة في إطار العبودية لله عزَّ وجلَّ، وإما خارجة عن إطار العبودية لله عزَّ وجلَّ وهي أمام خيارين لا ثالث لهما في حال كانت في إطار العبودية لله عزَّ وجلَّ وهما:

أ ـ إما أن تتمرد على أوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه.

ب ـ وإما أن تذعن لأوامر الله عزَّ وجلَّ ونواهيه وإذا ما اختارت التمرد على أوامر الله عزَّ وجلَّ في مسألة الحجاب فلا تكون محجبة، وإذا ما اختارت الإذعان لله عزَّ وجلَّ تكون محجبة.

ومن اللطيف أن الله عزَّ وجلَّ أقدر المرأة تكويناً ـ لا تشريعاً ـ على خرق نواميسه وقوانينه الشرعية وفي عدم خرقها. وهذا كله إذا كانت المرأة داخلة في إطار العبودية لله عزَّ وجلَّ، أما إذا كانت خارجة عن إطارها فعليها أن تثبت أن الله عزَّ وجلَّ غير خالق لها، أما إذا أقرّت بأن الله عزَّ وجلَّ هو الذي خلقها فلا يتسنى لها الخروج عن إطار العبودية، وبهذا تكون المرأة في مسألة الحجاب إما مذعنة لله عزَّ وجلَّ فتكون محجبة، وإما متمردة على أوامره عزَّ وجلَّ فلا تكون محجبة.

وعلى هذا فقد أراد الله عزَّ وجلَّ من المرأة أن تكون ملتزمة بمنهج الحجاب لأنها من عباده الممتثلين لأمره.

٣ ـ إن المرأة حينما اختارت الإسلام ديناً عن قناعة تامة، ومن خلال

عقيدة راسخة ووصلت إليها من خلال فكرها النير، وفطرتها السليمة، فإنها لا بدّ لها من أن تلتزم بجميع أحكام الإسلام الكلية والتفصيلية، وإذا ما أخلت بالحجاب بأن لم تلتزم به فإنها بهذا لا تكون ملتزمة بجميع مقتضيات الإسلام وأحكامه وهذا خلاف اختيارها للإسلام كدين باختيارها. فالالتزام ببعض أحكام الإسلام دون بعض لأن بعضها يتوافق مع هوى الإنسان وبعضها لا يتوافق هو من القبائح المنفرة.

وعلى هذا فالمرأة التي ترضى بأحكام الإسلام المرتبطة بحقوقها المستحقة، ولا ترضى بالحجاب بأي دعوى من الدعاوي، هي امرأة لا تلتزم بكل أحكام الإسلام، وبما أن أحكام الاسلام لا تتجزئ فعلى المرأة أن تكون محجبة تبعاً لعدم تبعيض أحكام الإسلام، وبما أن الإسلام يتكفل بسعادة البشرية، فإن الالتزام ببعض أحكام الإسلام دون بعض لا يكفل سعادة كاملة بخلاف ما إذا ما تمّ الالتزام بكامل أحكام الإسلام ففي ذلك سعادة كاملة ولهذا فإن الله عزَّ وجلَّ يريد للمرأة أن تلتزم بالحجاب لأن في هذا عمل بكامل أحكام الإسلام الذي يضمن كامل السعادة كما لا يخفى.

٤ ـ إن المرأة حينما تلتزم بالحجاب فإن كثيراً من أبواب الفساد والفلتان، والمهن المشينة، والأشغال المهينة سوف تنغلق تلقائياً، لأن نفس التزام المرأة بالحجاب يوجب انغلاق كل هذه الأبواب، فلا تعمل بالرقص، ولا تمتهن التمثيل الهابط والخليع، ولا تشتغل نادلة في المقاهي الليلية بشكل مثير، ولا تشارك في حفلات الغناء والرقص، ومجالات المجون والخلاعة وما شاكل.

وهذا كله بخلاف ما لو كانت المرأة غير ملتزمة بالحجاب كمنهج، فإن كل هذه الأبواب سوف تكون مفتوحة أمامها بلا أي شك.

وبالطبع فإن هذا الكلام ليس عاماً على كل امرأة كما لا يخفى ومن هنا ندرك بأن الله عزَّ وجلَّ أراد للمرأة أن تكون ملتزمة بمنهج الحجاب حتى لا تدخل من الأبواب التي هي ليست مشروعة.

٥ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة إغراقاً لها في وافر نعمته، وغمساً لها في بحر العفة، ورمساً لها في غدير الطهارة، وإيلاجاً بها في الجنة.

٦ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة إكراماً لمثواها، وتحصيناً لتقواها، وحفاظاً على استقامتها.

٧ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة وقاية لها من سخطه وغضبه، وكي لا تكون طعاماً لسعير ناره الشديدة الإهلاك والمهولة العذاب.

٨ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة كي لا تقع فريسة الإغراء والفساد والإفساد.

٩ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة من أجل تحررها من جسدها، وعدم قصر وجودها على خصوص الجسد، وعدم كونها رهينة الجسد.

١٠ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة من أجل الحفاظ على خصوصياتها المتمثلة بجسدها ومفاتنه حتى تتمتع به داخل الإطار الزوجي، وفي هذا تحصين المرأة من تدخل المجتمع في خصوصياتها سيما الجسدية، ونحن نرى بالوجدان كيف أن بعضاً من النساء المنحرفات في هذه الأعصار، واللواتي ليس لهن خصوصية داخل البيت الزوجي، لا يستطعن التهرب من الإفصاح عن أي خصوصية من خصوصياتهن حتى في أدق

التفاصيل المرتبطة بأجسادهن، بينما نرى أن المحجبة بمأمن من ذلك.

١١ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة حتى لا تمتهن كرامتها، ولا تقل قيمتها، وحتى لا تغدو بأعين النظّار مجرد شهوة عابرة، وسلعة جابرة بعيداً عن أي خصوصية أخرى.

١٢ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة ليتسنى لها المشاركة في كل الميادين الإنسانية بعيداً عما يعيق هذه المشاركة المتمثل بالضرر الناتج عن كشف الجسد.

١٣ ـ يريد الله عزَّ وجلَّ للمرأة أن تكون محجبة حتى تحظى بتقدير أهل الإنصاف لطاقتها وإبداعها، لا أن تكون من خلال عدم حجابها محلاً لإعجاب الغواة والمنحطين لمجرد أن لها جسداً كباقي أجساد مثيلاتها.

المرأة ومصافحة الرجال

قلنا أن الحجاب هو منهج متكامل، وهو منهج وسيع يشمل فيما يشمل تحريم مصافحة المرأة للرجال، فإذا كان الحجاب مفترضاً كيلا يُنظر إلى المرأة نظرة محرمة، فمن باب أولى تحريم مصافحة المرأة للرجال وبالعكس، فما هو محرم من دون لمس هو محرم باللمس من باب الأولوية.

وهنا فإن للحجاب مبادئ من جملتها عدم مصافحة المرأة للرجل، هذه المصافحة التي تنطلق بداراً من يد المرأة الناعمة إلى يد الرجل الخشنة وبالعكس، والتي تترافق مع انحناءٍ من قبل الرجل تصحبها قبلة معهودة، بل قد تتصاحب هذه المصافحة مع قبلات عديدة على الوجنات. والغريب في الأمر أن بعض المجتمعات تتعمد عدم مصافحة الرجال للرجال، وتتجه باتجاه مصافحة النساء للرجال، بل حتى القبلات لا تتوزع من الرجال على الرجال، بل من النساء على الرجال وبالعكس، وهذا كله بحجة المجاملات والرسومات.

وفي اعتقادي فإن مصافحة المرأة للرجل الأجنبي عنها وبالعكس فيه شائبة زنا لأن الأمر لا يقف عند حد التصاق اليدين ثم انفكاكهما بل يتعداه إلى إيجاد ثقافة اللمس، إذ أن لمصافحة المرأة والرجل خلفية توفرها أجواء اللادين، واللاحجاب، واللاعفّة.

لا ريب بأن هناك تراتبية في الإثارة تبدأ بالنظر، وتتنصف بالكلام، وتنتهي باللمس، واللمس قد يكون بمرتبة ضعيفة من قبيل المصافحة، وقد يكون بمرتبة شديدة كالعلاقة الجنسية الكاملة وعلى هذا فاللمس ومنه المصافحة هو من المراتب العليا للإثارة، وهو يؤدي بطبيعة الحال إلى الخطأ فيما لو لم يكن مشروعاً.

وإذا كانت المصافحة لها هذه المدخلية في الإيصال إلى الخطأ فما بالك بالقبلات والمعانقات وبعض التصرفات الزائدة على ذلك!!!

ومضافاً إلى ما ذكر فإن المصافحة التي تتم بين الرجل والمرأة بشكل غير مشروع تسهل عليهما معاً معرفة رغبة كل منهما في اقتراف ما هو محرم كالزنا مثلاً سيما إذا كانا مقترنين أي أن كل واحد منهما بقرين يخصه فهي متزوجة من غيره، وهو متزوج من غيرها.

فمن خلال هذه المصافحة يتعرف كل منهما على رغبة الآخرين بتكثير الملامسات والقبلات، وهكذا يندفعان لتحقيق الرغبات المشتركة الممنوعة وهذا الأمر يتأكد أكثر في حالتين:

الأولى: إذا ما تصاحبت هذه المصافحة مع أمور أخرى نظير القبلات، والعناق، وتصرفات أخرى زائدة.

الثانية: ما إذا كان جسد المرأة قريباً من العري وكذا جسد الرجل.

ومضافاً إلى ذلك فإن ثمة أمرين مهمين في هذا المقام وهما:

الأول: الجو المخيم على هذه المصافحة وصاحباتها كالرقص، والغناء، ولباس البحر والمسابح وغيرها.

الثاني: الوحدة حيث لا ثالث لهما.

ومن هنا يصح القول بأن المصافحة ليست مجرد يد أنثوية تمتد إلى يد ذكورية وتنفلت وبالعكس، بل إن المصافحة ثقافة مغايرة تمام التغاير لمنهج الحجاب القاضي بقطع دابر الفساد.

إن المصافحة التامة بين الرجل والمرأة الأجنبيين عن بعضهما البعض محرمة في الشريعة الإسلامية، والتحريم واضح في الإسلام تمام الوضوح.

ولا ريب بأن من يفهم المغزى من تشريع الحجاب للمرأة يدرك بأن مصافحة المرأة حرام، بل هو من الأخطاء الكبيرة، إذ أن على المرأة ستر بدنها، وعلى الرجل حجب نظره المريب عنها، فمن البديهي جداً حرمة لمسها سواءً بالمصافحة أم بغير ذلك.

إن المصافحة المحرمة إذا كانت مجرد تحية صرفة كما يقولون فيمكن الاستعاضة عنها بالكلام والسلام، أو الإيماء.

وما يُقال بأن المصافحة مما لا بد منها، فهذا من المغالطات الكبيرة إذ من قال بأنها لا بد منها أولاً، وهل أن كل ما يكرسه الآخرون لا بد من تكريسه ثانياً، فهل إذا صار الزنا واللواط والسحاق مما لا بد منه عند الناس يصبح مما لا بد منه عندنا؟!!!

وإذا كانت المصافحة مما لا بد منها فلماذا حرّمها الإسلام، فالطعام مثلاً مما لا بد منه واقعاً فلماذا لم يحرمه الإسلام وحرم في نفس الآن المصافحة؟؟

لا ريب بأن النبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام، والأئمة المعصومين عليهم السلام كانت سيرتهم جميعاً قائمة على عدم مصافحة من يحرم من النساء مصافحته وأحاديثهم عليهم السلام في هذا الأمر ناطقة بوضوح عن هذا الاتجاه.

وكما لا يخفى فإن سيرتهم القولية والعملية عليهم الصلاة والسلام حجة شرعية علينا.

وقد وردت الأخبار الشريفة عن أهل البيت والأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام في تحريم مصافحة المرأة الأجنبية للرجل الأجنبي.

فعن المفضل بن عمر قال: قلت لأبي عبد الله ـ الصادق ـ عليه السلام: كيف ماسح رسول الله صلى الله عليه وآله النساء حين بايعهن؟ فقال: دعا بمركنه الذي كان يتوضأ فيه فصب فيه ماء ثم غمس فيه يده اليمنى، فكلما بايع واحدة منهن قال: إغمسي يدك فتغمس كما غمس رسول الله صلى الله عليه وآله فكان هذا مماسحته إياهن»[1].

وعن سماعة بن مهران قال: سألت أبا عبد الله ـ الصادق ـ عليه السلام عن مصافحة الرجل المرأة، قال: لا يحل للرجل أن يصافح المرأة إلا امرأة يحرم عليه أن يتزوجها أخت أو بنت أو عمّة أو خالة أو بنت أخت أو نحوها»[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وآله الطاهرة أطيب من أن يمس بها كف أنثى ليست له بمحرم»[3].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام ـ الصادق ـ قال: قلت له: هل يصافح الرجل المرأة ليست بذات محرم؟ فقال: لا إلا من وراء الثوب»[4] وفي رواية أخرى عن سماعة بن مهران: إلا من وراء الثوب ولا يغمز كفها»[5].

وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام أنه قال: «ولا يجوز للمرأة أن

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص ٢٠٨.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.، ٢٠٩.
(٤) م.ن.، ٢٠٨.
(٥) م.ن.

تصافح غير ذي محرم إلا من وراء ثوبها، ولا تبايع إلا من وراء ثوبها»[١].

وبطبيعة الحال فحرمة المصافحة بين الرجل والمرأة هنا هي حرمة مشتركة، بمعنى أنه لا يجوز للمرأة أن تصافح الأجنبي، ولا يجوز للرجل مصافحة الأجنبية وليعلم أنه وتبعاً لهذه الروايات، فإن الفقهاء أفتوا بحرمة مصافحة الرجل الأجنبي للمرأة والعكس، ففي وسيلة النجاة للفقيه المرجع السيد أبو الحسن الأصفهاني جاء ما نصه: «لا يجوز للمرأة النظر إلى الأجنبي كالعكس»[٢] ثم قال: «كل من يحرم النظر إليه يحرم مسه، فلا يجوز مس الأجنبي الأجنبية وبالعكس، بل لو قلنا بجواز النظر إلى الوجه والكفين من الأجنبية لم نقل بجواز مسهما منها، فلا يجوز للرجل مصافحتها»[٣].

وفي رسالته الفقهية العملية الموسومة بتوضيح المسائل أفتى المرجع الديني الكبير العارف الشيخ محمد تقي بهجت دام ظله بحرمة مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية وبالعكس، وقال ما نصه: «يحرم لمس كل من الرجل والمرأة بدن الآخر إن لم يكن من المحارم، كما يحرم على الأظهر لمس كل منهما وجه الآخر ويديه كذلك»[٤].

وبدوره أفتى المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد سعيد الطباطبائي الحكيم دام ظله بحرمة مصافحة الأجنبي للأجنبية، وعلّق على موضوع المصافحة متعرضاً بالذم والقدح للعُرف السائد بين الناس حول هذه الظاهرة، فقال ما نصه: «يحرم على كل من الرجل والمرأة الأجنبيين مس

---

(١) م.ن.، ٢٢٢.
(٢) وسيلة النجاة، ج٢.
(٣) م.ن.
(٤) ص ٤٥٥.

أحدهما الآخر، من دون فرق بين ما يحل النظر له من المرأة وغيره، فلا يجوز لهما المصافحة، ولا يسوّغ ذلك كونه في بعض الأوساط والأعراف البعيدة عن الدين من جملة آداب المعاشرة، بحيث يُرمى تاركه بسوء الخلق ومجانبة الأدب، فإن في الجري على تلك الأعراف في مثل ذلك تضييعاً لتعاليم الدين وطمساً لمعالمه وانصهاراً بتقاليد الكفر وتبعية له، بل يلزم الإصرار على تطبيق الحكم الشرعي والعمل عليه بلطف ووداعة وأدب، حتى يشيع ويعرف حاله على حقيقته، ويصير التزام المسلم به علامة على قوة شخصيته وتمسكه بدينه واعتزازه بمبدئه، وتسامحه فيه علامة على ضعف شخصيته وتحلله»[1].

ومن المعلوم بوضوح فتوى زعيم الحوزة العلمية الإمام السيد أبو القاسم الخوئي بحرمة مصافحة الأجنبي للأجنبية وبالعكس، فقد جاء في رسالته العملية منهاج الصالحين ما نصه: «وكذا يحرم اللمس من الرجل والمرأة لغير المحارم»[2].

وقال مفجر الثورة الإسلامية في إيران الإمام روح الله الموسوي الخميني: «كل من يحرم النظر إليه يحرم مسه، فلا يجوز مس الأجنبي الأجنبية وبالعكس، بل لو قلنا بجواز النظر إلى الوجه والكفين من الأجنبية لم نقل بجواز مسهما منها، فلا يجوز للرجل مصافحتها»[3].

وفي كتاب جامع الأحكام في الحلال والحرام المطابق لفتاوى كل من:

---

(١) الأحكام الفقهية، ص ٣٥٠.
(٢) ج٢، ص ٢٥٤.
(٣) تحرير الوسيلة، ج٢د ص ٢١٨.

ـ الإمام الخميني قدس الله نفسه الذكية.

ـ الإمام الخوئي.

ـ الإمام السيستاني دام ظله.

ـ آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله.

ـ الإمام السيد علي الخامنئي دام ظله الشريف.

ـ آية الله العظمى الميرزا التبريزي دام ظله.

ـ آية الله العظمى الشيخ اللنكراني دام ظله.

ـ آية الله العظمى العارف الشيخ محمد تقي بهجت دام ظله.

جاء ما يلي: «كما يحرم النظر من الرجل والمرأة أو العكس كذا يحرم اللمس. فلا يجوز للمرأة أن تلمس الأجنبي أو يلمسها الأجنبي»[١].

وقبل طي الحديث عن المصافحة والفراغ منه لا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة قوامها: أن بعض المسلمين يجيزون مصافحة الرجل الأجنبي للمرأة الأجنبية وبالعكس في حال لم يكن على وضوء وهي كذلك، فهم يفرقون في المصافحة بين كون المصافح على وضوء أم لا.

وهذا من غرائب الأحكام إذ أن المرء يسعه في كل لحظة أن ينقض وضوءه من أجل مصافحة إمرأة أجنبية عنه، كما أن هذا الأمر ينسف مفهوم الحجاب من رأس، ويبطل فلسفة وجوده من الأساس، إذ كيف يأمر الإسلام المرأة بالحجاب، ويأمر الرجل بعدم النظر ومن ثم يجيز المصافحة واللمس بدعوى أنه على غير وضوء؟!! ثم إنه ما المائز بين أن يكون على

(١) جامع الأحكام، ج٢، ص ١٩٢.

وضوء أم لا؟؟ فهل إذا لم يكن المرء على وضوء فإن إباحة المحرمات يصبح أمراً لائقاً وغير مؤدٍ إلى الفساد؟؟!!

وهل إذا لم يكن المرء على وضوء فإن منهج الحجاب، وحصانته ودوره في قطع دابر الفساد والإفساد سوف يكون بلا فائدة، وبلا أي جدوى؟؟!! وهل لا يكون الحجاب نافعاً ومجدياً، والعمل على وفقه قاطعاً لطريق الإفساد، إلا إذا كان المرء على وضوء؟؟!!

إن من العجب العجاب الذهاب إلى مثل هذا الرأي لقد أقرح قلوبنا ذاك الرجل الذي يعتذر عن مصافحة المرأة الأجنبية بحجة أنه على وضوء، وبدلاً من أن يكون موقفه هو موقف الإسلام القاضي بحرمة المصافحة مطلقاً سواءً كان على وضوء أم لا، نراه يعتذر عن المصافحة لأنه على وضوء، مع أنه بإمكانه المجيء إلى المظان الاجتماعية بلا وضوء لرفع الحرج والاعتذار، أو بإمكانه التبول قليلاً، أو إخراج ريح بشكل هادئ وعندها ينتقض وضوءه وتحل المشكلة؟!!!

ليس بهذا الأسلوب تعالج قضية الحجاب

يعمد بعض أهل الخير والغيرة على شرف المرأة إلى حث المرأة على الحجاب من خلال أسلوب سيء ليس له طريق إلى الإقناع، وبرأيي هذا الخطاب هو خطاب تشجيعي وحماسي للمحجبات. وليس خطاباً إقناعياً موجهاً إلى غير المحجبة.

وهذا الخطاب هو من قبيل قول القائل: «إن المحجبة هي محفوظة وغير المحجبة هي لكل الناس»، أو أن «المحجبة هي جوهرة ثمينة تُحفظ، وغير المحجبة هي سلعة معروضة ورخيصة الثمن»، أو أن المحجبة هي كالوردة في الحديقة الخاصة لا يشمها إلا صاحبها، وغير المحجبة هي كالوردة في الحديقة العامة يشمها كل الناس، وورد في كتاب الأخلاق والآداب الإسلامية كلام من هذا القبيل حيث قال المؤلف تحت عنوان لماذا الحجاب: «أوجب الله الحجاب على المرأة حفاظاً عليها من سراق الأعراض فهي جوهرة ثمينة يهتم بها المجتمع الإسلامي ويحاول بشتى الطرق أن يجعلها مربية للأجيال المؤمنة فهي تعتبر نصف المجتمع بل أكثر، لذلك يحافظ عليها الإسلام كما يحافظ صاحب الكنز والجواهر على جواهره من السرّاق.

أما المرأة التي لا يعتمد عليها ولا يهتم بها الإسلام فتلك المرأة السافرة التي ينظر إليها الجميع كما ينظر الناس إلى الفستان المعروض

للجميع في واجهة المحل فهذه المرأة في الشارع والتي لا تحافظ على نفسها ولا على حجابها فهي حجارة يدوسها الجميع لا جوهرة محفوظة من الأعين ويرغب إليها الجميع وتشترى بأغلى الأسعار وحتى هذا الرجل الذي يبحث عن اللذة الحرام من النساء الغير محجبات بحجاب إسلامي كامل إذا أراد الزواج من امرأة يبحث عنها في البيوت المستورة ولا يبحث عنها في الشارع لأنه يريد مربية لأبنائه لا مفسدة لأخلاقهم»[1].

إن هذا الخطاب من قبل المؤلف ليس سليماً البتة لأمور:

١ ـ هو ما زال يصنف المرأة في إطارها الجسدي، ويجعلها عرضة للمساومة، والبيع والشراء، سواءً كان المشتري فرداً أو نوعاً.

٢ ـ هو ينظر إلى مسألة الحجاب نظرة سطحية قوامها اللباس، والشكل، وإن عبّر في نفس الكتاب عن الحجاب بشكل أشمل وأوسع من الزي والشكل إلا أنه صدّر كلامه عن الحجاب بهذا الخطاب السطحي.

والصحيح هنا أن يتعاطى مع الحجاب كمنهج قوامه الظاهر والسلوك، إذ من قال بأن المحجبة التي ترتدي حجاباً هي جوهرة ثمينة؟؟ فقد تكون غير محجبة بسلوكها وثقافتها وسيرها العملي، وقد تكون غير المرتدية للحجاب جوهرة ثمينة بالنسبة إلى سلوكها المؤدب والحسن.

٣ ـ من قال بأن الإسلام لا يهتم للمرأة غير المحجبة، فهذا من أكبر المغالطات، بل على العكس من ذلك فإن الإسلام حريص كل الحرص على تنورها وهدايتها.

٤ ـ هل تلتزم المرأة بالحجاب من أجل أن يرتفع سعرها، ويغلى ثمنها؟؟ بالطبع لا.

---

(١) الأخلاق والآداب الإسلامية، ص ٤٣٠.

وهل تلتزم المرأة بالحجاب من أجل أن يعثر عليها الرجل الذي يريد الزواج منها من أجل تربية أولاده؟؟ بالطبع لا.

لا ريب بأن المرأة إنما تلتزم بالحجاب لأجل طاعة الله عزَّ وجلَّ، ونيل رضاه، ولأجل تحصين إنسانيتها من كل ما يعيق حركتها في الحياة.

٥ ـ إن في هذا الكلام ما يشبه الإعدام للمرأة غير المحجبة، وكأنه كلام يوحي للمرأة غير المحجبة بأنها أضحت امرأة مهملة ومتروكة.

٦ ـ إن هذا الكلام لا يلاحظ روح المرأة، ولا طاقاتها وإبداعاتها، ولا ما تستبطن من عواطف ومشاعر وأحاسيس وما شاكل.

وأعتقد فيما أعتقده أن المؤلف يرى في مخيلته مجتمعاً نسوياً يرتدي الحجاب، ويرى هذه المرأة التي لا ترتدي الحجاب نشاز، ولهذا هو يحمل عليها تلك الحملة القاسية، ولو أنه رأى مجتمعاً ملفقاً بين الحجاب وغير الحجاب لجاء خطابه بشكل آخر. وباعتقادي أن أكثر ما قاله المؤلف وإن لم يكن كله عامر بالصحة والصواب، إلا أن الواقع المعاش ينطق عن ذلك.

بيد أن اعتراضنا على الأسلوب، فلا بد من تغيير الأسلوب في الخطاب مع غير المحجبات من حيث إبعاد ألفاظ من قبيل سافرة، وجوهرة، ووردة وما شاكل، واستعاضتها بألفاظ من قبيل إنسان، وروح، وقيمة، والتزام وغير التزام، ورؤية مادية وغير مادية، فإن لم تكن تلك الألفاظ متوحشة وذكورية في نفسها فلا أقل من كونها قديمة وبالية.

ولا ريب بأننا من أنصار الحجاب بقوة، ومن أعداء ظاهرة عدم الحجاب بقوة، ولكن علينا تقديم فكرة الحجاب بشكل منهجي ومرن، لأن غير المحجبات بإذن الله سوف يصبحن محجبات فيما لو وفرنا مناخات الإقناع، والقبول، وفيما لو أحسنا الخطاب مع اللواتي لا يلتزمن

بالحجاب. ولا غضاضة البتة بأن المرأة التي لا تلتزم بالحجاب هي إنسانة معطاءة وحيوية، وتمتلك من الخصائص والإبداعات ما يجعلها مؤهلة لبلوغ أرقى مراتب الإنسانية، بيد أن التزامها بالحجاب يجبر النواقص التي تعترض سيرها نحو الكمال والسعادة والرقي.

وباعتقادي الشخصي إن المرأة التي لا ترتدي الحجاب ولا تلتزم به، حينما تكشف عن شيء من جسدها هي تعلم بأن النظّار الذين ينظرون إليها، هم ينظرون إليها نظرة اشتهاء، وقد تكون سعيدة بذلك، وقد لا تهتم لذلك، وقد تحتقر الذين ينظرون إليها بهذه النظرة الشهوانية وغير اللائقة، وربما هي لا ترضى عما تقوم به من عملية كشف لمفاتن الجسد.

والمهم هنا أن تدرك المرأة بأن ما تقوم به من انكشاف أمام الناس هو مجانب للصواب وملازم للخطأ، بل هو عين الخطأ.

والمهم أيضاً وإن لم تدرك المرأة ذلك أن تعمل على إدراك هذه الحقيقة.

والأهم من هذا وذاك أنها إن أدركت، أو عملت على أن تدرك، أن تكون مستعدة لتغيير واقع الانحراف عن أحكام الإسلام، وعن منهج الحجاب.

ويبقى أنه لا بد من توجيه الخطاب إلى المحجبات أيضاً، ليلتزمن بالحجاب كاملاً من جهة، وليثبتن على هذا الحجاب من جهة أخرى، وليعملن على التقدم من خلال الحجاب ثالثاً، وليحرصن على عدم التخلي عن هذا الحجاب رابعاً، فكما أننا نقوم بإقناع غير المحجبات على الحجاب فثمة من يقنع المحجبات على عدم ذلك.

أمور ترتبط بمنهج الحجاب العملي

الأمر الأول: يرتبط بقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[1].

وهذه إشارة لطيفة لما تقوم به المرأة من ترقيق وتنعيم للصوت، ولما يتصاحب هذا الترقيق والتنعيم مع حركات الوجه، وميلان الرأس، فهذا الفعل النسوي بالإضافة إلى الجذب الأنثوي الكامن في كل إيحاءات المرأة يحكي عن صورة جميلة وحماسية في مخيال الرجل الأمر الذي يؤدي إلى طمع الرجل بشيء ما من هذه المرأة.

والقرآن الكريم ومن خلال هذه الآية يشير إلى أمر معهود ومعروف بين الخالق أي الله عزَّ وجلَّ، وبين المخلوق أي المرأة.

فالقرآن يقول للمرأة إن خالقك لا يخفى عليه قيامك بهذا الأسلوب التدلعي والدلالي الشديد التأثير من أجل بعث الرجل على الطمع بك، هذا الطمع الذي يفتح آفاقاً كبيراً للفساد والخراب.

وبالحقيقة فإن هذا ما تشهده بعض المجتمعات، حيث أن بعض النسوة المتزوجات يرسلن إشارات إلى رجالٍ ليسوا أزواجاً لهن، وتكون هذه الإشارات عبارة عن كلام رقيق، وصوت ناعم ينطلق مع مؤثرات أنثوية

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

خاصة تجعل من الطرف الآخر متأثراً حتى لو لم يكن في وارد التأثر من رأس.

واللافت أن الخضوع بالقول صار في أيامنا هذه موضة عصرية، فترى أصوات الفتيات بمخادعهن غير أصواتهن في الساحات والمظان العامة، وكذا ترى أن حركاتهن وأساليبهن، وتعبيراتهن في منازلهن غيرها بين الناس.

حتى أن بعضهن إذا أردن تعيير بعضهن الآخر ترميهن بأنهن ذوات صوت جهوري وغير ناعم، ولكنهن يتظاهرن بأنهن ذوات صوت خفيف وخافت، وناعم بين الناس.

وللأسف فإن هذه المظاهر المخادعة صارت شائعة ومتبعة بينهن، فترى أن الفتاة تغير كل طبيعتها محاكاةً لتلك الفتاة لتي تخضع بالقول لجذب الرجال، فيما لو كشفتها على طبيعتها لرأيتها مغايرة تماماً لما تتظاهر به.

إن الإسلام يقول لهذه المرأة: أيتها المرأة إنك وبدلاً من أن تصنعي أجواء جذب الرجال، وتصيغي عوامل تخدير الرجال، وتثيري كوامن الإثارة في الرجال، عليك أن تصنعي أجواء الطهارة، وتصيغي عوامل العفة، وتثيري كوامن طلب الحلال.

هذا وقد وضع الإسلام للمرأة بعض البرامج المستحبة لكي تلتزم بالصلاح أولاً، ولكي لا تفسد ثانياً، وهذه البرامج استحبابية كما لا يخفى وليست واجبة، ومن ذلك استحباب المكث في البيت ولا تخرج إلا لحاجة أو ضرورة، ويستحب لها تعلم سورة النور لأن فيها ما من شأنه حملها على أدب الوقاية من الخضوع بالقول، ويستحب للمرأة عدم المشي في وسط الطريق، بل تمشي إلى جانب الطريق، ويكره للمرأة أن يكون صوتها عالياً،

ويستحب للمرأة أن تجيب الطارق من وراء الباب لا بصوت ناعم، ويكره لها التكلم أمام الأجانب بأكثر من خمس كلمات[1].

الأمر الثاني: يرتبط بقوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾[2] وسبق أن ذكرنا أنه على المرأة أن ترتدي الحجاب الكامل ولا تظهر إلا الوجه والكفين. وبناءً على هذا فمقتضى إخفاء الزينة جملة من الممنوعات:

١ ـ عدم ارتداء اللباس الضيّق والذي يشخص الجسد ويجعله معتلماً ومبرزاً، ولا يكفي عدم كشف البدن بدعوى ستره بالثياب، بل لا بد للثوب أن يخفي شخص الجسد أيضاً، وإلا فإن التصاق الثوب بالجسد التصاقاً شديداً بغية التحايل على الحجاب الشرعي ليس حجاباً بل هو مسخ حجاب.

٢ ـ عدم الاكتحال ولبس الأساور، ووضع العطور المنبعثة بالرائحة القوية، واعتمار القبعات المتعارضة مع لياقة الحجاب الشرعي، ووضع أدوات التجميل موضعها في الوجه والفم وغيرهما.

وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألتين هما:

الأولى: أن كل هذه الأمور مشروعة للمرأة في بيتها الزوجي، وأمام محارمها.

الثانية: أن النهي عن وضع العطور المنبعثة الرائحة لا يعني أن لا تتعطر المرأة، بل يعني أن لا تضع المرأة عطوراً تجعل من الآخرين يلتفتون إلى صاحبة العطر، بينما إذا وضعت المرأة عطراً بحيث أنه يكون أمراً عادياً ومألوفاً ولا يبعث على الاستغراب من قبل المتدينين فهذا مما لا ضير فيه.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص ٢١٢.

(٢) سورة النور، الآية: ٣١.

الأمر الثالث: يرتبط بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾[1].

يعني أن الرجل يخاطب المرأة إذا طلب حاجة من وراء الباب، أو من وراء ستار تحصيلاً للعفة والطهارة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾[2].

وهنا لا بد من الإشارة إلى أن معظم الخيانات الزوجية إنما مردها إلى عدم وجود حواجز مادية ومعنوية بين الخلطاء من الرجال والنساء، فتجد أن فلاناً مستأنساً كامل الاستيناس مع زوجة جاره، وبطبيعة الحال فإن هذا الاستئناس يقتلع كل الحواجز والتكلفات بين الرجل الأجنبي والمرأة الأجنبية فيقع المحظور.

وللأسف فإن أغلب هذه الحالات تحصل مع أهل الصداقة والخلة والود، فترى أن الصداقة تتحول إلى عداوة، والود إلى بغض.

الأمر الرابع: يرتبط بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[3].

فقد كانت المرأة في الجاهلية تلبس الخلخال، وكانت بعض النسوة تضرب الأرض برجلها إذا رأت رجلاً كي يسمع طنينه، فنهى سبحانه عن ذلك.

وإذا كان هناك ثمة وسيلة واحدة للمرأة في الجاهلية لكي تظهر زينتها،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٣.
(٣) سورة النور، الآية: ٣١.

وهي وسيلة الخلخال الذي تضعه على قدمها، فإن أساليب النساء الآن لإظهار الزينة كثيرة جداً، فمن النساء من تضع الموسيقى العالية جداً لكي تلفت اهتمام الشبان، ومنهن من تضيء غرفتها ليلاً وتقف على شرفتها لتعلم الآخرين بوجودها، ومنهن من يضربن بأحذيتهن بالأرض للفت انتباه النظار من الرجال، ومنهن من ترفع صوتها بحجة الحديث مع جارتها ليسمعها الرجال فتنال إعجابهم، وهكذا يفعلون، ناهيك عن اللواتي لديهن إمكانات متطورة وحديثة للفت انتباه الرجال ونيل إعجابهم، وربما شيء آخر.

الأمر الخامس: فيما يرتبط بمسألة الإختلاط، فقد قيل الكثير في هذه المسألة، وأكثر ما قيل لا يعدو كونه مجرد نظريات لا مساس لها بالواقع، وما أكثر أولئك الذين يدعون إلى التشدد في الفصل بين الجنسين، وإلى تحكيم وتثبيت الحواجز المادية والمعنوية بينهما، بل بلغوا من التشدد إلى حد الدعوة إلى وضع الباطون المسلح بين الجنسين، ولكن هؤلاء أنفسهم تراهم يعيشون في حياتهم اليومية مسألة الاختلاط بشكل شبه عادي.

وفيما أعتقده أن هذه المسألة لا بد من معالجتها بطريقة واقعية من خلال دعوة الناس سيما النساء إلى تبني أحد حدين في هذا المجال:

ـ الحد الأول: وهو حد أدنى، ويتمثل بجواز الاختلاط فيما لو لم يؤدِ إلى خلق أجواء الفتنة والفساد والإفساد، فإذا ما ابتعد المجتمع المختلط عن أجواء الفتنة، والريبة، وطمع الرجال بالنساء، وطمع النساء بالرجال، والإثارة وما شاكل، فإن الاختلاط هاهنا جائز ولا ضير فيه، وهذا الحد الأدنى يأخذ شرعيته من الحكم الشرعي حيث قضى بجواز الاختلاط ما لم يؤدِ إلى الفساد والفتنة، والنظر المحرم من كلا الطرفين.

ففي المسائل المنتخبة للإمام السيستاني دام ظله: «لا يجوز الخلوة

بالمرأة الأجنبية مع عدم الأمن من الفساد وإن تيسر دخول الغير عليهما، ولا بأس بها مع الأمن منه»[1]. يعني يجوز الاختلاط والخلوة مع الأمن من الفساد.

وفي رسالته العملية الموسومة بـ الأحكام الفقهية قال المرجع الديني السيد محمد سعيد الحكيم ما نصه: «يكره اختلاط الرجال بالنساء الأجنبيات... بل قد يحرم إذا كان مظنة للفتنة والفساد، خصوصاً ما يبتني منه على التزاحم والتضام»[2].

وفي سؤال وجه للسيد الخوئي حول جواز جلوس الرجل الأجنبي بجنب المرأة الأجنبية حال ازدحام الناس في السيارات، أجاب: «إن لم يوجب ذلك ثوران الشهوة أو محرماً آخر فلا بأس»[3].

فالفتاوى الشرعية حول الاختلاط تجيز ذلك ما لم يؤدِ ذلك إلى محرم. وباعتقادي أن هذا الاختلاط وإن كان بالحد الأدنى فإن ممارسته يكون بداعيين:

الداعي الأول: العمل، والدراسة، والتظاهرات وما شاكل.

الداعي الثاني: ما ليس فيه ضرورة ولا حاجة؛ وتركه خير من فعله.

ـ الحد الثاني: وهو حد واسع يُترك فيه الناس وشأنهم في ولوج طريق عدم الاختلاط مطلقاً، ويُترك لهم الاجتهاد في ترك الاختلاط من دون إلزام، حيث أنه أمر اختياري بمحض الإرادة، وهذا من قبيل كثير من النوافل والمستحبات، والأوراد التي لا يشتغل بها إلا أناس ألزموا أنفسهم

(١) ص ٣٥١.
(٢) ص ١٥٣.
(٣) صراط النجاة، ج٢، ص ٢٤٧.

بهذه الأعمال، وفرضوها على أنفسهم ووضعوا لها البرامج الخاصة.

وهنا في مسألة الاختلاط إذا أراد بعض الناس أن يغلقوا هذا الباب بالكلية ووسعهم ذلك، وسمحت لهم الظروف بهذا التطبيق العملي، ولقي هذا قبولاً عاماً لدى الذين يعملون على تطبيق ذلك، فإن لهم ذلك بل هو مما يُحبذ ويُحمد، وبهذا المعنى قالت سيدتنا فاطمة الزهراء ، فقد روى أبو نعيم في حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٠ عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ما خير للنساء؟ فلم ندر ما نقول، فسار علي إلى فاطمة فأخبرها بذلك، فقالت: فهلا قلت له: خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يرونهن، فرجع - علي إلى رسول الله - فأخبره بذلك، فقال النبي ﷺ: . . . صدقت إنها بضعة مني[1].

وفي رواية أن علياً قال لفاطمة: ما خير للنساء؟؟ فقالت: لا يرين الرجال ولا يرونهن، فذكر ذلك للنبي فقال: إنما فاطمة بضعة مني»[2].

وقد ورد أيضاً أنها حجبت أعمى، فقال لها ﷺ: لم حجبته وهو لا يراك؟؟ فقالت : إن لم يكن يراني فأنا أراه وهو يشم الريح»[3].

لا ريب بأن الاختلاط المقبول هو الاختلاط الذي من خلاله تجتمع الجهود المشتركة بين النساء والرجال لبناء الحياة.

ولا ريب أيضاً بأن عدم الاختلاط المطلق فيه سلبيات عدة أهمها إيجاد عقدة وهوة كبيرة بين الجنسين، ولهذا فإن الإنسان المتدين الذي عاش جو الاختلاط بالمعنى البنّاء والعملي لا يفسده أي جو للاختلاط في المستقبل،

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٩١.

(٢) م.ن.

(٣) م.ن.

وقدرته على تجنب الفساد الذي يخلقه الاختلاط كبيرة جداً، وبطبيعة الحال يكون أكثر تفهماً للواقع، وأكثر موضوعية في التعامل مع النساء بما لا يتنافى مع تدينه.

وهذا بخلاف الإنسان المتدين الذي عاش في ظل ستار حديدي بينه وبين الجنس الآخر، فإن تدهور تدينه في حال طرو جو الاختلاط عليه قهراً يكون أمراً قابلاً للتحقق، وهو أمام هذا المجتمع المختلط سوف يكون إما متصادماً معه، وإما خانعاً لمقتضياته اللهم إلا إذا كان من أهل الله عزَّ وجلَّ بحق فلا يضيره شيء.

والاختلاط بالأصل ضروري التحقق وذلك من خلال الأسرة، حيث يختلط الأب مع الأم، والزوج مع الزوجة، والبنت مع الأب والجد، والأخت مع الأخ، والخالة مع ابن الأخت، والعمة مع ابن الأخ، والجدة مع الحفيد وبنت الأخ مع العم وهكذا.

أما الاختلاط مع غير المحارم فيحتاج إلى التنظيم، وهذا ما قام به الشرع الحنيف حيث جعل حداً أدنى للذين لا يطيقون السير في المراتب العالية للتنزه عن الاختلاط، وجعل حداً أوسع من ذلك للذين يطيقون ذلك.

وعلى أي فالاختلاط السيء بين غير المتدينين هو الاختلاط المحكوم بالتعاطي غير الشرعي من خلال المخالفة الواضحة للأحكام الإسلامية، وآداب الشرع.

أما الاختلاط السيء بين المتدينين فهو ذاك الاختلاط الذي يؤدي إلى الفساد، أو يتحقق فيه الفساد فعلاً بحيث يسلب عفة الرجال والنساء. وليسمح لنا في ذلك دعاة الاضطرار الذين يقولون: نحن في وضع المضطر، إذ أنه «ليس من الاضطرار المسوغ للنظر والمس المحرمين

الاختلاط العائلي، لاجتماع العوائل في بيت واحد، أو لتآلفها وكثرة الاجتماع والتزاور بينها.

وما تعارف ـ نتيجة لذلك ـ من التسامح في الحجاب والنظر بين الرجل وزوجة أخيه أو أخت زوجته أو بنت عمه أو نحوهم من الأقارب بل الأصدقاء لا مسوغ له، ومن الغريب تعارف ذلك عن بعض العوائل المحترمة والمعروفة بالتدين والالتزام والاحتشام. والأنكى من ذلك والأمض رفع الحواجز في مناسبات الأفراح والأعراس حيث يستخف الفرح أهله فيدخل الشباب وهم في أوج حيويتهم ونشاطهم الجنسي على النساء المتبرجات بملابسهن الفاضحة وزينتهن الصارخة على أتم الوجوه وادعاها للفتنة والإثارة، تغاضياً عن مقتضيات الغيرة والعفة، وخروجاً عن قوانين الشرع الشريف، ونبذاً لتعاليم الدين الحنيف، كفراً لنعمة الله تعالى بمعصيته وانتهاك حرمته وتعدي حدوده في موقف هو أدعى لشكره تعالى بطاعته والخضوع لحكمه والوقوف عند أمره ونهيه»[1].

(١) الأحكام الفقهية، ص ٣٥١.

المرأة والفن

الفن في الأصل وبمعناه الواسع ليس مستنكراً، بل هو مما يُحبذ سيما وأنه يتحرك من خلال الإبداع، وهو من أهم الأسلحة المعاصرة التي يمكن توجيهها ضد أعداء الفضيلة والأخلاق والدين الصحيح، وهو من أهم الوسائل المجدية لتحصين البشرية بالأخلاق والفضيلة ضد الرذيلة.

والمشكلة في الفن لا تكمن بنفس الفن بل في طريقة استخدامه، وذلك لأن استخدام الفن يتم بطريقتين:

الأولى: استخدامه بطريقة مشروعة، يرضى بها الشرع الإسلامي القادس.

الثانية: استخدامه بطريقة ممنوعة لا يرضى بها الإسلام.

وللأسف الشديد فإن اسم الفن في هذا العصر قد تلطخ، وعقده قد انفرط وتفسّخ، وأصبح استخدام الفن موقوفاً على تدمير الفضيلة، وتقويض دعائم الأخلاق، وزلزلة بناء القيم، وإقصاء الدين عن الحياة.

ولا ريب بأن قوى الاستعمار، والاحتلال والتسلط تعمل جاهدة بغية استغلال عامل الفن من أجل إرساء معالم الرذيلة وطمس معالم الفضيلة، فترى هذه القوى الشيطانية تسخر كل إمكانياتها المادية والمعنوية من أجل تعميم ثقافاتها التي تخولهم حكم العالم والسيطرة عليه، وتتم عملية تعميم

ثقافة هذه القوى من خلال استخدام شتى سبل الفن وميادينه، فقد صادروا كل طاقات الإبداع، وتحكموا بسائر وسائل إظهار الفن فاستخدموا الأفلام، والمسلسلات، والمسارح، واللوحات، والشعر، والغناء، والرقص والاستعراضات، وغيرها، وجعلوا كل فنان يميل إلى ثقافتهم بمجرد توسمه باسم فنان.

إنهم ومن دون شك يريدون تذويب كل خصائص المجتمعات، وظواهرهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، واعتقادهم وصهرها في ثقافتهم المدمرة.

وبالطبع فليست هذه المؤامرة الثقافية الاستعمارية مما يراد تمريرها وإنجاحها فقط وفقط عبر وسيلة «الفن»، بل يراد تمريرها بوسائل شتى، ولكن الفن هو من أفضل الوسائل وأكثرها فعالية لتحقيق ذلك، فإن لقطة تلفزيونية واحدة مُصاحبة بمؤثرات خاصة لها من التأثير السريع والعاجل ما يفوق قراءة مكتبة بأسرها، وذلك لأن مشاهدة هذه اللقطة على سبيل المثال يُلحظ فيها عدة انفعالات:

الأول: الشعور، حيث أن التأثير المحيط بهذه اللقطة يحرك شعور الإنسان.

الثاني: المشاهدة الحسية من قبل العين، بينما الكتاب يمثل مشاهدة خيالية لا حسية، وهذه المشاهدة الحسية تبعث المشاهد على محاكاتها حسياً، فإذا كان الممثل أو المطرب، أو المطربة أو أي أحد آخر، يقوم بحركة معينة فإن المشاهد يسهل عليه تقليد هذه الحركة.

الثالث: السماع الحسي كما لا يخفى.

الرابع: تثوير الشهوة، أو الحماس، أو موافقة أحد ومخالفته.

الخامس: القدرة على سلب الخلفية العدائية عند المشاهد، وتحويله إلى شخص منساب مع ما يراد من وراء هذه اللقطة.

وهذه الانفعالات وغيرها تمر سريعاً من دون إعمال الفكر، ويكون تأثيرها قلبياً وعاطفياً قبل أن تصل يد العقل إليها.

السادس: عدم الملالة وشدة الشوق والتوق والترقب من قبل المشاهد، وبهذا يتحكم مخرج هذا المشهد بالمشاهد تحكماً لا نظير له.

السابع: بقاء تأثير المشاهدة التلفزيونية إلى ما بعد الانتهاء منها.

وللأسف الشديد فإن علاقة المرأة بالفن علاقة فائقة النظير، بل إن المرأة هي المستخدمة بشكل رئيسي وعضوي من قبل رواد الفن والذين يستخدمونه بشكل تدميري لبناء الروح والفضيلة.

وهؤلاء يسخرون للمرأة الشهرة والمال من أجل أن تعطيهم صك التنازل عن كل ما يراه الناس حرجاً في النساء، فتعطيهم صك التنازل عن شرفها، وخصوصياتها، وقيمتها الوجودية، وسمعتها وما شاكل.

والمرأة في هذه الجهة تتأثر وتنساق مع المغريات، تماماً كما يفعل الرجل في سياق آخر حيث يقدم كل التنازلات من أجل منصب أو ملك.

لقد آلمنا ويؤلمنا استخدام المرأة بعنوان عريض اسمه الفن والإبداع من أجل تكريس الرذيلة، وتعميم الخطيئة، فها هي تقف عارية مسمرة أمام الرسام من أجل أن يحرك إبداعه كفنان، وها هي تتعرى على شاشات التلفزة بعنوان خدمة الفن والفنانين، وها هي تجسد ومثيلاتها شخصية الجارية من أجل إظهار الرجل بمشهد المحب للمتع والإباحة، وهاهي تجتهد وتسخر كل طاقاتها الأنثوية من أجل تحريك غريزة الرجل، وها هي تلبس كل ما يصممه الخياط من أجل إنجاح عرض الأزياء حتى لو كان هذا اللباس كاشفاً لكل أعضاء بدنها.

إن القول الصحيح فيما يرتبط بعلاقة المرأة بالفن هو بالآتي:

أ ـ إذا كان استخدام الفن من قِبل المرأة يتوافق مع منهج «الحجاب والستر» القاضي بلزوم العفة، والحشمة، والحياء، وعدم مخالفة الشريعة فلا ضير في ذلك.

ب ـ إذا كان استخدام الفن من قبل المرأة متعارض مع منهج الحجاب والستر فهو ممنوع وغير مسموح وحرام، بل لا بد من محاربته ونبذه وتدميره.

إن ما أشد ما يتأسف له في هذه الأعصار هو إباحة كل محظور عند الناس بدعوى «الإبداع»، وكأن كل إبداع هو صحيح، فقد يبتدع بعض الناس طريقة مشوقة لاغتصاب الفتيان والفتيات فهل هذا الإبداع مسموح؟!!!

كما أنه قد تقوم جماعة بابتداع وابتكار فكرة قتل الناس بأسلوب فني جذاب فهل هذا الإبداع صحيح؟!!!

وهنا في مسألة الفن فقد يبدع الفنان في إقناع الأزواج على طلاق زوجاتهن وإبدالهن بصديقات يُعاشرن كزوجات من دون الوقوع تحت ضغط مقتضيات الزواج، وقد تبدع الفنانة في إقناع الزوجات على خيانة أزواجهن حال غيابهم، فهل هذا فن؟؟!!

وهل الإبداع الذي يدعو إلى تخريب الحياة الزوجية، وإلى تبديل الاستقرار إلى لااستقرار هو فن صحيح ومرغوب؟؟!!

إن القول الصحيح والمصنف أن الفن إذ لم يكن مصاحباً للفضيلة، متضمناً لما يحب الله عزَّ وجلَّ ويرضى فليس إلا محض سوء وشر.

فنانة أم منحرفة

قد تقوم امرأة ما بالرقص أمام أعين النظار، ومن ثم هي تكلم الحضّار لا بلسانها وفكرها، إنما بجسدها المتعري من خلال تمييله يميناً ويساراً، صعوداً ونزولاً وكل هذا بحجة الفن.

وبعد الانتهاء من الرقص تحمد الراقصة ربها لأنه وفقها لإتمام هذا العمل، ومن ثم تسأل ربها أن يوفقها لإكمال مسيرتها الفنية هذه.

إن هذه المرأة تُعتبر عند المتتبعين فنانة تجيد فن «الرقص»، الأمر الذي يتيح لها فرصة نيل الإعجاب والتقدير من قبل الأوساط الفنية، والعجيب في الأمر أن لهذه الراقصة شأناً كبيراً لدى علية القوم فيما تمعن هي في إفسادهم وضياعهم وصرفهم عن كل جدية.

وبتقديري فإن الإعجاب الذي تناله الراقصة من قِبل هذه الأوساط ليس لأجل الفن بل لأجل دخولها معهم في منظومة الشهرة المصطنعة، وفي المتاجرة الرابحة جرّاء تخديرهم للناس.

وما هذا الاحترام والتقدير إلا من باب المجاملات اللازمة والتي تعد من شؤون العمل، ولهذا فإننا نلاحظ أن أكثر الفنانين لا يحبذون بل يمنعون أقاربهم من النساء أن يكنَّ راقصات، فهم يمدحون الراقصة الفلانية لأجل إبقاء الناس في هذه الأجواء الفنية التي تتيح لهم الربح والتجارة، وبنفس

الوقت هم يعرفون أن هذه الراقصة أو تلك هي بوضع مزر وغير قابل للافتخار.

لا ريب بأن الراقصة هي شخص سيئ وقذر ما لم تتب، وهي بالتصنيف الصحيح شخص هابط في المجتمع، وإذا لم تقلع عما تفعله فهي مستمرة في الهبوط والانحدار الأخلاقي، ولا يغرنها تصفيق الناس لها فإنها كلما نالت إعجاباً من الناس كلما كان هذا الإعجاب نذير شؤم لها ويحكي عن تسافلها.

والراقصات عموماً لم يأتين من مناخ بيئي واجتماعي صحيح، وإنما أتين من مناخات موبوءة وساقطة أو آيلة إلى السقوط وقد تكون لبعض الراقصات ظروف قاهرة أوصلتهن إلى ما هن عليه من الانحطاط، ولكن هذا لا يعني أن نتساهل معهن إلى حد تبرير ما يقمن به، بل الصحيح إنكار ما يقمن به بكل قوة، وهذا الثري أو ذاك وبدلاً من أن يدفع للراقصة حال كونها راقصة المبالغ المالية الطائلة فليدفع لها عشر هذه المبالغ لكي لا تكون راقصة.

لا ريب بأن الرقص لو كان فناً صحيحاً وسليماً لكان ينبغي على كل المطربين، والممثلين، والسائرين في فلك الفن وقضاياه أن يشجعوا كل زوجاتهم، وبناتهم، وأقاربهن على أن يكن راقصات.

والله يشهد فإن أي عاقل يسمع ذاك المديح من قبل بعض الأشخاص للراقصة الكذائية فإنه سرعان ما يعلم بأنه يكذب ويخادع.

تُرى أي صورة ترتسم بذهن كل إنسان يُسأل عن رأيه بالراقصة؟؟ هل ترتسم بذهنه صورة تلك المرأة العفيفة، والفنانة النظيفة، أم ترتسم بذهنه صورة تلك المرأة المنحطة التي أوقفت جسدها وجعلته منذوراً لأعين الرجال المريضة؟؟!!

إن الراقصة ومن دون شك تعمل من خلال رقصها إلى إلفات نظر النظار والحضّار نحو جسدها، فهي تميله، وتحركه من أجل تركيز أنظار الناس إلى جسدها، وهذا العمل أي الرقص هو حرف حقيقي للجسد عن وظيفته الحقيقية، فيغدو هذا الجسد وللأسف قطعة لحم نتنة تسمم الأجواء العامة، وبالحقيقة فإن تحول هذا الجسد من جسد طاهر له قيمته، وحرمته، وفضيلته، إلى قطعة لحم نتنة هو بسبب صاحبته كما لا يخفى فهي تريده كذلك اللهم إلا إذا أنكرت هي نفسها قيمة هذا الجسد وفضيلته فهذا شيء آخر وقد تأتي إحداهن لتقول: طالما أن هذا الجسد لم يؤكل، ولم ينقص فما الضير من تمييله أمام الناس؟؟

والجواب: أن هذا محض غباء، إذ أنها إذا ما تعرضت لحملة إعلامية اتهامية، كأن قيل عنها أنها ساقطة وما شاكل، فإنها تتأثر كثيراً وتقيم الدنيا ولا تقعدها، مع أن الكلام لم يأكل منها شيئاً!!!

كما أن زوجها حينما يطلقها فهي تغضب مع أن طلاقها لم يؤدِ إلى تآكل جسدها ونقصانه!!!

وبالجملة فإن ليس كل شيء لا يكون فاسداً إلا حينما يؤكل أو ينقص، هب أن أحداً ما اغتصب ابنتها، أو أن ابنتها زنت طواعية مع آخر، فهل أكل جسدها، أو نقص أيضاً؟؟!!!

ولا تنسى هذه أن قطعة اللحم النتنة تنبعث منها رائحة النتانة من دون أن تنقص أو تؤكل، وكذا صاحبة الجسد المستخدم بأسلوب سيئ ومدمر فإن رائحتها النتنة، وسمعتها السيئة تصعّد حتى لو لم تنقص غراماً واحداً.

وقد يقال بأن هذه الراقصة لا تلفت الأنظار إلى جسدها بل هي تستخدم جسدها من أجل إظهار فن الرقص.

ولكن هذا القول يستبطن هراءً وخداعاً، إذ أن إظهار فن الرقص لا يحتاج إلى التعري وشبه التعري، كما أنه يتحقق من دون حضور الرجال. ومضافاً إلى ذلك فإنه لا يعقل أن يكون جميع الحضّار من متذوقي فن الرقص، وعلى هذا فالالتفات الحاصل من قِبل الحضّار هو للجسد لا للرقص، نعم الرقص يركز نظر الحضّار إلى بقعة معينة من الجسد وعلى هذا ففن الرقص هو الذي يبرز الجسد لا أن الجسد هو الذي يُبرز فن الرقص.

وعلى هذا ففن الرقص يستخدم لإحياء الإثارة في نفوس وعيون الجماهير، عبر تركيز نظراتهم باتجاه مفاصل ومفارز الجسد الأنثوي.

ولنا أن نطرح سؤالاً جديراً بالإجابة وحاصله: ما هو الهدف من فن الرقص؟؟

فهل فن الرقص ينشر الفضيلة؟؟ وهل هو يكرس الأخلاق؟؟ وهل هو يعمم الخير والسلام؟؟ هل إذا ذهب الشاب إلى حفلة راقصة وتسمّر أمام جسد الراقصة هو يمارس الفضيلة؟؟ وهل إذا ترعرعت الفتاة على تعلم فن الرقص ومن ثم امتهنته هي تُقبل على مستقبل نظيف؟؟ تخيل أن مجتمعاً ما يعيش أجواء العشق للراقصات ويحضر مجالاتهن فماذا ننتظر منه؟؟

هل يقارع العدو بفن الرقص؟؟ وهل يطرد المحتل بفن الرقص؟؟ وهل يتربى الأطفال بتربية صالحة في ظل عيشهم في أجواء فن الرقص؟؟

قد يُقال أن الهدف من فن الرقص هو إمتاع الجمهور وبعث الرفاهية فيه؟؟

ولكن هذا القول لم يفسر لنا معنى الإمتاع والرفاهية، فهل الإمتاع والرفاهية هما أن يصرف الرجل كل ما في جعبته ويحرم عياله وأطفاله لقاء حضور حفلة راقصة؟؟ وإذا كان المقصود من الإمتاع هو تحريك شهوة

الحضّار، وبعث الإثارة فيهم، فإن مجرد تحريك الشهوة، وتصعّد الإثارة لا يكفي، فلا بد من تنفيس هذه الشهوة وهذه الإثارة، فهل هذه الراقصة مستعدة لتنفيس شهوة وإثارة كل أحد من الرجال الحضّار؟؟

وبالتالي هل هي مستعدة للممارسة مع كل أحد واحداً بعد واحد؟؟ أم أنها تدفعهم إلى الوقوف على الأزقة والطرقات للتحرش بالنساء، والسعي إلى اغتصابهن؟؟

إننا بالوجدان لم نسمع بامرأة فاضلة، وأخرى عاقلة، وثالثة ماجدة، ورابعة عفيفة، وخامسة محتشمة، وسادسة حيية، و. . . و. . . كانت راقصة.

ثم أن الرقص لا يكون منفرداً بل هو يتصاحب مع الغناء، والموسيقى، والمجون، والاحتكاك الحار، وشرب الخمر، والميوعة، والعري وشبهه وهذا جو فاسد بامتياز.

إن الفن إذا كان منحصراً بالجسد الأنثوي الذي تبرز مكامن الإثارة فيه ليس فناً، بل هو استغلال قذر لطبيعة الجسد الأنثوي والذي يحرك الجماهير ويثيرهم تلقائياً، ولو كان الجسد الأنثوي لا يمتاز بخصائص الإثارة والتشويق الغريزي لما دُعيت المرأة إلى مائدة الرقص البتة ولنفترض أن امرأة ما تعرت كلياً أمام الجماهير وهي ترقص رقصاً لا يمتاز بالمهارة، وأخرى كانت ترقص رقصاً ماهراً وذكياً ولكنها لم تكن عارية، فإلى أين تتوجه أنظار الحضّار هاهنا؟؟

والجواب واضح فهي تتوجه إلى العارية تماماً، لماذا؟؟ لأن الفن هنا يكون مجرد أكذوبة ولا محل لها في الواقع، والعالم هنا ليس عالم فن بل عالم جسد أنثوي.

لا ريب بأن الراقصة إذا كانت ملتزمة بالدين ولو ظاهراً فتسأل ربها أن يوفقها، وتفسر شهرتها بأنها نعمة، وإذا كانت غير ملتزمة بدين فهي تعتقد أن رقصها رسالة لا بد من تأديتها.

ولا شك بأن الأولى ليست بسؤالها هذا تسأل سؤالاً مشروعاً لأن الله عزَّ وجلَّ حرم عليها أن لا تكون ملتزمة بالحجاب، فمن باب أولى أنه عزَّ وجلَّ حرّم عليها التعري، والتمايل أمام أنظار الرجال، وبالحقيقة فهي في نقمة لا في نعمة، لأن الشهرة التي حققتها وتحققها لم تحققها في أوساط أهل الصلاح والفضيلة بل حققتها في أوساط رواد الجنس، وقصّاد العبث، وعبّاد الهوى، وحضّار نادي المنكر والفساد.

إن هذه الراقصة المعتقدة بالدين ظاهراً ـ لأن الدين عملياً براءٌ منها ـ ليست حاصلة على الرضى الإلهي بل هي أبداً داخلة في إطار السخط الإلهي، والله عزَّ وجلَّ يمدها في طغيانها لأنها حُكم عليها بالإعدام الضلالي بعد أن حكمت هي على نفسها بذلك.

وهذه الراقصة ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾[1] وكذا ينطبق عليها قوله تعالى: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾[4].

وعلى هذا فتكون أعمال الراقصة السيئة حال رقصها حجة عليها يوم

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٣.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٧٨.

القيامة، وصك إدانة لها، فإن تابت قبل ورودها إلى ذاك العالم فقد فعلت خيراً وإلا فدونها جهنم.

ولا ريب بأن توصيف النبي ﷺ للراقصة بأنها من النساء الكاسيات العاريات، المميلات المائلات، وإبلاغها بأنها من أهل النار، هو توصيف دقيق لما تقوم به الراقصة في الدنيا، ولهذا قال ﷺ: «صنفان من أهل النار... ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[1].

إننا إذا دققنا في الحفلات الراقصة عموماً ولو عن بعد، ولو نقلاً عمن يشاركن ويشارك فيها فإننا نلاحظ الآتي:

١ ـ أن هذه الراقصة هي فنانة بالمعنى السلبي والسيئ للفن، حيث أن فعلها فاسد، وتأثيرها مفسد.

٢ ـ أن جميع المؤثرات المعنوية الفاضلة والخيّرة تكون غائبة تمام الغياب، ولا تحضر إلا المؤثرات الفاسدة والتي تكرس مفهوم الخطيئة والرذيلة.

٣ ـ أن الحفلة الراقصة حفلة مسممة لأجواء الفضيلة، ومكدرة لأحوال الصفاء الأخلاقي، ومحطمة لبنيان الخير، لأنها وإن كانت بنفسها سيئة، إلا أنها تكون مصاحبة بالموسيقى، والسكر، والاحتكاك الجنسي، ولا يحضرها إلا أراذل الناس، وعبّاد الهوى، وهي تولد النزاعات الشبابية، والانقسامات العائلية، والخلافات الزوجية، مضافاً إلى تحويل الشباب إلى عنصر متكاسل خامل ومدمن على السكر والنساء وما شاكل.

---

(١) ميزان الحكمة، مادة المرأة.

٤ ـ إن هذه الحفلات المنطلقة من فعل وممارسة الراقصة تؤدي إلى سلب الحياء عند النساء، وهذا من شأنه حضور عالم الوقاحة عند النساء الأمر المؤدي إلى تخدير النساء.

٥ ـ لماذا يحقق زيادة التعري عند الراقصة الفلانية شهرة تفوق شهرة الراقصة الأقل عرياً بكثير؟؟

٦ ـ لماذا يلحظ تصفيق الرجال، وتركيزهم واهتمامهم أكثر بكثير من النساء؟؟ ولماذا تصر الراقصة على لفت أنظار وانتباه الرجال أكثر من النساء؟؟

٧ ـ أنا أزعم كل الزعم بأن الحضور إذا خلا من الرجال فلن تحقق الحفلة الراقصة شيئاً من النجاح، ولن تحقق هذه الراقصة شيئاً من الإعجاب والتقدير والشهرة والمال ألا ترى أن شباب اليوم حينما يتجالسون ويتحادثون بحديث الإثارة يغمزون إلى تلك الراقصة المشهورة وكأن حديثهم عنها يشير إلى غاية سقوط هذه الراقصة ومهانتها لأنها أضحت من أدوات تسلية الشباب!!!

٨ ـ إن أخريات حياة الراقصة تبدي وتظهر لها بوضوح مدى الخطأ الفظيع الذي وقعت فيه في أوليات حياتها.

٩ ـ إن حياة الراقصة مليئة بالضوضاء والاضطراب والقلق فحياتها بعيدة كل البعد عن الهدوء والاستقرار والاطمئنان.

١٠ ـ أن أدل دليل على أن فن الرقص هو لإظهار الجسد الأنثوي، ويأخذ شهرته لأجل الجسد لا لأجله هو، إن أكثر حضّار الحفلات الراقصة لا يفقهون بالفن والإبداع ولا بد من الإشارة إلى أن بعض المتظاهرين بالحداثة والتنور يدعون بأن الحديث ضد فن الرقص، وضد فعل وممارسة

الراقصة هو حديث ينطلق من مبدأ نصرة العادات والتقاليد القديمة، وبالتالي فهم يعتقدون بأن رأي الإسلام في ذلك هو كرأي أصحاب العادات والتقاليد، ونحن في هذا المجال ننكر هذا التلازم.

لأن حديث أهل العادات والتقاليد هو ناشئ من نفس العادات والتقاليد، بينما حديث الإسلام ناشئ عن مبانٍ وأصول قائمة، حيث أن الإسلام عندما يحرم شيئاً فإنه يحرمه لأنه يرى أن واقعه يستبطن مفسدة عظيمة، وعندما يحلله أو يوجبه فإنه يرى كذلك لأن واقعه يستبطن عدم مفسدة أو مصلحة.

وبالعودة إلى تلك الراقصة التي لا تعتقد بالدين الإسلامي، وتعتقد أن عملها هو رسالة حياتية، فنقول لها: إن العمل الرسالي هو الذي يفيد الناس ولا يدمرهم، وهو الذي يصلح الناس ولا يفسدهم، وهو الذي يحدوهم على الجدية لا على العبث واللهو، وهو الذي يحثهم على التحلي بالفضائل لا على الاتصاف بالرذيلة وهكذا.

وفي ختام الكلام فإن الراقصة ليست فنانة بل إن فعلها وممارستها يحكي فعل وممارسة شيطانية، لأنها بتمايلها الجسدي تحكي عما يريده الشيطان للناس، والفن البديع والخيّر براءٌ منها تمام البراءة.

لا ريب بأن المرأة إذا كانت صادقة في إظهار فن الرقص وإبداعاته فلماذا لا تتفنن بالرقص أمام زوجها فإن ذلك من الأمور الجائزة إسلامياً، أما أن يكون فن الرقص محصوراً فقط أمام الرجال فهذا يدل على أن الرقص هو للجسد لا للفن.

عارضة للأزياء
أم مبرزة للقيمة الإنسانية

لا أدري لماذا تُقحم المرأة في تجارة الأقمشة والألبسة، فحتى يبيع التاجر لباساً رخيصاً فإنه يحتقر جسد المرأة الغالي الذي يغار الله عليه، حتى يصبح الجسد الغالي أقل قيمة من نفس اللباس.

فترى تاجر الألبسة يعرض جسد المرأة مع هذا اللباس أو ذاك ويكون نجاح العارضة للأزياء وفشلها دائراً مدار انتشار السلعة وعدمها.

إنه من المعيب حقاً قصر وجود المرأة على نجاحها في جلب المنفعة لتجار الأقمشة أو ما يسمونه «مصمم الأزياء».

لا شك بأن عرض الأزياء على جسد النساء ليس معيباً في نفسه، وليس مستهجناً ولكن مع مراعاة الضوابط والحدود الشرعية، فلا بأس من عرض الأزياء أمام النساء.

إن الغرض من عرض الأزياء هو إظهار ما أبدعه مصمم أو مصممة الأزياء، وانتشار هذه السلعة أو تلك، وحمل الناس على شراء هذه السلعة أو تلك، كما أن الغرض من عرض الأزياء هو اكتساب الشهرة للمصمِم والمصَمِم. فإذا كان هذا اللباس نسوي محض فلا ريب بأن الرغبة به تتعلق بالنساء أنفسهن دون الرجال، وعلى هذا الأساس فلماذا تكون المرأة

عارضة للأزياء أمام الرجال؟؟؟ ولماذا لا تقصر عرضها على النساء طالما أن اللباس الذي تمَّ عرضه هو زيهن لا زي الرجال؟؟!!

قد يقال بأنه لا بد من حضور الرجال لأمرين:

الأول: لأن الرجال تجار الأقمشة أو مصمميها ولا بد لهم من القرف على أذاوق الجماهير مباشرة.

الثاني: إن آراء النساء لا تكفي لوحدها بل لا بد من ضم آراء الرجال إليهن وهذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن المرأة عندما تريد أن تلبس ثوباً فإنها تلبسه من أجل نيل إعجاب الرجال ولا تلبسه من أجل أن تعجب به هي.

وفي مقام الإجابة عن هذين الأمرين نقول:

١ ـ يمكن لهؤلاء التجار أن يتعرفوا على أذواق الجماهير من خلال طرق عدة منها:

أ ـ آراء النساء الذين يحضرون عروض الأزياء الخاصة بهن دون الرجال.

ب ـ إقبال النساء على هذه السلعة أو تلك.

ج ـ أذواقهم هم من حيث اطلاعهم على نفس السلعة من دون جسد المرأة.

د ـ أذواقهم هم من خلال اطلاعهم على هذه السلعة أو تلك وهي على أجساد زوجاتهم، وبناتهم، ومحارمهم عموماً.

٢ ـ لا نرى أن أذواق النساء لوحدهن من دون الرجال لا تكفي ولا تفي بالغرض، بل إن هذا القول يسبب تنقيصاً وخدشاً للمرأة واستقلالها.

والذي لا بد من الإشارة إليه هاهنا هو أن كل مبيعات التجار، وكل معارضهم، وكل سلعهم تباع وتُشترى من دون عروض الأزياء، فلماذا هذا الحرص على القول بتوقف انتشار هذه السلعة على عرض أجساد النساء أمام الرجال بتلك الإثارة، وبهذه الأساليب المغرية؟!!

ثم إن القول بأن عرض الأزياء هو الذي يُنجح انتشار هذه السلعة أو تلك هو ضربة حقيقية لمقولة أن تصميم الأزياء هو فن قائم بنفسه!!!

ثم إن هناك إشارة ثانية لا بد منها ومحصلها أن الأزياء التي تعرضها العارضات ضمن برنامج «تصميم الأزياء»، لا تصلح لأن تكون أثواباً للنساء المحتشمات والعفيفات خارج دائرة أزواجهن وأرحامهن، بل هي لا تصلح إلا في غرفهن الخاصة أو أمام أزواجهن.

وبناءً على هذا فإما تقتنى هذه الألبسة وتلبس ضمن دائرة البيت الزوجي الخاص، أو ضمن دائرة المحارم والنساء خاصة، أما ارتداء هذه الملابس أمام أعين النظار في الخارج فهذا مما يخالف منهج الحجاب القائم على لزوم الستر والتستّر.

لا ريب بأن الجمهور حينما ينظر إلى عارضات الأزياء لا ينظر إلى الثوب ولا يلحظ إبداعات مصممه بقدر ما ينظر إلى جسد العارضة الظاهر، وهذا من طبع الغريزة والميل الشهوي لدى كل أحد، ومن البديهي فإن الميل الغريزي والشهوي يسبق التعقل عندما ينفتح بابه على ما يثيره ويحركه، فإذا ما افترضنا وجود عارضتان للأزياء، إحداهما تلبس ثوباً لا يستر إلا جزءاً يسيراً من البدن، والأخرى تلبس ثوباً ساتراً لكل البدن فلا شك بأن من تلفت انتباه الرجال أكثر هي الكاشفة لمعظم أجزاء جسدها، وبعد هذا فلا يلتفت الجمهور خاصة الرجال إلى الزي المصمم نعم قد يلتفت إلى الزي لا من باب

طرازه بل من باب مدى فعاليته في إظهار محاسن ومفاتن الجسد الأنثوي، بل ربما ـ إن لم يكن المؤكد ـ لا يصمم مصمم الأزياء هذا الثوب أو ذاك إلا لغرض إبرازه للجسد الأنثوي بشكل مثير، وإن اختيار العارضات الجميلات، واللواتي لهن مواصفات جسدية مثيرة هو أدل دليل على ذلك. وعلى هذا الأساس فليست عارضة الأزياء هي عارضة أزياء حقيقية بل هي عارضة جسد، وعارضات الأزياء هن عارضات أجساد وإن اختلفت التسميات ووظيفة الثوب هي عكس لهذه الحقيقة أي حقيقة عرض الجسد، ولهذا فإن عارضات الأزياء الصيفية أشد إثارة من عارضات الأزياء الشتوية.

إننا نعتقد بأن العبرة في اشتهار الثوب هي لابسة الثوب وعارضته، لا في نفس الثوب، وهذا يظهر من خلال هذين النموذجين:

الأول: عارضة للأزياء طويلة القامة، جميلة المظهر، صاحبة جسد مثير جداً ومكشوف، وهي في الوقت عينه تلبس ثوباً غير متلائم مع روح العصر.

الثاني: عارضة للأزياء قصيرة القامة، قبيحة المنظر، وصاحبة جسد غير مؤهل للاستعراض، وغير باعث على الإثارة نسبياً، وهي في الوقت عينه تلبس ثوباً خلاباً ومطرزاً، ومتماشياً مع روح العصر.

فهنا وبلا ريب ستكون العارضة الأولى هي المرغوبة لدى الجمهور، وتبعاً لمرغوبيتها سوف يرغب الجمهور بالثوب بالرغم من رجعيته ورداءة تصميمه، ومرد ذلك إلى نفس الجسد لا إلى الثوب.

ولهذا السبب نرى كيف أن ثرياً معيناً يقبل على شراء قطعة ثوب من راقصة معروفة، أو مغنية مشهورة بأبهظ الأثمان على الرغم من نتانة رائحته، وقدم زمانه وهو في العرف ثوباً بالياً؟!!!

إن مرد هذا إلى اللابسة لا إلى الملبوس، ولهذا السبب نرى كيف أن الشركات الكبرى تدفع مبالغاً طائلة للراقصة الفلانية، والعارضة الكذائية لقاء عرض منتجاتها، كما أننا نلاحظ كيف أن شباب وشابات اليوم يعمدون إلى تمزيق أثوابهم بطريقة مزرية تقليداً ومحاكاة للراقصة الفلانية، والمغني أو المغنية المعروفة!!!

وفي هذا المجال لا بد من التنويه بتلك المرأة المبرزة للقيمة الإنسانية والتي تعمل بموازاة هذا الإبراز على إخفاء الجمال الجسدي ما خلا على أهله ومستحقيه. ففرق كبير، وبون شاسع وواسع بين امرأة تجعل جسدها عرضة للأنظار والأضواء وتخفي قيمتها الإنسانية وكأنها لا قيمة إنسانية لها، ولا معنى لحضورها ويقتصر حضورها على جسدها فإذا ما تنكس جسدها أو تشوه أو قُبح تصبح بلا قيمة.

فرق كبير بين هذه وبين امرأة عكفت على إبراز قيمتها الإنسانية من خلال العلم والعطاء، والجدارة، والاختراعات، والاكتشافات، والتربية فهي لا تغيب عن الساحة الإنسانية، وعن منظومة القيم حتى لو تنكس جسدها، لأنها كرست وجودها على أساس الإنسان لا الجسد، وبالفعل فإن حياة الإنسان أطول من حياة شباب الجسد ونضارته، وكما لا يخفى فهذا لا يعني أن لا تتمتع المرأة بجسدها بما أحل الله عزَّ وجلَّ.

إن خلاصة ما يمكن أن يقال هنا هو أن عرض الأزياء بما يحوي هو عرض للجسد، وإن كل مصمم للأزياء، وكل حفلة عرض الأزياء، وإن طريقة اختيار عارضات الأزياء، كل هذا وما شاكله إنما ينطق عن حقيقة واحدة هي استعراض الأجساد لا الأثواب.

كلام غير صحيح

يعمد بعض المتغررين بالثقافة الغربية إلى القول بأن المرأة المحجبة أو الشرقية عموماً، هي تلك المرأة التي تستخدم فقط لإمتاع رجلها دون غيره، فهي تنتظر طوال الوقت ليأتي زوجها وينفس إثارته فيها.

وخفي على هؤلاء أمور وأسئلة منها:

١ ـ أن لجسد المرأة وظيفة مخلوقة ومفترضة وهي قابلية إمتاع الرجل، كما أن لجسد الرجل نفس الوظيفة.

٢ ـ أن هذا العمل من كلا الطرفين هو من حقوق الزوج على الزوجة، ومن حقوق الزوجة على الزوج.

٣ ـ إذا لم تكن الزوجة لتفعل هذا الفعل، ولم يكن الزوج ليفعل هذا الفعل فلماذا هما متزوجان؟؟!!

٤ ـ إن هذا الفعل من الزوجة لا يعد إهانة لها بل زيادة احترام لها، لأنها تفعل هذا الفعل مختارة، وهل أن الحب والعشق لا يوجد في الشرق، ولا يوجد في أوساط العفيفات المتحجبات.

٥ ـ هل لا ترضون بالمرأة المحجبة والشرقية إلا إذا جهدت واجتهدت لتنفيس رغبات الرجال الذين لا تربطهم بها أي رابطة زوجية؟؟

٦ ـ هل إذا قامت هذه المرأة بالتهيئة للرجال غير الأزواج في الأوتيلات، والبارات لا تكون امرأة متخلفة، وإذا كانت الزوجة تنتظر زوجها لينفس رغبته فيها في بيتها ساعات فهي تنتظر من تعرفه، وتحبه، وترضاه، ومن يحرص على مستقبلها، وشرفها، فإن المرأة الأخرى تنتظر في أوساط ومظان الرذيلة ساعات وساعات من لا تعرفه، ولم تراه، ولم تجربه، ومن لا يهتم بها، وبمستقبلها لتنفيس رغبته.

٧ ـ لماذا يحق لأولئك الرجال الذين يدفعون ثمناً بخساً، التمتع بنساء ونساء بما رغبوا، ولا يحق للزوج أن يمارس وظيفته الجنسية مع زوجته؟!!

٨ ـ لماذا تفسرون هذه العلاقة الطبيعية بين الزوجين بأنها علاقة المفترس للمفترسة، ثم أن هناك زوجات عدة تشتكين من عدم إقدام أزواجهن وإقبالهم عليهن، ثم أن هناك من الرجال من لا يُقبل على زوجته إلا إذا أقبلت هي عليه، كما أن هناك أزواجاً وزوجات يشتركان في تنفيس الرغبة الجنسية معاً لا أن ترفض هي ويريد هو أو العكس.

٩ ـ أليست تلك المرأة الكاشفة لجسدها، والقابلة على تنفيس رغبة كل أحد، هي تلك المرأة المستخدمة فقط لهذا السبيل؟؟

١٠ ـ إن الوظيفة الجنسية التي تؤديها المرأة المتزوجة مع الرجل هي جزء من دورها كزوجة، وإلا فإن لها أدواراً كثيرة منها تربية الأجيال، وعبادة الله عزَّ وجلَّ، ودخول المعترك السياسي والاجتماعي والثقافي، وحيازة المهارات والطاقات، وبالجملة فإن أدوار المرأة مفتوحة على كل صعيد ما لم تتنافى مع منهج الحجاب الكامل.

المرأة والغناء

الغناء بطبيعته يستهوي المرأة ويشدها إليه ـ عدا ما يستثنى ـ سيما وأن عالم العاطفة والأحاسيس موطنه ومركزه الأس.

وهي تميل إلى الغناء لأنها ترتبط بعالم المشاعر أكثر من الرجل في الغالب، ولا شك بأن تحريك الشعور أمر محبوب ومشجع سيما وأنه يحرك الإنسانية داخل الإنسان، ولكن هاهنا كلام في مسألة الشعور وخلاصته:

إن ثمة فرق كبير بين شعور يتحرك في طريق الخير، وبين شعور يتحرك في طريق الشر، ولا شك بأن الغناء يحرك الشعور لدى المرأة، ولكن هذا التحريك يقيّم ـ سلباً وإيجاباً ـ بحسب ما يحمل من مفاهيم، وبحسب المصدر، وكذا الهدف وعلى هذا فإن هناك ثلاثة محاور ترتبط بعملية تحريك الشعور هي:

الأول: المحرِك: بكسر الراء، فلا بد من معرفة مصدر التحريك أي المحرِك، وهو ينقسم إلى قسمين:

١ ـ محرِك صالح لا يستخدم إلا الوسائل المشروعة في عملية تحريك الشعور، ولا يبتغ من تحريكه للشعور إلا الفضيلة، فهو يعمل على عدم مخالفة الشرع الصحيح، والعقل السليم.

٢ ـ محرِك غير صالح يستخدم وسائل غير مشروعة ويبتغي من تحريكه

للشعور الرذيلة وما يتاسبها، ولا يهمه مخالفة الشرع الصحيح، والعقل السليم، وخدش الحياء وما شاكل.

الثاني: المحرَك: بفتح الراء، وهو الذي يتأثر بما يفعله المحرِك، فيتحرك بما يشاء المحرِك ويهوى، وينقاد له انقياد المستسلم، وهذا المحرَك ينقسم إلى قسمين:

١ ـ مُحرَك فيه خاصية التبعية، فهو يأخذ بالغناء ويتحرك على منواله بأي نحو اتفق، فلا يمحص ولا يدقق ولا يرفض البتة.

٢ ـ محرَك ليس فيه خاصية التبعية، بل فيه خاصية التمحيص والتدقيق، فهو لا يتحرك مع الغناء مثلاً إلا إذا أعمل فيه التدقيق والتمحيص، وإجالة الرأي، وهذا بدوره على مستويين:

المستوى الأول: شخص دقق وحقق فوجد أن الغناء منه ما يتوافق مع قناعاته الخاصة، ومنه ما لا يتوافق، فيقبل الأول ويرفض الثاني والعمدة عند هذا الشخص «الرأي الشخصي» دون غيره.

المستوى الثاني: شخص دقق وحقق فوجد أن الغناء له معياران:

أ ـ الغناء المنسجم مع الشريعة الإسلامية، فيقبل به محركاً لمشاعره.

ب ـ الغناء غير المنسجم مع الشريعة الإسلامية الصحيحة فيرفضه بلا شك.

الثالث: ما يُحرك لأجله، وهو على قسمين:

١ ـ ما يحرك لأجله هو الشهوة، والغريزة، والجسد، والشذوذ، والدعوة إلى الخيانة الزوجية بدعوى الحب، والدعوة إلى ملازمة الرذيلة والخمر والخطيئة وما شاكل.

٢ ـ ما يحرك لأجله هو الإيمان، والعفة، وذكر الله عزَّ وجلَّ، وقراءة

القرآن، والثورة على الظلم، والدعوة إلى الإيثار، والرجوع إلى الله عزَّ وجلَّ والإنابة إلى الله والقربة إليه، والاعتبار وغير ذلك.

وبالجملة فإن ما يحرك لأجله الرذيلة وما شاكلها، والفضيلة وما شاكلها.

وبتقديري فإن الطبيعة تغني فخرير المياه، وحفيف الأشجار، وزقزقات العصافير، وأصوات الحيوانات، ونقيق الضفادع، واصطكاك الأحجار، وأصوات البراكين، والأصوات المنبعثة من احتراق الأشياء، وصوت الهواء وغيرها كلها تعبير آخر عن الغناء، وهذه تحرك لأجل الفضيلة لأنها خلق الله عزَّ وجلَّ.

بينما إذا قام المغني الكذائي أو المغنية الكذائية بتحريك مشاعر السامع أو السامعة باتجاه الخطيئة وتحريك الشاب لطلب الخيانة مع زوجة ذاك، أو يحرك الغناء تلك الزوجة لخيانة زوجها مع رجل آخر وهكذا.

فهذا الغناء له طبيعة شيطانية وهمية ليس لها مساس بالواقع البتة.

ونحن في مقامنا إذا رجعنا إلى أغلب الغناء المستخدم في عصرنا هذا نجده فاسداً ومفسداً في آن، سيما وأن من يحركه هم الفسدة والفسقة، وأهل المجون والفجور والخلاعة، وأعداء العفة والعفاف.

وإن الجو الفاسد الذي يصنعه الغناء المستخدم في هذه الأعصار هو مما لا ينفيه أحد، حتى من قِبل أرباب هذا الغناء ورواده.

لا ريب بأن المرأة العاقلة والواعية والمدققة هي المرأة التي تطرح تساؤلات جمّة حول كل ظاهرة ماثلة أمامها، ومن جملة ذلك قضية الغناء، فإذا كان الغناء الذي تستضاف إلى مائدته:

١ ـ مخالفاً لشريعة خالقها الأعظم عزَّ وجلَّ.

٢ ـ ناقضاً لمفهوم الستر والتستر، والحجاب.

٣ ـ خارقاً لناموس الحياء، وجدار الحشمة، وإطار العفة، وبنيان الأنوثة.

٤ ـ صادراً من أناس متحرفين وغواة.

٥ ـ متناسياً مع أهل المجون.

٦ ـ متصاعداً في جو فاسد، وفي مناخ الرذيلة.

إذا كان الغناء بهذه الطبيعة فهل تقبله المرأة العاقلة والواعية والمدققة؟؟!!.

ومن هو هذا المطرب الصعلوك الصاعد من أرضية الانحطاط والسفالة، حتى تأتي تلك الفتاة المثقفة، والعفيفة، والجامعية، والواعية وتحتشد في قمة اللهفة والشوق لتأخذ إمضاءً له، أو تتبرك بمصافحة يده؟؟!!

لا بد أن يكون العكس صحيحاً أي هذا السافل هو الذي ينبغي أن يطلب إمضاءً منها لا هي، ومن هو هذا المطرب المتسافل الذي يرتع في يخته، ويركب أفضل السيارات، ويلبس أفضل الثياب، ويأكل أفضل الأطعمة، حتى تجوع الناس، وتعرى، ولا تملك قوت الأيام من أجل شراء نتاجاته القذرة الموسومة بالسحت؟؟!!!

إنه من العجيب هذه الموجة المتدافقة لأولئك الفتيان والفتيات الذين يظهرون أمام شبكات الإعلام على صور شياطين صغار، حيث أنهم يشتهرون على حساب معيشة الناس لقاء تخديرهم بمجموعة أشرطة غنائية ليس فيها إلا العيوب!!!!

وبتقديري فإن ظهور هؤلاء بدعم مشبوه ينذر بتحطيم آخر جدار للعفة والحشمة لدى الناس.

وإذا ما عملنا مقارنة بين مطرب أو مطربة من هذا الطراز الشيطاني الصغروي يحيي أو تحيي حفلة غنائية، وبين سياسي نظيف يحذر الشعوب من خطر الهجوم المعادي، فإن المطرب أو المطربة يكونان أكثر شعبية، وهذا يعكس مدى التخدير الذي وصلت إليه الشعوب. واللافت أن أكثر الناس شغفاً بهذه الأجواء، بل يمكن القول بأن ملح وذخائر هذه الحفلات الغنائية التي يديرها صعاليك هن الفتيات.

وبالحق فإن الغناء المستخدم في هذه الأعصار هو سيئ بجميع التقادير.

ولا يقال بأننا نسمع الغناء في وقت دون وقت، فإن الخطأ القليل في وقت قصير هو من جنس الخطأ الكثير في وقت طويل، كما أن أكثر الجرائم الكبرى كالقتل، والجرح، والسرقة، والاغتصاب تتم بوقت دون وقت، وبوقت قصير أيضاً.

ولا يُقال أيضاً بأننا نتسلى، فهذا مخالف للحق ولما هو صحيح، إذ أن التسلية بالمعصية هي تسلية بالخطأ، فماذا لو قال أحدهم إني أقتل الناس لأتسلى؟!! أو أنا أفرق بين الناس لكي أتسلى؟؟

فالتسلي ليس دائماً يكون صحيحاً وإنما له ضوابطه كأي شيء آخر.

ولا يُقال بأنني أسمع الغناء ولست مغنية فهذا من المغالطات الكبيرة، لأن المغني والسامع للغناء هما معاً في مائدة المعصية، وأن الفاعل للمنكر والراضي به، والمشارك فيه سواء، وهنا المغنية أو المغني يعصيان الله عزَّ وجلَّ، وسامع وسامعة الغناء يتشاركان في ذلك بلا شك.

وبالإجمال فإن الغناء في هذا العصر وما قبله من العصور، وما بعد ذلك، كان ولا يزال وسيبقى مصدراً للهو المدمر، والضياع المفسد، والإبتعاد عن الرحمٰن، والانكباب على الخطيئة.

ولا يُقال بأن القناعة الشخصية هي المدار وعليها المعول في صحة شيء أو فساده، فربما تُخيّل بأن هذه قناعة شخصية وهي في الحقيقة قناعة غيرية، نعم القناعة الشخصية تؤثر تأثيراً بالغاً في سلوك أمر أو تركه، ولكن السؤال يتوجه إلى صاحب القناعة حول مصدرية هذه القناعة، فهل مصدر القناعة الله عزَّ وجلَّ وحلاله وحرامه؟؟ أم أن مصدر القناعة هو الشيطان؟؟ أم هوى النفس؟؟ أم التراث والتقليد؟؟ أم فعل الآخر؟؟ فكل هذا لا بد من توجيه السؤال حوله.

وفي مسألة الغناء فإن الكثير ممن يدعي القناعة الشخصية إنما يتأثر بالأجواء الإغوائية العامة، وينساق مع أهواء النفس، ويلحق بركب الغاوين والكذابين، والمنحلين أخلاقياً، وكيف تكون القناعة الشخصية قناعة صحيحة وهي مخالفة لحكمة الله عزَّ وجلَّ القاضية بتخطئة الغناء وبطلانه وبتأثم صاحبه.

إن الغناء وإن كان بمثابة الهواء السام الذي يسمم أجواء الفضيلة، وإن كان تأثيره الفاسد والسام يعم ببلواه كل من تأثر فيه، وانسجم معه، سيما الرجل، إلا أن تأثيره على المرأة أشد فتكاً، لا للادعاء الباطل بأن المرأة أقل وعياً من الرجل، بل لأن من يستخدم الغناء كأسلوب من أساليب إفساد المسلمين، هو يركز حملة على المرأة أكثر من الرجل، وذلك لكونها ـ أي المرأة ـ في مقدمة أهداف الاستكبار العالمي، وإنما يركز الاستكبار حملته على المرأة لسببين هما:

الأول: أن للمرأة قدرة عاطفية تفوق القوة العاطفية عند الرجل أضعافاً

مضاعفة، وبما أن الغناء يحرك العاطفة والشعور فتأثيره أقوى.

الثاني: أن المرأة عندما تتأثر بالغناء وشبهه، وتنفذ فيها خدع وشبه الأعداء، فعندها تقع في فساد الغناء، ويغدو إيقاع الرجل في دائرة الفساد من خلال المرأة أسهل.

لا شك ولا ريب بأن الغناء بجميع صوره ـ عدا ما يستثنى أعني ما هو جائز شرعاً ـ هو من أعظم مكامن الفساد، ومصاديق الإضلال، ومن أهم آثاره المدمرة:

١ ـ إلهاء الأمة عن سياقاتها العامة والأساسية، وتخديرها من الداخل، الأمر الذي يستدعي تآكلها، وانفلاتها عن ساحة الجهاد والمقاومة.

ففرق كبير بين مجتمع ينحل أفراده إلى مجموعات متناثرة هنا وهناك، تعمد إلى إحياء الليل بالحفلات الغنائية المصاحبة بالسكر، والعري، والتبذير المالي، وهذا الإحياء الليلي بتلك الحالة المزرية، والكيفية المتلفة للطاقات والإمكانيات، يتصل مع نهار خامل لا يقوى فيه أصحابه على التفاعل مع الحياة العامة.

فرق كبير بين هكذا مجتمع وبين مجتمع يعيش أجواء الجد والمثابرة، والنشاط العملي والذي من شأنه صناعة مجتمع راقٍ وحضاري.

٢ ـ تكريس «الأنا»، والاستغراق في الشهوة، وتأمين متطلبات الغريزة، وقتل المعنى والمضمون الإنساني انتصاراً للجسد المحض.

ومضافاً إلى ما ذكر فإن للغناء سلبيات عديدة منها:

السلبية الأولى: أن الغناء يسبب للمرء:

أ ـ الضلال عن سبيل الله، والإضلال كذلك.

ب ـ الاستهزاء بآيات الله عزَّ وجلَّ.

ج ـ دخول النار، والديمومة في العذاب المهين.

فعن محمد بن مسلم عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: سمعته يقول: «الغناء مما وعد الله عليه النار» وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

ومن الواضح أن عبارة «لهو الحديث» تعني الغناء، وهذا ما استشهد به الإمام عليه السلام في مقام تحريمه للغناء.

السلبية الثانية: إن الغناء إلقاءً وسماعاً، وحضوراً هو زور بزور، فقد ورد عن ابن أبي عمير عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ قال عليه السلام: «قول الزور الغناء»[2] وقد ورد عنه عليه السلام أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ بأن المراد بالزور هنا الغناء»[3].

وجاء في معنى الزور أنه قول الرجل للذي يغني: أحسنت، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه أجاب الذي سأله عن معنى قول الزور، فقال عليه السلام: «منه قول الرجل للذي يغني أحسنت»[4].

السلبية الثالثة: إن الغناء:

أ ـ يسبب الإصابة بالفجيعة.

ب ـ يحرم العبد من استجابة الدعاء.

ج ـ يحرم البيوت من زيارة الملائكة.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٦. راجع الوسائل، ج١٧، ص ٣٠٥.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٦. راجع م.ن، ٣٠٤.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.، ٣٠٩.

فعن زيد الشحام عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «بيت الغناء لا تُؤمن فيه الفجيعة، ولا تُجاب فيه الدعوة ولا يدخله الملك»[١] أي البيت الذي فيه الغناء.

السلبية الرابعة: إن الغناء وأهله ومن يسمعه، ويحضره، ويساهم في تقويته عبر شراء وترويج آلات الغناء، والأشرطة وما شاكل ذلك، كل هؤلاء من جهة الباطل، فقد ورد أن رجلاً أتى إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام فسأله عن الغناء، فقال عليه السلام: «يا فلان، إذا ميّز الله الحق والباطل فأين يكون الغناء؟ فقال: مع الباطل قال عليه السلام: قد حكمت»[٢].

السلبية الخامسة: الغناء هو عش النفاق، ويورث النفاق، وينبت النفاق، وهو سبب للفقر، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «استماع اللهو والغناء ينبت النفاق كما ينبت الماء الزرع»[٣].

وعنه عليه السلام: «الغناء يورث النفاق ويعقب الفقر»[٤].

وعنه عليه السلام قال: «واستماعهن نفاق»[٥] أي استماع أغنية المغنيات، وعنه عليه السلام قال: «الغناء عش النفاق»[٦].

السلبية السادسة: أن الغناء شر الأصوات، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «شر الأصوات الغناء»[٧].

---

(١) م.ن، ٣٠٣.
(٢) م.ن.، ص ٣٠٦.
(٣) م.ن.، ص ٣١٦.
(٤) م.ن.، ص ٣٠٩.
(٥) م.ن.، ص ١٢٤.
(٦) م.ن.، ص ٣٠٥.
(٧) م.ن.، ص ٣٠٩.

وصحيح أن صوت الغناء مطرب وحسن من ناحية السماع، ولكن شره في أنه معصية لله عزَّ وجلَّ، وأن مؤداه عقوبة الله جلّ وعزَّ.

السلبية السابعة: أنه يجعل المرء معدوم الحياء، فقد قال الإمام الصادقعليه السلام: «أما يستحي أحدكم أن يغني على دابته وهي تسبح»[1].

وهذه السلبيات وغيرها الكثير تفيد فائدة تامة بأن الغناء من وسائل الشيطان الخطيرة، وأنه آلة للفساد والإفساد.

قال الإمام الخوئي في سياق تعداده لوجوه حرمة الغناء: «الثالث: الروايات الدالة على حرمة الغناء، وحرمة تعليمه وتعلمه، وحرمة التكسب به واستماعه، وأنه ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الخضرة، وأنه يورث الفقر والقساوة وينزع الحياء، وأنه رقية الزنا، ويرفع البركة، وينزل البلاء، كما نزل البلاء على المغنين من بني إسرائيل، وأنه مما وعد الله عليه النار وبئس المصير، وأنه عش النفاق، وأن الغناء مجلس لا ينظر الله إلى أهله، وأن استماع الغناء نفاق وتعلمه كفر، وأن صاحب الغناء يحشر من قبره أعمى وأخرس وأبكم، وأن من ضُرب في بيته شيئاً من الملاهي أربعين يوماً قد باء بغضب من الله فإن مات في أربعين مات فاجراً فاسقاً مأواه النار وبئس المصير، وأن من أصغى إلى ناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان، وأن من استمع إلى الغناء يُذاب في أذنه الآنك»[2].

والآنك هو الرصاص المذوب كما لا يخفى، فالغناء إذن حرام وبهذا نطق القرآن الكريم، وعلى هذا إجماع العلماء، وبهذا حكم العقل، ونطقت الأخبار والروايات الشريفة عن النبي والأئمة المعصومينعليهم السلام.

---

(١) م.ن.، باب ٩٦ ـ وباب ١٠٠ وغيرهما.

(٢) مصباح الفقاهة، ج١.

فهل نترك القرآن، والسنة المباركة للنبي والمعصومين ﷺ، والعقل، وإجماع العلماء، ومن ثم نستمع للغناء؟؟!!!

لا ريب بِأن الغناء حرام، وأن استماع الغناء حرام، وأن حضور حفلة الغناء حرام، وشراء أشرطة الغناء حرام، ودعم مجالس الغناء حرام.

كل هذا حرام بحرام فهلّا انتهينا عن الحرام!!!

ممثلة أم مكرسة للخطيئة

التمثيل هو تجسيد لحادثة واقعية، أو مفترضة الوقوع قصّها الكاتب من وحي الخيال، والتمثيل هو فن من الفنون الراقية ولكنه يُلحظ باستعمالين:

الأول: أن يكون غير متعارض مع منهج الحجاب القاضي بلزوم الستر والتستر شكلاً ومضموناً من جهة، وأن لا يكون متعارضاً مع الشرع الحنيف عموماً من جهة أخرى. وطبعاً فإن عدم تعارضه مع منهج الحجاب بالنسبة للمرأة في جميع ما يجب عليها ستره شرعاً، وبالنسبة للرجل فيما يجب عليه ستره كما لا يخفى.

الثاني: أن لا يكون متوافقاً مع الإباحية، والهتك، ونشر الرذيلة، وتكريس الخطيئة.

وقد يقول قائل بأن المرأة عندما تقوم بدور امرأة إباحية، أو متكشفة الجسد، أو المعانقة للرجل كأنها زوجته على شاشات الإعلام، فإنها تقوم بهذا الدور لا على أساس أنها بشخصها الحقيقي كذلك، بل على أساس أنها ممثلة، فشخصية المرأة الممثلة في التمثيل شيء، وفي غير التمثيل أي في حياتها العادية شيء آخر، فربما تقوم بدور جنسي وإباحي في التمثيل، وهي في حياتها العادية تشعر بالقرف من هذه الشخصية.

وهذا القول بالحقيقة فيه من الوقاحة المجتمعة مع السذاجة ما لا يخفى لأمور:

١ ـ إن جسدها هو الذي يعانق، وفمها هو الذي يُقبل، وهي تفعل ما تفعله الساقطة بالحس والمعنى تماماً، فليس جسد غيرها هو الذي يفعل هذا الفعل بل جسدها هي.

٢ ـ ما هي الفائدة من تجسيد تلك الحوادث المنحرفة، فإذا كانت الفائدة هي تحذير الجمهور فيمكن ذلك عبر وسائل أخرى، وإذا كانت الفائدة هي التشويق والإثارة فهذا مما لا فائدة منه، إذ أن التشويق والإثارة لا يكون بتجسيد الإنحراف، ثم إن الكثير من الجماهير لا يلتفتون من مغزى هكذا أفلام ومشاهد فهم فقط وفقط يشعرون بالإثارة والتشوق، ويلاحقون مشاهد العري والزنا والإباحيات؟؟ وإن النسبة التي تلاحظ خلفية ومغزى هذا الفيلم أو ذاك هي نسبة ضئيلة جداً، بل إن هذه النسبة لا يروقها هكذا أفلام، لأن أي فيلم من أفلام الإباحة والجنس لا يُرتجى منه فائدة علمية ولا عملية وإنما يزيد الانحراف انحرافاً، والزيغ زيغاً.

٣ ـ إن تجسيد واقعة انحرافية إباحية ضلالية معينة، يكرس ممارستها في المجتمع ولا يحذر منها، وذلك لأن الناس في ذلك على قسمين:

الأول: أولئك الذين لم يسمعوا بمثل هكذا انحرافات، ولم يتخيلوها حتى، وبهذا فإن تجسيد هذه الوقائع الانحرافية يضع في حسبانهم سلوكاً من هذا القبيل، وإذا ما اضطر أحدهم إلى فعل مشابه فإنه يبرر هذا الفعل بقوله: أنا لست وحدي من فعل هذا بل هناك من فعل هذا أيضاً والدليل الفيلم الكذائي!!!

الثاني: أولئك الذين سمعوا بمثل ما جرى تمثيله، وعايشوه فهؤلاء لا يحتاجون إلى أي تحذير، بل هم الأحق بتحذير الناس من مغبة الوقوع في هكذا انحرافات شفاهياً.

وهذا كله إذا كان التمثيل واقعي أما إذا كان من وحي الخيال فهذا تأسيس للرذيلة والانحراف وليس تكريساً.

٤ ـ ليس كل ما يقع، أو يُتخيل ويستوحى لا بد من تجسيده، ولنتصور لو أننا جمعنا كل جرائم الدنيا، والإنحرافات، والخطيئات ثم بدأنا بتجسيدها على شاشات التلفزة، وفي دور السينما، فهل تنتشر في الدنيا إلا ثقافة الانحراف والجريمة والخطيئة.

٥ ـ إذا سلمنا بوجود الفائدة من تجسيد وقائع انحرافية، وإباحية، فهل نسلم بوجود هذه الفائدة بالنسبة للأطفال؟؟

٦ ـ مع التسليم بوجود الفائدة، فلماذا لا نظهر هذه الفائدة بقالب غير منحرف، وبطريقة مشروعة، فيمكن الإشارة مثلاً إلى أن هذه الفتاة اغتصبت بطريقة فنية من دون أن يمارس الرجل عملية الاغتصاب فعلياً على الشاشة، ويمكن الإشارة إلى أن فلان يحب ويرغب بالزواج من تلك من دون تجسيد مطارحتها الغرام على هيئة الحالم في المنام؟!!!

٧ ـ لماذا لا يُعمل إلى تأسيس وتكريس الفضيلة في الأفلام والمسلسلات على نحو حصري، ويكون تمثيل دور الرذيلة بالمعنى والمضمون دون الشكل والفعل؟!!!

٨ ـ ما هو الفارق بين تلك الشخصية الواقعية التي مارست البغاء، وتعرت، وبين تلك الممثلة التي مارست مثلها في الفيلم البغاء وتعرت، نعم الفارق أن الأولى أفضل من الثانية، لأن الأولى إنما مارست ذلك لأسباب وأسباب ـ وطبعاً لا عذر في ذلك ـ أما الثانية فقد مارست ذلك من دون أسباب وظروف تستدعيها لذلك!!! وربما تكون الممثلة أكثر فناً في ممارسة البغاء من تلك الواقعية، وماذا نقول لذلك الشباب الذي يشاهد ممارسة

جنسية كاملة أو شبه كاملة، والذي يرى جسداً أنثوياً عارياً؟؟ أنقول له: هذا مجرد تمثيل؟!!

أنقول له: لا تحرك غريزتك، ولا يسيل لعابك لأن هذا مشهد تمثيلي غير حقيقي؟؟

أنقول له: إن هذه التي تمارس البغاء ليست بغية لأن نيتها التمثيل؟؟ وهذه العارية ليست عارية لأنها تمثل فقط؟؟

أنقول لذاك الشاب أو هذا: لا تنظر إلى الفراش والجسد العاري، والممارسة الجنسية، لا تنظر إلى هذا كله بل أنظر إلى الهدف من هذا الدور؟؟

من يصدق أن هذا الشاب أو ذاك سوف يهتم للمغزى من هذا الفيلم أو ذاك؟؟ إنه الآن منشغل بطول وعرض وحساسية هذا الجسد الأنثوي المكشوف، وبالإثارة المنبعثة من الممارسة الحاصلة بين رجل وامرأة ـ أو بين ممثلة وممثل ـ على فراش واحد؟!!!!

لا ريب بأن المرأة إذا كانت تود أن تكون ممثلة ولا بد، فعليها أن تقترن أولاً وأخيراً بمفاهيم الحجاب، والعفة، والحياء، والسمعة الحسنة.

فالحجاب حجاب سواءً كان في التمثيل أم في غيره، والحياء حياء في كل الأوقات، وهكذا في العفة وغيرها.

وخلاصة الكلام أن الممثلة إذا قامت بتمثيل مشهد منحرف، وساقط وإباحي هو من وحي خيال الكاتب أو المؤلف فهذا تأسيس للرذيلة والخطيئة، وإذا كان من صميم الواقع وحاصل فعلاً فهذا تكريس للرذيلة والخطيئة.

المرأة والدعاية والإعلان

إنه الجسد الأنثوي البديع الذي لا تبخل صاحبته به على أي شيء، فليست تقدمه إلى الرجال رخيصاً في أوقات راحتهم فحسب، بل هي لا تبخل به حتى على البضائع، والمنتجات، فالسيارة لا بد وأن تكون مع جسد امرأة، والحذاء لا بد وأن يشاركه جسد امرأة، والسجاد لا بد أن يكون مع جسد امرأة، والأثاث لا بد أن يكون مع جسد امرأة، ومعجون الحلاقة لا يرضى بالحديث عنه إلا مع جسد امرأة، والأوتيلات والفنادق لا بد وأن تكون مع جسد امرأة، وهكذا في كل شيء وكل شيء لا بد وأن يصحبه جسد امرأة، ترى لماذا نرمي هذا الجسد في كل بقعة تجارية، ومع أي سلعة تجارية؟!!! وهل المرأة هي التي دفعت نفسها بهذا الاتجاه، أم أن هناك من دفعها إلى ذلك؟؟

ولماذا قد يفقد التجار الورق ولا يفقدون جسد امرأة؟؟ ولماذا يكون جسد المرأة جاهزاً مع صورة الحذاء أو الثوب وقد لا تكون رخصة وضعها موجودة؟؟!!!

لماذا ترضى المرأة بأن توضع صورتها العارية مع إعلان للسيارات مع أن السيارات تسير على الطرقات لا على جسدها؟؟ ولماذا ترضى المرأة بأن تظهر مع الحذاء على صورة واحدة وهي عارية أو شبه عارية مع أن الحذاء لا يسع إلا رجلها لا كل جسدها؟؟

لماذا كلما أراد المعلن جسد امرأة لا يشقى في العثور عليه بل ربما يجده أسهل حتى من نفس السلعة المعلن عنها؟؟

لماذا أصبح الجسد الأنثوي رخيصاً إلى درجة أنك لا تستطيع تخيل سلعة من السلع إلا إذا تخيلت معه جسد امرأة؟؟!!

لماذا تتسابق الفتيات والشابات على أن تظهر مع سلعة من السلع بأجساد عارية، بدلاً من أن تتسابق باتجاه الفضيلة، والعلم، والاختراعات، وإبراز الإبداعات العقلية والذاتية؟؟!!

لماذا إذا أراد مطرب ما أن يصور مشهداً مع مائة امرأة عارية أو شبه عارية لا يجد أي مشقة في إيجادهن بالحال والتو؟؟ بل ربما يتصارعن ويتخاصمن ويتحاسدن من أجل شرف الظهور ولو بكثرة مع رجل نزق في الإعلان أو الإعلام؟؟!!!

إننا نأسف لذاك الظلم الوخيم الذي تتعرض له النساء، إذ أن المرأة غدت بوجودها لا تساوي عند الرجل ولو لقطة من لقطات التلفزيون، فالرجل صغر شأنه فنياً وإعلامياً أم كبر لا يرضى إلا أن يكون بين غابة أجساد نساء حتى يصور لقطة معينة، أو مشهداً معيناً.

إن المرأة التي تطالب بالتساوي بين الرجل والمرأة لا تنظر إلى تلك المفارقة في هذه الأجواء الإعلانية والإعلامية، حيث أن رجلاً بألف امرأة عارية.

وبالحقيقة فإذا بدأت المرأة طريق جهادها ومكافحتها للدفاع عن غلاء وجودها من هنا فإنها وبلا شك سوف ترفع اسمها ووجودها المبارك من هذا الانحطاط والحضيض.

الإمام الخميني يفتخر بالمرأة

الإمام الخميني الشريف أشاد بالمرأة وافتخر بها افتخاراً عظيماً، وعزى افتخاره بها لكونها «حاضرة»، أي أن المرأة كانت حاضرة ولا تزال في جميع ميادين الحرب الدائرة بين الإسلام والأعداء، بل إن المرأة كانت من أهم روافد ومنجزات الثورة الإسلامية المبارك في القرن العشرين، يقول الإمام الخميني الشريف في وصيته الموسومة بالوصية الخالدة ص ١٤ـ١٥ ما نصه:

«نحن فخورون بأن السيدات والنساء، الهرمة والشابة والصغيرة والكبيرة حاضرات في الميادين الثقافية والاقتصادية والعسكرية وجنباً إلى جنب مع الرجال أو أفضل منهم، يبذلن الجهد من أجل إعلاء كلمة الإسلام وأهداف القرآن الكريم.

القادرات منهن على الحرب يشاركن في التدريب العسكري للدفاع عن الإسلام والدولة الإسلامية والذي هو من الواجبات المهمة.. وقد حررن أنفسهن من أنواع الحرمان التي فرضت عليهن بل على الإسلام والمسلمين نتيجة تآمر الأعداء وجهل الأصدقاء بأحكام الإسلام والقرآن، وقد حررن أنفسهن بكل شجاعة والتزام وأخرجن أنفسهن من أسر الخرافات التي أوجدها الأعداء بواسطة الجهلة...

وغير القادرات منهن على الحرب منصرفات إلى الخدمة خلف الجبهة بنحو قيّم يهز قلب الشعب شوقاً وشغفاً ويزلزل قلوب الأعداء والجهلة الأسوأ من الأعداء غضباً وحنقاً. وقد رأينا مراراً أن نساءً جليلات يقتدين بزينب عليها سلام الله يهتفن أنهن فقدن أبناءهن وأنهن ضحين بكل شيء في سبيل الله تعالى والإسلام العزيز ويفتخرن بذلك ويعلمن أن ما حصلوا عليه أسمى من جنات النعيم فضلاً عن متاع الدنيا الحقير».

ولله در الإمام روح الله الموسوي الخميني، وعلى الله أجره، فإن كثيراً من الشبهات حول المرأة بنحو عملي تناثرت وتبددت وافتضحت جرّاء تأسيسه للجمهورية الإسلامية، حيث أن المرأة المتمسكة بمنهج الحجاب الشكلي والمضموني أثبتت وبشكل لا يرقى إليه الشك أنها تستطيع مجاراة العصرنة والحداثة من جهة، وتستطيع التفوق من جهة أخرى.

بل إن كثيراً من القضايا وفي ظل الجمهورية الإسلامية صارت رائجة بانسجام كلي مع تعاليم الشريعة الإسلامية، حيث نرى بالوجدان ممارسة الرياضة النسوية، والتمثيل، والمسرح، والسينما وغير ذلك، وكل هذا يدل على مكنة المرأة الملتزمة بمنهج الحجاب من لعب كل الأدوار الحياتية الإبداعية الخلاّقة.

الصراع والتفاضل بين الرجل والمرأة

لا أعتقد بوجود صراع بين الرجل والمرأة، ولا أعتقد أن الرجل سجَّل انتصاراً على المرأة، أو يمكن أن يسجل ذلك يوماً والعكس بالعكس.

إذ إن هذا الكلام ليس بليغاً ولا هو في محله، إذ إنهما أي الرجل والمرأة بمنأى عن كل هذه التضاعيف والأرجيف بل عن كل هذا الصلف. والحقيقة أنهما متكاملان وإذا ما أبدع أحدهما وتفوق فإن الإنسانية هي التي أبدعت وتفوقت، وإذا ما ظلم أحدهما فإن الإنسانية هي المظلومة لا شخص الرجل ولا شخص المرأة.

نعم إن الرجل على مرِّ الأعوام والأيام كان متقدماً على المرأة في جميع مجالات ومناحي الحياة لا لأنه أقدر منها وأبدع في هذا المجال بل لأن الظروف كانت قاهرة للمرأة وملائمة للرجل.

وقلنا أن هذا الكلام ـ أي التفاضل والتصارع ـ ليس صحيحاً في نفسه وفي ملابساته إلا أننا إذا أردنا التقسيم لكل منهما في هذه الجهة فعلينا تجريدهما عن الظروف والمشاكل الضاغطة على أي منهما ثم نجعلهما في ميزان واحد، ودور فارد، ومن بعد ذلك نحكم ونقيم وبالتأكيد فإن النتيجة معاكسة لما كانت عليه ماضياً وربما حاضراً.

وخلاصة الكلام في مسألة الصراع أنه لا يوجد صراع البتة إذ إن هذه

المرأة من تصارع؟ أهي تصارع زوجها، أم ولدها ومن ربته وسهرت عليه، أم حفيدها، أم أخيها أم غير ذلك.

هذا كله من ناحية الصراع.

أما من ناحية التفاضل فقد يُقال بأفضلية الرجل على المرأة، ولكن هذا الكلام في غير محله، ولمناقشة هذا الأمر لا بد من توجيهه إلى محورين هما:

الأول: في قابليات وقدرات وطاقات الرجال والنساء.

الثاني: في جنس الذكران والإناث.

أما الأول فتارة نناقشه من حيث:

أ ـ الأدوات والوسائل.

ب ـ وأخرى من حيث الغاية.

أما الأدوات والوسائل فمنها ما هو مشترك ومنها ما هو خاص بكل منهما وهي في جميعها إذا نظر إليها بلحاظ جزئي فيظهر التفاضل بلا ريب، وإن نظر إليها بلحاظ مجموعي كلي فلا يظهر التفاضل قطعاً بل غاية ما نصل إليه في هذا المجال هو «التوازن».

وأما الغاية فأيضاً لا تفاضل فيها بين الرجل والمرأة، فتسطيع المرأة أن تصل وكذا يستطيع الرجل، فليس الرجل يصل إلى الغاية لمجرد كونه رجلاً ولا المرأة تصل إلى الغاية لمجرد كونها امرأة.

إنما الوصول يحتاج إلى عمل وعلى هذا فالصيغة الوحيدة للتفاضل هي «العمل والتقوى» وهما متاحان لكليهما فأيهما يحوزهما يصل ويفضل على الآخر بلا ريب.

وأما الثاني فلا مائز في الجنس بين كل من الذكر والأنثى وذلك للأمور الآتية:

الأول: الخلقة وقد تكلمنا عنها في أوليات البحث بما لا مزيد عليه، وخلاصة ما قلناه أن المرأة بخلقتها ليست تابعة للرجل ولا العكس أيضاً. فلا تفاضل هنا.

الثاني: من ناحية القابلية والطاقة وقد مر الكلام عن ذلك أعلاه وقبل ذلك فلا نعيد.

الثالث: أن الله عزَّ وجلَّ لا ينظر إلى التركيبة الجسدية من ناحية الأفضلية سوى أنها أداة ووسيلة ليس أكثر والمدار على التقوى كما مر.

الرابع: أن الخطاب القرآني وضع بما لا مزيد عليه بأن النساء المؤمنات خير من الرجال الفاقدين للإيمان، وبأن النساء الفاسقات أقل وزناً وقيمة من الرجال المؤمنين وهذا يدل على أن المدار على الإيمان.

إذاً هناك تفاضل لكن لا للرجال على النساء لأن بعض النساء أفضل من بعض الرجال، ولا للنساء على الرجال لأن بعض الرجال أفضل من بعض النساء. فالتفاضل هو بالتقوى، ولكن ليس بالتقوى مطلقاً بل بالتقوى كنتيجة لعمل كل منهما وإلا فالمسير إلى التقوى متوازن بينهما.

لما لم يجعل الله عزَّ وجلَّ المرأة نبياً أو إماماً؟

قد يعترض معترض ما على مسألة مفادها أن الأنبياء والأئمة عليهم الصَّلاة والسلام كلهم من الرجال فلماذا لم تُجعل المرأة نبياً أو إماماً؟؟ وقبل الإجابة عن ذلك لا بدَّ من بيان أمر مهم خلاصته: أننا لسنا هاهنا بصدد الدفاع عن الرجال حتى يُظن أننا نجيب هاهنا لدفع التهم والشبّة الموجهة إلى ساحة الرجال بل كل ما يعنينا بيان الحقيقة كما هي فإذا ما لاحظنا وجود ظلم وقهر للمرأة فنقول هذه الحقيقة وإن لم نجد فكذلك.

أما فيما يخص الاعتراض المذكور أي: لماذا لم يجعل الله عزَّ وجلَّ المرأة نبياً أو إماماً؟ فنقول:

أولاً: إن مقام النبوة أو الإمامة أو الوصاية لم يُجعل لقهر الناس بمن فيهم المرأة ولا لأجل التحكم بهم تحكماً جبروتياً بل هو مقام للإرشاد ولأخذ النفوس والأبدان إلى السعادة الأبدية.

فطالما أن الهداية محققة، والسعادة متوفرة فلا يهم من يكون هادياً ومرشداً للنساء والرجال، وساعياً على سبيل إسعادهم.

وإذا قيل للمرأة ـ أي مرأة ـ هناك اثنان:

أ ـ رجل يأخذ بيدك إلى طرق السعادة والكمال.

ب ـ امرأة لا توصلك إلى طريق السعادة والكمال.

فمن تختارين قائداً؟!! بالطبع ستختار الرجل.

ثانياً: إن مقام النبوة والإمامة أيضاً يدور مدار «الأهلية والاستحقاق» فليسا يعطيان لأحد ما لم يعلم منه الله عزَّ وجلَّ أهليته لذلك.

وهذا مطابق لقول الشاعر:

قلب الخافقين ظهراً لبطن فرأى ذات أحمد فاجتباها

وعلى هذا فلو أن المرأة كما كثير من الرجال من غير الأنبياء والأئمة عليهم السلام استطاعت تحصيل الأهلية لجعلها الله عزَّ وجلَّ بعلمه المطلق نبياً أو إماماً أو حتى وصياً.

فقد جعل السبيل إلى الوصول إلى المقامات العلية للأنبياء والأئمة عليهم السلام مفتوحاً ولكن لم يفز بقصبة السبق، ولم ينل ذلك القدح المعلى إلا هم عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام.

فلما وجد الله عزَّ وجلَّ فيهم تلك الأهلية عليهم أفضل الصلاة وأتم السلام وذلك بعلمه المطلق جعلهم هداة للبشرية وأدلاء عليه، واجتباهم واصطفاهم واستأثر بهم لنفسه عزَّ وجلَّ.

ثالثاً: إن ثمة رجال كثر لم يصلوا إلى هذه المقامات وكذلك هناك أناث كثر ما عدا المعصومة الزهراء عليها السلام وعلى هذا فكما أن النساء لم يجعلهن الله كذلك فإن الرجال لم يجعلهم غاية الأمر أن الاستثناء موجود لملاك الأهلية.

رابعاً: أن عدم وصول امرأة غير السيدة المعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى هذه المقامات العلية لا يعني أنها ناقصة القدر والقيمة ضرورة أن لكل دوره المتناسب مع أهليته ومقامه وإذا ما كان وجود الأنبياء لطفاً بالعباد فلا يعني

هاذ اختزال الأمم بأشخاص الأنبياء ﷺ، فكما أن للأنبياء أدوارهم كذا للأمم أدوار وهي متكاملة مع أدوار الأنبياء ﷺ وكذا متكاملة مع أدوار الأئمة ﷺ مضافاً إلى أن ثمة نسوة قد اقتربت من هذه المقامات العلية كما مع السيدة الصديقة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية زوجة فرعون، وهاجر أم إسماعيل وزوجة إبراهيم ﷺ، وسيدتنا العظيمة والممتحنة زينب الكبرى ﷺ ابنة علي بن أبي طالب ﷺ وسيداتنا الأخريات من ذرية رسول الله ﷺ.

أما السيدة العظيمة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ وزوج أمير المؤمنين ﷺ وأم الحسن والحسين ﷺ عليها وعلى أبيها وزوجها أفضل الصلاة وأتم السلام.

أما فاطمة ﷺ فقد وصلت بلا شك إلى هذه المقامات العلية وأضحت قدوة للنساء أجمع، وملاذاً لهن في كل حيثياتهن الحياتية، وقبلة لهن في الطهارة والعفة والحشمة والحياء والحجاب والستر وغير ذلك.

وفي بعض الأخبار عن الأئمة الأطهار أنه وعلى معرفتها دارت القرون الأولى، أي لولا معرفتها من قبل الأنبياء والأوصياء لما تمّت نبوتهم ووصايتهم؛ وفي الحديث القدسي ذُكر بأن الله عزّ وجلّ لم يكن ليخلق الأفلاك لولا محمد وعلي عليهما الصلاة والسلام، ولولا فاطمة ﷺ لما خلقهما عزّ وجلّ؛ وهذا واضح تمام الوضوح لأنه لولا نبوة محمد ﷺ لما تحققت الغاية من الوجود ومن بعثة الأنبياء، ولوا ولاية علي ﷺ لما اكتمل دين محمد ﷺ كما في آية الإكمال والإتمام النازلة في يوم الغدير؛ ولولا فاطمة ﷺ لما اتصلت النبوة بالإمامة.

انتقاص طرف لا يجبر آخر

تعمد بعض النساء وبدعوى كونهن مفكرات، أو أديبات وما شاكل إلى محاولة حثيثة للتنقيص من شأن الرجل ظناً منهن أن هذا التنقيص من شأنه إعطاء المرأة قيمتها الحقيقة، ورفعة عالية، وهذا كما لا يخفى من جملة المهاترات التي لا يمكن الإصغاء إليها، إذ إن قيمة المرأة، وشأنها الرفيع لا ينتقص سواءً مُدح الرجل بأكثر مما هو عليه واقعاً وحقيقة أم ذُم بحيث أنه أُسقط عن مكانته الواقعية التي هو عليها.

وهكذا فإن المرأة تبقى على قيمتها وإن صورت للبشرية على أساس أنها أدون من الرجل، وأنقص منه قيمة ورتبة.

إن الصحيح في كل ذلك هو الكشف والتحري عن قيمة المرأة لا لأجل إثبات النفس، والاعتداد بالذات وإنما لأجل معرفة الدور الحياتي المنوط بالمرأة. وكذلك الحال بالنسبة للرجل.

أما أن يقوم الرجل بجمع فضائله، وإحصاء خصائصه من أجل إكبار وتعظيم جنسه في قبال تصغير وتقزيم جنس المرأة، أو أن تقوم المرأة بجمع وإحصاء مناقبها وافتقار الغير إليها لغرض إثبات نفسها على حساب جنس الرجل، فهذا مما لا فائدة فيه، بل إن هذا مما يلحق الضرر بكلا الجنسين معاً.

ومن هنا نحن نشيد بأولئك الرجال الذين ساعدتهم الظروف الموضوعية على أن يكونوا أرجح كفاً من المرأة، ومن ثم لم يمارسوا سلطتهم العرفية والظرفية في ظلم المرأة، بينما نحن نأسف على أولئك الذين انضم العرف إليهم بوجه المرأة، وعاضدتهم التقاليد القائلة بدونية المرأة فعملوا على وفقها في ظلم المرأة.

لا ريب في نهاية المطاف أن انتقاص جنس الرجل لا يعود بالفائدة على المرأة، وكذا انتقاص جنس المرأة من الرجل.

القوامة

الغالبية العظمى من النساء تتنفر من مصطلح القوامة والذي يراد منه أن الرجل قيّم على المرأة فهو يلي أمر تدبيرها ويسوسها.

ومنشأ هذا المصطلح قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[1].

حيث أن ظاهر الآية يفيد تقدم الرجل على المرأة من خلال التدبير وسياسة أمرها، وحسبانها دونه قيمة ورتبة.

ونحن قبل أن نتفحص الآية المباركة الآنفة الذكر لا بدَّ من بيان مقدمة هي الآتي:

لننظر إلى الأسرة بعين الواقع والوجدان ولنرى هذه الأسرة كيف تسير أمورها، وتتناغم فيما بينها تناغماً يرقى بها إلى السعادة.

فنطرح هاهنا ثلاثة احتمالات بل أربعة:

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

الاحتمال الأول: أن تكون القيادة الأسرية بيد الرجل مطلقاً ولكن هذا الاحتمال باطل ومردود لأنه يؤدي إلى عدة سلبيات:

السلبية الأولى: أنه يطغى عليه منطق التجبر والاستقلال بالرأي حتى ولو كان هذا الرأي فاسداً.

السلبية الثانية: أنه يلزم من ذلك إطلاق العنان لكل رغبات الزوج بما في ذلك تخطي الحدود الشرعية كالنفقة والاهتمام بالأسرة ومجافاة الزوجة وهجرتها.

السلبية الثالثة: أنه يؤدي إلى حكم ديكتاتوري من جانب الأب ليس على المرأة فحسب بل على الأولاد الذي ينغص معيشتهم ويسلب إرادتهم وتضيع ثقتهم بأنفسهم، ويعشعش فيهم الإحساس بالظلم والإنتقامات.

السلبية الرابعة: أنه يؤدي إلى تهميش دور الأم بالضرورة.

إذاً هذا الاحتمال ساقط.

الاحتمال الثاني: أن تكون القيادة الأسرية للمرأة الأم وهذا باطل أيضاً لأنه يؤدي مضافاً إلى بعض ما ذكر إلى سقوط الأسرة أمام المواقف الحرجة، وخرابها أمام أي طارئ شخصاني لا يكون إلى جانب المرأة، ومنضماً إلى ذلك فثمة سلبيات متعددة من جراء ذلك وهي:

السلبية الأولى: تهميش دور الأب كما هو معلوم.

السلبية الثانية: النظر إلى الأم بمنظار الحاكم من قبل الأولاد لا من باب العطف والحنان، وهذا يفقد المرأة دور الأمومة.

السلبية الثالثة: هي أن الأولاد وخاصة الذكور تمردوا على أمهم فهل يستطاع تسكينهم وإيقافهم عند حد ما.

السلبية الرابعة: تتعطل كثير من الأحكام الشرعية التي تعارض عليها المرأة لأنها لا تلاءم رغباتها وتطلعاتها.

السلبية الخامسة: هذا يوجب سقوط العائلة من أعين المجتمعات.

السلبية السادسة: لا يتسنى للرجل ضبط المرأة في أمور خبرها الرجل بحكم كونه رجلاً وعارفاً بأمور الرجال. حيث إن المرأة مهما علت في العلم والعمل إلا أنها لا تحصل تجربة الرجال بعشرته للرجال وكذلك الرجل لا يحصل تجربة المرأة بعشرتها مع النساء.

السلبية السابعة: أن الأسرة قد تتعرض لضغوط خارجية تستلزم الخشونة والقوة والمرأة لا تملكهما قطعاً وإن كانت تملك منهما ما هو متناسب مع طاقتها وقدرتها.

الاحتمال الثالث: أن تكون القيادة لكليهما ـ الأب والأم ـ فكل واحد منهما يمارس سلطته مع أخذ الإذن من الآخر ويكفي في بطلان هذا الاحتمال أمران:

الأول: عند التعارض بينهما من يقوم؟!!

الثاني: عند طروء أمر حاسم ومع وجود أحدهما دون الآخر فماذا يكون الموقف؟!!

الاحتمال الرابع: حصول التفاهم بينهما على إدارة شؤونهما بشكل عملي يفضي إلى الصالح العام للأسرة.

فتارة هما يتفاهمان على تحكيم الشرع في إدارة دفة الأسرة وتنظيم علاقاتها وأخرى يتفاهمان على تحكيم أرادتهما الخاصة في ذلك.

وينتج عن ذلك صورتان:

الصورة الأولى: أن يكون تفاهمهما من خلال الآراء الخاصة غير مخالف للشرع القادس.

الصورة الثانية: أن يكون تفاهمهما متافياً للشرع القادس.

فإذا تفاهما على صيغة الشرع أو على الصيغة غير المتنافية مع الشرع فبها ونعمت وإذا تفاهما على ما هو مناف للشرع من قبيل الآراء الخاصة الصادرة منهما أو من غيرهما فهما قد خالفا الحكمة الإلهية قطعاً ومهما أُدُعي الكمال في ذلك فإنه غير معتبر أمام حكمة الله عزَّ وجلَّ وهذا مع افتراضنا أن ذلك كمال أصلاً وهو غير ذلك.

أن الشرع القادس ينقح العلاقة الأسرية وخصوصاً بين الرجل والمرأة عموماً، والزوج والزوجة خصوصاً على منوال ونسيج يظهر بالآتي:

أولاً: النظر إلى حال الزوجة والزوجة أو الرجل والمرأة عموماً ومن خلالهما الأسرة بصورة واقعية.

ثانياً: مراعاة القدرات والطاقات الموجودة عند كليهما.

ثالثاً: النظر إلى مضمون العلاقة بين الرجل والمرأة عموماً، والزوج والزوجة خصوصاً على أساس المصلحة وعدم المفسدة، فكل يعطى حقه ونصيبه من الراحة والسعادة دون مساس بمصلحة الآخر.

رابعاً: يتسنم الرجل القيادة ظاهراً وتكون القيادة للأسرة من قبل الرجل هي جزء من وظائفه اتجاه الأسرة وليست امتيازاً له أو أنها خارجة عن إطار الوظيفة. فتصبح الصورة الأسرية عبارة عن وظائف للرجل ومن جملتها قيادة الأسرة، ووظائف للمرأة ومن جملتها التربية والإعداد.

وعليه: فالقوامة لا تعني امتيازاً، أو تسلطاً أو تعبر عن ضعة المرأة وعدم أهميتها وتدني مقامها أمام الرجل.

بل هي وظيفة كباقي الوظائف بالنظر إلى قدرة كل من الرجل والمرأة وطاقتهما، ولياقتهما لهذه الوظيفة في قبال المجتمع. ولا نبالغ إذا قلنا بأن هذه الوظيفة «القوامة» هي رحمة ورأفة بالمرأة لأنها تؤمن لها عدة فوائد منها:

الفائدة الأولى: الأمن والأمان.

الفائدة الثانية: التنظيم الكامل.

الفائدة الثالثة: الراحة وعدم المشقة.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أن علاقة الرجل بالمرأة يجوز أن تتم عبر قنطرة التفاهم على صيغة غير منافية للشرع بعيداً عن الجو الفقهي والحدود، فيتفاهمان على علاقة معينة فيكون الرجل مثلاً مسؤولاً عن العلاقات الخارجية للأسرة وناطقاً رسمياً عنها والمرأة مسؤولة عن الأسرة في الداخل ويستعين كل منهما بالآخر في تتميم مسؤولياته ولا ضير في ذلك البتة.

وبعد هذه المقدمة المسهبة نسبياً نوضح معنى الآية حيث تشير إلى نقطتين جوهريتين:

الأولى: أن القيادة للرجل هي وظيفة مملوءة بالمشقة والتعب حيث قال تعالى: ﴿بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[(١)].

الثانية: أن القيادة للرجل مقيدة بما يسخر من إمكانيات كالنفقة على الأسرة فإذا لم تكن لديه إمكانيات مسخرة فلا. قال تعالى: ﴿وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾[(٢)].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٣٤.

وعلى أي فإن ثمة حدود لكل من الرجل والمرأة ينبغي الوقوف عندها وعدم تعديها. فهناك أمران لا ثالث لهما أحدهما مسموح والآخر ممنوع وهما:

الأمر المسموح: أن يتكاملا في العلاقة للوصول إلى السعادة.

الأمر الممنوع: أن لا يكون أحدهما مصدراً لإضرار الآخر مادياً ومعنوياً وقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ يعني:

أيها الرجال أنتم تتحملون المسؤولية الكاملة والتامة أمام الله عزَّ وجلَّ عن أي تقصير تقومون به ويؤدي إلى الإضرار بالمرأة وبالأسرة عموماً.

ومن هنا ندرك بأن القوامة ليست خاصة بالرجال وإن كانت ظاهرة إلى ذلك بل هي شاملة للنساء والأبناء والقضاة. فالنساء قوامات على المنزل والأطفال، والأبناء قوامون على ما يتوجب عليهم من أعمال، والقضاة قوامون على القضاء والعدل وهكذا في غير ذلك.

المرأة وجريمة الزنا

خلق الله جل شأنه وتعالت قدرته المرأة وجعل لها شرفاً كبيراً، وثقلاً معنوياً عظيماً، وأناط بها عدة مفاهيم كلها تدل على الحرص الشديد من الله عزَّ وجلَّ لحماية المرأة جسداً وروحاً ومعنى، ومن هذه المفاهيم:

ـ الغيرة من قبل الله عزَّ وجلَّ والأنبياء والأئمة عليهم الصلاة والسلام، وكذا من قبل الناس.

ـ الحجاب والستر والساتر.

ـ الزواج.

ـ البيتوتة. وغير ذلك.

ومن أعز الأشياء عند المرأة «البكارة» هذه البكارة التي تعتبر من أساسيات وجود المرأة البكر حيث تنام وتستيقظ وتحلم أن تضع هذه الأمانة في محلها، أي في إطار «الزواج الشرعي».

وبالحقيقة فإن هذه «الأمانة» مما حظر الله عزَّ وجلَّ على صاحبتها أن تفرط بها ليس فقط للاعتبارات المادية بل لاعتبارات معنوية أيضاً. ولهذا حرمت الشريعة الإسلامية «الزنا» وإزالة البكارة بغير حلّ واعتبرت الزنا من الكبائر التي أوعد الله عزَّ وجلَّ عليها النار.

ومضافاً إلى تحريم الزنا فرضت الشريعة الإسلامية العقوبة على

«الزنا». وسيأتي عرض الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة المتعلقة بالزنا وحيثياته.

قد يظن بأن الحديث عن البكارة مما لا قيمة له لأنها مجرد مادة بحتة، وكل ما يُقال حول العرض والشرف وغير ذلك لا قيمة له في هذا العصر المتسم بالسمات الحداثية.

ولكن هذا الظن غير صحيح وذلك للأمور التالية:

الأول: من العجيب القول بأن «البكارة» أمر مادي بحت مع أن الوجه العام في هذا العصر هو لجسد المرأة، وللإثارة والجنس وغير ذلك، فهؤلاء جل اهتماماتهم بالجسد وما يدور في فلكه.

الثاني: إذا خيرت المرأة بين مجتمعين: أحدهما حريص عليها وعلى سمعتها، وعرضها، وكرامتها، وشرفها، وآخر غير مبال بها وبشرفها وبوجودها فأيهما تختار لتكون في إطاره؟؟!!.

الثالث: إذا خيرت المرأة بين خيارين:

الخيار الأول: أن تتزوج من رجل ما تحبه في حفل زفاف مهيب، تحدق بها جميع الفتيات وتتمنى الحلول محلها، وهي تخرج من دار أهلها في موكب بهيج إلى بيت زوجها فتسعد عنده، ومن ثم يأتي الأقرباء والمحبين للتهنئة وتقديم الهدايا، ومن ثم تنجب أولاداً فيهتم الزوج بهم ويعمل على ضمهم وتربيتهم.

الخيار الثاني: أن تخرج مع رجل شاهدها في أحد الأزقة فأعجب بها وتلاعب في مشاعرها ومن ثم تواطئ معها على مطارحة الفراش فأزال بكارتها ومن ثم ملّ منها وطردها متهماً إياها بأنها قذرة، ومن ثم خرجت من عنده مدحورة إلى غير رجعة، وفوجئت بأنها حامل فراحت تتخفى من أعين الناس وهي خجلة من إظهار حملها.

لا شك بأن المرأة ستختار الخيار الأول دون الثاني.

قد يقال: في هذا العصر لم تعد تخجل الفتاة من فعلتها لأنها فعلت ذلك عن معرفة مسبقة.

والجواب: مهما أريد اصلاح وترميم هذه الصورة بيد أنها ليست خالية من الذنب مضافاً إلى أنها لا ترقى إلى الخيار الأول جزماً.

الرابع: ليس من الصحيح أن «إزالة البكارة» بجريمة الزنا هي مسألة مادية صرفة وذلك لأن لها:

أ ـ اعتبارات عقلية: حيث أن العاقل اللبيب لا يرضى بهذا العمل مهما كان عصره فاقعاً بألوان الموضة وما شاكلها.

ب ـ اعتبارات دينية: حيث إن الأديان حرمت جريمة الزنا.

ج ـ اعتبارات عرفية: حيث إن الأعراف والتقاليد منعت من ذلك واعتبرته معيباً، ويكفي في صحة هذا الأعراف أنها وافقت العقل والشرع، مضافاً إلى الحرص الشديد على المرأة، لأن، ذلك يكشف عن وجود حرص من قبل المجتمع على المرأة.

د ـ اعتبارات فطرية: حيث إن الفطرة الإنسانية أبية عن ذلك ويكفي في ذلك مفهومي الحياء والحشمة وينضم إليهما مفهوم «العفة».

هـ ـ اعتبارات قانونية: حيث إن القوانين في تضاد مع هذه الجريمة البشعة وإن كان هناك ثمة تفصيل.

إن المنع من الزنا يؤدي إلى:

١ ـ احترام وجود المرأة.

٢ ـ كون المرأة عرضة للزواج.

٣ ـ إعدام وجود اللقطاء، والأطفال المستنكرين من قبل الآباء.

٤ ـ عدم الفساد والإفساد عموماً.

ولا شك ولا ريب بأنه إذا كانت هناك من ثمة أصوات تنادي بحقوق المرأة فأهم صوت هو «منع الزنا» لأن جريمة الزنا هي من أعظم مكامن الهدر من حقوق المرأة حيث إن الرجل الواحد يستطيع أن يحطم حياة الكثير من النساء بدم بارد.

فيذهب هو متنصلاً مما فعل بينما تبقى المرأة أسيرة الهم والكآبة وعقدة الذنب في الغالب، ويشتد ذلك فيما لو كانت حبلى.

يوجد صنفان من النساء في هذا المجال:

الصنف الأول: تلك الفتيات اللواتي لا يفقهن كيفية «إزالة البكارة» من جهة ويقعن فريسة للرجل اللعوب الخبيث من جهة أخرى. فهؤلاء لا بدَّ من إرشادهن إلى كلا الأمرين بطرق متناسبة.

الصنف الثاني: تلك الفتيات اللواتي تتعمدن ذلك عن سبق إصرار وترصد فهؤلاء ممن يخالفن النواميس الطبيعية والعرفية والعقلية والدينية والإنسانية عموماً.

ولا بدَّ لهؤلاء من التقوى وعدم الإنجرار نحو الشهوات والعبث والولوج إلى ذلك عبر قنطرة الدين والعقل والعرف.

والفتيات اللواتي هن من الصنف الثاني طالما أنهن لا يتقين وبالتالي هن يزنين فإن سجل الجريمة سوف يضخم بصورة تراكمية حتى تضج البشرية من هذا العبء الجرائمي النسوي الثقيل بل لقد ضجت البشرية من ذلك، وليست المرأة لوحدها تتحمل مسؤولية هذه الجريمة بل الرجل أيضاً، لأنه وبعد التتبع نجد أصنافاً من النساء الزانيات أو المزني بهن، وهذه الأصناف هي:

الصنف الأول: اللواتي يتعرضن للاغتصاب عنوة وبالقوة. وبالطبع فإن الملامة هيهنا تقع على الرجل نعم قد تكون المرأة هيهنا قد شاركت في ذلك في صورة خلقها لأجواء الاغتصاب والتعنيف وما شاكل.

الصنف الثاني: اللواتي يعرضن أجسادهن وأنفسهن للرجال وهن من المومسات المشهورات أو المغمورات، والملامة هاهنا تقع عليهن وأن يشارك في هذا العمل كل من:

أ ـ الظروف المحيطة بهن والتي دفعتهن إلى ذلك.

ب ـ البيئة المحيطة بهن.

ولكن هذا لا يشكل لهن أي عذر حتى يقمن بهذا العمل الشنيع.

الصنف الثالث: وهنَّ اللواتي لا تعضدهن الخبرة في الحياة فيقعن فريسة للرجل الخبيث. وهؤلاء تقع الملامة عليهن وعلى من لم يحذرهن من مغبة هذا الوقوع سيما الأهل.

الصنف الرابع: اللواتي تعضدهن الخبرة ولكنها لحظة شيطانية أوقعتهن في ذلك من غير عمد.

وهنا تقع الملامة عليهن لتعدي حدود الله عزَّ وجلَّ والوقوع في حبائل الشيطان في وقت من الأوقات. والملامة هيهنا على الرجل أبلغ وأشد.

لا شك بأن الاحصائيات الواردة حول «جريمة الزنا» والتي ترتكب تارة بهدوء، وطوراً بعنف هي كبيرة جداً وترعب كل من ينتهي خبرها إليه. أعاذنا الله جل شأنه وتعالت قدرته من شر ذلك.

المرأة والجمال

إن الجمال مما لا يخفى مرغبويته ومحبوبيته ومعشوقيته لدى البشر وسيد البشر ﷺ وأئمة البشر ﷺ.

والجمال ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الجمال المادي وهو من الإبداعات الإلهية، ومن المظاهر الإلهية الخلاَّقة، والمرأة الجميلة من ناحية الشكل والصورة هي جديرة بأن تكون محلاً للإعجاب والاهتمام ولكن ليس مطلقاً وذلك لملحوظتين اثنتين:

الملحوظة الأولى: أن الجمال إن كان تاماً فإنه سيكون محلاً للإعجاب والتقدير والاهتمام بلا ريب، ولكن هذا الجمال إن كان ناقصاً من جهة فإنه سيؤثر على النظرة الانبهارية له.

هب أن قرية ما فائقة الجمال، بديعة المنظر ولكنها كانت محلاً لعملية قتل بشعة فإنه في هذه الحالة وبلا ريب سوف يتحول هذا المنظر الخلاب إلى منظر سيئ بعين الحقيقة. وهذا بحد ذاته ينطبق على المرأة الجميلة المسيئة لاستخدام جمالها حيث أن سوء استخدام الجمال يولد بشاعة فيها تطغى على جمالها وبالتالي يتحول جمالها إلى قبح وبشاعة.

فمثلاً امرأة جميلة يتسلق جسدها الجميل كل من رغبه فإنه سوف يكون

زهيداً ومملولاً منه بعد حين وبالتالي سوف يتحول هذا الجسد من الجمال إلى «الاسترخاص والملل».

بينما تنعكس الصورة فيما لو استخدم الجمال المادي الجسدي عند المرأة بطريقة حسنة حيث إنه فضلاً عن ديمومته على الجمال والخلابة والظرافة فإنه يزيد من الجمال رقماً آخر وهو «الشوق والتوق»، وذلك فيما لو كان مقتصراً في إظهاره على أهله. وبالتالي سوف يتحول مفهوم الجمال في هذا الجسد إلى جمال آخر وشوق وتوق زيادة على ذلك وفي ختام الأمر سوف يكون هذا الجمال كنزاً لا يستأنس به إلا من يستحقه برباط شرعي دون غيره.

فهو عند مستحقيه وأهله يولد شوقاً وتوقاً وعند غير أهله يولد احتراماً وتقديراً ولا يكون رخيصاً ومملولاً منه البتة.

لا شك ولا ريب بأن من أحد مداميك الجمال والحب والإخلاص، والإخلاص يقتضي أن يوقف المحب نفسه وبدنه لحبيبه وهاهنا فإن المرأة الجميلة ترغب بجسدها عن جميع الناس إخلاصاً لأهله، وتوقف جمالها الجسدي على أهله لنكتة الإخلاص.

الملحوظة الثانية: إن الجمال على الرغم من مرغوبيته بيد أنه قد يكون سبباً «للضرر والفساد»، حيث إن ما يؤديه من ضرر وفساد يجعله بمثابة «اللاجمال» ويتحول من الجمال إلى صورة أخرى هي «الضرر والفساد». هب أن امرأة جميلة كانت سبباً لصراع رجال كثر وأدّى هذا الصراع إلى قتل بعضهم وجرح البعض الآخر، وإصابة البعض الآخر بالحسرة والعقدة النفسية، فإن هذه المرأة الجميلة تتحول إلى «فتنة وضرر وفساد».

وكل هذا بسبب سوء استخدام جمالها المادي الجسدي.

ومما تقدم نعلم بأن الجمال المادي مما يبهر، ويكون محفزاً على شكر الله عزَّ وجلَّ وتسبيحه وحمده، ولكنه لا يكون كذلك إلا إذا حافظت المرأة عليه ولم تجعله متحولاً من صورة الجمال إلى صورة «القبح» وكذا إلى صورة «الملل» و«الضرر والفساد» والكيفية المثلى للمحافظة عليه هي من خلال:

أ ـ الحجاب والستر والساتر.

ب ـ قصر هذا الجمال المادي على أهله ومستحقيه.

ج ـ عدم إشهاره أمام الرجال الأجانب.

د ـ عدم قصر وجود المرأة على هذا الجسد الجميل بل هناك معانٍ أخرى لوجودها.

ولا أقل من حضورها العلمي والعملي في الحياة.

القسم الثاني: الجمال المعنوي: إن كل السمات المعنوية، والصفات النفيسة التي تتسم وتتصف بها المرأة هي خلاصة جمالها المعنوي ويشمل ذلك:

أ ـ حبها.

ب ـ مشاعرها وعواطفها وأحاسيسها.

ج ـ عفتها وحشمتها.

د ـ الحياء.

هـ ـ فطنتها ونباهتها وعلمها.

و ـ إيمانها وتقواها.

ز ـ رأفتها وعطفها ورحمتها.

كل هذه تمثل جمالاً عند المرأة وهو يفوق جمالها المادي بأضعاف المرات وذلك لأن الجمال المادي يزول بزوال متعته، ويمل منه لأنه تحقيق لغريزة ما كأي غريزة أخرى.

بينما الجمال المعنوي لا تزول متعته ولا يمل منه لأنه يتعطش إليه من قبل كلية الناس على سبيل الاستدامة.

إن المرأة المثالية هي التي تعمل على الجمع بين كلا الجمالين لتستحوذ على الجمال المتكامل والذي يؤهلها لاعتلاء تلك المرتبة الإنسانية العالية.

وبعد هذا فإن هذه المرأة لا يهمها كل ما يقال حول المرأة ذماً ومدحاً، ولا يهمها تلك المطالبات بحقوق المرأة وما شابه.

وبالحقيقة فإن لأي امرأة تود الوصول إلى ما وصلته هذه المرأة المثالية أن تعمل على اختيار منهج متكامل تسير عليه سيراً دقيقاً وليس لها أن تختار عدة خطوت من مناهج متعددة لأنها سوف تتعثر ولن تصل البتة.

وما دمنا في الحديث عن الجمال فإنه لا يخفى مشروعية بلورة هذا الجمال ـ بقسمه المادي ـ وزيادته وتجليته بما هو متعارف الآن من أزياء، وأصباغ، وألوان ولكن بشرط قصره على أهله ومستحقيه بناءً على ما قرر أعلاه.

فإن هذه الأعمال إذا زيدت على الجمال المخلوق كما هو أمام الناس فإنها سوف تزيد الفتنة اشتعالاً، وسوف تزيد الملالة مللاً، والفساد فساداً، والقبح قبحاً، والضرر ضرراً .

المرأة والحب

الحب من المفاهيم النظيفة الخالية من الفساد والإفساد فإذا ما أدى إلى ذلك فليس حباً.

والمرأة يجذبها مفهوم الحب ولكنها ممن يختلط عليها معنى الحب. وذلك لأن الحب له معنيان:

المعنى الأول: الحب الحقيقي: وهو من الله عزَّ وجلَّ ولله عزَّ وجلَّ وهو جل شأنه وتعالت قدرته غرّزه في الفطرة الإنسانية.

المعني الثاني: الحب المجازي: وهو حب الإنسان للإنسان والمرأة للرجل، والرجل للمرأة، والأم للطفل، والأب للطفل، والأخ للأخ، والأخت للأخت والعكس بالعكس وكذا غيرهم ممن تربطهم علاقة القرابة بين بعضهم البعض وغير ذلك.

وحتى يكون الحب حباً حقيقة لا بدَّ من مصاحبته للمفاهيم التالية:

الأول: الإخلاص.

الثاني: الإيثار.

الثالث: الوسيلة الحسنة.

الرابع: النتيجة الحسنة.

فأيما حبيب لا يكون مخلصاً لحبيبته فيضر بصالحها، ويلطخ سمعتها، ويشوه سيرتها، ويفضحها أمام الناس فليس حبيباً.

وأيما حبيب لا يكون متفانياً بحبيبه فيقدم مصلحته على مصلحة حبيبه، ويشبع رغبته على حسابه، ويسد رمقه على جوعته، ويروي ظمأه على حساب عطشه فليس حبيباً. وأيما حبيب ينتخب الوسيلة البشعة للتواصل مع حبيبه فليس حبيباً، وأيما حبيب يؤدي تواصله مع الحبيب إلى نتيجة سيئة فليس حبيباً.

فقد تحب امرأة ما رجلاً ما حباً لا نظير له، تنام على أصداحه، وتستيقظ على أنغام أوتاره، وتنسج أحلامها الوردية على أساسه ومن ثم تراه بعد حين يعبث مع الأخريات فهذا بالحقيقة لا يلامس مفهوم الحب من قبله، وأما من قبلها فطالما ليس هو مستحقاً للحب فحبها لا معنى له ولا قيمة لأنه وضع في غير محله.

نعم إذا كان حب المرأة خارجاً عن إرادتها فهذا أمر آخر وإن كانت تستطيع أن تصلّب إرادتها بوجهه لتقلب حالها من حال إلى أخرى.

وقد تحب امرأة ما رجلاً ما لكنه يقدم مصالحه على مصالحها، ورغباته على رغباتها، فيأخذ منها ما هو محقق لغرائزه ويتركها أسيرة الضعف والحزن.

فهذا الحب ليس حباً لأنه لو كان يحبها حقيقة لآثرها على نفسه وقدمها على جميع مصالحه وغير ذلك.

وقد تحب امرأة ما رجلاً ما ولكنه يتوسل الوسائل الخبيثة للإيقاع بها ولجعلها طيعة لرغباته وشهواته.

وقد تحب امرأة ما رجلاً ما ولكنه ينهي علاقته معها بخاتمة سيئة وخائنة.

وكذا عكس جميع ما ذكر فقد يحب الرجل امرأة ما وتتصرف معه بطريقة معاكسة للحب النظيف فتكون غير مخلصة له، وغير مؤثرة، وتتوسل الوسائل الخبيثة، ويُنتج حبها له كل سوء وخسارة.

وكذا يمكن أن يكونا مع بعضهما البعض في علاقة حب غير نظيف.

لا شك ولا ريب أن الحب يرسم للحبيبين صورة الحياة المستقرة، فالحبيبان إذا ما أرادا أن يلتصقا بالحب النظيف فليس لهما أن يقيما علاقة مادية قوامها «ممارسة الجنس» ومن ثم ينتهي الأمر إلى هذا الحد فيملان، ومن بعد زوال الملل يعودان إلى ما انتهيا إليه وهكذا.

وعلى هذا فالعلاقة القائمة على المحبة إما:

أ ـ تكون عابرة فهي علاقة مغايرة لمفهوم الحب النظيف لكونها لا تؤدي إلى نتيجة ولكونها مفضية إلى الفساد والإفساد.

ب ـ علاقة مستقرة ودائمة وهي موافقة للحب النظيف، وهذه العلاقة المستقرة لا تتأتى إلا من خلال الزواج. فهو يؤدي إلى نتيجة طيبة.

أما الزواج الفاشل فهذا استثناء لا يمكن أن يحتج به البتة لتمرير أية علاقة عابرة وغير شرعية.

والنقطة الأخيرة التي يشار إليها في هذا المجال هي أن الحب ليس أمراً خارجاً عن الإرادة والطاقة كما يشاع إذ إنه وليد ثقافة معينة وظروف معينة فإذا ما استحكمنا بهذه الثقافة ووجهناها وإذا ما أنتجنا ظروفاً ملائمة أمكننا أن نوجه الحب إلى أية جهة نريدها.

كيف تحدث القرآن الكريم عن المرأة؟

القرآن الكريم تحدث عن الإنسان بما فيه المرأة واستخدم عبائر متعددة في خضم حديثه عن المرأة فمن العبائر: «البنت، والأم، والزوجة، والنسوة، والعمة، والخالة، والأخت. والأنثى، والربيبة، والأمة» وغير ذلك.

فيما خُصّت بعض النسوة بالذكر في القرآن الكريم.

وسنحاول إبراز الحديث القرآني عن المرأة من خلال أمور هي الآتي:

الأمر الأول: الأنثى:

وسنعمد هاهنا إلى استعراض الآيات التي وردت فيها عبائر «الأنثى» ومن ثم الإسهاب فيها قليلاً:

١ ـ قال تعالى حكاية عن أم مريم ﷺ: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾[1].

هنا في هذه الآية تخاطب أم مريم ربها جل شأنه قائلة: إن ما وضعته هو أنثى وليس ذكراً ولما سبق مني النذر بأن اجعل ما في بطني خادما للمعبد خالصاً لطاعتك وعبادتك فإن الأنثى لا يتسنى لها فعل ما يفعله الذكر من

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

ناحية دخول المعبد والخدمة فيه سيما وأنه يختص بالذكور وهو ممنوع على الإناث في هذا العصر، وعلى هذا فالنذر لن يتحقق.

ولكن الله عزَّ وجلَّ تقبل هذا النذر من أم مريم وبحسب ما ورد فإن هذا القبول إنما جاء على سبيل الاستثناء.

إننا وبلا شك ندرك مغزى كونها أنثى لا ذكراً سيما إذ ضممنا إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ﴾ حيث إن الله عزَّ وجلَّ أعلم بهذا السر ممن لديه تقصير في الإحاصة والعلم أو قصور.

إن هذه الأنثى التي وضعتها أمها والتي خلقها الله عزَّ وجلَّ تتميز بالسمات الآتية:

السمة الأولى: أنها متقبلة من قبل الله عزَّ وجلَّ(١).

السمة الثانية: أنها ممن تُعوّذَ لها بالله عزَّ وجلَّ من الشيطان الرجيم(٢).

السمة الثالثة: أنها مما أنبتت نباتاً حسناً(٣).

السمة الرابعة: أنها متكفلة من قبل نبي من أنبياء الله عزَّ وجلَّ وهو زكريا(٤).

السمة الخامسة: إنها مرزوقة من قبل الله عزَّ وجلَّ(٥).

السمة السادسة: إنها أولدت من غير زوج نبياً من أنبياء الله عزَّ وجلَّ(٦).

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٧
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٤٧.

السمة السابعة: إنها مخاطبة من قبل المولى عزَّ وجلَّ وحظيت بمخاطبة جبرائيل عليه السلام[١].

السمة الثامنة: إنها صديقة حيث قال الله عزَّ وجلَّ في صفة مريم بنت عمران: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ﴾[٢].

السمة التاسعة: إنها متعبدة للّه عزَّ وجلَّ وقانتة له[٣].

والنقاش هاهنا في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ فهل يعني هذا أن الأنثى لا ترتقي من حيث الشأن إلى الذكر؟؟

والجواب واضح وهو: أن الاختلاف ليس من ناحية الشأن هاهنا بل من ناحيتين هما:

الناحية الأولى: من حيث إن الناس آنذاك كانوا ينتظرون وليداً مميزاً ونبياً من أنبياء الله عزَّ وجلَّ في بني إسرائيل. فقد «روي عن أبي عبد الله عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى عمران: إني واهب لك ذكراً مباركاً، يبرئ الأكمة والأبرص، ويحي الموتى بإذن الله، وجاعله رسولاً إلى بني إسرائيل. فحدث امرأته حنا بذلك وهي أم مريم. فلما حملت بها قالت: رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً»[٤].

ولما كان هذا الوليد أنثى انتاب الجميع العجب لأن الموعود ذكراً فإذ به يكون أنثى وهو خلاف المتوقع.

الناحية الثانية: من حيث الدور ومقتضى النذر، حيث إن الأنثى «لا تصلح

(١) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٤٣.
(٤) مجمع البيان، مج٢، ج٣، ص ٢٨٠.

لما يصلح الذكر له، وإنما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث، لأنها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس، لما يلحقها من الحيض والنفاس والصيانة عن التبرج للناس». وقال قتادة: لم يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العادة[١].

وعلى هذا فإن الأميزية هيهنا ليست لأجل الأفضلية كيف ذلك وقد عرفت ما عليه الأنثى هاهنا من سمات، إنها مريم الذي تولد منها أعظم رجل في حينه وهو عيسى عليه السلام.

٢ ـ ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾[٢].

هذه الآية توضح عدم التمييز بين الذكر والأنثى في الأجر حيث أن حكمه جل شأنه وتعالت قدرته في الجميع هو حكم واحد.

فإن لأهل الهجرة الفوز بالنتائج الآتية:

أولاً: التكفير عن السيئات ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ ذكوراً وإناثاً.

ثانياً: الدخول إلى الجنّات ﴿وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾. ذكوراً وإناثاً.

ثالثاً: نيل الثواب العام من الله عزَّ وجلَّ ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ للذكور والإناث. وقوله ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾ أي عنده من حسن

---

(١) م.ن.، ص ٢٨١.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩٥.

الجزاء على الأعمال، ما لا يبلغه وصف واصف، ولا يدركه نعت ناعت، مما لا رأت عين، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. وقيل حسن الثواب في دوامه، وسلامته عن كل شوب من النقصان والتكدير»[1].

وليعلم أن سبب نزول هذه الآية كما قيل هو سؤال وجهته أُم سلمة للنبي ﷺ قالت فيه: ما بال الرجال يُذكَرون في الهجرة دون النساء؟ قيل: فنزلت هذه الآية.

وإنما لا يضيع الله عزَّ وجلَّ أجر عمل العامل منكم لأن الجميع ذكوراً وإناثاً ممن تعضدهم وتوحدهم صفة واحدة وهي الإيمان المشتمل على العمل.

ومما لا شك فيه فإن هؤلاء لم ينالوا هذه الرتبة من التكفير عن السيئات والولوج إلى الجنة وحسن الثواب إلا لأجل أنهم عملوا أعمالاً متعددة. ذكرها الله عزَّ وجلَّ وهي:

أ ـ الهجرة من مكة إلى المدينة في سبيل الله ذكوراً وإناثاً.

ب ـ الإخراج قهراً من الديار والوطن ذكوراً وإناثاً.

ج ـ الإيذاء في سبيل الله من قبل أهل الشرك.

د ـ القتال في سبيل الله ذكوراً وإناثاً.

هـ ـ القتل في سبيل الله عزَّ وجلَّ ذكوراً وإناثاً.

وعلى هذا فالإناث بحسب هذه الآية هن:

مهاجرات، مخرجات قهراً، متعرضات للأذى في سبيل الله عزَّ وجلَّ،

---

(١) مجمع البيان، مج٢، ج٤، ص ٤٧٨.

مقاتلات في سبيل الله، مقتولات في سبيل الله عزَّ وجلَّ وبعد هذا فلهذه الإناث جزاءً وافراً من قبل المولى عزَّ وجلَّ ومن ذلك:

أ ـ التكفير عن السيئات.

ب ـ ولوج الجنة.

ج ـ نيل حسن الثواب.

٣ ـ ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾[1].

إن العمل الصالح وإذا كان محرزاً من قبل كلي الإنسان ذكراً كان أم أنثى فإنه سيؤدي إلى دخول الجنة.

والآية المذكورة أثبتت ذلك بما لا مزيد عليه. ولقد أناطت الآية دخول الجنة بصفتين مهمتين هما:

الصفة الأولى: العمل الصالح.

الصفة الثانية: الإيمان.

وإذا ما اتصفت الأنثى بهما فستدخل الجنة حتماً وكذا الذكر. ومن ينفلت من هاتين الصفتين لن يدخل الجنة حتماً.

ولا شك بأن صفة الإيمان منضمة إلى صفة العمل الصالح قد وردتا في آيات قرآنية كثيرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٢.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[2]. وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾[3].

وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾[4].

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾[5].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[6]. ونظيرها من الآيات. وبنظرة دقيقة إلى الآيات التي تتحدث عن جزاء الذكر المؤمن والعامل للصلاح والأنثى المؤمنة العاملة بالصلاح فإننا نظفر بكثير من النتائج الحسنة ومن ذلك:

- دخول الجنة: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[7].
- الأجر عند الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[8].
- جزاء الحسنى ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾[9].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٨٨.
(٤) سورة مريم، الآية: ٦٠.
(٥) سورة القصص، الآية: ٦٧.
(٦) سورة غافر، الآية: ٤٠.
(٧) سورة غافر، الآية: ٤٠.
(٨) سورة البقرة، الآية: ٦٢.
(٩) سورة الكهف، الآية: ٨٨.

ـ الحياة الطيبة: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾[1].

ـ عدم الخوف: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾[2].

ـ الفلاح: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾[3].

ـ ثواب الله: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[4].

ـ جزاء الضعف: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾[5].

ـ الدخول في الصالحين: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾[6].

ـ الطوبى وحسن المآب: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[7].

ـ الإخراج من الظلمات إلى النور: ﴿لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾[8].

وغير ذلك من النتائج الكثيرة والطيبة، وليعلم بأن هذا شامل للذكران والإناث على حد سواء لتوحد صفة الإيمان وكذا العمل الصالح.

فأيما أنثى آمنت وعملت صالحاً فستكون حائزة على كل هذه الجوائز اللامحدودة بالقطع واليقين. وما أسعد هذه الأنثى إذا ما سعت جاهدة لحيازة هذه الجوائز من خلال تحصيل صفة الإيمان ومن خلال العمل

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٩.
(٣) سورة القصص، الآية: ٦٧.
(٤) سورة القصص، الآية: ٨٠.
(٥) سورة سبأ، الآية: ٣٧.
(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٩.
(٧) سورة الرعد، الآية: ٢٩.
(٨) سورة الطلاق، الآية: ١١.

الصالح ومن بعد ذلك فلتترك المتشدقين والمتشدقات ممن يطالبون بحقوق المرأة بطريقة خاطئة وغير سليمة، فلتترك هؤلاء في عالمهم السيئ ولترقى هي إلى هذه العوالم النيرة ولتفز بالرضوان الأكبر.

٤ ـ ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾﴾[1].

إن اسوداد الوجه عند الإستبشار بالأنثى وكون الفرد كظيماً كل هذا من عادات الجاهلية التي حطمها الإسلام وهشّمها وأرداها وطمس معالمها.

فلقد كان الوحيد الذي من حقه أن يُتهلل له الوجه فرحاً هو الذكر من دون الأنثى إذ إنها طالع شؤم، ومصدر عيب، وعندما تولد الأنثى فإن الأب يتسم بالسمات الآتية:

السمة الأولى: اسوداد الوجه.

السمة الثانية: كونه كظيماً.

السمة الثالثة: التواري من القوم.

السمة الرابعة: الاحتيار في الاختيار فإما يبقي هذه الفتاة وهو ذليل، وإما يدسها في التراب. وهذا الصورة رسمها لنا القرآن الكريم بوضوح حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾[2].

وليعلم بأن الإسلام أتى ليبطل هذه المقولة من أُس، وليكرس مفهوم «التكامل» بين الذكر والأنثى ومفهوم «الإيمان» و«العمل الصالح» كل ذلك تحت مظلة الحكمة الإلهية ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

(١) سورة النحل، الآية: ٥٨.

(٢) سورة النحل، الآيتان: ٥٨ ـ ٥٩.

فعندما بشّر رسول الله ﷺ بالأنثى الكاملة السيدة فاطمة الزهراء ﷺ استبشر خيراً، وتهلل وجهه بالضياء والنور، وابتسم ثغره وعمّه السرور، وشملته الغبطة كيف لا وهي الأنثى الطاهرة التي خصّها الله عزَّ وجلَّ بتلك المزايا اللامتناهية.

لا شك بأن من يحزن عندما يبشر بولادة الأنثى دون الذكر هو يعترض على حكمة الله عزَّ وجلَّ القاضية بوضع الأمور في مواضعها حيث قال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾[3]. وقال تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾[4].

٥ ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[5].

من الواضح جداً هيهنا أن المدار على التقوى لا على الذكورة والأنوثة من هذه الجهة سيماوأن التقوى قابلة لأن تتوصف بها الأنثى وكذلك الذكر دون فرق في هذا المجال.

الأمر الثاني: المرأة:

وقد ورد لفظ المرأة تارة بمعنى الزوجة كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾[6].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٤٧.
(٢) سورة القيامة، الآية: ٣٩.
(٣) سورة النجم، الآية: ٤٥.
(٤) سورة الشورة، الآية: ٤٩.
(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٥١.

ونظائر ذلك مثل قوله عزَّ وجلَّ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾[1].

وأخرى ورد بمعنى المرأة مستقلاً. وسنعمد إلى ذكر المعنى الثاني لا الأول لأنه يندرج في إطار الزوجية:

١ ـ ﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[2] هذه الآية تتحدث عن هدهد سليمان الذين أخبره بوجود امرأة في سبأ اسمها بلقيس وهي صاحبة ملك هناك.

هذه المرأة كانت عالية الشأن بحسب المنظار الدنيوي إلا أنها كانت حكيمة في فعلها، لبيبة في فهمها ويظهر ذلك من خلال:

أ ـ أنها وصفت كتاب سليمان عليه السلام بالكريم حيث حكى عنها الله عزَّ وجلَّ أنها قالت: ﴿إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾[3].

ب ـ إنها طلبت مشورة الملأ وهذا يكشف عن عدم استبدادها بالرأي لكونها ملكة والأمر لها قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ﴾[4]

ج ـ أنها وصفت الملوك الفسدة وصفاً صحيحاً. قال تعالى حكاية عنها: ﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾[5].

د ـ إنها استقرت على رأي راجح وحسن. قال تعالى حكاية عنها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾[6].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٩.
(٢) سورة النمل، الآية: ٢٣.
(٣) سورة النمل، الآية: ٢٩.
(٤) سورة النمل، الآية: ٣٢.
(٥) سورة النمل، الآية: ٣٤.
(٦) سورة النمل، الآية: ٣٥.

هـ ـ أنها اعترفت بالحق وأذعنت له. قال تعالى حكاية عنها: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

ولقد رأينا كثيراً من الملوك كيف أنهم لم يذعنوا للحق تعنتاً وتجبراً وذلك لأن المُك العقيم حجب عنهم الرؤية الصحيحة، والحكمة المليحة. بل رأينا من هم أقل شأناً ووزناً من الملوك قد أطاحت بهم العصبية والأهواء والأمراض النفسية ومنعتهم من الهداية.

ولكن هذه المرأة لم يمنعها من الحكمة والاعتراف والإسلام الملك ولا زبرجه وبهرجه.

٢ ـ ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[2].

هنا يتحدث الله عزَّ وجلَّ عن امرأة وهبت نفسها للنبي ﷺ من دون مهر وقد ورد أن من مختصات النبي ﷺ أن النكاح كان ينعقد له ﷺ بلفظ الهبة أي بلا مهر دون غيره ﷺ من المؤمنين.

لا شك بأن هذه المرأة متصفة بالإيمان حيث قال تعالى ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً﴾، وهذه المرأة المؤمنة أجادت من حيث كونها جعلت نفسها خالصة لوجه الله عزَّ وجلَّ لما وهبت نفسها للنبي ﷺ وكذا كانت حرة حيث اختارت بحرية «زوجها المناسب» والذي هو أعظم الرجال وهو محمد ﷺ.

ولا شك بأن اختيارها له ﷺ لا لكونه رجلاً فحسب بل لكونه ﷺ

(١) سورة النمل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٠.

يحمل تلك الميز العالية، والمضامين الكاملة وهذا دليل واضح على رجاحة عقل المرأة وحسن اختيارها ووجود كامل الحرية لها وهذا من شأنه إبطال المقولات المضادة.

٣ ـ ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[١].

الآية تتحدث عن النبي موسى عليه السلام عندما وصل إلى بئر في «مدين» ووجد من دون أهل مدين تلك المرأتين وهما تذودان أي تمنعان الغنم من الاختلاط بالأغنام الأخرى ومن الاقتراب من الماء. وذلك ريثما ينتهي الناس من السقاية لتستسقيا ولكن موسى عليه السلام ساعدهما على السقاية.

وهاتان المرأتان هما بنات النبي شعيب عليه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام، وهذه الآية تدل بوضوح على كون المرأة تعمل، فهنا إشارة إلى المرأة العاملة من بعض الجهات.

ولكن لا يقال بأن الواجب يحتم على المرأة أن تعمل. بل الواقع يتضاد مع ذلك ضرورة أنه لا يجب على المرأة أن تعمل سيما مع عدم الاضطرار إلى ذلك ألا ترى أنهما عللتا انتظارهما لانتهاء الرعاة من السقاية بقولهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فلو كان أبوهما غير شيخ فإنه يغنيهما عن العمل وبالتالي لا تعملان.

وعلى هذا فالمرأة تصح أن تعمل ولا يجب عليها العمل، نعم عدم عمل المرأة لا يعني أنها غير عاملة ضرورة أن كل إنسان يعمل ولكن بحسب طاقاته وقدراته، وفي ضمن إطاره المعهود، فالمرأة لا شك عاملة ويكفي

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٢٣ ـ ٢٤.

كدليل على كونها عاملة أنها من صناع البشر فإذا ما عمل إنسان ما في حقل اختراع مادة ما فإن المرأة هي التي عملت على صنع هذا المخترع أو ذاك.

نحن نريد بالعمل ذاك العمل المتعارف والذي هو من المناسب للرجال وإلا لو أنيط بالمرأة هذا العمل على نحو الوجوب والالزام والحتمية فستطرأ منغصات عديدة على هذا منها:

أ ـ وضع الرجال في عطالة عملانية نظراً لكثافة اليد العاملة وقلة العمل.

ب ـ تعطيل الدور الطبيعي لكل منهما والذي وضعه الله عزَّ وجلَّ.

ج ـ مخالفة الحكمة الإلهية القاضية بتناسب الإعمال مع الأشخاص.

وعلى هذا فإذا قلنا بجواز العمل وبصحته فهذا لا يعني الإفراط في ذلك إلى حد ترك وتعطيل المهمات الأساسية المنوطة بالمرأة كما في تربية الأجيال.

الأمر الثالث: النساء:

وردت الكثير من العبارات بلفظ «النساء» أو «نساءكم» أو «نساءنا» أو «نسائهن» في القرآن الكريم وسنستعرض الآيات الواردة في هذا الشأن تباعاً:

١ ـ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾[1].

هذه الكلمات القرآنية إنما تتحدث عن حالة تمر بها المرأة كل حين تسمى «بالحيض» حيث يسيل الدم في مدة معينة تتفاوت من بين واحدة وأخرى.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

ويشير الله عزَّ وجلَّ إلى أن الحيض هو نجاسة مادية ولأجل الابتعاد عن هذه النجاسة حرَّم الله عزَّ وجلَّ على الزوج الاقتراب من زوجته في مدة الحيض وحث على عدم مجامعتها لما في ذلك من مصلحة ودفع مفسدة.

وبالحقيقة فإن الحيض الذي تمر به النساء رحمة بها، وهو ينسجم مع تركيبتها الجسدية وقد أكدّ الطب الحديث ذلك.

وأيما امرأة عادية لا تحيض لا تعتبر عند الناس عادية وسوية.

وبما أن الحيض نجاسة فإن ما ينتج عنه يكون نجساً ومضراً ولأجل ذلك نهت الشريعة عن المجامعة في طول مدة الحيض.

قد يُقال: لماذا تحيض المرأة من دون الرجل؟؟ والجواب يكون عبر النقاط الآتية:

النقطة الأولى: أن هذا الأمر من إحدى مفردات الحكمة الإلهية القاضية بجعل كل أمر في موضعه.

النقطة الثانية: لنفترض أن المرأة لا تحيض فماذا يكون جوابنا لهذه المرأة عندما تتعرض لمشاكل من خلال إفرازاتها الجسدية؟!!

النقطة الثالثة: أثبت الطب الحديث أن للحيض فائدة عظيمة للمرأة.

النقطة الرابعة: أن الرجل لو كان يمتلك نفس الخصائص الجسدية للأنثى لحاض ولكنه يختلف عن ذلك. فلا يصح قياس الرجل على المرأة. وهذا كله من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المرأة الحائض لا يتسنى لها الصلاة والصوم ونحوهما فلا تستطيع مجاراة الرجل في ذلك من ناحية الشرع.

فهل هذا يشير إلى خلل ما في المرأة يجعلها أنقص إيماناً من الرجل؟؟

والجواب على ذلك:

أولاً: إن نفس الإذعان لأوامر الله عزَّ وجلَّ في الترك هو بمثابة الطاعة لله عزَّ وجلَّ من قبل الرجل.

ثانياً: إن المرأة في حالة الحيض وإن كانت غير مصلية ولا صائمة ولكنه بمكنتها تأدية مضامين الصلاة والصوم، وهذا يكون أبلغ.

ثالثاً: يصح للمرأة بل يستحب لها القيام ببعض الأعمال حال عدم كونها مصلية بالمعنى المعروف للصلاة كالجلوس على مصلاها وما شاكل.

رابعاً: إن الصلاة ساقطة عن المرأة وبلا شك وكثير من الناس ممن يصلون ـ رجالاً ونساءً ـ إنما لا تكون صلاتهم إلاَّ إسقاطاً لواجب ولا نصيب لهم في القبول وزيادة.

أما الصوم فإنه لا يسقط عن المرأة غايته أنها تقضيه وبالقضاء يتسنى لها التعبير عن مبلغ الإيمان ولا مانع.

خامساً: إن سقوط الصلاة وعدم جواز الصوم لدى المرأة وهي حائض إنما هو أمر واقعي مفروض وذلك لأن العبادة لا تكون إلا بالطهارة والمرأة حال كونها حائضاً ليست على طهارة ولأجل ذلك قال تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ وقال: ﴿وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

سادساً: إن العبادة ليست بالكثرة بل بالنوعية فقد تصلي المرأة في الشهر الواحد مثلاً عشرون يوماً ويصلي الرجل ثلاثون يوماً وفي النهاية تكون صلاة المرأة متقبلة عند الله عزَّ وجلَّ أكثر من الرجل لوجود الإخلاص الشديد.

وقد يغمى على رجل ما فيبقى أكثر من عشرين يوماً في حالة إغماء ولا

يصلي إلا عشرة أيام ومن ثم تصلي المرأة أنقص من عشرين يوماً أو أزيد وتكون صلاة الرجل متقبلة عند الله عزَّ وجلَّ أكثر من صلاة المرأة لوجود الإخلاص.

سابعاً: هل التقرب إلى الله عزَّ وجلَّ يُحصر في هذه الأيام التي تحيض فيها المرأة حتى تكون مقياساً لأفضلية الرجل على المرأة؟ وهل ينبغي للرجل أن يحيض حتى يتساوى الرجل مع المرأة؟؟ إذ يلزم من ذلك أن تكون موارد كثيرة يكون الأجر مختصاً فيها للمرأة ولا يحوزها الرجل. ومثال ذلك: الحمل والولادة حيث ورد أن للمرأة أجراً كبيراً في فترة الحمل وفي فترة الولادة، وحال موتها وهي تلد فهل هذا يعني أن المرأة هاهنا أفضل من الرجل وحتى يتساوى الرجل مع المرأة لا بدَّ أن يكون الرجل ممن يمكنه الحمل والولادة؟!!

وقد يُقال بأن اعتزال المرأة في فترة حيضها إنما هو بمثابة التحقير للمرأة وتعبير آخر عن عدم جدوائيتها. والجواب عن ذلك بما يلي:

أولاً: لا ينحصر احترام امرأة وتقديرها بالمجامعة والمعاشرة الجنسية الصرفة إذ إن هذا الاعتزال هو اعتزال مادي صرف وفي خصوص الإيلاج فقط.

ثانياً: الاعتزال المستدعي للتحقير والتوهين هو الاعتزال المعنوي وتحاشي الكلام وتوجيه الخطاب للمرأة من قبل الرجل.

ثالثاً: إن هذا الاعتزال إنما لصالح كليهما حيث أن الضرر يلحق بهما في حالة العشرة الجنسية أثناء الحيض.

رابعاً: إن المعاشرة الجنسية إنما لأجل الاستمتاع والاستمتاع هاهنا منتفٍ لأن المرأة في حالة الحيض تكون متكدرة.

خامساً: إن الاعتزال هاهنا إن يصب في صالح ثمرة الفؤاد أي الولد وذلك لأن الجنين يتأثر سلباً إذا ما كان نتاج المعاشرة الجنسية أثناء الحيض. ولأجل هذه الأسباب قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[1].

فنكتة الطهارة والتطهر لها المدلول الواسع حيث إن الإنسان السوي لا يقوم على مباشرة الشيء حال كونه قذراً وحيث أن القذارة موجودة هاهنا ومتحققة في دم المرأة فإن مباشرة ذلك خلاف الصحيح والمعتاد.

ومما تقدم يعلم بأن احترام المرأة وجدوائيتها إنما يكون بالتفاعل معها إنسانياً فيكون اعتزالها موجب للاقتراب منها إنسانياً وأخلاقياً.

ولقد تهيج في البين النفس لتثير شبهة محصلها أن كون المرأة هي بمثابة الحرث يفيد أنها مجرد محطة شهوة للرجل ومظنة لقهره واختياره. يغاديها ويراوحها أنى يشاء وليس عليها إلا الإذعان مرغمة؟!!

والجواب عن ذلك يتم بالآتي:

أولاً: إن قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾[2] إنما هو من ناحية المعاشرة الجنسية لا من ناحية أخرى كالإيذاء بالضرب والشتم، والتجويع، وعدم الإيواء، والاستخدام القهري وما شاكل ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3] أي قدموا الأعمال الصالحة التي أمرتم بها ومن جملة الأعمال الصالحة المعاشرة بالمعروف كما نعلم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

ثانياً: إن كون المرأة مرتعاً للرجل من ناحية المعاشرة الجنسية لما يرغب لا يعني أنها مرغمة على ذلك ومقهورة لأنها لما أبرمت عقد الزواج مع الزوج إنما أبرمته مع علمها بأنه يجب عليها ذلك منذ البداية. وعليه فإنها مختارة لذلك منذ البداية.

ثالثاً: إن كونها مرتعاً له من هذه الناحية لأجل أن هذا حق للرجل من جهة الزواج كما أن للمرأة حقاً عليه من جهة الزواج كوجوب النفقة على الرجل.

رابعاً: إن المرأة ليست مرتعاً للرجل مطلقاً من ناحية المعاشرة الجنسية ضرورة أنه يلزم عليه اعتزالها حال الحيض ونزول الدم، وكذا حال كونها نفساء.

خامساً: إنه لا يتسنى للرجل جعل المرأة مرتعاً له للمعاشرة الجنسية كل حين وعلى سبيل الاستدامة ضرورة أن هذا الفعل لا يكرر كثيراً كل ليلة وعليه فإن الإتيان معدود وتستطيع المرأة تلبية ذلك عن طيب خاطر.

سادساً: إن المرأة تسعد لكونها مرتعاً لزوجها من الناحية الجنسية وتعتبر هذا العمل من جملة وظائفها.

سابعاً: إن كون المرأة مرتعاً لزوجها من ناحية جنسية يدل على أنها مرغوبة له معشوقة لقلبه وذلك لأن إتيانه لها يكون عن طيب خاطر منه. وهذا تعبير آخر عن رغبته بها، وأي امرأة لا تسعد عندما تكون مرغوبة للرجل الحلال؟!!

ثامناً: إن القصد من الزواج إنما له غايات جمة منها الاستمتاع فإن لم تكن المرأة مرتعاً للرجل من هذه الناحية فإن الغرض ينتفي هيهنا وبالتالي لا معنى للزواج من رأس.

تاسعاً: إن المرأة التي هي حرث للرجل إنما تشارك الرجل في الاستمتاع لما يرغب الإتيان بها فليس الاستمتاع منحصراً به بل هو مشترك بينهما، ثم إن الرجل يعطي للمرأة حقوقها الواجبة عليه بالاستمتاع عندما يباشرها.

عاشراً: مع إنه من الواجب على المرأة أن تلبي رغبة زوجها في الإتيان ولو كانت على ظهر بغلة إلا أن هذا من ناحية فقهية أما إذا توافق الزوج والزوجة على صيغة معينة لإشباع هذه الرغبة فلا مانع من ذلك.

ثم إنه ماذا لو لم تكن المرأة مما يجب عليها تلبية رغبة الرجل؟؟!!

فإن هذا يسبب مشقة وعسراً، ويؤدي إلى الفساد، وذلك لانتفاء الضابطة في ذلك، ولوجود الخلل المفسد.

فلنذهب أن الرجل أراد إشباع رغبته التي توسل بالزواج لتحقيقها ورفضت المرأة ذلك لكونها ليست حرثاً له، فماذا يفعل الرجل هاهنا؟؟ هل يقضي الوطر مع أخرى بالزنا أو يفعل أموراً أخرى، فإذا لم يكن الزواج محققاً لذلك فأي شيء يحقق ذلك.

أما إذا كان الرجل حرثاً للمرأة من هذه الجهة فلا يصح ذلك لأنه تعبير آخر عن عدم التوازن في الحقوق والواجبات لديهما، كما أنه خلاف الطبيعة البشرية القاضية بمرغوبية المرأة للرجل وبحياء المرأة، مضافاً إلى أن ذلك يورث الملالة عند الرجل من المرأة مما يؤدي به إلى اختيار الأخريات.

وينضم إلى ذلك احتمال وجود محذور مفاده أن المرأة لما تكون كارهة لزوجها أو متنفرة منه فإنها لن تباشره مطلقاً لأن نفور المرأة واستدبارها للشيء يكون ممتزجاً مع الحقد فيكون أبلغ، ومع هذا فلا مانع من أن ترغبه هي وأراد هو مجاراتها في ذلك.

٢ ـ ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا

﴿تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾﴾[1].

هذه الآية تتحدث عن الطلاق والزوج هاهنا مخير بين أن يبقيها ـ أي الزوجة المطلقة ـ حليلته قبل انتهاء عدتها الرجعية أو تركها مطلقة فلا تعود تحل له.

أما أن يقوم الزوج بإبقاء المطلقة زوجة له قبل انتهاء العدة الرجعية بغية ظلمها والاعتداء عليها والإضرار بها فهذا مما لا يصح له ولا يجوز.

وعلى هذا فالحديث الآن يجري حول الطلاق عبر النقاط الآتية:

النقطة الأولى: هل الطلاق يدمر حياة الأسرة؟!! الجواب: الصحيح بأن الطلاق يؤثر تأثيراً سلبياً على الأسرة سيما مع تكثر الأولاد، ولكننا مع الاعتراف بذلك فإن هاهنا توجيهات متعددة لجدوائية الطلاق وإظهار فوائده ومنافعه منها:

التوجيه الأول: إن الطلاق وإن كان يؤثر سلباً على الأسرة بيد أن عدم الطلاق من شأنه الإضرار بالأسرة بشكل أكبر وأوسع. وذلك إذا كانت المشاكل الزوجية كبيرة جداً ولا علاج لها، وعلى هذا فإن الطلاق هاهنا أفضل من عدم الطلاق بكثير.

التوجيه الثاني: إن الطلاق هو نتاج أسبابه وهذه الأسباب هي بحد ذاتها طلاق فعلي ومضموني وعلى هذا فإن الأسباب هي التي أثرت سلباً على الأسرة قبل الطلاق غايته أن الطلاق هو تعبير رسمي عن هذه الأسباب. وعلى هذا الأساس فإن الأسرة مفككة من خلال أسباب الطلاق

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

بمعزل عن الطلاق نفسه فمع الطلاق ومن دون الطلاق فإن الأسرة مفككة ومتأثرة سلباً بمشاكل ما قبل الطلاق.

التوجيه الثالث: إن الطلاق يخفف من حدة المشاكل ويحد من نموها وتكثرها، ويعمل على تقليلها ومن ثم إيقافها. وذلك بالتوضيح الآتي: لنفترض أن أسرة ما مؤلفة من ثلاثة أفراد وهي غارقة في المشاكل فإن الطلاق يؤثر على هؤلاء الثلاثة فقط، أما إذا كبرت العائلة فأصبحت أربعة فإن المشاكل تتعاظم مع طوال المدة والطلاق هاهنا بتأثيره السلبي يشمل هؤلاء الأربعة، وهكذا إذا كبرت الأسرة وطالت المدة فإن تأثير الطلاق السلبي ينعكس على العدد المتكاثر من الأسرة ويزيد مع زيادة المدة.

التوجيه الرابع: إن تأثير الطلاق السلبي على الأسرة ليس مطرداً فإن كانا ـ أي الزوجان ـ لوحدهما بلا أولاد فعدم التأثير السلبي واضح ضرورة أن الخيارات مفتوحة أمامهما، وإذا كانا مع أولادهما فتارة يكون الأولاد ممن قد بلغوا سن الرشد فيستطيعون تقبل الواقع الجديد والتكيف معه، وإن لم يكونوا كذلك فإن انضمامهم مع أحد الأبوين وتواصلهم مع الآخر يكفيهم المؤونة. على أن هذا ليس حلاً كاملاً بل هو ترميم لما تداعى من بنيان الأسرة.

التوجيه الخامس: إن الطلاق وإن كان مريراً لأول وهلة ولكنه يساهم في صقل شخصية كل من خاض لجته، ويصحح مسيرة الأشخاص الذين مروا بتجربته، ودخلوا منظومته القاسية.

التوجيه السادس: إن الطلاق لا يعني بالضرورة الفراق مطلقاً فقد يعود كل من الزوج والزوجة إلى الالتقاء بزواج جديد ويكون الطلاق مؤدباً لهما ومحفزاً لهما على عدم العود. ونجد حكمة ذلك في كل من الطلاق الرجعي وهو الطلاق الذي يستطيع الزوج من خلاله الإبقاء على زوجته زوجة له طيلة

مهلة ثلاثة أشهر، وكذا الطلاق الثالث والأخير حيث لا يستطيع الزوج الارتباط بزوجته إلا بعد أن ينكحها رجل آخر وهذا الحكم فيه مبالغة في التأديب لكلٍ من الزوجين وللزوجة بوجه مخصوص.

التوجيه السابع: إن الطلاق في بعض الأحايين يكون خير كله ومن ذلك ما إذا كان أحد الزوجين مصاباً بداء خطير وقابل للانتقال إلى الشريك الآخر، ومن ذلك ما إذا لم يكن بمقدور أحدهما لمانع تكويني أو مرضي الإنجاب، ومن ذلك ما إن كان أحدهما في الأسر ولا يستطيع انتظار الآخر، ومن ذلك ما إن كان أحدهما غير محب للآخر ولا راغب به وقد ارتبط به عن كراهة، ومن ذلك ما إن كان أحد الزوجين فيه من العيوب ما يمنعه عن مجامعة الآخر، ومن ذلك ما إن كان طلاقهما سبباً لوأد فتنة عمياء وغير ذلك.

ومما تقدم نعلم بطلان ما تذهب إليه بعض الأديان من أن الزواج سر من أسرار الله عزَّ وجلَّ وما يجمعه الله لا يفرقه الإنسان. فإن هذا الكلام واضح البطلان وذلك ـ مضافاً إلى ما ذكر ـ للأسباب الآتية:

السبب الأول: إن هذا الكلام بعيد عن الواقع بعداً كاملاً.

السبب الثاني: إن ما جمعه الله عزَّ وجلَّ يفرقه الله عزَّ وجلَّ أيضاً ولا مانع.

السبب الثالث: الزعم بأن الطلاق هو من التفريق الإنساني هو زعم باطل ويفتقر إلى دليل ضرورة أن الإنسان السوي بل أي إنسان لا يحب التفريق. فالتفريق ينتجه الواقع وتمليه الظروف لا نفس الناس.

السبب الرابع: إن التفريق واقع لا محالة سواءً حصل الطلاق أم لم يحصل، ضرورة أن النفور والكراهية، والحقد والجفاء، والمشاكل عموماً هي تعبير آخر عن الافتراق وإن لم يبرز هذا الافتراق بمبرز شكلي.

السبب الخامس: هل يراد بأن ما جمعه الله هو الجمع التكويني بمعنى أن الله عزَّ وجلَّ جمع بين زيد وهند وعبيد وليلى وعمرو وبثينة قبل أن يتولدوا ولما تولدوا، أم أن الجمع حصل من خلال اتفاق أو عقد شرعي ديني اعتباري بينهم؟!! الواقع أنهم جمعوا من خلال عقد زواج بعد أن أصبحوا في عمر محدد، فمقولة ما جمعه الله لا يفرقه إنسان مقولة باطلة ومفتقرة إلى الدليل والبرهان.

السبب السادس: هب أن زوجة زيد مثلاً مجتمعة حقيقة مع رجل آخر وهي تمارس معه الجنس كأنها زوجته فهنا مع من جمعها الله مع زوجها المقترنة به شكلاً أم مع الرجل الآخر المقترنة معه قلباً وقالباً؟!!

السبب السابع: ماذا يراد من ممنوعية التفريق، فإذا كان يراد منه المنع من التفريق الظاهري فإن التفريق الظاهري حاصل مع المسلمين وغيرهم دون أي مانع، وإن كان يُراد به التفريق الواقعي فإن التفريق الواقعي حاصل مع كل أحد، وها نحن نرى وبالوجدان بأن كثيراً من الأزواج والزوجات قد افترقوا عن بعضهم البعض وهم يعيشون حياة مستقلة وكل واحد منهم مستقل عن الآخر بصورة طبيعية دون أن يؤثر عليهم هذا التفريق أي تأثير.

السبب الثامن: هب أن كلا الزوجين قد أجبرا على الزواج قهراً فهل يجبر الله عزَّ وجلَّ هذين الزوجين على الاجتماع قهراً، وهل يجمع الله عزَّ وجلَّ بين قلبين متنفرين ومتفرقين.

السبب التاسع: إن بناء الأسرة بسبب كراهة كل من الزوج والزوجة لبعضهما البعض؛ على الكراهية والمشاكل إن لم يختتم بالطلاق فإن هذه الكراهية وهذه المشاكل سوف تتنامى وتتسامق وتدوم طويلاً وهذا مما لا يقبل به أحد ومما لا يطاق ومما يسبب العسر والحرج.

السبب العاشر: إن النتيجة الطبيعية للمشاكل والكراهية وللعراقيل

والموانع هي الإفتراق غايته أن هذا الافتراق بحسب أصحاب دعوى (ما جمعه الله لا يفرقه إنسان) هو مجرد اعتزال كل من الزوجين للآخر وهذا الأمر بحقيقته يتحى منحيين:

المنحى الأول: إن هذا اعتراف بجدوائية الطلاق وإن بشكل آخر.

المنحى الثاني: إن هذا هو هروب من المشكلة وليس حلاً لها. وللأمن من مضاعفات قرار «عدم مشروعية الطلاق» لجأ كثير من اتباع هذه المقولة (ما جمعه الله لا يفرقه إنسان) إلى التمسك بمبدأ الطلاق طلباً لحل المشاكل وتقويم الإعوجاج، بل إننا نرى أنهم يتحايلون على مبدأ الطلاق بما يعرف بـ«إبطال الزواج» تماماً كما يفعل بعض المسمين في قضية الزواج المؤقت حيث إنهم يتحايلون عليه بما يعرف بزواج المسيار أو زواج الـ«week end» فهرباً من شرع محمدﷺ والقاضي بتشريعه الزواج المؤقت هم يحتالون هذه الحيل!!!.

النقطة الثانية: هل الطلاق يهدر حق المرأة؟؟. والجواب: لا فليس الطلاق هادراً لحق المرأة وذلك للتوجيهات الآتية:

التوجيه الأول: إن المولى جل شأنه حصَّن المرأة بمجموعة من الحقوق لا بدَّ للزوج أن يؤديها لها حالما يتم الطلاق.

التوجيه الثاني: إن القرآن الكريم صرَّح بشكل واضح أن التسريح لا بدَّ أن يكون بالمعروف ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ ونهى عن الإمساك بإضرار للاعتداء أي نهى عن الإعتداء على النساء حال كونهن أزواجاً حتى يتنازلن عن حقوقهن حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1].

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.

التوجيه الثالث: إن الطلاق بالنسبة للمرأة الكارهة لزوجها المظلومة لديه هو في حقيقته عتاق لها من الذل والظلم.

التوجيه الرابع: إن كان المراد من هدر حق المرأة حقها المادي فإن كثيراً من الزوجات تهدر حقوقهن حال كونهن زوجات. مع أن الشريعة حفظت للمطلقة حقها المادي من خلال المهر ونفقة الأولاد، وإن كان المراد من هدر حق المرأة حقها المعنوي فإن العيش مع زوج لديه إرادة التطليق هو بحد ذاته هدر لحق المرأة وعلى هذا فالطلاق يحد من هدر حق المرأة المعنوي ويختم أحزانها ربما بسعادة وربما بغير ذلك ولكنها قطعاً تستفيد من التجربة.

التوجيه الخامس: إن الطلاق وإن كان بمثابة الصدمة للمرأة سيما وأن المرأة ممن تتأثر بهذا سلباً أكثر من الرجل إلا أنه يكشف لها عن سوء الاختيار فإذا كان من حزنت لأجل فراقه يريد مفارقتها فلماذا تستمر في حزنها على فراقه فلا بد والحال هذه أن تنعكس الصورة لديها لتصر هي على مفارقة من يريد مفارقتها. وبالجملة فإن ما تأسف المرأة على فواته قد انتهى وتغيّر الموضوع من رأس.

التوجيه السادس: إن الطلاق لا يحصل من قبل الرجل مجرداً عن الأسباب لأنه لا يكون إلا عن أسباب، وهاهنا أمران:

الأمر الأول: أن تعيش هذه المرأة مع أسباب الطلاق وهذا مما لا يطاق.

الأمر الثاني: أن تتخلص من هذه الأسباب وهذا لا يتأتى إلا بالطلاق.

وخلاصة الكلام أن حقوق المرأة محفوظة ومحترمة وغير مهضومة.

النقطة الثالثة: هل الطلاق أمر محبذ أم مبغوض؟!!

من الواضح أن الطلاق من الأمور المبغوضة لدى الشرع الأقدس وهذا يظهر من خلال أمرين هما:

الأمر الأول: إنه مضاد للزواج المرغوب شرعاً ففي الصحيح عن محمد بن مسلم أن أبا عبد الله عليه السلام قال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم غداً يوم القيامة»[١]. وعن علي عليه السلام قال: «تزوجوا فإن التزويج سنة رسول الله صلى الله عليه وآله. فإنه كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي، فإن من سنتي التزويج»[٢]، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة»[٣]، وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عزَّ وجلَّ من التزويج»[٤]. وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «تزوجوا وزوجوا، ألا فمن حظ أمرئ مسلم إنفاق قيمة أيّمة، وما من شيء أحب إلى الله عزَّ وجلَّ من بيت يعمر في الإسلام بالنكاح، وما من شيء أبغض إلى الله عزَّ وجلَّ من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة يعني الطلاق»[٥]. وإنما الطلاق اعتبر مضاداً للزواج من ناحية أنه تعبير آخر عن الاجتماع والطلاق إنما هو تعبير آخر عن الافتراق؛ أو فقل الزواج تعبير آخر عن البناء والتعمير والطلاق تعبير آخر عن الهدم والتخريب.

الأمر الثاني: المرويات المشيرة إلى مبغوضية الطلاق:

ففي خير أبي هاشم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: إن الله عزَّ وجلَّ يحب البيت الذي فيه العرس ويبغض البيت الذي فيه الطلاق، وما من شيء أبغض إلى الله عزَّ وجلَّ من الطلاق»[٦].

وعن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص ١٤.
(٢) م.ن.، ص ١٥.
(٣) م.ن.، ص ١٨.
(٤) م.ن.، ص ١٤.
(٥) م.ن.، ص ١٦
(٦) م.ن.، ج٢٢، ص ٧.

«ما من شيء مما أحله الله أبغض إليه من الطلاق، وإن الله عزَّ وجلَّ يبغض المطلاق الذوّاق»[1].

وورد عنهم ﷺ: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش»[2].

يبقى مسألة مهمة وهي مثارة في غير آية من آيات القرآن الكريم وهي مسألة العدة حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾[4].

والعدة كما هو معلوم هي مدة زمنية معينة يتسنى للمطلق الرجوع إلى مطلقته خلالها من دون إنشاء عقد زواج جديد.

ويسمح للرجل أن يطلق المرأة ثلاث مرات ثم يعود إليها بعد كل طلاق ضمن مدة ثلاثة أشهر ولكن لما تتم التطليقات الثلاث لا يتسنى له الرجوع إليها إلا بعد أن ينكحها رجلٌ آخر، فإذا نكحها الرجل الآخر وطلقها يستطيع الزوج الأول أن يتزوجها ثانية وله أن يطلقها ثلاثاً ثم من بعدها لا يستطيع الزواج منها إلا بعد أن تنكح رجلاً آخر، وهكذا يستطيع الزوج الأول التزوج من مطلقته إلى أن يبلغ عدد التطليقات عنده تسع تطليقات فعندها لا يتسنى له الرجوع إليها حتى لو نكحت رجلاً آخر لأنها تحرم عليه مؤبداً.

وعلة «العدة» في الطلاق تنحل إلى أكثر من فائدة وتوضيح ذلك يتم عبر استعراض كلام الإمام الهمام علي بن موسى الرضا عليه السلام حيث يقول عليه السلام: «وعلة الطلاق ثلاثاً لما فيه من المهلة فيما بين الواحدة إلى الثلاث، لرغبة

---

(١) م.ن.، ص ٨.
(٢) م.ن.، ص ٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٣١.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ١.

تحدثه، أو سكون غضبه، إن كان، وليكن ذلك تخويفاً وتأديباً للنساء، وزجراً لهن عن معصية أزواجهن، فاستحقت المرأة الفرقة والمباينة لدخولها فيما لا ينبغي من معصية زوجها»[1].

فعلل العدة أو الحكمة من العدة كما هو الأصحّ:

أولاً: إعطاء المهلة للزوج وللزوجة لكي يعيدا النظر في أمرهما. فيندم المذنب منهما ويعفو الآخر ويسامح، فلربما طلقها الزوج لكونه غاضباً من أمر حصل خارج البيت أو لأمر رآه كريهاً في الزوجة، ولربما لم يتحمل الزوج فراق مطلقته فأراد إرجاعها سريعاً لكونه شديد الرغبة بها، وكذلك ربما هي اشتاقت إليه فندمت على ما فعلته وتنازلت عن كثير من عنادها وكبريائها.

ثانياً: تخويف النساء وتأديباً وزجراً لهن: حيث إن الكثيرات من النساء المتزوجات تثبت في أذهانهن فكرة مفادها: إن الأزواج مهما تصرفت الزوجات معهم تصرفات سيئة فإنهم لن يصلوا إلى مرحلة يعمدون فيها إلى تطليق أزواجهم ولكن لما يصدر الزوج قراره بتطليق زوجته فإنها في هذه الحالة تخاف على مستقبلها، فتنزجر وتتأدب وتعود إلى رشدها. والزوجة كذلك فإن زوجها إذا ظلمها وهضم حقها فإنها لما تقنعه بأنها مستعدة لأن تصل إلى مرحلة الطلاق بلا مبالاة فإذا طلقها بالفعل تبعاً لرغبتها فإنه سوف يقلع عن ظلمه لها أن أراد الرجوع إليها ضمن مدة العدة الرجعية.

ولا يخفى وجود حِكَم أخرى في هذه المضمار من ذلك مسألة «الحمل» حيث إن الزوجة إن لم يكن لها عدة فإنها يمكن أن تتزوج من رجل آخر سريعاً وعندما تتزوج من آخر ويظهر أنها حامل فلا يعلم لمن يكون الجنين، أما إذا اعتدت فإنه يظهر الحمل في هذه المدة ويعلم صاحب

---

(١) حياة الإمام الرضا ﷺ، ج٢، ص ٥٧.

الجنين. ومنضماً إلى عدة الطلاق هناك عدة الوفاة وهي أطول مدة ويكفي فيها أنها مدعاة لحزن المرأة على زوجها ومحفز ضروري للمرأة لتكون وفيةً لزوجها طيلة هذه المدة.

وليعلم أننا اقتصرنا على ما تقدم في مسألة العدة للاختصار والاقتصار ليس إلا.

٣ - ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾(١).

هنا يذكر الله جلَّ شأنه وتعالت قدرته السبب أو الأسباب التي دعت الناس إلى الميلان عن الحق إلى الباطل وهذه الأسباب هي:

أولاً: النساء فإنهن مفتنة للرجال، وهن يصرفن الرجال عن كل ما يبعدهم عنهن حتى لو كان الابتعاد عنهن لسبب إلهي أخروي كالجهاد في سبيل الله مثلاً.

ولكن هذا الكلام لا يجري على إطلاقه بل هو في الغالب ضرورة أن ثمة صنف من النساء كن يصرفن رجالهن عن الباطل ويعملن على توجيههم إلى الحق.

ولكن هذا الصنف قليل في النساء وذلك لأن المرأة الفاسدة وغير السوية تفسد زوجها وتمنعه عن الحق جهاراً، وتعمل على سبيل جعله عاشقاً لها دواماً، ولأن المرأة المؤمنة العفيفة وإن لم تصرف الرجل عن الحق ولكنها بعفافها وحسن أخلاقها تشد الرجل إليها دون قصد فيخشى الرجل فراقها ولله في خلقه شؤون.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

وعلى هذا الأساس فالمرأة التي لا تصرف زوجها عن قبول الحق عليها أن تكون مؤثرة ليتسنى لها ذلك وهذا لا يتحقق إلا في القليلات، وهذا كله إذا كانت المرأة زوجة أما إذا كانت عشيقة أو زانية والعياذ بالله فهي تكون صارفة عن الحق بكل وضوح.

ثانياً: البنون والأبناء يصرفون عن الحق من جهتين:

الجهة الأولى: في تأمين حاجياتهم حتى لو أدى تأمين الحاجيات إلى أكل المال الحرام.

الجهة الثانية: في عدم الرغبة بمفارقتهم، حيث توصله الرغبة ـ أي للأب أو أي أحد آخر ـ إلى التقاعس عن نصرة الحق أو تقبله في حال التعرض للخطر المؤدي إلى هذا الفراق.

وقد يكون الأبناء مظنة لصرف الرجل عن الحق من خلال التباهي والتفاخر بهم والكبرياء وعدم شكر النعمة كما حصل هذا مع ذاك الرجل الذي أخبر الله عزَّ وجلَّ عنه في القرآن الكريم حيث قال لصاحبه وهو يحاوره: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[1].

ثالثاً: الذهب والفضة الكثيرين: حيث إنهما يصرفان عن الحق بطريقة سحرية ومؤثرة وفتاكة.

رابعاً: الخيل المعلمة والمدربة والجيدة: وهذا واضح.

خامساً: الأنعام من إبل وبقر وغنم.

سادساً: الزرع.

وبعد الانتهاء من هذا الوجيز وبما أن الحديث عن النساء في القرآن فإن سؤالاً مهماً يوجه الآن ومحصله كالآتي:

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٣٤.

لماذا اعتبر الله عزَّ وجلَّ النساء من الشهوات الصارفة عن الحق؟؟ ولما تشترك النساء في الآية مع الأبناء والأموال والذهب والفضة والأنعام والزرع؟؟

والجواب عن ذلك يكون بالتوجيهات التالية:

التوجيه الأول: إن النساء هاهنا ليس على سبيل الحصر هن من الشهوات الصارفة عن الحق، فقد يكون الرجال أيضاً هم من الذين يصرفون النساء عن الحق. ولكن لما كانت النساء في هاتيك العصور والأزمان هن من أدوات اللهو والمجون والافتتان جاء هذا الخطاب القرآني بهذا النحو.

وليعلم أنه ليس في تلك الأعصار كانت النساء أدوات لصرف الرجال عن الحق فحسب وذلك لأنها في هذه الأعصار هي كذلك أيضاً ألا ترى كيف تحشر المرأة الآن في كل شيء وكيف يرتسم جسدها الآن أمام أنظار الناس أينما تصطدم أنظارهم، وطبعاً هذا ظلم عظيم للمرأة من خلال الرجال ومن خلال المرأة نفسها.

التوجيه الثاني: ليس المراد هاهنا مطلق النساء بل هناك استثناء واضح للمرأة المؤمنة العفيفة وهذا ما تحدثنا عنه الآيات القرآنية الأخرى التي تصلح أن تكون مخصصاً واضحا وصريحاً لهذا العموم.

التوجيه الثالث: قد لا يكون للمرأة دخل في صرف الرجل عن الحق حيث يمكن أن يكون الرجل منصرفاً إلى الشهوات وإلى الدنيا وإلى المرأة من جانب واحد ولا ذنب لها سوى أنها معشوقته ومرغوبته.

التوجيه الرابع: إن كون المرأة هاهنا مصدراً لإعجاب الرجل ومظنة لتحقيق شهوته لا ينقص من شأنها لأنها إن لم تكن كذلك لما تكاملت الحياة وتوازنت غاية ما في الأمر أن هذا الإعجاب وهذا الإشتهاء يلزم أن لا

يتخطى حدوده الموضوعة له فيبقى في دائرة الحل والحلال ولا يؤدي بالمحصلة إلى التقاعس عن نصرة الحق ولا أقل من قبول الحق والإعراض عن الباطل.

التوجيه الخامس: تظهره الآية التي تلي الآية (١٤) من سورة آل عمران وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾(١). حيث إن الله عزَّ وجلَّ أخبر هاهنا عن جزاء من أعرض عن الدنيا وأقبل إلى الآخرة بأعمال الدنيا، ومن هذا الجزاء:

أ ـ جنات تجري من تحتها الأنهار.

ب ـ الخلود في الجنات.

ج ـ الأزواج المطهرة.

د ـ الرضوان من الله.

وهذا الجزاء إنما هو للذين يستثنون من أولئك الذين زين لهم حب الشهوات والنساء وغير ذلك. وقوله عزَّ وجلَّ ﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ عام يشمل الذكران والإناث كما عرفت وعلى هذا فليست النساء في الآية السابقة مظنة لصرف الرجال عن الحق بل الرجال في نفس الاتجاه ويستثنى من ذلك أهل التقوى ذكراناً وإناثاً. هؤلاء ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾(٢)

التوجيه السادس: إن انضمام النساء مع باقي الشهوات المذكورة في

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥.

(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٦ ـ ١٧.

الآية ليس تحقيراً لهن، وتوهيناً بهن، إنما هو خطاب واقعي يصف الحال بما عليه وكما هو، أليست الأنعام تمثل شهوة التملك للإنسان كما المال؟؟!! أليس الزرع كذلك؟!! وكذلك الرجل يمثل شهوة للمرأة.

ألم تشتهِ امرأة العزيز يوسف عليه السلام؟!! بلى اشتهته بلا ريب ثم إنه هاهنا مسألة مهمة مفادها: إن المرأة الفاسدة والآثمة والزانية هي ليست أرفع شأناً من الحيوان ولا الجماد وكذلك الرجل الذي هو على هذه الشاكلة ليس أرفع شأناً من الحيوان والجماد.

فلا يمنع أن تنضم المرأة التي على هذه الشاكلة إلى باقي الموجودات. ويستثنى من ذلك المرأة المؤمنة والعفيفة.

نعم المرأة من جهة كونها جسداً وشهوة هي كباقي الشهوات وكذا الرجل غاية أنها أكثر خطراً وأعظم فتنة ولعله لذلك جاء الترتيب في الشهوات على هذا النحو حيث قدمت النساء على الأبناء والأبناء على الأموال، ولكن كونها أكثر خطرا وأعظم فتنة لا يدل على أنها تنتج نتائجاً سلبية بل هي متوازية ومتساوية سلباً وإيجاباً أي أنها كما تسخر الخطورة والفتنة لأمور سلبية كذا تسخر الخطورة والجمال لأمور إيجابية.

٤ ـ ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾(١).

هنا يحدثنا المولى جل شأنه عن جواز زواج الرجل من أربع زوجات. ومع أن المولى هاهنا يجيز الزواج من أربعة زوجات بشرط العدل إلا أن المولى جلَّ وعزَّ يؤكد استحالة العدالة في أية أخرى حيث يقول: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا

(١) سورة النساء، الآية: ٣.

﴿كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾[1].

وعلى هذا فكيف يجوز تعدد الزوجات بشرط العدل مع الأخبار الإلهي باستحالة العدل؟؟!!

والجواب: إن العدل المقصود بالآية الأولى هو العدل في العلاقة الاقتصادية والاجتماعية كالنفقة وتقسيم الليالي مناصفة.

أما العدل المقصود بالآية الثانية فهو العدل بالمحبة حيث يتعذر بل يستحيل العدل في توزيع المحبة بين الزوجات لأن المحبة القلبية لكل زوجة من الزوجات هي متفاوتة بلا شك، فقد يحب الزوج زوجة أكثر من باقي الزوجات لحسنها أو أخلاقها أو علمها أو تقواها وقد يحب زوجتين أكثر من زوجتين وهكذا.

وعلى هذا فليس من الواجب العدل بالمودة بين الزوجات لأنه يتعذر، نعم قد يستطيع الزوج إخفاء محبته الزائدة لواحدة منهن عن الأخريات.

أما العدل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية فليست مطلقة، حيث إن المراد بالعدالة ليس كما يتصور من أنه يلزم على الزوج النفقة على الزوجات بالتساوي، ومجامعة الزوجات بالتساوي بحسب المرات، ونطرح هذه النماذج على سبيل المثال:

النموذج الأول: إن النفقة على الزوجة إنما تكون بحسب مستواها وما يصلح شأنها فالمرأة التي تعيش مع أهلها بصورة راقية نفقتها أعلى من نفقة المرأة التي كانت تعيش مع أهلها بصورة أدنى.

وكذلك المرأة المريضة فإن مصروفها ونفقتها أكبر من مصروف ونفقة غير المريضة.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٩.

النموذج الثاني: الزوجة الناشز تطبق عليها أحكام النشوز من الوعظ والهجر وغير ذلك بخلاف غير الناشز فهل يجب العدل هاهنا؟!!

النموذج الثالث: أن الواجب في العدل بين الزوجات الأربع هو المبيت عندهن بالتساوي أما الجماع وعدمه فهذا يعود إلى الزوج ولا يجب عليه مجامعتهن بطريقة متساوية فله مجامعة إحداهن دون الأخريات.

ومن ذلك نعرف أنه للرجل تكرار الزواج ليصل إلى أربع زوجات.

والسؤال هاهنا هو أنه لماذا تتعدد الزوجات فيكون وزان الرجل بأربع زوجات؟؟! والجواب يتم بالتوجيهات التالية:

التوجيه الأول: إن الحكم بتعدد الزوجات هاهنا هو الجواز وليس الوجوب فللرجل أن يعدد وله أن لا يفعل ذلك.

التوجيه الثاني: إن عدد الإناث إذا كان مضاعفاً لعدد الذكور فمن الواضح صوابية هذا التشريع. وإذا نظرنا إلى البشر عموماً نجد الإناث أكثر من الذكور سيما إذا ما ضممنا وجود الحروب والمعارك التي يتصدى لها الرجال عادة الأمر الذي يؤدي إلى نقصان وجودهم وزيادة وجود النساء.

التوجيه الثالث: إن الرجل لديه القدرات الجنسية والاقتصادية التي تجعله قابلاً لإيفاء حاجات الزوجات الأربع دون أي تقصير.

التوجيه الرابع: إننا نرى وبالوجدان أن كثيراً من الرجال الفسدة والفسقة يقومون بمجامعة ونفقة ليس فقط أربع نساء بل مائة امرأة وهذا كله يحصل بطريقة غير مشروعة ومحرمة شرعاً، فلماذا لا يُقال لهؤلاء كما تحسبون أنفسكم بمائة امرأة؟!!

التوجيه الخامس: إن هناك نموذجاً من الرجال لا تكفيهم زوجة واحدة

بل يحتاجون إلى أكثر من زوجة، وأولئك الذين لا تسمح أديانهم وشرائعه بتعدد الزوجات هم يلجأون إلى الزنا والفحشاء.

التوجيه السادس: هب أن امرأة ما مشردة وفقيرة ولا تجد مأوى، ولا مبلس، ولا قوت فأي الأمرين أفضل لها: التزوج من رجل متزوج أم البقاء على هذه الحالة؟!!

التوجيه السابع: هب أن رجلاً ما تزوج من امرأة وأحبها حباً شديداً إلا أنه لم يرزق منها بولد، فهل يعبر عن محبته لها بتطليقها أم أنه يبقيها ضمن دائرة محبته ويتزوج من أخرى.

طبعاً لا يتزوج من أخرى لكونها أداة للإنجاب مثلاً، بل يراعي حقوقها الزوجية كما أمر الله جلَّ وعزَّ.

التوجيه الثامن: إن ما تطلبه الزوجة هو الكفاية لجميع ما تحتاج إليه فإذا ما اكتفت فلا تستطيع إلزام زوجها بالزيادة فيستطيع الزوج أن يصرف هذه الزيادة للزواج من أخريات ولا مانع.

وبعد الانتهاء من هذا الوجيز في مسألة تعدد الزوجات لا بدَّ من ذكر إشكالات قد ترد في البين وهي:

الأشكال الأول: إن تعدد الزوجات يورث الحقد والبغضاء لدى الزوجات اتجاه الزوج أولاً والتحاسد والشحناء بين الزوجات ثانياً.

والإنصاف حاكم بأن هذا الإشكال في محله لولا التوجيهات الآتية:

التوجيه الأول: إن هذا يتم في حالة حصول التعدد بصورة نادرة ومستقلة أما إذا تحولت صوره التعدد إلى عرف وثقافة عامة ومنتشرة فإنه لن يؤدي إلى ذلك البتة وذلك لأن كل زوجة من الزوجات إذا ما كانت مثقفة

دينياً ومعتقدة بحكمة المشرع فإنها ستقوم بواجباتها الدينية قبال زوجها ومن جملة ذلك عدم الحقد، وكذا سوف تقوم بواجباتها الدينية والأخلاقية تجاه الزوجات الأخريات ومن جملة ذلك عدم التحاسد.

التوجيه الثاني: إن كان التحاسد بين النساء طبع مغرز بهن فهذا مما لا بدَّ من حصوله سواءً تزاحمن على زوج واحد أم لا.

التوجيه الثالث: إن الحقد المتوجه إلى الزوج من قبل الزوجة لا ينحصر بكونه قد ضم إليها زوجات أخريات بل قد يكون لمعاملته السيئة معها، أو لمعاشرة نسوة أخريات غيرها خارج إطار الشرع، أو لكونها تزوجته دون رغبة منها.

التوجيه الرابع: إن الزوجة قد تزيد مودتها لزوجها حين يتزوج أخرى أو أكثر وذلك لعدة أسباب منها:

أولاً: لأنه تزوج بناءً على طلبها لكونها لا تلد مثلاً، أو لكونها لا تستطيع تأدية مهماتها معه كما في الحاجات الجنسية.

ثانياً: لأن زواجه من أخرى مما يسعده وسعادته من سعادتها.

ثالثاً: إن زواجه من أخرى ربما يكون سبباً لاستقراره معها ومحفزاً له لتلبية احتياجاتها والاهتمام بها.

رابعاً: قد يكون زواجه من الأخرى بهدف عدم تركها فريسة لطمع الطامعين، وعبث العابثين، كما لو كانت بلا مأوى، وبلا طعام ولباس، فيكون الزواج من الأخرى ستراً لها عن كل ما يؤذيها وهذا بحد ذاته يبعث على إعجاب الزوجة الأولى بزوجها وزيادة المودة له.

خامساً: قد تشجع الزوجة على تعدد الزواج تطبيقاً للشريعة التي تجل

وتحترم وتطبيق الشريعة بحد نفسه يمثل سعادة بالنسبة لها وطالما أن الزوج هو الذي جر السعادة إليها فإنها توده من هذه الجهة.

وبالعموم فإن الثقافة الدينية إذا تحكمت في حياة الناس بطريقة طوعية فإن شيئاً من هذا لن يحدث والتجربة تعضد هذا الادعاء ضرورة أن تعدد الزوجات كان يحدث سابقاً في عصر النبي ﷺ والأئمة ﷺ ولم يحدث أي أمر من هذا القبيل.

الإشكال الثاني: لما لا يتم التساوي بين الرجل والمرأة من هذه الجهة فكما أن للزوج الحق بتعدد الزوجات فكذا للزوجة الحق في تعدد الأزواج فتجمع هي بين أربعة أزواج.

والجواب على هذا الإشكال واضح من خلال الأمور الآتية:

الأمر الأول: إن هذا الأمر مخالف للطبيعة البشرية القاضية بكون الزوجة مستقلة لزوج واحد.

الأمر الثاني: إن هذا الأمر يجعل من المرأة غير سوية فتصبح على حد بالغ من الوقاحة وعدم الحياء والدخول في معتركات الفحشاء.

الأمر الثالث: إن رجلاً واحداً يفي بجميع احتياجات المرأة بينما امرأة واحدة قد لا تفي باحتياجات رجل واحد.

الأمر الرابع: إن هذا الأمر يحدث مشكلة عويصة تنحل إلى مشاكل متعددة:

الأولى: إن هذا إهدار لطاقات الرجال حيث إنه يمكن لكل واحد منهم اتخاذ زوجة أو أكثر.

الثانية: إن هذا الأمر يوقع في النزاع والفساد وذلك لأنه يخرب قانون الزواج من أسّه ويهدمه ووجه الخراب في ذلك: إن الزوجة إذا تزوجت

أربعة رجال فإنهم سيتخاصمون حولها من حيث توزيع الليالي، وأيهم لا بدَّ أن تطيعه، وغير ذلك وتزداد الأمور سوءاً في حالة كون أحدهم فيه ميزات تفوق الآخرين فإن هذا سيشدها إليه أكثر من غيره مما يولد المشاكل والعوائق أكثر فأكثر.

وباختصار فإن قانون الزواج الساري على الزوج وزوجاته المتعددات ينقلب بطريقة معاكسة في حال تزوجت امرأة بأربعة رجال وهذا مما لا يتحمل أو يقبل البتة.

الثالثة: إن كثرة النساء وقلة الرجال بإزاء النساء يضاعف مشكلة بقاء «النساء بلا زواج» في حال تزوج المرأة بأربع رجال أو أقل في حين أن تعدد الزوجات مقابل زوج واحد يحد من هذه المشكلة.

الأمر الخامس: إن هذا الأمر يؤدي إلى الاختلاط في الأنساب فلا يعرف الطفل لأي أب ينتمي وينتسب، هذا فضلاً عن الضرر الصحي الذي يلحق بالمرأة جراء امتثالها لرغبة كل واحد منهم على مدار الوقت.

الإشكال الثالث: إن تعدد الزوجات يعد احتقاراً للمرأة.

والجواب يتضح بالآتي:

أولاً: إن هذا يعد احتقاراً فيما لو كانت الزوجات مجرد جواري وإماء يجدر بهم الطاعة والانصياع. والحال أنهن لسن كذلك.

ثانياً: إن هذا يصح فيما لو كان مطلوب منهن العطاء دون الأخذ والحال أنهن يعطين ويأخذن كذلك.

ثالثاً: ما المراد من الاحتقار. فهل المراد من ذلك كونهن على اسمه؟!! إن كان كذلك فهل نعتبر ألف امرأة تعملن في مؤسسة باسم

شخصما إماءً؟!! والحال أن الزوجات لا تعملن بل يمارسن حياتهن الزوجية بكل احترام وتقدير.

وإن كان المراد من التحقير أنهن يجتمعن معه في سقف زوجي، فإن ذلك لا يعد احتقاراً وكيف يعد احتقاراً وهو يقوم بواجبه اتجاههن على أتم ما يرام. وعلى أي فليس الجمع بين الزوجات من الاحتقار بشيء إذ إن الزوج يلزم عليه أداء حقوقهن كما فرض الله عزَّ وجلَّ.

رابعاً: قد يأتي رجل ما ويتخذ مائة امرأة له يمثلن امره، ويحققن رغباته من دون زواج شرعي ومع ذلك لا ترد عليه شبهة الاحتقار. مع إن كثيراً من الرجال ممن يعبث بالنساء ويحقرهن خارج إطار الزواج.

خامساً: إن الاحتقار الحقيقي للمرأة هو في تركها بلا تزويج وجعلها عرضة للفحشاء والزنا.

وخير للمرأة أن تنضم إلى زوجات أخر من أن تكون مظنة للفساد والإفساد.

٥ ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾[١].

هذه الألفاظ القرآنية تشير إلى قوم النبي لوط عليه السلام حيث إنهم كانوا يفعلون فاحشة اللواط وهي الممارسة الجنسية من قبل الرجال لأمثالهم من الرجال فينكح الرجل الرجل الآخر.

وبهذا العمل يشذ الإنسان عن الإطار الصحيح للشهوة فبدلاً من توجيه

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٨٠ ـ ٨١.

الطاقة الشهوية باتجاه المرأة يتم توجيه هذه الطاقة إلى الرجال وهذا من الشذوذ الجنسي.

إن الله عزَّ وجلَّ ركَّب الشهوة في الرجل لتتجه إلى قبلة واحدة وهي «المرأة» كما ركَّب الشهوة في المرأة لتتجه إلى الرجل وبصورة الحلال فرقاً من الحرام. ولكن الناس عكسوا اتجاه الشهوة إلى غير ما وضعت له فاشتهت المرأة المرأة وغرقتا في جريمة «السحاق»، واشتهى الرجل الرجل وغرقا في جريمة اللواط. وخولفت السنة الطبيعية التي جُبل عليها كل من الرجل والمرأة.

وبالحق فإن ما يحصل الآن بين الناس حول هاتين الجريمتين «السحاق» و«اللواط» إنما ليس من إبداعات العصر بقدر ما هو تقليد جاهلي أعمى لما كان يحصل في قديم الزمان.

وعلى هذا فإن التخلف هاهنا بين وأبين من الأمس وواضح وأوضح من الشمس فكل «لوطي» يمارس اللواط في أعصارنا هذه إنما هو يقلد ما كان عليه قوم لوط في قديم الزمان.

إن الله عزَّ وجلَّ حرم اللواط وعده «فاحشة» لكونه ضربة موجعة للمرأة، إذ إن الرجال في هذه الحالة ينصرفون عن الزواج من النساء في حال انغماسهم بجريمة «اللواط».

وليعلم بأن جميع الرجال إذا رغبوا في الزواج فإنه لا بدَّ من تعدد الزوجات حتى تأخذ كل فتاة نصيبها من الزواج وربما لا يكفي ذلك؛ فكيف إذا زدنا على هذه البلية انصراف الرجال إلى أمثالهم من الرجال وعدم الالتفات إلى التزويج.

الأمر الرابع: الأم:

١ ـ ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١].

و﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾﴾[٢].

هنا الحديث جار بين النبي موسى عليه السلام وأخيه هارون عليه السلام حول خلفية ما جرى بين هارون عليه السلام وقوم موسى أثناء غياب موسى عليه السلام.

ويلاحظ هاهنا أن جهة الاشتراك بين النبيين عليهما السلام هي كونهما من أم واحدة وهذا من شأنه الإشادة بموقعية المرأة كأم حيث إنها:

أولاً: واسطة للشفاعة في الخطاب بين نبي ونبي.

ثانياً: إنها واسطة في إنجاب نبيين من أنبياء الله عزَّ وجلَّ وأحدهما وهو موسى عليه السلام صاحب كتاب سماوي.

وللزيادة في شأنية الأم كانت المرأة الأم مورداً لعناية الله عزَّ وجلَّ ومورداً لشفقته عزَّ وجلَّ قال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[٣]، وقال تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[٤].

٢ ـ ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾[٥].

وهاهنا إشارة واضحة إلى حق المرأة الأم في الإرث ليكون حقها مضموناً وغير مهدور.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٠.
(٢) سورة طه، الآية: ٩٤.
(٣) سورة القصص، الآية: ١٣.
(٤) سورة طه، الآية: ٤٠.
(٥) سورة النساء، الآية: ١١.

٣ ـ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾[١].

في هذه الآية اعتبر المولى جل شأنه وتعالت قدرته أزواج النبي ﷺ أمهات للمؤمنين وهذا يُعبِّر عن وجود مكانة عظيمة للمرأة حيث إنها أم المؤمنين حال كونها زوجة للنبي ﷺ، وهي أم المؤمنين سواءً كانوا ذكوراً أم إناثاً. فكل امرأة تزوجها النبي ﷺ هي أم المؤمنين ولكن بعض نساء النبي ﷺ لسن في وارد كونهن أمهات للمؤمنين حقيقة بل مجازاً وذلك لكونهن قد خالفن أمر الله عزَّ وجلَّ وأمر نبيه ﷺ.

وهذا الكلام ليس مجرد دعوى بلا دليل بل الدليل موجود وهو القرآن حيث إن الله عزَّ وجلَّ أخبر بأن نساء النبي ﷺ لسن كأحد من النساء لا من ناحية الأفضلية والامتياز بل من ناحية الواجبات فكلما كانت المرأة المسلمة العادية تقية كلما كان لزاماً على زوجة النبي ﷺ أن تكون أتقى وهكذا قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[٢]، وكلما أذنبت زوجة النبي ﷺ بذنب كان عقابها أشد من غيرها من النساء قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ﴾[٣].

وعلى هذا فليست نساء النبي ﷺ ممن فضلن على غيرهن من النساء من ناحية التقوى إلا بالعمل فإن لم تأتِ زوجة النبي ﷺ ـ أي زوجة ـ بعمل أفضل من غيرها وجاءت امرأة أخرى بعمل أفضل فتكون زوجة النبي ﷺ أقل قيمة ووزناً منها وذلك لعموم ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾[٤].

والدليل على ذلك مضافاً إلى هذا العموم وما شاكله خطاب الله عزَّ وجلَّ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

إلى بعض أزواج النبي ﷺ وهما عائشة وحفصة حيث خاطبهما الله عزَّ وجلَّ قائلاً: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ۝٤﴾[1]، ومن الواضح هاهنا أن عائشة وصاحبتها آذتا النبي ﷺ وكذبتا عليه وأخبرتاه بخبر كاذب لا أساس له من الصحة بداعي الغيرة تارةً والحسد أخرى وهذا يكشف عن وجود القابلية لديهما لعمل السوء، والقصة في ذلك معروفة حيث إن عائشة وصاحبتها حفصة قالتا للنبي ﷺ بأن رائحة المغافير ـ وهو صمغ كريه الرائحة ـ تصعّد منك، وكان النبي ﷺ قد أكل العسل من إحدى زوجاته ولعلها زينب بنت جحش أو أم سلمة وللاعتقاد بأن الرائحة الكريهة صدرت من العسل حرم النبي ﷺ على نفسه أكل العسل، فعاتبه الله عزَّ وجلَّ على تحريم أكل العسل على نفسه لأجل مرضاة زوجاته.

أقول هذه الكذبة التي صدرت من عائشة وحفصة ليست من الآثام الفريدة والمستقلة بل هي منضمة إلى كثير من الأفاعيل الذميمة التي صدرت منهما سيما من عائشة التي أراد مناصروها إعلاء شأنها على حساب الطاهرة خديجة بنت خويلد والمعصومة فاطمة الزهراء عليها السلام وباقي النسوة الطاهرات.

ومن أفعال عائشة:

أولاً: استغلال زوجيتها بالرسول ﷺ لغرض التجسس عليه وعلى ما يفعله ويقوله لصالح ابن أبي قحافة، وكذا محاولاتها المتكررة لثني النبي ﷺ عن تبيان فضائل خديجة وعلي عليه السلام وفاطمة لتصب مدائح النبي ﷺ لصالح أبيها الذي لم ترد بحقه ولا فضيلة.

ثانياً: خروجها على إمام زمانها علي بن أبي طالب عليه السلام وتسببها بإزهاق

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

أرواح الكثير من المؤمنين عليه السلام. أضف إلى ذلك أكاذيبها المفتعلة ومنها ما مر، ومنها مسألة المطالبة بدم عثمان الذي طالما أظهرت له العداء وجاهرت بكفره وبوجوب قتله قائلة: «أقتلوا نعثلاً».

ثالثاً: منعها لجنازة الإمام الحسن عليه السلام أن تدخل إلى حرم النبي صلى الله عليه وآله وتدفن بجنبه حيث ركبت على البغلة وقالت «لا تدخلوا إلى بيتي من لا أحب» حيث اعتبرت قبر النبي صلى الله عليه وآله:

أ ـ بيتها: مع أنها واحدة من أزواج النبي صلى الله عليه وآله وهي أقلهن شأناً، وأخسرهن وزناً، وكيف يكون بيتها ومن يناصرها ويعاضدها يدعي أن النبي صلى الله عليه وآله لا يورث ولهذا منعوا فاطمة عليها السلام من فدك بدعوى أن النبي صلى الله عليه وآله لا يورث.

ب ـ منعت من إدخال الحسن عليه السلام إليه: وبأي حق يسمح لعمر وأبي بكر أن يدفنا بقرب النبي صلى الله عليه وآله ولا يسمح لولده الحسن عليه السلام أن يدفن بجنبه، وفرضاً لو قالت إحدى زوجات النبي صلى الله عليه وآله هذه المقالة هل كان يستجاب لها ذلك، أم أن عائشة عليها ما عليها هي خادمة وطيعة وذليلة لأغراض الأمويين ولأجل ذلك أستُجيب كلامها.

ج ـ منعت من إدخال من لا تحب: وهي بذلك جاهرت بالكفر لأن الحسن عليه السلام مما فرض الله محبته بقوله: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأنس بن مالك: «ويحك يا أنس، دع ابني وثمرة فؤادي، فإن من آذى هذا آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»[2]، وقال صلى الله عليه وآله في

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٢) سنن ابن ماجة، ج١، ص ٥١.

حق الحسن ﷺ: «اللَّهُمَّ هذا ابني وأنا أحبه فأحبه، وأحب من يحبه»[1].

وعلى هذا فإن عائشة تبغض الله ويبغضها الله، وتبغض رسول الله ويبغضها رسول الله ﷺ، وذلك لأنها لا تحب الإمام الحسن ﷺ.

رابعاً: إنها خرجت من بيتها من دون إذن وقد وجب عليها أن تقر في بيتها.

خامساً: أن الرسول ﷺ قال: «أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة، تنجو بعدما كادت تقتل»[2]، وثبت أن صاحبة الجمل هي عائشة والوجدان صريح بذلك.

وختام الكلام في هذا المقام أن أزواج النبي ﷺ هن أمهات المؤمنين بلا ريب، بيد أنه لا ملازمة بين كون المرأة أماً للمؤمنين وبين كونها مؤمنة، فقد تكون المرأة فاسقة ومنحرفة وفي نفس الوقت أماً للمؤمن.

٤ ـ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾[4].

هنا إشارة إلى حال جهاد الأم وجهدها الجهيد في قضية الحمل وألم المخاض وهذا مما تستقل به المرأة عن الرجل واللافت أن الرجل يضع الماء شهوة والمرأة تحمل الجنين كرهاً، وتضعه كرهاً والمراد بقوله عزَّ وجلَّ ﴿كُرْهًا﴾ المشقة والتعب.

والمرأة الأم في هاتين الآيتان تقوم بثلاثة أدوار:

الدور الأول: الحمل.

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر، ج٤، ص ٢٠٥.
(٢) علي من المهد إلى اللحد، ص ٢٠٢.
(٣) سورة لقمان، الآية: ١٤.
(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

الدور الثاني: الوضع.

الدور الثالث: الرضاع.

وهذه الأدوار الثلاثة وإن كانت متعبة وبالغة المشقة بيد أنها تشكل سروراً وفرحاً للأم وهي هنيئة البال بهذا العمل ولله في خلقه شؤون.

ولا يستخف بهذه الدُور الذي تضطلع به المرأة الأم لأن له انعكاساته الإيجابية والسلبية على الجنين حال نموه ولأجل هذا السبب نجد أن أولاداً كثر أصبح لهم شأن علمي وتفوائي كبير ومرد ذلك إلى طبيعة أمهاتهم ومن ذلك تلك المرأة الأم التي لم ترضع ولدها يوماً من غير وضوء.

ولا غضاضة في أن دعوة الشريعة لاتباعها بشكر الأم وتقديرها واحترامها إنما جاءت لأجل أن دورها عظيم وعظيم جداً.

الأمر الخامس: البنت:

وتشترك الأنثى البنت مع الذكر الابن في الآيات التي ورد فيها لفظ «الأبناء» العام والشامل للذكران والإناث ولكننا سنقتصر هاهنا على لفظ البنت وصيغها المتعددة:

١ ـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾﴾(١).

هذه الآية يظهر فيها الحرص الإلهي على المرأة بشكل عام بما فيها البنت وذلك في قضية الحجاب.

٢ ـ ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَـٰتَيْنِ﴾(٢).

وهذه الآية توضح عدة مطالب:

---

(١) سوءة الأحزاب، الآية: ٥٩.

(٢) سورة القصص، الآية: ٢٧.

المطلب الأول: إن البنت لها من القيمة درجة غدت فيها موضوعاً للحديث بين نبيين اثنين هما شعيب عليه السلام وموسى عليه السلام.

المطلب الثاني: إن النبي شعيب عليه السلام اختار لابنته زوجاً هو من خيرة الرجال وهو النبي موسى عليه السلام.

المطلب الثالث: إن اختيار شعيب عليه السلام لموسى عليه السلام زوجاً لابنته إنما جاء منسجماً مع إرادتها هي حيث أبرزت الآيات الواردة في شأن شعيب وابنتيه وموسى عليه السلام قرائن متعددة تؤكد رغبة البنت في الارتباط بموسى عليه السلام.

المطلب الرابع: إن زواج موسى عليه السلام من بنت شعيب عليه السلام منوط بتحمل مسؤولية ما ومن الواضح أن المسؤولية هاهنا هي العمل لدى شعيب عليه السلام مدة مديدة من الزمن.

المطلب الخامس: إن الرضى عم الجميع كما عرفت.

٣ ـ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾﴾[١].

وهذه الآية وردت في سياق تحريم الزواج من هذه الأصناف ومنها البنات وهذه يصب في صالح المرأة عموماً والبنت خصوصاً، إذ إن الأب أو الأخ لو كان يحل لهما الزواج من البنت فأي علاقة كانت تجمعهما بها؟!

(١) سورة النساء، الآية: ٢٣.

بالطبع ليست علاقة الإنسان والشفيق والحريص وغير ذلك. منضماً إلى ذلك فإن هذا الأمر يجعل الحياة بالغة الصعوبة ضرورة تحكم الغرائز والمصالح الشخصانية بكل العلاقات الأسرية أعاذنا الله عزَّ وجلَّ من ذلك.

٤ ـ ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾[(٢)] هذه الألفاظ الواردة في هاتين الآيتان تدور حول نبي الله لوط ﷺ، ولما كانت من قومه تلك العادة الشنيعة أي «اللواط»، أراد نبي الله عزَّ وجلَّ لوط أن يصحح مسيرة العلاقات الجنسية عبر ثلاث قناطر:

القنطرة الأولى: أن يقتلع العلاقة الجنسية الحاصلة بين الرجال من الجذور وينهى عن المنكر في ذلك، فحاول مراراً وتكراراً مع قومه في هذه المسألة «اللواط» داعياً إياهم إلى ترك اللواط مطلقاً.

القنطرة الثانية: أن يوجه الحالة الجنسية التي تعتور الرجال إلى مركزها الصحيح والفطري وهو النساء.

القنطرة الثالثة: أن يوجه الحالة الجنسية إلى النساء ولكن ليس بصورة مطلقة بل بصورة مقيدة ومحددة وهي «الزواج الشرعي». وأدل دليل على صدق النبي لوط ﷺ في دعوته القوم إلى ترك «اللواط» هو دعوته إياهم ـ أي قومه ـ أن يبدأوا ببناته وهذا للتدليل على أمرين اثنين:

الأول: صدق دعوة النبي ﷺ وإلقاء الحجة على قومه.

الثاني: وجود خطورة بالغة من هكذا عمل حيث إن هذا الفعل يمنع من تكامل الحياة القائمة على زواج الرجل بالمرأة.

---

(١) سورة هود، الآية: ٧٨.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٧١.

ومما تقدم نعلم بأن النبي لوط ﷺ ومن خلال دعوته لقومه الفسدة منع من عملين إجراميين وأثبت عملاً صحيحاً. وعلى هذا فثمة ثلاث فوائد هاهنا:

الفائدة الأولى: منع جريمة اللواط.

الفائدة الثانية: منع جريمة الزنا.

الفائدة الثالثة: إثبات جدوائية الزواج الشرعي وصوابيته ومنضماً إلى هذه الفوائد ثمة فوائد أخرى وهي:

أولاً: منع وصول العذاب على قومه من قبل الله عزَّ وجلَّ والذي وصل وحصل في نهاية المطاف.

ثانياً: تنقية سمعة قومه من هذه الفاحشة الخبيثة ولكنها أضحت متلاصقة بهم.

ثالثاً: حماية الضيوف والغرباء من هذه الفاحشة حيث ورد أن قوم لوط ﷺ كانوا يتعرضون لكل ضيف بمثل هذه الفاحشة.

رابعاً: أخذ العبرة من قوم لوط حتى لا يصار إلى تكرار هذا العمل من قبل آخرين.

الأمر السادس: الزوجة:

١ ـ قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ﴾[(٣)].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٩.

(٣) سورة طه، الآية: ١١٧.

هذه الآيات المبينة أعلاه تتحدث عن ثلاثة أشخاص هم:

أ ـ النبي آدم عليه السلام.

ب ـ حواء زوجة آدم عليه السلام.

ج ـ إبليس عليه اللعنة.

وفي هذه الآيات وغيرها تتوضح قيمة الزوجة ومرتبتها من خلال الآتي:

أولاً: الزوجة مرتبطة بنبي من أنبياء الله عزَّ وجلَّ وهو آدم.

ثانياً: هي ساكنة في الجنة ومتمتعة بها.

ثالثاً: الحرص الإلهي والشفقة الإلهية ظاهرة عليها.

رابعاً: أنها عدو لإبليس ومتعرضة لإغواءاته.

خامساً: أنها موردٌ لأمر الله عزَّ وجلَّ ونهيه وإن كانا إرشاديين.

سادساً: أنها أم البشر جميعاً كما أن آدم عليه السلام أبو البشرية.

٢ ـ ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾[1].

هذه الآية نزلت عندما أقبلت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وآله واسمها خولة بنت خويلد أو خولة بنت ثعلبة واشتكت إليه أمر زوجها الذي ظاهرها أي قال لها «أنت عليَّ حرام كظهر أمي» وهذا طلاق معهود لدى أهل الجاهلية والشرك.

ويلاحظ في هذه الآية إيجابيات ثلاثة:

الإيجاب الأول: أن المرأة الزوجة حظيت باهتمام الله عزَّ وجلَّ والنبي صلى الله عليه وآله حيث إنها كانت موضوعاً لخطاب الله عزَّ وجلَّ ولإصغاء النبي صلى الله عليه وآله.

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ١.

الإيجاب الثاني: أن المرأة حظيت بشرف الإصغاء والسماع الإلهي المباشر.

الإيجاب الثالث: أن المرأة الزوجة حظيت بوسام الخلود عبر ورود قصتها في القرآن الكريم.

ولا يخفى اهتمام المولى عزَّ وجلَّ بمعالجة مشكلتها بطريقة مفصلة ومجدية، فلم يهمل المولى عزَّ وجلَّ شكواها. بل إن اهتمام المولى عزَّ وجلَّ بشكواها جعل السورة الواردة في شأنها من مصادر التشريع.

٣ ـ ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾[١].

هذه الآية واردة في شأن النبيﷺ حين عاتبه الله عزَّ وجلَّ عى قوله لربيبه زيد بن حارثة ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾[٢] حينما أفصح هذا الأخير عن إرادته تطليق زوجته زينب بنت جحش، ولما كان النبيﷺ يعلم بأنها ستصير زوجته لاحقاً فقد عاتبه الله عزَّ وجلَّ على الحياء من إظهار ذلك، وقد بيَّن الله عزَّ وجلَّ العلة من تزويج مطلقة ربيبه بنبيه محمدﷺ وهي عدم الحرج من تزوج كل رجل من مطلقة ربيبه، وهذا بحقيقته إبطال لمقولة التبني الموجودة عند أهل الجاهلية والشرك.

وبالحقيقة فإن هذا التشريع مما يوسع على الزوجة خياراتها ونلاحظ ها هنا أن الزوجة توسم فيها نحوان من الإيجاب:

النحو الأول: أنها كانت وسيلة لإبطال عادة من عادات الجاهلية.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

النحو الثاني: أنها ترقت من كونها زوجة لصحابي إلى كونها زوجة لنبي هو محمد ﷺ.

ولا يخفى كونها أصلاً لكل توسعة اتيحت للنساء والزوجات من بعدها.

٤ ـ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾﴾[١].

هذه الآية تتحدث عن عدة الوفاة لدى الزوجة حيث إنه يجب عليها أن تبقى بلا زواج طيلة هذه المدة أي أربعة أشهر وعشرة أيام، مضافاً إلى الحزن على الزوج وهذه الآية تشير إلى عدة أمور من جملتها أمران:

الأول: وفاء الزوجة للزوج.

الثاني: مراعاة اللياقة الاجتماعية.

إذ كيف تتزوج المرأة بآخر وزوجها لم يدفن بعد أو دفن وشيكاً فإن هذا معيب اجتماعياً.

ولا يخفى وجود فوائد أخرى من هذه المدة ومنها: احتمال أن تكون حاملة لجنين، ومنها: تجاوز وقت المحنة التي ألمت بها بإفتجاعها بزوجها، ومنها: تجاوز الزعزعة والاضطراب اللذين ساورهما، ومنها: التخطيط لحياة جديدة وغير ذلك.،

٥ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾[٢].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٣٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٨.

هذا خطاب إلهي موجه إلى النبي ﷺ يقول المولى جلَّ وعزَّ فيه بأنه عزَّ وجلَّ قد جعل لكل نبي قبلك يا محمد ﷺ زوجة وأولاد وأحفاد. نعم يستثنى من ذلك بعض الأنبياء عليهم السلام كعيسى عليه السلام.

وهذا تشريف للمرأة لأنها جنباً إلى جنب مع الأنبياء في كل مسيرة حياتهم عليهم وعلى نبينا وآله الصلاة والسلام.

٦ ـ ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[١].

هذه الآية توضح توضيحاً لا غضاضة فيه بأن الإنسان يبدأ مسيرة التكامل مذ كان تراباً ونطفة إلى أن أصبح سوياً ـ ذكراً أو أنثى ـ حتى وصوله إلى مرحلة الزواج. وهذا يعني أن تكامل الرجل لا يتسنى إلا بالمرأة، وتكامل المرأة لا يتسنى إلا بالرجل عبر قنطرة «الزواج».

٧ ـ ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[٢].

وهذه الآية تشير إلى أن حفظ النوع الإنساني لا يتم إلا عبر الزواج، والزواج متقوم من طرفين الزوج والزوجة فهما واسطة لحفظ النوع الإنساني.

ولولا الزوجة لما استطاع الزوج أن يلتذ بالاجتماع مع الأبناء والأحفاد مطلقاً.

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١١.
(٢) سورة النحل، الآية: ٧٢.

الوليدة

لقد تحدثنا سابقاً عن كيفية التعاطي مع الوليد إذا كان «أنثى» في عصور الجاهلية والشرك والآن نريد أن نبحث عن هذه المسألة من ناحيتين:

الناحية الأولى: الجاهلية المعاصرة:

ففي هذا العصر ثمة جاهلية أخرى عند بعض الناس وليس كلهم وتتمثل هذه الجاهلية بالآتي:

أولاً: تمني كون الوليد ذكراً.

ثانياً: كراهية مجيء الوليد أنثى.

ثالثاً: رسوخ القناعة بأن الوليد الذكر منتج والأنثى ليس لها نفع من هذه الجهة، فضلاً عن كونها من الأعراض وهي تجلب العار إلى ذويها.

ولأجل هذه العوامل نجد عدة مشاكل ومعوقات للحياة الزوجية فترى هذه الزوجة تجهض مرغمة لأنها تحمل أنثى، وترى تلك الزوجة قد طُلقت لوضعها أنثى، وثالثة مهددة بالطلاق فيما لو كان وليدها أنثى وغير ذلك!!!.

الناحية الثانية: النظرة الإسلامية:

فقد صححت النظرة الإسلامية النظر حيال الأنثى تصحيحاً لا نظير له

من خلال عدة خطابات قرآنية أو روائية.

ونتلمس ذلك من خلال الصرخة القرآنية المدوية حول قتل الوليدة الأنثى حيث قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾[1]، ونتلمس ذلك من خلال السد القرآني المنيع بوجه كل من تسول له نفسه قتل وليدته خشية الفقر فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3]. وهذا كله من جهة قتل الوليدة، أما من جهة سوء البشرى بالوليدة الأنثى، واسوداد الوجه، والحزن لكون الوليدة أنثى فهذا مما نفته الشريعة الإسلامية نفياً قاطعاً بل رجحت خلافه تأسياً بالنبي محمد ﷺ حيث رزق بفتاة فاستبشر خيراً وخاطبه الإله قائلاً ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾[4].

ولذا قال رسول الله ﷺ «خير نسائكم من بكرت بالبنات»، وقال ﷺ: «نعم الولد البنات، ملطفات، مجهزات، مؤنسات، مباركات»[5].

وقد يتوهم بأن الوليد الذكر خير من الوليدة الأنثى لعدة شبهات نذكرها تباعاً مع الردود الواقعية المجردة فنقول:

الشبهة الأولى: إن الذكور ينسبون إلى الآباء والأجداد، بكل أحوالهم

---

(١) سورة التكوير، الآيتان: ٨ ـ ٩.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.
(٤) سورة الكوثر، الآية: ١.
(٥) مرآة الكمال، ص ٣٢ ـ ٣٣.

بينما الإناث لسن كذلك لأنهن يتبعن أزواجهن. وهذه الشبهة مضمحلة للآتي:

أولاً: إن الإناث ينسبن إلى الآباء والأجداد تماماً كما الذكور، وكذلك أولاد الإناث ينسبن إلى أجدادهم من جهة الأم وأدل دليل على ذلك انتساب الحسن والحسين عليهما السلام إلى رسول الله ﷺ من جهة الأم وقد صرَّح القرآن الكريم بذلك حيث قال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1] والكل يعلم بأن النبي ﷺ حينما دعا الحسن والحسين عليهما السلام نزلت هذه الآية وهي بخصوص المباهلة مع، نصارى نجران[2].

ثانياً: إن الإناث وأولاد الإناث وأحفاد الإناث من محارم الآباء والأجداد من جهة الأم وهذا يعني الانتساب إليهم.

ثالثاً: لا يجوز للأجداد وأجداد الأجداد أن يتزوجوا من أحفادهن الإناث وهذا تعبير آخر عن الانتساب.

الشبهة الثانية: كما ذكر سابقاً وهي «التمني» أي تمني الأب أن يكون ولده ذكراً لا أنثى. وفي مقام الإجابة عن هذه الشبهة نقول: إذا كان المراد من وراء هذا التمني إناطة الذكر بدور لا يتسنى للأنثى القيام به فهذه الأمنية مما لا شك في رجحانها، أما إذا كانت المهمة مقدورة لكليهما ـ أي للذكر والأنثى ـ فهذه الأمنية تتصور على وجهين:

الوجه الأول: فيما لو كانت هذه الأمنية مرفقة بأمنية معاكسة وتستبطن التنفر من الأنثى والحزن لولادتها.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦١.

(٢) راجع كتب السيرة.

الوجه الثاني: فيما لو كانت الأمنية مرفقة بالرضى بقضاء الله عزَّ وجلَّ والفرح والسرور كما لو كان الوليد الأنثى ذكراً. أي أنه يتمنى ولداً ذكراً ولكنه إذا جاء أنثى فإنه يفرح بنفس الفرح الذي كان سيبديه بولادة الذكر.

وعلى هذا فالأمنية على الوجه الأول هي أمنية مجحفة وغير صائبة.

وأما على الوجه الثاني فهي صائبة ومباحة.

ومما تقدم نعلم بأن تمني ذكورة الوليد بخصوص المهمة المناطة به والتي لا يمكن للأنثى الاضطلاع بها ليس مذموماً.

ومن هنا يتوجه تمنيات المعصومين عليهم السلام بذكورية الولد وذلك لأجل الاضطلاع بمهام «الإمامة العظمى» ولو أن المهمة كانت من خصائص الأنثى لتمنى الأئمة عليهم السلام ولداً أنثى؛ ومن هنا نعلم دور أم الأئمة فاطمة الزهراء عليها السلام.

الشبهة الثالثة: إن الوليد الذكر يعتبر منتجاً مالياً عندما يكبر بينما الوليد الأنثى لا يعتبر كذلك بل على العكس فهي ممن ينفق عليها.

وتضمحل هذه الشبهة بالآتي:

أولاً: التصريح القرآني بأن الرزق مضمون. قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾(١)، وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم﴾(٢).

ثانياً: إن من الأمور المعلومة بأن المعاصي تحجب الرزق، فلربما يكون الولد الذكر عاصياً لله عزَّ وجلَّ فيسبب نقصان الرزق، وبعكس ذلك فإن الطاعة للّه عزَّ وجلَّ تزيد في الرزق فلربما تكون الأنثى مطيعة لله عزَّ وجلَّ فيزداد رزقأهلها.

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣١.

ثالثاً: إن من الواضح جداً وجود إشارات قرآنية وأخرى سيرائية على وجود الرزق بسبب الأنثى، وعلى عدم نقصان الأنثى من شيء وعدم تنقيصها لشيء فقد قال تعالى: حكاية عن زكريا ومريم عليهما السلام: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1]، وقال تعالى عن فاطمة الزهراء عليها السلام وعن أهل البيت عليهم السلام: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

حيث أذهب عنها الرجس المادي والمعنوي وأزيل النقصان أيضاً وورد أيضاً أن السيدة الزهراء عليها السلام كانت كلما دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله يجد عندها رزقاً[3].

رابعاً: قلنا فيما سبق أنه يجوز للمرأة أن تعمل في أي عمل لا ينافي الشرع وعلى هذا فيمكن للمرأة أن تكون منتجة أكثر من الرجل وهذا متحقق في هذا العصر حيث إن الكثير من الشبان يعانون من البطالة بينما فرصة العمل للإناث أكبر.

خامساً: لا تشكل الإناث عبئاً على الأهل الميسورين.

سادساً: كما أن الإناث يشكلن عبئاً مالياً على الأهل المعسورين فكذلك الذكور لنفس الملاك.

سابعاً: من قال أن إنتاج الذكور في المستقبل سوف يعود بالنفع على الأهل ولطالما رأينا خلاف ذلك، ويمكن أن يكون نتاج أزواج الإناث عائداً على أهل الفتاة أكثر من نتاج الأولاد الذكور.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.
(٣) فاطمة من المهد إلى اللحد.

الشبهة الرابعة: بأن الولد الذكر يكون قريباً من ذويه بينما الفتاة تذهب إلى بيت زوجها وتفترق عن أهلها.

وهذه الشبهة مفتضحة بالآتي:

أولاً: لا نسلم بقرب الذكر وبُعد الأنثى فهذا أمر غير مرتكز البتة حيث إنه يمكن للولد الذكر أن يكون قريباً ويمكن أن يكون بعيداً، وكذلك الأنثى، ألا نجد أولاداً ذكوراً يسافرون مع زوجاتهم ونجد بناتاً إناثاً يتزوجن من رجال يرغبون ببقاء زوجاتهم قرب بيوت أهاليهم. بل ربما يقطنون جميعاً الآباء والبنات وأزواجهن في محل واحد.

ثانياً: إن قرب الولد الذكر من أبويه قد يكون مشقة لهما ويمثل عسراً وحرجاً لهما أكثر من فراقه لهما كما لو كان سيء الخُلُق معهما أو يؤذيهما أو ربما عاطلاً عن العمل فتؤذيهما الشفقة عليه والحزن لأجله.

ثالثاً: إن القرب والبعد المكاني لا يمثلان أية مزية للذكر على الأنثى بل على العكس فإن ذلك يمثل مسؤولية جسيمة على الذكر للاهتمام بهما والابتلاء معهما بلاءً حسناً.

رابعاً: إن الابتعاد في كثير من الأحايين يولد الشوق والتوق وهذا يحصل بابتعاد الأنثى.

التربية

بعد الإستبشار بولادة الأنثى، يرد استحقاق آخر وهو «التربية» هذه التربية التي تؤثر تأثيراً بالغاً على الأنثى، وهي تمر بأربعة مراحل:

المرحلة الأولى: مرحلة التكوين.

المرحلة الثانية: مرحلة التلقين.

المرحلة الثالثة: مرحلة التمييز.

المرحلة الرابعة: مرحلة التمحيص والبحث والتدقيق.

وسوف نسبر هذه المراحل الأربع بتؤدة:

المرحلة الأولى: مرحلة التكوين: ويراد بها المرحلة التي تؤثر بالجنين في جميع الأدوار التي يمر بها الجنين إلى حين خروجه من الرحم إلى هذا العالم الرحب.

فقد ثبت أن كل ما يفعله الوالدن وخصوصاً الأم يؤثر سلباً أو إيجاباً على الجنين. ولهذا وردت روايات كثيرة في هذا الصدد.

أولاً: من ناحية اختيار الزوجة التي ستصبح أماً يوماً ما، فقد قال رسول الله ﷺ: «تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس»[1]،

(١) ميزان الحكمة، مادة زواج.

وقال ﷺ: «تخيروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا اليهم»[1]، وقال ﷺ: «تخيروا لنطفكم فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن»[2] وقال ﷺ: «تخيروا لنطفكم، وأنتخبوا المناكح، وعليكم بذوات الأوراك، فإنهن أنجب»[3].

وقال رسول الله ﷺ: «إياكم خضراء الدمن. قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء»[4]. وقال ﷺ: «إياكم وتزوج الحمقاء، فإن صحبتها ضياع وولدها ضباع»[5]. وقال ﷺ: «لا تتزوجن شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتاً... أما الشهبرة فالزرقاء البذية، وأما اللهبرة فالطويلة المهزولة، وأما النهبرة فالقصيرة الذميمة، وأما الهيدرة فالعجوزة المدبرة، وأما اللفوت فذات الولد من غيرك»[6].

وليس ينحصر الأختيار الصحيح للزوجة فقط بل للزوج أيضاً. قال رسول الله ﷺ: «إنما النكاح رق فإذا أنكح أحدكم وليدة فقد أرقها فلينظر أحدكم لمن يرق كريمته»[7] وقال ﷺ: «إياك أن تزوج شارب الخمر فإن زوجته فكأنما قدت إلى الزنا»[8]. وقال إمامنا الصادق ﷺ: «تزوجوا في الشكّاك ولا تزوجوهم، لأن المرأة تأخذ من أدب الرجل، ويقهرها على

(١) م.ن.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) م.ن.
(٦) م.ن.
(٧) م.ن.
(٨) م.ن.

دينه»[1]. وعن حسين البشار قال: كتبت إلى أبي الحسنعليه السلام: إن لي قرابة قد خطب إلي وفي خلقه سوء؟ قال: «لا تزوجه إن كان سيئ الخلق»[2].

ثانياً: من ناحية الجماع (الممارسة الجنسية بين الزوجين): حثت الشريعة على سير الجماع والممارسة الجنسية بين الزوجين في أوقات مخصوصة، وبحالات مخصوصة، وعلى كيفية مخصوصة ومن ذلك:

أ ـ كراهية الجماع في أوقات وحالات هي:

١ ـ ليلة خسوف القمر.

٢ ـ يوم كسوف الشمس.

٣ ـ عند الزوال في غير يوم الخميس.

٤ ـ عند غروب الشمس حتى يذهب الشفق.

٥ ـ في المحاق (ليلتان أو ثلاث آخر الشهر).

٦ ـ بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

٧ ـ أول ليلة من كل شهر (عدا شهر رمضان).

٨ ـ ليلة النصف من كل شهر.

٩ ـ أثناء السفر إذا لم يكن مع المسافر ماء.

١٠ ـ عند هبوب الريح السوداء والصفراء والحمراء.

١١ ـ عند الزلزلة.

١٢ ـ الجماع وهو عريان.

---

(١) م.ن.

(٢) م.ن.

١٣ ـ الجماع واقفاً.

١٤ ـ بعد الاحتلام قبل الوضوء أو الغسل.

١٥ ـ الجماع بحضور الصبي.

١٦ ـ النظر إلى فرج المرأة أثناء الجماع.

١٧ ـ الجماع بعد الظهر إلا يوم الخميس.

١٨ ـ جماع امرأة بشهوة غيرها.

١٩ ـ الجماع ليلة الأضحى.

٢٠ ـ الجماع تحت شجرة مثمرة.

٢١ ـ الجماع في وجه الشمس.

٢٢ ـ الجماع بين الأذان والإقامة.

٢٣ ـ الجماع على غير وضوء.

٢٤ ـ الجماع على سقوف البنيان.

٢٥ ـ الجماع وهما مختضبان.

٢٦ ـ الجماع على امتلاء المعدة.

٢٧ ـ الجماع بغير ذكر الله.

٢٨ ـ الكلام أثناء الجماع.

وقد علِّلت كراهية الجماع في بعض ما مرّ على الوجه الآتي:

١ ـ كون الولد زانياً ذكراً أو أنثى.

٢ ـ كون الولد أحول.

٣ ـ الخنث أو الخبل.

٤ ـ كون الولد بوالاً في الفراش.

٥ ـ زيادة إصبع في الولد أو نقصان إصبع.

٦ ـ كون الولد فقيراً وبائساً.

٨ ـ كون الولد حريصاً على إهراق الدماء.

٩ ـ كون الولد أعمى القلب بخيل اليد.

١٠ ـ كون الولد منافقاً ومرائياً ومبتدعاً. وغير ذلك.

ب ـ استحباب الجماع في أوقات وحالات هي:

١ ـ الجماع يوم الاثنين.

٢ ـ الجماع ليلة الثلاثاء.

٣ ـ الجماع ليلة الخميس.

٤ ـ الجماع يوم الخميس عند الزوال.

٥ ـ الجماع يوم الجمعة بعد العصر.

٦ ـ ليلة الجمعة بعد العشاء الآخرة.

٧ ـ يستحب التسمية عند الجماع.

٨ ـ الدعاء بالمأثور عند الجماع.

٩ ـ الكون على الوضوء.

مضافاً إلى أضداد موارد الكراهية.

وعللت بعض هذه المستحبات بأن الوليد ذكراً أو أنثى يكون:

١ ـ حافظاً لكتاب الله.

٢ ـ راضياً بما قسم الله عزَّ وجلَّ.

٣ ـ شهيداً في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

٤ ـ لا يعذب مع المشركين.

٥ ـ طيب النكهة والفم.

٦ ـ رحم القلب، سخي اليد، طاهر اللسان من الغيبة والبهتان.

٧ ـ حاكماً من الحكام أو عالماً من العلماء.

٨ ـ بعيداً عن الشيطان.

٩ ـ قيماً ويرزق السلامة في الدين والدنيا.

١٠ ـ مشهوراً عالماً.

١١ ـ من الأبدال.

ثالثاً: من ناحية الطعام: فيستحب أكل بعض الأطعمة كما يكره أكل بعض الأطعمة قبل الجماع وأثناء الحمل فإن لذلك تأثيراً بالغاً على الجنين. وكذلك الأشربة لها ذلك التأثير.

فمما يستحب:

١ ـ السفرجل: ومن خواصه أنه: يجم الفؤاد، ويسخي البخيل، ويشجع الجبان، طيب الولد، وحسنه، وصفاء لونه، ومجيء الولد حليماً عالماً. وغير ذلك.

٢ ـ الرمان: فمن خواصه: تنوير القلب، ودباغ المعدة، والزيادة في الذهن.

٣ ـ التمر: ومن خواصه: خبل الشيطان، تقوية الظهر، وزيادة

المجامعة، زيادة السمع والبصر، القرب من الله، البعد من الشيطان، هضم الطعام، ذهاب الداء، طيب النكهة.

وغير ذلك من الأطعمة كالكمثري «الإجاص» والجبن والجوز معاً. وهذا مما يستحب أما مما يكره كالتفاح الحامض، والكزبرة، والجبن مفرداً وقد ورد أنه ضار في الغداة نافع عند العشاء.

رابعاً: من ناحية الرضاع:

ثمة تأكيد على اختيار المرضعة والأولى أن تكون المرضعة هي الأم فقد قال رسول الله ﷺ: «ليس للصبي لبن خير من لبن أمه»[١]، وكلما كانت المرضعة سيئة كلما كان الرضيع ـ ذكراً أم أنثى ـ سيئاً، وكلما كانت حسنة كان الرضيع حسناً، قال أمير المؤمنين عليه السلام «انظروا من يرضع أولادكم فإن الولد يشب عليه»[٢]، وقال عليه السلام: «تخيروا للرضاع كما تتخيرون للنكاح، فإن الرضاع يغير الطباع»[٣] وينبغي أن تكون المرضعة من الحسان لا من القباح لأن اللبن يعدي، قال إمامنا الباقر عليه السلام «استرضع لولدك بلبن الحسان، وإياك والقباح، فإن اللبن قد يعدي»[٤]. وقال عليه السلام: «عليكم بالوضاء من الظؤرة فإن اللبن يعدي»[٥] وقد ورد النهي عن استرضاع هذه الأصناف من النساء:

١ ـ البغي والمجنونة، قال علي عليه السلام: «توقوا على أولادكم لبن البغي من النساء، والمجنونة، فإن اللبن يعدي[٦].

---

(١) م.ن.، مادة رضاع.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) م.ن.
(٦) م.ن.

٢ ـ الحمقاء والعمشاء: قال علي ﷺ: «لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يقلب الطباع»[١]، وقال رسول الله ﷺ: «لا تسترضعوا الحمقاء، ولا العمشاء، فإن اللبن يعدي»[٢].

٣ ـ بنت الزنا: قال إمامنا الباقر ﷺ: «لبن اليهودية والنصرانية والمجوسية أحب إليّ من ولد الزنا»[٣] وعن إمامنا الكاظم ﷺ لما سأل عن امرأة ولدت من الزنا هل يصلح أن يسترضع بلبنها؟ قال: «لا يصلح ولا لبن ابنتها التي ولدت من الزنا»[٤].

٤ ـ الناصبية: قال إمامنا الصادق ﷺ: «رضاع اليهودية والنصرانية خير من رضاع الناصبية»[٥]، ويراد بالناصبية تلك المبغضة والمعادية لأهل البيت ﷺ ومحبيهم.

ومما ينبغي أن يعلم أنه يستحب للأم أو للمرضعة إرضاع ولدها وهي على طهارة من وضوء أو غسل ولا بد من كون الرضاع تاماً ولمدة عامين كما قال تعالى: ﴿وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾[٦].

لا شك ولا ريب بأن المرأة العاملة، الفاضلة، العفيفة، الكريمة، صاحبة الشمائل الحميدة، والخصال الفريدة عندما ترضع الولد فإنه سوف يشب على مثل حالها خاصة إذا كانت تعضدها صفات وراثية حميدة على نحو ما جرى مع النبي ﷺ والأئمة المعصومين ﷺ، بل على نحو ما جرى

---

(١) م.ن.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) م.ن.
(٦) سورة لقمان، الآية: ١٤.

مع أبي الفضل العباس ابن علي بن أبي طالب عليه السلام والذي تخير الإمام علي عليه السلام لنطفته، ولأمه أحسن اختيار. إذا إن العباس كان ثمرة لهذا الاختيار الحسن حيث كان حليماً، عالماً، شجاعاً، مؤثراً، نافذ البصيرة، ثبت ثباتاً قل نظيره.

المرحلة الثانية: مرحلة التلقين:

في هذه المرحلة تكونه الفتاة ذات قلب خالٍ من أية رسومات، فقلبها عبارة عن صفحة فارغة، وهو مستعد لتقبل أي رسم يمكن أن يرتسم عليه سلباً وإيجاباً.

وفي هذه المرحلة على ذويها تعبئة هذا القلب، وهذا العقل، بما هو صحيح وإبعاده عما هو فاسد.

وتكون هذه التعبئة أو يكون هذا التلقين ماراً عبر قنوات ثلاث:

القناة الأولى: العقيدة، حيث يتم رسم الصورة الاعتقادية الصحيحة في ذهن الفتاة.

القناة الثانية: الأخلاق الحسنة والرفيعة، من حيث رسم الفضائل في ذهن الفتاة، وتطبيع قلبها عليها.

القناة الثالثة: الفقه العلمي أي الشريعة الظاهرية فيتم تعويد الفتاة على ممارسة الشعائر والطقوس الدينية كالصلاة والصوم وغير ذلك كالحجاب مثلاً ولا بد من انتخاب الوسائل والأساليب السليمة والمرنة للوصول إلى هذه النتيجة الحسنة.

وقد يُقال بأن الفتاة في هذه المرحلة تترك واختيارها؟؟

والجواب: هذا غير سليم البتة، لأن الفتاة في هذه المرحلة ليس لديها

أي قدرة على التمييز والتمحيص، فإذا لم يعمل ذووها على تلقينها العقائد الحقة، والأخلاق الحسنة، والفقه العملي، فإن ثمة رسوم وتصورات أخرى سوف تطغى على قلب وعقل الفتاة وسوف تؤثر فيها تأثيراً سلبياً ولا ريب. هب أن فتاة لم يشجعها أهلها على الحجاب ولم تتحجب حتى بلغت من السن العشرون فإنها سوف تستوحش من الحجاب وسوف يكون الحجاب أمراً طارئاً على حياتها وغير مألوف وعندها يكون من الصعب عليها ارتداء الحجاب، بينما إذا كانت الفتاة محجبة قبيل سن البلوغ وأزيد ومن ثم لما كبرت تبين لها أن الحجاب أمر خاطئ فليس من مشكلة أن تخلعه تبعاً لقناعتها، وأما إذا اقتنعت به فليس ثمة مشكلة من إبقاءه وديمومته والمثابرة عليه.

وفي هذه المرحلة مرحلة التلقين لا بدَّ من تلقين الفتاة كلما تحتاجه في حاضرها ومستقبلها، فتلاحظ المربية زمان الفتاة لا أن تخاطبها بخطاب زمان مضى وانتهى.

كما لا بد من تلقينها بالقضايا الحساسة والضرورية دون غير الضروري منها، وليكن التلقين في المسائل الخاصة بالفتيات ولا سيما المحرجة حرجاً شديداً منها متدرجاً بإشارة بعد إشارة حتى تستجلي المسألة مع مرور الزمن ويكون الزمن مفهماً لها المغزى والمضمون.

المرحلة الثالثة: مرحلة التمييز المجرد:

في هذه المرحلة تُعرض أمام الفتاة الصور والرسوم المتضادة للأشياء، فيعرض الجميل والقبيح، الحسن والسيئ، الفضيلة والرذيلة، الصلاح والفساد، الكفر والإيمان، المعروف والمنكر، وهكذا حتى تميز الفتاة بين الأضداد والمتناقضات. فإن اختارت الإيجاب تكون عملية التلقين صحيحة

وسليمة وأتت أكلها، وإن اختارت السلب تكون عملية التلقين فاشلة، وربما لقن الفتاة شخص غريب، أو ثقافة غريبة، أو عادات سيئة، وإن تساوى اختيارها للإيجاب تارة وللسلب أخرى فتكون عملية التلقين مشتركة بين الصحيح والسقيم.

ولا شك بأن الفتاة هيهنا تستطيع التمييز بين الأمور والأشياء ولكنها لا تستطيع الدخول إلى أعماق الأمور، والوقوف على حقائقها، غاية ما تصل إليه هو ظواهر الأمور وما تبدو عليه بالشكل الأولي وبالتأكيد فإن الفتاة الربيبة في مرحلة التمييز تكون قد تعرفت على الأضداد والمتناقضات وبالتالي تكون متملكة للقدرة على التمييز بين الحُسن والقبح، والفضيلة والرذيلة، وهذا من شأنه رسم الصورة العامة غير العميقة للحقائق الوجودية الأمر الذي يؤهلها للولوج إلى المرحلة الرابعة.

المرحلة الرابعة: مرحلة التمحيص والتدقيق:

وفي هذه المرحلة تكون الفتاة الربية قد عقلت الأشياء، وفهمت مغازيها، وتنبهت لدقائقها، وتصبح بعيدة عن التأثيرات الخاصة والعامة نسبياً، وبالتالي تصبح مستقلة في الاختيار. فهي تريد أن تتعرف على حقيقة من الحقائق فتمعن البحث في هذه الحقيقة وبعد إزالة كل الشبهات والعوائق والعراقيل تصل إلى نتيجة البحث فإما إيجاباً وإما سلباً. وبالطبع يعضدها على الوصول إلى الحقائق كل من:

١ ـ أهل الخبرة المتجردين عن الهوى والعصبية.

٢ ـ البيئة المتسامحة التي تقطن فيها.

٣ ـ دراساتها التي درستها في المدرسة كمقدمة والجامعة وغير ذلك من المعاهد العلمية.

ويقوي خاصية التمحيص والتدقيق فيها الشريعة المحفزة على ذلك والتي تنضوي إليها.

بينما إذا كانت الشريعة المنضوية تحت لوائها غير محفزة على البحث والتدقيق والتمحيص، فإنها سوف تكون مرفوضة عند الفتاة الربيبة حتى تثبت بالدليل والبرهان.

ومن هنا ندرك قيمة التلقين الجيد في مرحلة سابقة، حيث إنه إذا كان سليماً، ولقنت الفتاة الربية الاعتقاد الصحيح فإنها بالبحث والتمحيص سوف تجد صوابية ذلك، وكذلك الفضائل الأخلاقية، والفقه العملي.

بل إن هذا التلقين سوف يحفز الفتاة على التمحيص والتدقيق لأن من جملة التلقينات الصحيحة الحث على إعمال العقل في كل شيء ونبذ التقليد المذموم والأعمى. ومما مر نعلم بوجود مراحل أربع هي:

المرحلة الأولى: مرحلة التكوين ولها تأثير قبلي ولا إرادي على الطفلة.

المرحلة الثانية: مرحلة التلقين: وهي اللبنة الأولى لرسم صورة معينة عن الحياة وما فيها.

المرحلة الثالثة: مرحلة التمييز المجرد: وفيها تتعرف الفتاة على الأضداد والمتناقضات، من حيث الظاهر.

المرحلة الرابعة: مرحلة التمحيص والتدقيق: وفيها تتعرف الفتاة على مغازي الأشياء ومضامينها وأعماقها تعرفاً مستقلاً.

المكلفة

تصل الفتاة إلى سن معين تعتبره الشريعة سناً للتكليف، بمعنى أن الفتاة إبان وصولها إلى هذا السن تصبح مخاطبة من قبل الله عزَّ وجلَّ بالأوامر والنواهي الشرعية، أي مكلفة بفعل أمور وترك أمور.

وسن التكليف هو تسع سنوات قمرية يعني أقل من تسع سنوات ميلادية بمقدار قليل.

وبالطبع، فإن هذا السن يعبِّر عن نضوج الفتاة في مناطق دون مناطق أخرى، ففي المناطق الصحراوية والحارة فإن هذا السن كاف في نضوج واكتمال جسد الفتاة لتكون أنثى بالغة الأنثوية معنوياً وجسدياً، بينما في مناطق أخرى قد تبدو الفتاة صغيرة وغير ناضجة نسبياً.

ولكن الفتاة في هذا السن وعلى جميع الحالات هي إما ناضجة وإما قبيل النضوج وهذا لا يمنع من التكليف. فإن كانت ناضجة تماماً فيكون التكليف في محله، وإن كانت قبيل النضوج فإن التكليف يعتبر تعويداً لها وتدريباً إلى مرحلة النضوج الكامل. وكذلك إذا كانت الفتاة نصف ناضجة وغير ناضجة في النصف الآخر، فإن التكليف يقع في محله في النصف الأول. وفي النصف الثاني يعتبر تعويداً وتدريباً.

وقد تثار في هذا الشأن إشكالات هي:

الإشكال الأول: إن الفتاة في هذا السن غير قادرة تكويناً وعقلاً على الاضطلاع بالمهام التكليفية المنوطة بها شرعاً.

وللإجابة على هذا الإشكال نقول:

أولاً: لا نسلم بهذا إذ إننا نرى بالوجدان أن كثيراً من الفيتات سرن على سكة التكليف منذ هذا السن إلى ما شاء الله.

ثانياً: إننا نرى بالوجدان أن أمماً وقبائل أخرى يكلفون الفتيات بما هو أثقل من عملية التكليف الشرعي مع أن السن أقل من سن التكليف.

ثالثاً: إن سن التكليف بالنسبة للفتيات إذا تحول إلى ثقافة عامة تعم المجتمع بكامله فإنه سيصبح من المسائل البديهية والعادية شأنه شأن باقي المسائل.

رابعاً: إذا سلمنا بعدم قدرة الفتاة على تحمل مسؤولية التكليف فإن شرطاً من شروط التكليف قد أنثلم وهو «القدرة» وعلى هذا فإن التكليف يسقط ها هنا.

خامساً: إن المولى عزَّ وجلَّ حكيم ومقتضى حكمته أن لا يكلف أحداً بتكليف لا يطيقه، فلو كان تكليفاً غير مطاق لما كلف الله عزَّ وجلَّ الفتاة بهذا التكليف في هذا السن، وكما علمنا بأنه عزَّ وجلَّ كلف الفتاة بهذا السن فهذا يعني أن التكليف مما يطاق.

خامساً: لم يثبت كما سبق وقلنا إن جميع الفتيات في هذا السن غير ناضجات، وعلى هذا فثمة فتيات ناضجات وثمة فتيات غير ناضجات، والإسلام ينظر إلى التكليف على أنه قانون عام لا يلاحظ الأفراد على سبيل الاستثناء بقدر ما يلاحظ النوع الإنساني ككل، فإذا ما اختلت بعض شروط التكليف عند بعض الأفراد فلا تكليف ها هنا، ويبقى العموم على محله.

يبقى أن نشير إلى مسألة مهمة جداً وهي مسألة تلقي الخطاب الإلهي التكليفي بعقل سليم ومميّز. فهل تستطيع الفتاة في هذا السن ـ تسع سنوات ـ أن تهضم الخطاب التكليفي الإلهي من ناحية عقلية. والجواب:

أنه مع ملاحظة كل من:

١ ـ الفطرة السليمة.

٢ ـ البيئة النظيفة.

٣ ـ التربية الصحيحة خاصة في مرحلتي التكوين والتلقين.

٤ ـ الفهم الإجمالي للمسائل.

فإنه يمكن ذلك ولكن قطعاً ليس بصورة مستقلة وتدقيقية تمحيصية.

وإلى أن تصبح الفتاة في مرحلتي التمييز المجرد، والتمحيص والتدقيق فيصبح هضم الخطاب الإلهي التكليفي أمراً ميسوراً جداً.

وعلى أي فإن من شروط التكليف «العقل» والمولى الحكيم عزَّ وجلَّ لو علم عدم إمكانية ذلك لما خاطب الفتاة بهذا السن بخطاب تكليفي.

على أن الفتاة في هذا السن كما أنها تستطيع فهم الأشياء وتعقلها في المدرسة تستطيع ذلك في مسألة التكليف ويكفي استطاعتها ومكنتها على رفض هذا الأمر وتقبل هذا الأمر.

وإذا ما تحولت مسألة التكليف إلى ثقافة اجتماعية عامة فإن هضمها سوف يكون سهلاً جداً. وبدلاً ـ أو منضماً ـ من أن تحرص الأسر الاجتماعية على تدريب الأولاد وتعليمهم على هذا النوع من الفن، أو هذا النوع من النشاط الرياضي، أو هذا النوع من التقاليد فلتحرص على تعليم الأولاد مسألة التكليف في سن التكليف للذكر والأنثى.

الإشكال الثاني: الفتاة ولدى بلوغها هذا السن ـ تسع سنوات ـ وبدلاً من أن تكون خالية من أية مسؤوليات فإنها تصطدم رأساً بالتكليف؟؟.

والجواب عن هذا الإشكال يتم بالآتي:

أولاً: إن هذا السن لا يمثل اصطداماً بالتكليف سيما وأنها قطعت شوطاً غير يسير من أشواط الحياة.

ثانياً: إن الفتاة ومنذ نعومة أظفارها تتحمل مسؤولية الأمر والنهي من قبل أهلها حيث تمنع من أشياء وتؤمر بأشياء.

ثالثاً: إن هذه الفتاة بهذا السن هي قريبة العهد بالزواج لسنوات معدودة فإذا لم تكن عملية الزواج مسبوقة بالتكليف لم يتسنى لها معرفة كثير من الأمور الخاصة بالنساء كالدماء مثلاً، مضافاً إلى أننا نرى بالوجدان تلك العائلات من غير المسلمين كيف أنها تدرب فتياتها على أمور معينة في هذا السن بل ربما قبل ذلك.

رابعاً: إن التكليف الإلهي غير عسير، إذ إنه أمر يسير ويعود بالفائدة على الفتاة.

خامساً: من قال إنه ليس من سعادة المرء أن يتحمل مسؤولية ما في هذا السن، وإذا لم تتحمل الفتاة مسؤولية التكليف في هذا السن فمن تتحمله؟! هل تتحمله في سن الـ (١٥) حيث تكون قد تعودت على عدم الفعل فهنا من الصعب جداً حملها على الفعل.

سادساً: يكفي أن الفتاة ترى الدم دم الحيض في هذا السن وقريب منه وهذا يدل دلالة واضحة على أن الفتاة أصبحت ناضجة، إذ يكفي أنها تريد التعرف على ذلك لتتعرف على التكليف.

الزوجة

الفتاة وبعدما تنضج جسدياً وفكرياً تصبح عرضة للزواج، وفي هذه المرحلة تنتقل الفتاة إلى عالم آخر لم تألفه من قبل، ولكنها تحمل تصورات عنه أخذتها من أمها أو أختها الكبيرة المتزوجة، أو صديقتها، أو شيء من الثقافة العامة، ولربما تحمل الفتاة عقدة من الزواج سيما إذا كانت العلاقة الزوجية بين الأب والأم غير سوية، وربما تحمل رغبة شديدة بالزواج فيما لو رأت زواجاً سعيداً. وعلى أي سوف نقترب من المرأة كزوجة عبر النقاط الآتية:

النقطة الأولى: الصورة المرسومة للزوج:

الفتاة التي ستصبح زوجة لديها صورة مسبقة عن الزوج الآتي، وبالطبع فإن رسمها لهذه الصورة جاء وفق المؤثرات التي تأثرت بها، ولا تخلو من أحد مؤثرات ثلاثة:

المؤثر الأول: الثقافة العامة، والصخب العام، والموضة، والسينما، والتلفزيون، والعرف غير النظيف. فهذه الأجواء كلها ترسم صورة معينة للزوج المثالي كما يزعم، فربما تتمناه مطرباً، أو راقصاً، أو ممثلاً، أو بطلاً رياضياً، أو جميلاً آخاذاً، أو ذا سحنة معينة ولون معين، أو طول معين وغير ذلك. وبالطبع فإن جميع هذه الصور لا تتعدى الشكل والمظهر ولا

تتسرب إلى المضمون والعمق. وهذا التصوير للزوج يكون مدمراً وغير موفق لأنه وقع تحت تأثيرات مخادعة لا تمت إلى الواقع بصلة.

المؤثر الثاني: الأهل والأقارب حيث يرسمون صورة معينة للزوج المثالي فتتأثر الفتاة بذلك وتنسج نفس الصورة في مخيلتها. وبالطبع فإن هذا اجتهاد شخصي قد يكون مصيباً وقد يكون غير ذلك والضمانة غير موجودة.

المؤثر الثالث: الشرع القادس حيث يرسم صورة نموذجية للزوج وتتبعه الفتاة في ذلك وترسم نفس الصورة تأثراً بالشرع وامتثالاً له.

وبما أن هذه الصورة قد رسمها الله عزَّ وجلَّ أحكم الأحكمين وأعدل الأعدلين، وأرحم الأرحمين، فلا شك بأنها صورة رائعة جداً خصوصاً إذا كانت هذه الصورة مما يتوسم فيها «الضمانة» للحاضر والمستقبل بالنسبة للفتاة.

النقطة الثانية ـ الخطبة:

إن الفتاة بحسب العرف تعد مخطوبة والشاب هو الخاطب، وثمة محاولات عند البعض لعكس هذه الثقافة بحيث تجعل الفتاة هي الخاطبة والشاب هو المخطوب ولكنها محاولات فاشلة لأنها معارضة بثقافات، وتقاليد، وعادات وكثير من العوائق مع أن هذا الأمر ليس من المستهجنات واقعاً وإن كان يؤدي إلى منغصين اثنين:

المنغص الأول: تصاغر شأن الفتاة.

المنغص الثاني: تعاظم شأن الفتى.

مع أن الفتى إذا كان خاطباً والفتاة إذا كانت مخطوبة لا يؤدي هذا إلا لتعاظم شأن الاثنين معاً.

ويراد بالخطبة إرادة الشاب التزويج من الفتاة وإبراز إرادته هذه بكلام معين. وعبارة الخطبة مستخدمة عرفاً وشرعاً ومما نهجت عليه المتشرعة أيضاً. والخطبة ليست زواجاً شرعياً كما هو معلوم، لأن الزواج الشرعي لا يتم إلا بالعقد بين الطرفين المتضمن للإيجاب والقبول.

ونروم بحديثنا عن الخطبة الإشارة إلى مسألتين مهمتين:

المسألة الأولى: أن هناك خطبة تتم بين الرجل والفتاة على أساس اتفاق يجري بينهما وبين ذويهما من دون تتويج هذا الاتفاق بعقد زواج شرعي.

وتنشأ بين الخطيبين علاقة لأجل التفاهم على زواج سليم وصحيح، ولأجل تعرف كل منهما على الآخر، وإنما تكون هذه المدة موسومة بالخطبة لأجل هذه الاعتبارات أو لاعتبار آخر وهو تجهيز المسكن الزوجي وما يقتضيه.

وفي هذه الفترة ـ فترة الخطوبة ـ تكون العلاقة بين الخطيبين:

أ ـ إما علامة الزوج بالزوج دون زواج، فيتعانقان ويخرجان مع بعضهما البعض، ويعودان مع بعضهما البعض وطبعاً كل هذا من المحرمات الشرعية.

ب ـ علاقة حذر وترقب، حيث يمنعهما الأهل من التقابل منفردين، ويبقيان تحت مراقبة الأهل، ولا يمسان بعضهما بعضاً، بل يلتقيان على أساس التفاهم والتعارف ليفهم أحدهما الآخر، ويأخذ كل منهما انطباعه عن الآخر.

ولكن النحو الثاني من العلاقة فيه من السلبيات الشيء الكثير، كما أن فيه من الإيجابيات الشيء الكثير.

فمن سلبياته هدم بناء الثقة، ومن إيجابياته الوقاية من الحرام.

وبالحقيقة فنحن نتفهم هواجس الأهل حول هذا الموضوع، فإن الأهل يريدون لابنتهم أن تنتقل إلى بيتها الزوجي بكل أمانة ويخشون التفريط بها قبل هذا الأوان.

ولهذا لو وجد الأهل صيغة تجمع بين بناء الثقة وبين المحافظة على الفتاة لحين زواجها لما ترددوا في ركوب هذه الصيغة.

ولأجل ذلك لا بدَّ للخاطب من تفهم هاجس الأهل ولا بدَّ للأهل من عدم الذهاب في خوفهم بعيداً إلى حد هدم الثقة مع الصهر، فلتكن العلاقة قائمة على الحوار والصراحة مهما أمكن.

وليعلم أنه هناك ثمة خطوبة بمعنى آخر، هذه الخطوبة تتم في فترة يكون الرجل والفتاة فيها قد تزوجا شرعاً بعقد شرعي ومهر وما إلى ذلك، ولكن لتهيئة أجواء الزفاف والانتقال إلى البيت الزوجي تضرب مدة من الزمن على أساس أنها خطوبة وقد تكون هذه المدة طويلة وقد تكون قصيرة. والخطيبان هاهنا هما زوجان شرعاً وغير ذلك عرفاً. لأن العرف لا يراها زوجة إلا عندما تنتقل إلى بيت زوجها، وفي فترة الزواج الشرعي هذه والخطوبة عرفاً تنشأ مشاكل بين الأهل والصهر من نواح متعددة كوقت الخروج ووقت الدخول إلى البيت وغير ذلك.

والمشاكل الناشئة هاهنا على غرار المشاكل الناشئة من الخطوبة بالمعنى الأول، بل هاهنا المشاكل أكبر لأن المجالات مفتوحة أكثر بينهما كونهما أضحيا ضمن منظومة الشرع.

ولا شك بأن هواجس الأهل هي هي من حيث إنهم يريدون لابنتهم أن تبقى عذراء حتى تدخل بيت زوجها وطالما هي لم تدخل دار زوجها فالهواجس موجودة.

وإن ما يساعد حقيقة على امتداد فترة الخطوبة سواءً بالمعنى الأول أو بالمعنى الثاني هي الظروف الاقتصادية، والعادات الاجتماعية الموجودة ضمن المجتمعات والتي تثقل كاهل العريس.

إن العلاج التام لمشاكل الخطبة يحتاج إلى ظروف مؤاتية، وإلى جهود من كلا الطرفين الأهل والصهر وأهل الصهر أيضاً. ولكن كإرشاد لهذا العلاج نورد الإيجابات التالية:

الإيجاب الأول: الاتفاق من أول الوقت على آلية معينة في التعاطي بين جميع الأطراف.

الإيجاب الثاني: أن يتفهم جميع الأطراف ظروف بعضهم البعض سواءً ما كان ظرفاً أصيلاً أو ما يطرأ من ظروف.

الإيجاب الثالث: أن يخفف الصهر الكثير من متطلباته في أونة الخطوبة تمهيداً لنيل ما يبتغيه كاملاً في أوان الزفاف.

الإيجاب الرابع: أن يتصف أهل العروس بالمرونة في تعاطيهم مع الصهر، بحيث إنهم يحاولون الجمع بين رضى الصهر والبنت وعدم وصول الصهر إلى ما يخشونه.

الإيجاب الخامس: تكثيف الحضور العائلي أمام الصهر والبنت وإعطاء الفرصة للخطيبين بالانفراد آناً ما بطريقة لا تخولهما الوقوع فيما يراه الأهل محظوراً.

الإيجاب السادس: تعمير الثقة بين الأهل والصهر والفتاة، من خلال إقناع الأهل للصهر بأنه مؤتمن على ابنتهم، ومن خلال إقناع البنت بأنها مؤتمنة على نفسها، وهكذا يستحي الصهر من الوقوع فيما يراه الأهل محذوراً.

الإيجاب السابع: تفكر الصهر بالعواقب التي يمكن أن تؤثر عليه سلباً فيما لو أتى بما يُرى محذوراً، وذلك اجتماعياً وعائلياً وحياتياً.

وينبغي أن يعلم بأن أقصى ما يمكن أن يفعله الصهر مع البنت فيما لو كانت خطبته متضمنة لعقد شرعي هو فض بكارتها وهذا غير حرام شرعاً وإن كان يخشى من ذلك:

١ ـ لإمكانية أن لا يتحمل الصهر هذه المسؤولية ويطلقها قبل الزفاف.

٢ ـ لإمكانية بروز الشائعات من الوسط الاجتماعي المنتسب إليه.

٣ ـ لإمكانية عدم قدرته على تحمل هذا العبء من حيث إنه سيضطر إلى إعلان الزفاف فوراً وهذا خلاف الغرض من الخطبة وهكذا فإن حل مشاكل الخطبة أمرٌ غير يسير إلا على العقلاء.

المهر أو «الصداق»:

وهو ما يعطيه الزوج للزوجة، ويذكر في عقد «الزواج» وهو غير محدد أي ليس مشروطاً بالقلة أو بالكثرة، غاية الأمر أن المهر هو كل ما فيه مالية سواءً كان مالاً أو عيناً أو منفعة. ومن أمثلة ذلك:

١ ـ المال: مائة ألف ليرة لبنانية مثلاً.

٢ ـ البيت، أو السيارة، وغير ذلك.

٣ ـ تعليم شيء من القرآن.

كما أنه لا يشترط في المهر أن يكون معجلاً أي لا يشترط دفعه حين إنشاء العقد أو بعده بقليل بل يمكن أن يكون ديناً، نعم المهر من حق المرأة ويبقى على ذمة الزوج طيلة عمره ما لم تسقطه عنه فإذا أسقطته ووهبته إياه يسقط.

والمهم أن المهر أو «الصداق» هو من حق المرأة الزوجة وهو لازم على الرجل الزوج. ولا بأس بالإشارة إلى بعض النقاط بخصوص المهر:

النقطة الأولى: جواز غلاء المهور:

يجوز للناس أن يعمدوا إلى غلاء المهر لأنه جائز، فعن الإمام الصادقعليه السلام حينما سأله أحد أصحابه عن المهر؟! قالعليه السلام: «ما يتراض عليه الناس»[1].

وهذا يوضح جواز أن يكون المهر غالياً أو قليلاً.

إذاً مسألة المهر بيد الناس، ومن المعلوم أن الأمر إذا ترك للناس فإنهم لا يبقون للخير والفضيلة مجالاً وهذا في الأعم الأغلب.

النقطة الثانية: جواز تقليل المهر: وهذا معلوم.

النقطة الثالثة: كراهة زيادة المهور:

وقد ورد في الشريعة كراهة زيادة المهر وغلائه وذلك لأن كثرة المهر يؤدي إلى السلبيات الآتية:

السلبية الأولى: تعطيل قانون الزواج، ونقض الغرض من تعميمه.

السلبية الثانية: التقليل من التزويج.

السلبية الثالثة: التكثير من العزّاب.

السلبية الرابعة: جعل سمعة الزواج ملطخة بالمساومات المادية.

السلبية الخامسة: تعطيل زواج الأكفاء، فالمؤمن كفؤ المؤمنة فإذا كان الزوج الكفؤ غير ممتلك للمهر الغالي، والزوج غير الكفؤ متملكاً للمهر الغالي فإن كفة الأخير تصبح أرجح وهذا مناف للواقع الشرعي.

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢١، ص ٢٣٩.

السلبية السادسة: تولد الحقد والعداوة من قبل الزوج باتجاه الزوجة لأنه دفع لأجلها الكثير.

قال الإمام الصادقﷺ: «فأما المرأة فشؤمها غلاء مهرها»[1].

وعن السكوني عن أبي عبد اللهﷺ قال: قال رسول اللهﷺ: «أفضل نساء أمتي أصبحهن وجهاً وأقلهن مهراً»[2].

النقطة الرابعة: استحباب قلة المهور:

قال رسول اللهﷺ: «خير الصداق أيسره»[3].

وقالﷺ: «إن من يمن المرأة تيسير خطبتها، وتيسير صداقها، وتيسير رحمها»[4]، وقالﷺ: «تياسروا في الصداق، فإن الرجل ليعطي المرأة حتى يبقى ذلك في نفسه عليها حسيكة ـ أي عداوة وحقد ـ»[5].

وبالطبع فإن قلة المهر يعكس سلبيات كثيرة إلى إيجابيات. ويكفي أن نعلم بأن مهر السنة أي أن المهر الذي كان يدفعه النبيﷺ إلى أزواجه هو «خمسمائة درهم».

النقطة الخامسة: استحباب تصدق الزوجة بالمهر لزوجها:

وقد صرح بذلك رسول اللهﷺ حيث قال: «أي امرأة وهبت مهرها لبعلها، فلها بكل مثقال ذهب كأجر عتق رقبة»[6].

---

(١) م.ن.، ص ٢٥٢.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.، راجع ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٧٩.
(٤) م.ن.، ص ٢٥٠.
(٥) م.ن.، ص ٢٥٣.
(٦) م.ن.، ص ٢٨٤.

النقطة السادسة: العلة من المهر:

وبمعنى آخر لماذا شرع المهر. والجواب يتم بالتالي:

أولاً: إنها حكمة إلهية جامعة، ومتعلقة بمصالح العباد أمراً وبمفاسد العباد نهياً.

ثانياً: التعليل القرآني، حيث صرَّح القرآن بأن المهر هو هدية. قال تعالى ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[1].

ثالثاً: لأن مؤونة المرأة على الرجل وليس العكس.

رابعاً: لأن الواجب على الرجل العمل دون المرأة فإن العمل جائز لها. وعلى هذا فمن يعمل يدفع.

خامساً: ما ورد في ذلك من الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «إنما صار الصداق على الرجل دون المرأة وإن كان فعلهما واحداً فإن الرجل إذا قضى حاجته منها قام عنها ولم ينتظر فراغها فصار الصداق عليه دونها»[2].

النقطة السابعة: وحاصلها إشكال مفاده: إن المرأة وبسبب تشريع المهر هي مجرد سلعة يشتريها الرجل.

والإجابة عن هذا الإشكال تتم بالآتي:

أولاً: إن تشريع المهر حكمة إلهية كما عرفت.

ثانياً: إن الشريعة الإسلامية حبّذت تقليل المهر، وكرَّهت تكثير المهر كما عرفت.

ثالثاً: إن الشريعة الإسلامية حبذت تصدق المرأة بالمهر على زوجها كما علمت.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤.

(٢) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٧٨.

رابعاً: إن القرآن صرَّح بأن المهر هدية، غايته أنها هدية لازمة.

خامساً: إن الشريعة الإسلامية تركت تعيين المهر للناس. ليعبروا عنه بما يتراضون.

سادساً: إن أمر الموافقة على الزوج يعود إلى الفتاة وبالتالي فإن الرجل الخاطب مهما دفع من مال ولم ترض الفتاة فإن الزواج لن يتم إلا برضاها.

سابعاً: فليكن المهر معبراً عن جنبة التزامية عملية عند من يريد التزوج ليتحمل مسؤولية نفقة الزوجة فيما بعد.

ثامناً: ليس المهر معياراً للزواج حيث إنه غير مرتبط بالدفع المباشر والآني، فيجوز تأجيله وإبقاءه ديناً على الزوج، بل إسقاطه من قبل الزوجة كما تعلم.

تاسعاً: إن المرأة الصالحة مهما دُفع لها من مهر تبقى أغلى من المهر، والمرأة الطالحة مهما كان مهرها قليلاً فإنها أحقر من هذا. قال أبو عبد الله الصادق ﷺ: «إنما المرأة قلادة فانظر ما تتقلد، وليس للمرأة خطر، لا لصالحتهنَّ ولا لطالحتهنَّ، فأما صالحتهنَّ فليس خطرها الذهب والفضة هي خير من الذهب والفضة، وأما طالحتهن فليس خطرها التراب، التراب خير منها»[1].

عاشراً: إن كون المرأة مجرد سلعة نجده متحققاً في غير إطار الزواج حيث يشتري الرجال النساء بمبالغ طائلة وزهيدة، وإن الرجل الذي يريد الوصول إلى المرأة يستطيع الوصول إليها بمال وبغير مال، مضافاً إلى أننا نرى وبالوجدان بأن الكثيرات من النساء يبعن أنفسهن بثمن بخس، ولا شك بأن الزواج أمر دائم ولا يعقل أن يعمد الرجل إلى شراء من يريد البقاء معها طيلة الحياة وستكون أماً لأولاده، وشريكة له في كل كليات وجزئيات حياته.

---

(١) م.ن.، ص ٢٧٩.

إن الرجل يشتري المرأة لبرهة قصيرة لا لطول العمر، مع أن حياة الرجل الشاري لزوجته متكدرة طبعاً لأنها غير قائمة على المحبة والود.

ولا يفوتنا هاهنا أن قانون الزواج وأدبياته وأخلاقياته وكل ما يدور حوله في إباء تام عن مسألة كون المرأة سلعة وما إلى ذلك.

وذلك لأن المرأة تسير من كمال إلى كمال فهي تنتقل من كمال كونها بالغة ومكلفة إلى كمال أعلى وهو كونها زوجة وهكذا إلى كمال أعلى وهو كونها أماً. وهكذا.

فالمرأة تنتقل بين كمالات متعددة:

الأول: كونها رضيعة.

الثاني: كونها طفلة.

الثالث: كونها بالغة ومكلفة مشرعاً.

الرابع: كونها زوجة.

الخامس: كونها أماً إلى وصولها إلى الحظيرة القدسية.

الصورة المثالية للزوج المثالي:

قد ذكرنا سابقاً أن هناك ثلاثة مؤثرات على الفتاة تجعلها تتصور الزوج المثالي وهي:

المؤثر الأول: الإعلام المعادي، والثقافة الغربية، والصخب العام، والموضة والأفلام السينمائية، والمسلسات وغير ذلك.

المؤثر الثاني: العائلة وتقاليدها وعاداتها وغير ذلك.

المؤثر الثالث: الشرع القادس.

والسؤال كيف ينظر الشرع القادس إلى الزوج المثالي؟؟

والجواب باختصار:

أولاً: أن يكون صاحب خلق حسن.

ثانياً: أن يكون متبعاً لأوامر الشرع ومتزجراً عن نواهيه.

وهذان الشرطان إذا تحققا في شخص فإنهما يمثلان الضمانة الحقيقية لعدم شقاء الزوجة.

وهما كذلك مع تجردهما من الحب والعاطفة وشمائل أخرى أما إذا انضما مع هؤلاء فإن الضمانة آكد وأبلغ.

فإذا تزوجت المرأة الرجل من أجل الشهرة. فلعل هذه الشهرة تكون زيفاً وخداعاً، ومن يضمن بأن الشهرة تردع الزوج عن ظلم المرأة والاستخفاف بها.

وإذا تزوجت المرأة الرجل لأجل جماله، فهل يضمن الجمال للمرأة الحفاظ عليها وعلى حقوقها، وكذلك بالنسبة لصاحب المال والنسب وغير ذلك. وهذا هو مغزى قول الإمام الحسن بن علي عليه السلام حيث قال لرجل استشاره في تزويج ابنته: «زوجها من رجل تقي فإنه إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها»[1].

وأما بخصوص الشرطين فقد حثت الشريعة الإسلامية عليهما وعللت عدمهما بـ «الفتنة والفساد الكبير» فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته يخطب إليكم فزوجوه، أن لا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[2].

وقال إمامنا الرضا عليه السلام «إذا خطب إليك رجل رضيت دينه وخلقه فزوجه، ولا يمنعك فقره وفاقته». قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ

---

(١) م.ن.، ص ٢٨١.

(٢) م.ن.، ص ٢٨٠.

﴿كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾ وقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1].

ومما تقدم بعلم بأن المفاضلة إنما بالتقوى وليس بشيء آخر، قال رسول الله ﷺ: «إنما زوجت مولاي زيد بن حارثة زينب بنت جحش، وزوجت المقداد ضباعة بنت الزبير لتعلموا أن أكرمكم عند الله أحسنكم إسلاماً»[2]، ولأجل وجود شرط الدين نهى إمامنا علي بن موسى الرضا عليه السلام من تزويج شارب الخمر حيث قال: «إياك أن تزوج شارب الخمر فإن زوجته فكأنما قدت إلى الزنا»[3].

الصورة المثالية للزوجة المثالية:

يظهر من موارد متعددة أن الزوجة المثالية هي التي تتصف بالصفات التالية:

أولاً: أن تكون ذات دين.

ثانياً: أن تكون حسنة الخُلق.

ثالثاً: الحسنة الوجه.

رابعاً: القليلة المهر.

خامساً: الولود الودود.

سادساً: البكر العذراء. ومميزات أخرى ربما يتضمنها الكلام الآتي.

وليعلم بأنه إذا اجتمع الجمال مع الدين فنعماً هما، وإذا خير المرء بين جمع من الصفات وبين الدين فتقدم ذات الدين.

قال رسول الله ﷺ: «من تزوج امرأة لا يتزوجها إلا لجمالها لم ير فيها ما يحب، ومن تزوجها لمالها لا يتزوجها إلا وكله الله إليه، فعليكم بذات

---

(١) م.ن.

(٢) م.ن.، ص ٢٨١.

(٣) م.ن.

الدين»[1]، وقال إمامنا محمد الباقر ﷺ: «أتى رجل رسول الله ﷺ يستأمره في النكاح، فقال: نعم إنكح، وعليك بذوات الدين تربت يداك»[2].

وقال ﷺ: «لا تزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجهن على الدين»[3]. وقال ﷺ: «لا يختار حسن وجه المرأة على حسن دينها»[4]. وقال ﷺ: «تنكح المرأة على أربع خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها، فعليك بذات الدين»[5].

ومن الواضح جداً أن كل هذه الشروط إذا اجتمعت مع الدين فهي أفضل وإذا تخير بينها جميعها وبين الدين، أو بين بعضها وبين الدين فيقدم الدين طبعاً. وليعلم أن أكثر ما يرغب في الفتاة هذه الخلال الأربع وهي:

الخلة الأولى: المال.

الخلة الثانية: الجمال.

الخلة الثالثة: الحسب والنسب.

الخلة الرابعة: الدين.

ولا شك ولا ريب بأن الضمانة الوحيدة، والحصانة الفريدة، هي صفة «الدين» كما في الرجل. وعليه فالعامل المشترك للصورة النموذجية المثالية للزوج والزوجة هو «الدين».

---

(١) م.ن.، ص ٢٧٧.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) م.ن.

يبقى أن نشير إلى صفة العذراء وغير العذراء في إعطاء صورة نموذجية في الزوجة، فنلاحظ أن الروايات تحدثت عن ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: العذراء. وهي كلها للزوج.

الصنف الثاني: الثيب (غير العذراء). وهي لا عليه ولا له.

الصنف الثالث: التي يكون عندها ولد. وهي عليه لا له.

قال إمامنا الصادقعليه السلام: «النساء ثلاثة: فواحدة لك، وواحدة لك وعليك، وواحدة عليك لا لك، فأما التي هي لك فالمرأة العذراء، وأما التي هي لك وعليك فالثيب، وأما التي هي عليك لا لك فهي المتبع التي لها ولد من غيرك»[1].

ويمكن توجيه هذه الرواية بالتوجيهات الآتية:

التوجيه الأول: إن هذا خاص بالعزاب، أما المتزوج فيمكن تغير الحال معه. ولكن هذا مناف لإطلاق الكلام.

التوجيه الثاني: إن الثيب، وأم الولد هما قد أخذا نصيبهما من الزواج بينما العذراء لم تأخذ نصيبها بعد.

التوجيه الثالث: أن هذا كلام مصيب للواقع، ويصفه كما هو، حيث إننا نعلم وبالوجدان إن الفتاة العذراء أجلب لسعادة الرجل، وأنها لا تكلفه كثير مؤونة مثلما تكلف الثيب أو أم الولد.

التوجيه الرابع: إن هذا استتباع للنهي عن الطلاق ومبغوضيته.

ولا زلنا في أعصارنا هذه نتلمس هذا التقسيم للنساء حيث نرى زوجاً يكون له أولاد ثم يتزوج من أخرى عندها أولاد من زوج آخر ويتعاظم

---

(١) م.ن.

المشهد الأسري ويخلق أجواءً تحاسدية وتباغضية أليمة ومؤسفة.

إن السير الطبيعي للحياة يقتضي أن يتزوج الشاب من الفتاة العذراء وهكذا يكملان حياتهما بصورة طبيعية، وعلى أي فإنه يجوز مخالفة هذا الحديث والبناء على ما يعاكسه ويضاده ولكن الذي يجرب هذا الأمر سوف يخوض تجربة تؤكد له هذا التقسيم وهذا ما تظهره الأيام المتقادمة بلا شك ولا ريب.

ولا شك بأن الصورة القبيحة للمرأة التي يراد تزوجها تتجسد بالصفات الآتية:

١ ـ خضراء الدمن: وهي المرأة الحسناء في منبت السوء.

٢ ـ الحمقاء.

٣ ـ الشهبرة: وهي الزرقاء البذية.

٤ ـ اللهبرة: الطويلة المهزولة.

٥ ـ النهبرة: القصيرة الذميمة.

٦ ـ الهيدرة: العجوزة المدبرة.

٧ ـ اللفوت: ذات الولد من غير زوج.

٨ ـ العقوق: وهي التي تكون عاقة لزوجها.

٩ ـ العقيمة: التي لا تلد.

١٠ ـ الصخابة.

١١ ـ الولاّجة.

١٢ ـ الهمّازة.

١٣ ـ غير الصائنة لنفسها.

١٤ ـ زوجة السوء.

١٥ ـ المرأة غير الحصان.

١٦ ـ السلتاء: وهي التي لا تختضب لزوجها.

١٧ ـ المرهاء: وهي لا تكتحل لزوجها.

١٨ ـ المسوفة: وهي التي يدعوها زوجها للجماع فتقول سوف (أفعل).

المفسلة: وهي التي تدعي أنها حائض وهي غير حائض.

٢٠ ـ غير الحريصة على مال زوجها.

وطبعاً فإن ثمة صفات أكثر تدعو الرجل إلى عدم التزويج من المتوصفة بهذه الصفات، وكثير من هذه الصفات إنما سيقت لأجل «الزواج» وليس ذماً للمرأة حيث إنها إذا خلقت تكوينياً ببعض الصفات البدنية فلا ذنب لها، والعيب الكامن في المرأة يكمن فيما تنتجه أفعالها وفيما يصدر من أخلاقها.

أما الصورة التي خلقها الله عزَّ وجلَّ عليها فلا عيب فيها سيما وأنها لا إرادة لها في ذلك ولذلك يحرص على أن تكون ذات دين فإن كانت ذات دين فلا مشكلة بالقبح أو الجمال وغير ذلك بعد ذلك.

كيف تكون معاملة الزوج للزوجة؟؟

تنشأ بين الزوج والزوجة علاقة منذ الزفاف وهنا لا بدَّ من دراسة هذه المعاملة التي يجب على الزوج أن يتعامل بها مع زوجته، وذلك لأن هناك

ثمة ثلاثة أحتمالات وهي معايشة في عصرنا هذا تقريباً وهي:

الاحتمال الأول: أن يخضع الزوج لإرادة الزوجة مطلقاً سواء كان هذا الخضوع، لأوامر مباشرة من قبل الزوجة أو غير مباشرة.

الاحتمال الثاني: أن يقهر الزوج زوجته مطلقاً فلا تستطيع إبراز إرادتها وما ترغبه مطلقاً في ظل سطوته وجبروته.

الاحتمال الثالث: أن يعيشا معيشة يلفها الخصام والمشاكل والنزاع وما إلى ذلك نتيجة لعدم ترجيح أحدهما على الآخر.

ولكن هذا الذي يجري غير ملائم للعقل والشرع مطلقاً، وذلك لأن الإسلام يريد التعامل بين الزوجين أن يكون قائماً على:

١ ـ السكينة.

٢ ـ المودة والرحمة.

٣ ـ الوحدة والذوبان.

فلا وجود للقهر، والسطوة، والظلم، وعدم الاستقرار وغير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾[١].

بل إن الزوج يعتبر لباساً للزوجة والزوجة تعتبر لباساً للزوج، فكما أن اللباس يبقى ملازماً للمرء وملاصقاً به فكذلك الزوجة بالنسبة للزوج، والزوج بالنسبة للزوجة قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾[٢].

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

إن معاملة الزوج للزوجة لا بدَّ وأن تكون وفق النسق الآتي:

١ ـ الرحمة، أن يتعامل معها من منظار الرحمة. قال الإمام السجاد عليه السلام: «فإن لها عليك أن ترحمها»[١].

٢ ـ سد جوعتها.

٣ ـ ستر عورتها.

٤ ـ أن لا يقبِّح لها وجهاً. فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حق المرأة على زوجها يسد جوعتها وأن يستر عورتها ولا يقبّح لها وجهاً»[٢].

٥ ـ التعاطي معها على أساس أنها نعمة من الله عزَّ وجلَّ.

٦ ـ إكرامها.

٧ ـ الرفق بها. قال الإمام السجاد عليه السلام: «وأما حق الزوجة، فإن تعلم أن الله عزَّ وجلَّ جعلها لك سكناً وأنساً فتعلم أن ذلك نعمة من الله عليك فتكرمها وترفق بها»[٣].

٨ ـ المعاشرة الجميلة.

٩ ـ التوسيع عليها.

١٠ ـ الغيرة عليها بتعقل. فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن المرء يحتاج في منزله وعياله إلى ثلاث خلال يتكلفها وإن لم يكن في طبعه ذلك: معاشرة جميلة، وسعة بتقدير، وغيرة بتحصن»[٤].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٨٥.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.

١١ ـ الجهار بحبه لها. قال رسول الله ﷺ: «قول الرجل للمرأة إني أحبك لا يذهب من قلبها أبداً»[١].

١٢ ـ المغفرة لها والتسامح. فعن إسحاق بن عمار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «ما حق المرأة على زوجها الذي إذا فعله كان محسناً؟ قال: يشبعها ويكسوها، وإن جهلت غفر لها»[٢].

١٣ ـ التهيؤ لها: أي أن يتهيئ لها كما يحب أن تتهيئ له، فيظهر لها بمظهر تحبه هي، كما أنها تظهر له بمظهر يحبه هو، فعن الحسن بن الجهم قال: رأيت أبا الحسن عليه السلام ـ الكاظم عليه السلام ـ اختضب، فقلت جعلت فداك اختضبت؟ فقال: نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد ترك النساء العفة بترك أزواجهن التهيئة. ثم قال: أيسرك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على تهيئة؟ قلت: لا، قال: فهو ذاك»[٣].

١٤ ـ موافقتها ليجلب محبتها وهواها.

١٥ ـ حسن الخلق معها.

١٦ ـ استمالة قلبها بالهيئة الحسنة.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنى بالزوج عن ثلاثة أشياء فيما بينه وبين زوجته وهي الموافقة ليجتلب بها موافقتها ومحبتها وهواها، وحسن خلقه معها، واستعماله استمالة قلبها بالهيئة الحسنة في عينيها، وتوسعته عليها»[٤].

---

(١) م.ن.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.

١٧ ـ مساعدتها في شؤون المنزل قال رسول الله ﷺ: «لا يخدم العيال إلا صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة»[١].

١٨ ـ إطعامها بيده وسقايتها كذلك: قال رسول الله ﷺ: «إذا سقى الرجل امرأته أجر»[٢]، وقال ﷺ: «إن الرجل ليؤجر في رفع اللقمة إلى فِي امرأته»[٣].

١٩ ـ الجلوس معها: قال ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحب إلى الله تعالى من اعتكاف في مسجدي هذا»[٤].

٢٠ ـ عدم أذيتها وضربها والإضرار بها. قال ﷺ: «ألا وإن الله ورسوله بريئان ممن أضر بامرأة حتى تختلع منه»[٥]. وقال ﷺ: «إني لأتعجب ممن يضرب امرأته، وهو بالضرب أولى منها»[٦].

٢١ ـ الصبر على سوء خلقها، قال ﷺ: «من صبر على سوء خلق امرأته واحتسبه أعطاه الله بكل مرة يصبر عليها من الثواب ما أعطى أيوب ﷺ على بلائه»[٧].

وغير ذلك من حسن المعاملة مع الزوجة كثير لا يسع المجال لذكر المزيد.

إن ما يؤسف حقاً هو أن كثيراً من الأزواج يطيعون زوجاتهم على

(١) م.ن.، ص ٢٨٦.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.، ص ٢٨٧.
(٤) م.ن.
(٥) م.ن.
(٦) م.ن.
(٧) م.ن.، ص ٢٨٨.

حساب معصية الله عزَّ وجلَّ خالق الخلائق أجمعين، ولهذا ورد الذم والقدح الكبيرين بحق الزوج المطيع لزوجته على حساب معصية الله عزَّ وجلَّ.

ولهذا نرى في عصرنا هذا أن الزوج يهيئ لزوجته كل أجواء الفساد، فيشتري لها من ماله لباساً فاضحاً رقيقاً، ويشتري لها من ماله كل وسائل الإغراء والفساد، ويستجيب لدعوتها له إذا دعته إلى حفل فساد، ومجلس خمر، ومحفل رقص وغناء، ولقد ثبت بالوجدان أن تكرار طاعة المرأة يؤدي إلى الانحراف لأن رغباتها لا تقف عند حد فإذا ما أطاعها الرجل في المعروف قد تجره إلى المنكر من حيث لا يدري، ولا نسيئ الظن بالمرأة هاهنا ولكن لا يستثنى من ذلك إلا المؤمنات العفيفات الطاهرات. وفي ذلك قال أمير المؤمنين ﷺ: «اتقوا شرار النساء وكونوا من خيارهن على حذر إن أمرنكم بالمعروف فخالفوهن كيلا يطمعن منكم في المنكر»[١]، وقال ﷺ: «من أطاع امرأته أكبه الله على وجهه في النار، قال: وما تلك الطاعة؟ قال: تطلب إليه الثياب الرقاق فيجيبها»[٢] وهذه الرواية نقلها الإمام الصادق ﷺ. وقال أمير المؤمنين ﷺ: «كل امرئ تدبرة امرأة فهو ملعون»[٣] وبالطبع المراد بالمرأة هنا المرأة السيئة لا المؤمنة.

كيف تكون معاملة الزوجة للزوج؟

لا بد أن تكون معاملة الزوجة للزوج قائمة على:

١ ـ المودة والرحمة.

٢ ـ الأنس.

---

(١) م.ن.، ص ٢٩٠.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.

٣ ـ الإنسياب.

٤ ـ الترويح.

٥ ـ السكينة.

وبالحق فإن نجاح وفشل الزوج في مهامه دائر مدار حسن معاملة الزوجة وسوء معاملتها.

إذ إن الزوجة التي تحسن المعاملة مع زوجها تعمل على سبيلين اثنين:

السبيل الأول: إذا كان الزوج سيئاً فإنها تجعله حسناً.

السبيل الثاني: إذا كان الزوج حسناً فإنها تجعله أحسن.

ولا ريب بأن كل مؤونة زائدة تبذلها المرأة في حسن المعاملة مع زوجها فإن ذلك سيؤدي إلى زيادة في نجاح الزوج ومن خلاله نجاح الأمة، ألم نرَ كيف أن المشقة التي تحملتها خديجة بنت خويلد في سبيل النبي ﷺ ومن خلاله في سبيل الإسلام كيف جعلته ﷺ ينجح في مهامه ومن خلاله نجحت الأمة وارتفع شأن الإسلام. وكذلك ما فعلته السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام كابنة مع أبيها ﷺ، وكزوجة مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن هذا الفعل أدّى إلى نجاح الإثنين عليهما السلام وإلى نجاح الأمة ونجاح الإسلام في الانتشار.

إن علاقة الزوجة بالزوج ينبغي أن تتصف زيادة على ما مر بالآتي:

١ ـ رضى الزوج وعدم إغضابه. قال رسول الله ﷺ: «ويل لامرأة أغضبت زوجها وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها»[(١)].

٢ ـ صيانة نفسها من كل دنس.

---

(١) م.ن.، ص ٢٨٣.

٣ ـ حياطة زوجها.

٤ ـ إظهار العشق له.

٥ ـ الكلام الطيب.

٦ ـ الهيئة الحسنة له.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها من ثلاث خصال وهن: صيانة نفسها عن كل دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفاً عليها عند زلة تكون منها، وإظهار العشق له بالخلابة، والهيئة الحسنة لها في عينه»[1].

٧ ـ حسن التبعل. قال إمامنا الكاظم عليه السلام: «جهاد المرأة حسن التبعل»[2].

٨ ـ خدمة زوجها بإرادتها لا قهراً. فقد سألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وآله عن فضل النساء في خدمة أزواجهن؟ فقال: أيما امرأة رفعت من بيت زوجها شيئاً من موضع إلى موضع تريد به صلاحاً إلا نظر الله إليها، ومن نظر الله إليه لم يعذبه»[3]، وقال صلى الله عليه وآله: «أيما امرأة خدمت زوجها سبعة أيام أغلق الله عنها سبعة أبواب من النار وفتح لها ثمانية أبواب الجنة تدخل من أيّها شاءت»[4].

٩ ـ إكرام الزوج وعدم غمه وجلب الأذية له. قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «ملعونة ملعونة امرأة تؤذي زوجها وتغمه، وسعيدة سعيدة

---

(١) م.ن.، ص ٢٨٤.

(٢) م.ن.، ص ٢٨٦.

(٣) م.ن.

(٤) م.ن.

امرأة تكرم زوجها ولا تؤذيه وتطيعه في جميع أحواله»[1]. وقال رسول الله ﷺ: «من كان له امرأة تؤذيه لم يقبل الله صلاتها ولا حسنة من عملها حتى تعينه وترضيه وإن صامت الدهر... وعلى الرجل مثل ذلك الوزر إذا كان لها مؤذياً ظالماً»[2].

١٠ ـ الصبر على سوء خلق الزوج، قال رسول الله ﷺ: «من صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها مثل ثواب آسية بنت مزاحم»[3].

١١ ـ أن لا تستغل حبه لها لبعثه على المعصية.

١٢ ـ أن تحفظ ولده وماله.

١٣ ـ أن تحفظه في غيبته.

١٤ ـ أن تكون فراشاً له في أوان رغبته.

١٥ ـ أن لا تخرج من البيت دون أذنه.

وبالعموم أن تكون زوجة صالحة فقد قال رسول الله ﷺ: «خير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[4]، وقال ﷺ: «من سعادة المرء الزوجة الصالحة»[5]، وفي مقابل الزوجة الصالحة، لا بدَّ أن تحترز المرأة من أن تكون زوجة سوء قال ﷺ: «شر الأشياء المرأة السوء»[6]، وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «كان من دعاء رسول الله ﷺ: أعوذ بك من امرأة تشيبني قبل مشيبي»[7].

---

(١) م.ن.، ص ٢٨٧.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.، ص ٢٨٨.
(٤) م.ن.
(٥) م.ن.
(٦) م.ن.، ص ٢٨٩.
(٧) م.ن.

١٦ ـ أن تكون عزيزة عند أهلها، ذليلة عند زوجها.

١٧ ـ أن تكون متبرجة مع زوجها، متحصنة على غيره.

١٨ ـ أن تبذل له كل ما يريده خلا ما يكون في معصية الله عزَّ وجلَّ، فعن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: «إن خير نسائكم الولود والودود العفيفة، العزيزة في أهلها الذليلة مع بعلها المتبرجة مع زوجها الحصان على غيره التي تسمع قوله وتطيع أمره وإذا خلا بها بذلت له ما يريد»[(١)].

١٩ ـ الخالعة للحياء مع زوجها اللابسة له مع غيره: فعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خير نسائكم التي إذا خلت مع زوجها خلعت له درع الحياء وإذا لبست، لبست معه درع الحياء[(٢)].

٢٠ ـ أن تكون هينة.

٢١ ـ أن تكون لينة.

٢٢ ـ أن تكون مؤاتية.

٢٣ ـ أن لا تكتحل بغمض العين حتى يرض زوجها.

٢٤ ـ أن تكون طيبة الريح.

٢٥ ـ أن تكون طيبة الطبيخ.

٢٦ ـ أن تكون منفقة بمعروف وممسكة بمعروف.

فعن أبي الحسن الرضا عليه السلام: قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «خير نسائكم الخمس فقيل: وما الخمس، قال: الهينة اللينة المؤاتية، التي إذا غضب زوجها لم تكتحل بغمض حتى يرض، وإذا غاب عنها زوجها حفظته

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص ٢٩.

(٢) م.ن.

في غيبته. فتلك عامل من عمال الله وعامل الله لا يخيب»[1]، وعن أبي عبد الله الصادقعليه السلام: «خير نسائكم الطيبة الريح الطيبة الطبيخ التي إذا أنفقت أنفقت بمعروف وإن أمسكت أمسكت بمعروف»[2].

الحث على الزواج وكراهية العزوبة:

إن قانون الزواج مما رغّب به العقل والشرع على حد سواء، قال الإمام الرضاعليه السلام: «لو لم تكن في المناكحة آية منزلة ولا سنة متبعة، لكان ما جعل الله فيه من بر القريب وتألف البعيد، ما رغب فيه العاقل اللبيب وسارع إليه الموفق المصيب»[3].

والقرآن الكريم صرَّح بهذا الاستحباب حيث قال: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[4]. وصرَّح القرآن بأن الزواج من سنن النبيين حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾[5].

والأحاديث الشريفة صرَّحت بذلك أيضاً، فقد قال رسول اللهصلى الله عليه وآله: «من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهراً فليلقه بزوجة»[6]، وقالصلى الله عليه وآله: «ما بني في الإسلام بناء أحب إلى الله عزَّ وجلَّ وأعز من التزويج»[7]. وقالصلى الله عليه وآله:

---

(١) م.ن.
(٢) م.ن.
(٣) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٧٠.
(٤) سورة النور، الآية: ٣٢.
(٥) سورة الرعد، الآية: ٣٨.
(٦) ميزان الحكمة، ج٤، ص ٢٧١.
(٧) م.ن.

«من نكح لله وأنكح لله استحق ولاية الله». ، وقال ﷺ: «النكاح سنتي فمن لم يعمل بسنتي فليس مني»[1]. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «تزوجوا فإن رسول الله ﷺ كثيراً ما كان يقول: من كان يحب أن يتبع سنتي فليتزوج . فإن من سنتي التزويج»[2]. وورد أن امرأة سألت أبا جعفر ـ الباقر ـ عليه السلام فقال: «أصلحك الله إني متبتلة فقال لها: وما التبتل عندك؟ قالت لا أريد التزويج أبداً، قال: ولم؟ قالت: ألتمس في ذلك الفضل، فقال: انصرفي فلو كان في ذلك فضل لكانت فاطمة عليها السلام أحق به منك، إنه ليس أحد يسبقها إلى الفضل»[3].

وفي قبال استحباب ومرغوبية الزواج ورد كراهية العزوبة، فقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «شرار مواتام العزاب»[4]، وقال ﷺ: «رذال موتاكم العزاب»[5]، وقال ﷺ: «شراركم عزابكم، ركعتان من متأهل خير من سبعين ركعة من غير متأهل»[6].

وليعلم بأن عدم الزواج إذا أدى إلى الفساد فإن الزواج يصبح واجباً وتاركه يصبح مذنباً، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال لرجل اسمه عكاف: «ألك زوجة؟ قال: لا يا رسول الله، قال: ألك جارية؟ قال: لا يا رسول الله، قال: فأنت موسر؟ قال: نعم، قال: تزوج وإلا فأنت من المذنبين»[7].

---

(١) م.ن.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن. ، ص ٢٧٤.
(٤) م.ن. ، ص ٢٧٥.
(٥) م.ن.
(٦) م.ن.
(٧) م.ن.

ويرد على استحباب الزواج إشكال مفاده: إن الله عزَّ وجلَّ مدح نبيه يحيى بن زكريا عليه السلام في القرآن بوصفه أنه لا يتزوج ولا يأتي النساء وذلك بقوله تعالى: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾[1].

وهذا يعني أن الزهد في الزواج أمر مطلوب والدليل عليه أن نبياً من أنبياء الله عزَّ وجلَّ كان زاهداً في الزواج وكذا غيره من الأنبياء عليهم جميعاً سلام الله.

والجواب عن هذا الإشكال يتوضح بالآتي:

١ ـ أن الزهد في النكاح كان في عصر النبي يحيى عليه السلام أمر محبذاً بخلاف عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما بعده.

٢ ـ إنما سمي حصوراً لأنه زهد في كثير من الأمور وليس خصوص النكاح «فلعله أنه إنما سمي حصوراً لأجل مجموع هذه الصفات وليس للنكاح خاصة. وإذا أدخل الإحتمال بطل الاستدلال»[2].

٣ ـ إن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله وكذا فعل الأئمة عليهم السلام وأقواهم يكفي في استحباب الزواج وعدم كونه زهداً، أما مدح النبي يحيى عليه السلام بكونه حصوراً وزاهداً في النكاح إنما ينبغي تأويله تأويلاً مطابقاً لما ذُكر.

٤ ـ «إننا نلاحظ من الآية الكريمة بوضوح: أن الموصوف بالحصر عن الزواج هو نبي من الأنبياء وليس فرداً عادياً، وهذا يدعم الفكرة القائلة: إن حصر النفس والضغط عليها وتعويدها على المصاعب، ليس تكليفاً عاماً لا وجوباً ولا استحباباً. بل هو تكليف للخاصة من الناس ممن فهم الهدف الأعلى في الإيمان وأراد استهدافه والسعي في سبيله، عندئذ يتعين عليه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٩.

(٢) فلسفة وأخلاقية الزواج، ص ١٤.

الزهد حتى في النكاح إن استطاع إلى ذلك سبيلاً ولم يلزم منه الوقوع في الحرام. أعاذنا الله تعالى»[1].

ولكن يكفينا كمسلمين أن نعلم بأن نبينا ﷺ كان متزوجاً وكذا الأئمة عليهم السلام وكذا فاطمة الزهراء عليها السلام وكذا الصحابة الخلص. ونحن مأمورن باتباع نبينا ﷺ وشريعته الغراء، ولو كان يحيى وعيسى في عصر نبينا ﷺ وعصر الأئمة عليهم السلام لكان عليهما أن يتزوجا ويكثرا من التزويج أيضاً.

وقد يرد على استحباب التزويج إشكال آخر مفاده: إن المعسر ماذا يفعل؟

والجواب من جهتين:

الجهة الأولى: إن الزواج قانون عام ولا يضيره الاستثناء.

الجهة الثانية: إن الزواج يزيد في الرزق وهذا ما سيأتي.

أهداف الزواج:

إن أهداف الزواج كثيرة وجمة، قد يكون بعضها معروفة لدينا، وقد يكون بعضها الآخر خافياً علينا، وما علمناه منها هو التالي:

١ ـ لأجل تحمل المسؤولية والجدية في الحياة.

٢ ـ لأجل حفظ النوع وتكثير النسل. قال أبو عبد الله عليه السلام: إن رسول الله ﷺ قال: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم غداً في القيامة»[2].

٣ ـ تكثير الموحدين. فعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً لعل الله يرزقه نسمة تثقل الأرض بلا إله إلا الله»[3].

---

(١) م.ن.

(٢) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص ١٤.

(٣) م.ن.

٤ ـ حفظ دين المتزوج: فعن كليب بن معاوية الأسدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من تزوج أحرز نصف دينه»[١].

■ ـ القضاء على الفساد. ولأجل ذلك اعتبر العزاب من شرار الأمة. ولأجل ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله لعكاف: «تزوج وإلا أنت من المذنبين».

٦ ـ سعة الرزق. فعن ابن القداح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء إلى أبي رجل فقال له: هل لك من زوجة. قال: لا. فقال أبي: ما أحب أن لي الدنيا وما فيها وإني بت ليلة وليس لي زوجة. ثم قال: الركعتان يصليهما رجل متزوج أفضل من رجل أعزب يقوم ليله ويصوم نهاره. ثم أعطاه سبعة دنانير ثم قال: تزوج بهذه. ثم قال أبي: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اتخذوا الأهل فإنه أرزق لكم»[٢].

ويكفي في التصريح بكون الزواج يزيد في الرزق قوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[٣].

٧ ـ تحصيل الأفضلية في العبادة. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المتزوج النائم أفضل عند الله من الصائم القائم العزب»[٤]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «ركعتان يصليهما متزوج أفضل من سبعين ركعة يصليهما غير متزوج»[٥].

٨ ـ تحصيل الراحة والسكينة. قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾[٦].

٩ ـ تحصيل متاع الدنيا. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «خير متاع الدنيا المرأة

---

(١) م.ن.، ص ١٧.
(٢) م.ن.، ص ١٥.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٢.
(٤) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص ١٩.
(٥) م.ن.
(٦) سورة الروم، الآية: ٢١.

الصالحة»، وقال ﷺ: «من سعادة المرء الزوجة الصالحة»[1].

١٠ ـ تقريب البعيد وبر القريب: قال إمامنا الرضا عليه السلام: «لو لم تكن في المناكحة أية منزلة ولا سنة متبعة، لكان ما جعل الله فيه من بر القريب وتألف البعيد، ما رغب فيه العاقل اللبيب وسارع إليه الموفق المصيب»[2].

١١ ـ إحياء سنة النبي ﷺ قال ﷺ: «النكاح سنتي فمن أحب فطرتي فليستن بسنتي»[3].

١٢ ـ بناء أحب الأبنية إلى الله عزَّ وجلَّ: فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بني بناء في الإسلام أحب إلى الله عزَّ وجلَّ من التزويج»[4].

١٣ ـ حصانة الإناث من التلف والفساد: فعن الإمام علي الرضا عليه السلام أنه قال: «نزل جبرائيل على النبي ﷺ فقال: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام، ويقول: إن الأبكار من النساء بمنزلة الثمر على الشجر فإذا أينع الثمر فلا دواء له إلا اجتنائه وإلا أفسدته الشمس، وغيّرته الريح، وإن الأبكار إذا أدركن ما تدرك النساء فلا دواء لهن إلا البعول، وإلا لم يؤمن عليهم الفتنة، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فجمع الناس ثم أعلمهم ما أمر الله عزَّ وجلَّ به»[5].

١٤ ـ إشباع الرغبة الجنسية الغريزية بطريق حلال.

١٥ ـ التناغم والسير مع الطبيعة البشرية القائمة على الزواج حيث أن

---

(١) وسائل الشيعة، ج٢٠، ص ٤١.
(٢) ميزان الحكمة، مادة الزواج.
(٣) م.ن.
(٤) م.ن.
(٥) م.ن.

الذي لا يتزوج هو في الحقيقة يتصادم مع الطبيعة البشرية القائمة أصلاً على الزواج والارتباط.

الزوجة والغيرة:

إن الغيرة موجودة عند كل إنسان ولكنها على نحوين:

النحو الأول: الغيرة العادية والتي تبدو طبيعية وهادئة.

النحو الثاني: الغيرة القلقة وغير العادية والمستهجنة.

وبالحقيقة فإن الغيرة من النحو الأول لا تستطيع المرأة قلعها من صقع النفس لأنها من طبعها، نعم يمكن تخفيفها خاصة مع وجود عامل «الثقة»، بينما الغيرة من النحو الثاني لا بدَّ من قلعها لأنها ليست من الغيرة بشيء إنما هي «تهمة وسوء ظن» بلا شك فترى الزوجة ـ ذات الغيرة من النحو الثاني ـ تغار على زوجها في كل شيء، فمجرد أن يخرج فإن سوء الظن يتعلق به، وإذا ما وجدت في لباسه شيء فتتهمه بشيء، وإذا ما التفت يميناً وشمالاً فكذلك، وبالمحصلة فإن غيرتها بل سوء ظنها يتحقق بمجرد أن يغيب زوجها عن ناظريها.

ولا أدري لماذا هذه الغيرة القاتلة طالما أنها لا تثق بزوجها، وتخلق له من جراء غيرتها هذه مشاكل جمة!!

لا شك بأن من يغار على الآخر فهذا يعني أنه يحبه. ولكن الغيرة القلقة والزائدة والمستهجنة لا تعبر عن الحب بل تعبر عن «عدم الثقة» و«سوء الظن» الأمر الذي سيؤدي أخيراً إلى انفجار من قبل الزوج يقرر من خلاله طلاقها طلباً للراحة.

إن الزوجة الصالحة لا بد وأن تكون غيرتها بحدود طبعها بل لا بدَّ من

تخفيف وطأة الغيرة الطبيعية بعامل «الثقة والاطمئنان»، إننا وفي هذا العصر نشهد مشهدان:

المشهد الأول: الزوج الذي لا يستطيع التحرك أمام زوجته خشية نقمتها عليه لأنها تغار.

المشهد الثاني: الزوجة التي تفعل ما يحلو لها مع الرجال، والويل للزوج إذا أعلن غيرته عليها، لأنه رأساً يتهم بأنه «معقد» و«متخلف» فيكون سكوت الرجل وعدم إعلان غيرته وبالتالي أخذ الزوجة حريتها في التعاطي مع الرجال ضريبة لتبرئته من تهمة «التخلف».

إن الغيرة المفرطة غير صحيحة من كليهما ـ الزوج والزوجة ـ لأنها تؤدي إلى الهدم والتدمير بلا شك، نعم ينبغي لغيرة الرجل أن تكون متقدمة على غيرة المرأة لأسباب وأسباب.

وعلى أي فإن الغيرة المفرطة والمستهجنة من قبل المرأة تؤدي إلى سلبيات خطيرة ومنها:

السلبية الأولى: عدم الراحة والقلق الدائم.

السلبية الثانية: إنها تؤدي إلى سوء الظن وعدم الثقة.

السلبية الثالثة: إنها توقع المرأة في المحذور الذي ظنت عدم الوقوع فيه بغيرتها، وذلك لأن الزوج ومع هذه الغيرة الشديدة ومع الاتهامات الموجهة إليه من قبل الزوجة يعمد إلى تطبيق ما تتهمه به الزوجة تعبيراً عن سخطه ونقمته عليها.

السلبية الرابعة: إن غيرة المرأة تتحول إلى سلاح بيد الزوج القوي والمستغني فيستخدمه ضدها، فيفعل أموراً وأمور تجعلها تفرط في الغيرة أكثر.

السلبية الخامسة: إن هذه الغيرة تعزز ثقة الزوج بنفسه أكثر فيتجاوز زوجته ويعلن استغنائه عنها لأنه يستحق الأفضل منها.

السلبية السادسة: إن الغيرة تزيد من مشاكل البيت الزوجي، وذلك لأن البيت الزوجي لا يخلو من مشاكل فتأتي الغيرة لتخلق مشكلة جديدة منضمة مع تلكم المشاكل بل ربما تقوم الغيرة بدور «الإشعال».

وكما أن الغيرة المفرطة من المرأة غير سليمة فكذلك من الرجل لأنها تؤدي إلى نفس السلبيات تقريباً.

أما لماذا لا بدَّ أن تكون الغيرة المتعقلة عند الرجل أزيد من غيرة المرأة؟

الجواب فيما يلي:

أولاً: لأن الزوجة أمانة عند الزوج فيغار عليها لحفظها.

ثانياً: لأن المرأة عليها أن تتحصن خارجاً، وعليها أن تكون محجبة فتأتي الغيرة من قبل الرجل لضمان هذه الأمور.

ثالثاً: لأن الرجل الذي لا يغار على زوجته يعتبر عند الناس غير آبه بحفظ زوجته، وعند ذلك يُتسنى الاعتداء على زوجته بكل سهولة، بل يتسنى لزوجته ـ إذا كانت سيئة طبعاً ـ أن تقيم علاقات خارجية مع الرجال الأجانب.

رابعاً: إن الرجل الزوج إذا كان يغار على زوجته فهذا أمر حسن لأنها لا تجوز لها تزوج غيره، بينما المرأة لا يصح أن تغار عليه غيرة مفرطة لأنه يجوز له الزواج من غيرها.

خامساً: لقد ثبت بالوجدان أنه وبسبب غيرة الرجال على النساء فإن المجتمع أضحى سليماً من «الفساد» بينما وبسبب عدم الغيرة أضحى المجتمع غير سليم من الفساد والآفات.

الأم

بعد أن تمر الفتاة بمراحل متعددة هي:

١ ـ الوليدة.

٢ ـ الربيبة والمكلفة.

٣ ـ الزوجة.

تصبح أماً عندما تنجب أولاداً ذكوراً وإناثاً، والأمومة كما هو معلوم هي مرحلة تكاملية مهمة جداً عملياً.

وتحظى الأم بمكانة عالية جداً عرفاً وعقلاً وشرعاً، وما من أمة من الأمم إلا وتولي الأمومة أهمية خاصة بل شديدة الخصوصية.

وفي الشرع الإسلامي فإن للأم تلك المنزلة المميزة، وقد استعرضنا سابقاً الآيات القرآنية المتعلقة بالأم وسنحاول الآن إبراز الكلام حول الأم من خلال الروايات الشريفة عن المعصومين ﷺ، ومن خلال الاستشهاد ببعض الحوادث، وكذا من خلال بعض الآراء حول هذا الموضوع.

فلا ريب بأن المرأة تارة تكون مخاطبة خطاباً فردياً حينما تكون من دون زوج، وأخرى تخاطب خطاباً ثنائياً حينما تكون متزوجة، وثالثة تخاطب خطاباً أسرياً حينما تكون أماً.

وعادة ينظر إلى الأم نظرة عادية حيث إنها تنجب أولاداً وتعمل على تربيتهم.

والصحيح أن هذه النظرة هي نظرة ناقصة، وذلك لأن الأم من ناحية ارتباطها بالأسرة لها عنوانان:

العنوان الأول: هو عنوان الأم العادية والتي تقوم بدور الاهتمام بالأسرة من ناحية الطعام، واللباس، وتدبير المنزل، والحفاظ على سلامة الأسرة، والسهر على الطفل حتى ينمو ويشتد عوده، والحرص الشديد على كامل أسرتها من ناحية القلق على الغائب حتى يرجع، وعلى الجائع حتى يأكل، وعلى المديون حتى يقضي دينه وما شاكل.

العنوان الثاني: هو عنوان الأم الرسالية، وهذه الأم ليست أما عادية كباقي الأمهات، بل هي أم رسالية بمعنى أنها تعي وجودها، وتعي حركة الحياة، وتمتلك قدرة وافية وكافية على فهم الخطاب الدنيوي، والخطاب الأخروي، فهي تعمل على القيام بمهام الأمومة لا على صعيد دنيوي فحسب، بل على صعيد أخروي أيضاً، فتقوم بمهمة توعية الأبناء توعية أخروية جنباً إلى جنب مع التوعية الدنيوية، وتدفع بأولادها إلى ساحات الصراع بين الحق والباطل، بين الإسلام والكفر وتضع أولادها خلال مفاصل ومفارز الاستحقاقات الحياتية العظيمة.

وهذا العنوان أي عنوان الأم الرسالية تمتلكه أمهات هن على كامل الوعي والإرادة وهذا معنى قول الإمام الخميني: «من حضن المرأة، يذهب الرجل إلى المعراج»[1].

وبتقديري فإن الأم إما تكون أماً بالعنوان الأول، وإما تكون أماً

(١) صحيفة النور، ج٦، ص ١٩٤.

بالعنوان الثاني، أما إذا كانت خالية من هذين العنوانين فتكون المرأة غير لائقة لمقام الأمومة.

فثمة أمهات يحرصن ويبحثن عن مستقبل أولادهن الدنيوي ولا يهمهم مستقبلهم الأخروي وهذا ليس حرصاً من الأم على الأولاد بل هذا تحطيم لمستقبلهم، وهذا ما نلاحظه فعلاً فترى بعض الأمهات يبعدن أولادهم عن مظان الطاعة، وعن المساجد والحسينيات خشية عليهم من الدخول في معترك الجهاد، فإذا بأولادهن يخوضون في معتركات الفساد وفي هذا تحطيم لحياتهم ولما يكون بعد مماتهم، وترى بعض الأمهات يدفعن ببناتهن للزواج من الثري الفاسق أو المخالف لمذهب أهل البيت ﷺ، أو للمشرك المكابر لأن عنده المال والجاه بينما يرفضن تزويج بناتهن من المؤمن العفيف والصادق، والموالي لأهل البيت ﷺ، والأمهات بهذا العمل يتراءى لهن أن لبناتهن في ذلك مصلحة، وتكون النتيجة خسران الدنيا والدين.

وإذا كانت الشريعة تدعو إلى عدم تزويج البنت لشارب الخمر لأن ذلك بمثابة دعوتها إلى الزنا، فكيف إذا زوجت البنت التابعة لمذهب أهل البيت ﷺ إلى الفاسق أو المخالف، أو المشرك الكافر، وقد سمعنا ونحن نكتب هذه الكلمات أن وجيهاً سياسياً يدعي الانتساب لمذهب أهل البيت ﷺ قد زوج ابنته الوحيدة لرجل مشرك فإلى الله المشتكى وعليه المعول في الشدة والرخاء.

وبالعودة إلى الأم فعلى الأم أن تقوم بواجبها تجاه أولادها ومن أهم الواجبات الحفاظ على دينهم قبل دنياهم.

إن الأم هي صاحبة المنزلة العلية جداً في الإسلام، فقد قال رسول الله ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»[1]، وعن أبي أمامة أن رجلاً

(١) ميزان الحكمة، ج١٠، ص ٧١٢.

قال يا رسول الله ما حق الوالدين على ولدهما؟ قال: «هما جنتك ونارك»[1].

وعن موسى ﷺ أنه قال: «يا رب! أوصني؟ قال: أوصيك بي، قال: فقال: رب أوصني؟ قال: أوصيك بي ـ ثلاثاً ـ قال: يا رب أوصني؟ قال: أوصيك بأمك، قال: يا رب أوصني، قال: أوصيك بأمك، قال: يا رب أوصني؟ قال: أوصيك بأبيك»[2].

وورد أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أباك»[3].

وعن سعيد بن المسيب قال: قال عمر كنا مع رسول الله ﷺ على جبل فأشرفنا على وادٍ فرأيت شاباً يرعى غنماً له أعجبني شبابه فقلت: يا رسول الله! وأيّ شاب لو كان شبابه في سبيل الله؟ فقال النبي: «يا عمر! فلعله في بعض سبيل الله وأنت لا تعلم، ثم دعاه النبي ﷺ فقال: يا شاب! هل لك من تعول؟ قال: نعم، قال: من؟ قال: أمي، فقال النبي ﷺ: إلزمها فإن عند رجليها الجنة»[4].

وورد أنه جاء رجل وأمه إلى النبي ﷺ وهو يريد الجهاد وأمه تمنعه، فقال النبي ﷺ: «عند أمك قرّ وإن لك من الأجر عندها مثل ما لك في الجهاد»[5].

وورد أن رسول الله ﷺ أنه قال: «بينا أنا في الجنة إذ سمعت قارئاً،

---

(١) م.ن.، ص ٧٠٨.

(٢) م.ن.، ص ٧١٢.

(٣) م.ن.

(٤) م.ن.

(٥) م.ن.، ص ٧١٣.

فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثة بن النعمان، فقال رسول الله ﷺ: كذلك البر، كذلك البر، وكان أبر الناس بأمه»[١].

وورد أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما من عمل قبيح إلا قد عملته فهل لي من توبة؟ فقال له رسول الله: «فهل من والديك أحدٌ حي؟ قال: أبي، قال: فاذهب فبرّه. قال: فلما ولى، قال رسول الله: لو كانت أمه»[٢].

يعني لو كانت أمه حية لكان برها أرجى للتوبة. والتوبة ببر الأب مرجوة ومحققة، ولكنها ببر الأم أرجى.

ولا ريب بأن للأم خصائصاً تستقل بها عن الرجل في فضلها على الأولاد، ومن هذه الخصائص:

أ ـ الالتصاق الجسدي حال كون الطفل جنيناً.

ب ـ الملازمة بين الأم وطفلها.

ج ـ إن المرأة تضع الطفل بألم ومشقة، بينما الرجل يضعه شهوة.

د ـ إن الأم يكون كل اهتمامها بطفلها، بينما يكون الاهتمام الأبوي به جزئياً عدا ما يستثنى. وغير ذلك من الخصائص.

قال الإمام علي بن الحسين عليه السلام: «أما حق أمك فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحد أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظللك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد، لتكون لها، فإنك لا تطيق شكرها إلا بعون الله وتوفيقه»[٣].

---

(١) م.ن.

(٢) م.ن.، ص ٧١٤.

(٣) م.ن.، ص ٧١٢.

وعن إبراهيم بن مهزم قال: خرجت من عند أبي عبد الله عليه السلام ليلة ممسياً فأتيت منزلي بالمدينة وكانت أمي معي، فوقع بيني وبينها كلام فأغلظت لها، فلما أن كان من الغد صليت الغداة وأتيت أبا عبد الله عليه السلام فلما دخلت علية قال لي مبتدئاً ـ يعني علم الإمام الصادق عليه السلام بقصة مهزم من دون أن يخبره بذلك عن طريق الغيب ـ: «يا مهزم مالك ولخالدة أغلظت في كلامها البارحة؟ أما علمت أن بطنها منزل قد سكنته، وأن حجرها مهد قد غمزته، وثديها وعاء قد شربته؟؟! قال: قلت: بلى، قال: فلا تغلظ لها»[1].

إن أكثر ما يدل على أن الأم هي موجود استثنائي له كامل العظمة، ومبلغ التقدير، هو ما عرفناه عن نموجين اثنين خلقهما الله عزَّ وجلَّ، وجعلهما من أرقى البشر، وبالطبع فإن أحد النموذجين أفضل وأكمل من الآخر، وهذان النموذجان هما:

الأول: السيدة مريم بنت عمران، والتي شرف الله عزَّ وجلَّ بها نبياً من الأنبياء عليهم السلام، وهو عيسى عليه السلام، حيث إن النبي عيسى عليه وعلى نبينا محمد وآله أفضل الصلاة والسلام ينتسب إلى أمه.

الثاني: السيدة العظيمة والطاهرة المطهرة فاطمة بنت محمد الزهراء عليها وعلى محمد وآله الصلاة والسلام.

وبالطبع فهي أرقى شأناً، وأرفع منزلة من مريم كما دلت الأخبار، وكما دل الوجدان وسيرتها العطرة. حيث إن اتصال النبوة بالإمامة كان عبرها وبواسطتها عليها أفضل الصلاة والسلام، وانتساب الأئمة عليهم الصلاة والسلام بالنبي صلى الله عليه وآله كان بواسطتها عليها أفضل الصلاة والسلام.

لا ريب بأن علاقة الأبناء مع الأمهات بالحد الأدنى لا بدَّ من أن تكون علاقة الإحسان، وبالحد الأرقى علاقة الإكرام.

---

(١) م.ن.، ص ٧١٣ ـ ٧١٤.

ومن يفهم حقيقة ما تفعله الأم، وطبيعة دورها فإنه لا يبارح أمه على الإطلاق، وفمه لا ينزاح عن يدها بالكلية، وخجله قدامها يبقى قائماً، ولسانه بشكرها يبقى لهجاً، ألا ترى أن وظيفتها معك لا يحل أحدٌ مكانها، بينما كل وظائف الدنيا يمكن أن يكون هناك ثمة بديل عنها!!

ألا ترى أن أمك ربتك وهي تدعو لك بالحياة، بينما تهتم بها أنت ـ هذا إذا اهتممت بها ـ وتتمنى لها الموت ليس كرهاً بها بل لأجل راحتها من آلام الشيخوخة ألا ترى أن حق أمك عليك يأتي بعد حق ربك وإلهك عليك!!

وقد ورد أن أحد المعصومينﷺ كان لا يؤاكل أمه خشية أن تصل يده إلى لقمة وقعت عين أمه عليها فيعقها، وقد ورد أن حجر بن عندي الكندي الصحابي المعروف براهب أصحاب محمدﷺ كان يتفحص فراش أمه كل يوم خشية من وجود ما يؤلم ظهرها.

كل هذا يحثنا على بر الأم والاهتمام بها ذاك الاهتمام الذي يعود بالنفع علينا في الدنيا والآخرة.

نساء نموذجيات

أدناه نتحدث عن نساءٍ يلزم الاقتداء بهن، لأنهن قطعن أشواطاً عظيمة في سيرهن إلى الكمال الإنساني، ومنهن من تفوقن وابتعدن كثيراً عن الرجال في مجال الكمال، والطهارة وما شاكل، ومنهن من كن مساويات للرجال من ناحية الفضيلة، وقبل الخوض في هذا العنوان لا بد من الإشارة إلى ركائز مهمة في هذا المجال وهي:

١ ـ أن السيدة العظيمة فاطمة بنت محمد ﷺ هي أفضل النساء على الإطلاق، وهي خير من برأ الله عزَّ وجلَّ في هذا الوجود ما خلا محمد وعلي ﷺ ولا ريب بأن فاطمة ﷺ هي واحدة من أهل بيت خمسة فضلهم الله عزَّ وجلَّ على سائر البرية.

٢ ـ إذا لم تذكر بعض النسوة فهذا لا يعني أنهن لسن في وارد عملية الاقتداء.

٣ ـ إن بعض النسوة لم نذكرهن عمداً لأنهن لسن أهلاً للاقتداء، بل هن أهل ومحل للذم وإن كن عند المسلمين جراء العوامل الضلالية، والتدليسات التاريخية مقدسات، ونظراً لحساسية هذا الأمر عند المسلمين، ونظراً لتقديس التاريخ عند بعض المسلمين، ونظراً لعدم اتباع الإنصاف والحقيقة عند بعض المسلمين، فإننا سنذكر بعض النسوة السيئات من باب

الإشارة، أو التلميح، أو بعض المواصفات والمواقف البغيضة الصادرة منهن.

وبناءً على هذا نبدأ بافتتاح الكلام تحت عنوان نساء يقتدى بهن، بالسيدة العظيمة فاطمة بنت محمد الزهراء عليها وعلى أبيها وعلى أهل بيتها أفضل الصلاة والسلام، وذلك لأن الوجود افتتح بها، فكيف لا نفتتح بذكرها المبارك هذا العنوان، ونحن بذلك نعتذر من أمها الصديقة خديجة الكبرى ﷺ، لأننا سنذكرها بعدها ﷺ بإذنه تعالى.

١ ــ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام:

وهي فاطمة بنت محمد ﷺ، ولدت في العشرين من جمادى الثانية في السنة الخامسة بعد البعثة الشريفة في مكة المكرمة.

أبوها سيد البشر وأفضلهم مطلقاً محمد ﷺ، وهو الرسول الخاتم والصانع لسعادة البشرية برسالته الخالدة.

وأمها الصديقة خديجة الكبرى ﷺ وهي أفضل أزواج النبي ﷺ، إذ لم تشاركها أية امرأة في زوجيتها للنبي ﷺ.

وزوجها هو خير الناس بعد النبي ﷺ، علي بن أبي طالب ﷺ.

وأولادها هم خير البشر كما لا يخفى، ومن أفضل من الحسن والحسين وزينب ﷺ.

ولقد انعقدت نطفة فاطمة الزهراء ﷺ من طعام الجنة، ولقد تكفل الله عزَّ وجلَّ بتهيئة أجواء مجيء السيدة الزهراء ﷺ إلى الدنيا، فقد ورد في قصة ولادة السيدة فاطمة ﷺ: «أن جبرائيل هبط على رسول الله ﷺ فناداه يا محمد! العلي الأعلى يقرأ عليك السلام، وهو يأمرك أن تعتزل خديجة

أربعين صباحاً. فشق ذلك على النبي ﷺ وكان لها محباً وبها واقعاً (محباً) فأقام النبي أربعين يوماً يصوم النهار ويقوم الليل، حتى إذا كان في آخر أيامه تلك، بعث إلى خديجة بعمار بن ياسر وقال: قل لها: يا خديجة لا تظني أن انقطاعي عنك هجرة ولا قلى، ولكن ربي أمرني بذلك لينفّذ أمره، فلا تظني يا خديجة إلا خيراً، فإن الله عزَّ وجلَّ ليباهي بك كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنّك الليل فأجيفي (ردّي) الباب، وخذي مضجعك من فراشك، فإني في منزل فاطمة بنت أسد.

فجعلت خديجة تحزن كل يوم مراراً لفقد رسول الله ﷺ فلما كان في كمال الأربعين هبط جبرائيل فقال: يا محمد: العلي الأعلى يقرئك السلام وهو يأمرك أن تتأهب لتحيته وتحفته.

فقال النبي ﷺ: يا جبرائيل وما تحفة رب العالمين وما تحيته؟ فقال جبرائيل: لا علم لي. فبينما النبي ﷺ كذلك إذ هبط ميكائيل ومعه طبق مغطى بمنديل سندس أو إستبرق، فوضعه بين يدي النبي ﷺ وأقبل جبرائيل ﷺ وقال: يا محمد يأمرك ربك أن تجعل الليلة إفطارك على هذا الطعام.

قال علي بن أبي طالب ﷺ: كان النبي ﷺ إذا أراد أن يفطر أمرني أن أفتح الباب لمن يرد من الأقطار فلما كان في تلك الليلة أقعدني النبي ﷺ على باب المنزل وقال: يا ابن أبي طالب إنه طعام محرم إلا عليّ.

قال علي ﷺ: فجلست على الباب، وخلى النبي ﷺ بالطعام، وكشف الطبق، فإذا عذق من رطب، وعنقود من عنب، فأكل النبي ﷺ منه شبعاً وشرب من الماء ريّاً، ومدّ يده للغسل، فأفاض الماء عليه جبرائيل،

وغسل يده ميكائيل وتمندله إسرافيل، وارتفع فاضل (باقي) الطعام مع الإناء إلى السماء.

ثم قام النبي ليصلي فأقبل عليه جبرائيل وقال: الصلاة محرمة عليك في وقتك حتى تأتي إلى منزل خديجة فتواقعها، فإن الله عزَّ وجلَّ آلى (حلف) على نفسه أن يخلق من صلبك هذه الليلة ذرية طيبة.

فوثب النبي ﷺ إلى منزل خديجة.

قالت خديجة: وقد كنت قد ألفت الوحدة، فكان إذا جنّني الليل غطّيت رأسي، وسجفت (أرسلت) ستري وغلّقت بابي، وصلّيت وردي، وأطفأت مصباحي، وآويت إلى فراشي.

فلما كانت تلك الليلة لم أكن بالنائمة ولا بالمنتبهة إذ جاء النبي فقرع الباب، فناديت: من هذا الذي يقرع حلقة لا يقرعها إلا محمد؟

فنادى النبي ﷺ بعذوبة كلامه وحلاوة منطقه: إفتحي يا خديجة فإني محمد. قالت خديجة: فقمت مستبشرة بالنبي، وفتحت الباب، ودخل النبي المنزل، وكان النبي ﷺ إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاة ثم يقوم فيصلي ركعتين يوجز فيهما، ثم يأوي إلى فراشه.

فلما كانت تلك الليلة لم يدعُ بالإناء ولم يتأهب للصلاة... بل كان بيني وبينه ما يكون بين المرأة وبعلها، فلا والذي سمك السماء، وأنبع الماء ما تباعد عني النبي حتى أحسست بثقل فاطمة في بطني»[1].

«ولقد دخلت عائشة على رسول الله وهو يقبّل فاطمة، فقالت له: أتحبها يا رسول الله؟ قال: أما والله لو علمتِ حبي لها لازددت لها حباً، إنه

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٣٥.

لما عُرج بي إلى السماء الرابعة ... إلى أن يقول: فإذا برطب ألين من الزبد، وأطيب من المسك، وأحلى من العسل، فأخذت رطبة فأكلتها فتحولت الرطبة نطفة في صلبي، فلما أن هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة، ففاطمة حوراء أنسية، فإذا اشتقت إلى الجنة شممت رائحة فاطمة»[(١)].

وهكذا حملت خديجة ﷺ بفاطمة ﷺ، ولما حان وقت ولادتها ﷺ، قالت سيدتنا خديجة ﷺ: «فلما قربت ولادتي أرسلت إلى القوابل من قريش فأبين عليّ لأجل محمد ﷺ فبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ أربع نسوة، عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف، فقالت إحداهن: أنا أمك حواء، وقالت الأخرى: أنا آسية. وقالت الأخرى أنا أم كلثوم (كلثم) أخت موسى، وقالت الأخرى: أنا مريم، جئنا لنلي أمرك»[(٢)].

أما كيف خرجت فاطمة ﷺ من بطن أمها؟؟ فالجواب هو أنها خرجت في الحال والتو ووقعت على الأرض ساجدة كما ورد في كتب السيرة.

ولقد انحصر أمر إرضاع فاطمة ﷺ بأمها الصّديقة خديجة الكبرى ﷺ.

ولقد سميت سيدتنا فاطمة ﷺ بأسماء عدة، فعن الإمام الصادق ﷺ وهو حفيدها ﷺ أنه قال: «لفاطمة تسعة أسماء عند الله عزَّ وجلَّ: فاطمة والصديقة والمباركة، والطاهرة، والزكية، والراضية والمرضية، والمحدثة، والزهراء»[(٣)].

---

(١) م.ن. ص ٣٧.
(٢) م.ن، ص ٤٢.
(٣) م.ن، ص ٤٥.

ولا ريب أن لأسماء السيدة فاطمة عليها السلام أسراراً لا يعلمها إلا واضعها أي الله عزَّ وجلَّ، وليست أسماء السيدة فاطمة عليها السلام هي أسماء موضوعة على سبيل الإعتباط، بل هي أسماء مستهدفة مولوياً، وهي أسماء على مسمى، وعناوين تنطبق على معنوناتها.

فقد سُميت فاطمة عليها السلام بفاطمة لأنها فُطمت عن الطمث، وفُطمت هي وشيعتها من النار، وفُطمت من الشر، وفُطمت وذريتها من النار يوم القيامة[1].

وقد سُميت فاطمة عليها السلام بالزهراء لأنها متى قامت في محرابها بين يدي ربها عزَّ وجلَّ زهر نورها لملائكة السموات كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، وقد ورد أنها عليها السلام كانت تتمتع بوجه مشرق زاهر.

وسُميت عليها السلام بالصديقة لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال لعلي عليه السلام: أوتيتَ ثلاثاً لم يؤتهن أحد ولا أنا: أوتيت صهراً مثلي ولم أوتَ أنا مثلي، وأوتيت زوجة صديقة مثل ابنتي ولم أوتَ مثلها زوجة، وأوتيت الحسن والحسين من صلبك ولم أوتَ من صلبي مثلهما، ولكنكم مني وأنا منكما»[2].

وعن المفضل بن عمرو عن الإمام الصادق عليه السلام قال: قلت: من غسّل فاطمة؟ قال: ذاك أمير المؤمنين فكأنني استعظمت ذلك من قوله، فقال كأنك ضقت بما أخبرتك به؟ فقلت: قد كان ذلك جعلت فداك! قال: لا تضيقنّ، فإنها صديقة، ولم يغسلها إلا صدّيق، أما علمت أن مريم لم يغسلها إلا عيسى»[3].

---

(١) راجع الجزء العاشر من بحار الأنوار.
(٢) الرياض النضرة، ج٢، ص ٢٠٢.
(٣) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٥٤.

وسميت ﷺ بالبتول لأنها تبتلت في الحيض والنفاس كما أخبرنا بذلك رسول الله ﷺ»[1]، وقيل سميت بتولاً لأنها تبتلت وانقطعت إلى الله عزَّ وجلَّ.

وسميت فاطمة ﷺ بالعذراء لأنها خلقت من الطيب، لا يعتريها عاهة ولا تخالط جسمها آفة، ولا يدنسها حيض، فالرحم ملتزقة...»[2].

وسميت فاطمة ﷺ بالمحدِثة بكسر الدال، لأنها كانت تحدث أمها خديجة ﷺ وهي في بطنها، فقد قالت خديجة ﷺ: «لما حملت بفاطمة كانت حملاً خفيفاً، تكلّمني من باطني»[3]، وعن الدهلوي: «أنه لما حملت خديجة بفاطمة كانت تكلمها في بطنها، وكانت تكتمها عن النبي ﷺ فدخل عليها يوماً وحدها تتكلم وليس معها غيرها، فسألها عمّن كانت تخاطبه فقالت: ما في بطني، فإنه يتكلم معي. فقال النبي ﷺ: أبشري يا خديجة، هذه بنت جعلها الله أمّ أحد عشر من خلفائي يخرجون بعدي وبعد أبيهم»[4].

ولقد سميت فاطمة ﷺ بالمحدَثة بفتح الدال لأن الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول الملائكة: يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين.

وورد أن فاطمة ﷺ كان يأتيها جبرائيل بعد استشهاد محمد ﷺ، فيحسن عزاها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ﷺ ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها، وكان علي ﷺ يكتب كل ذلك كما جاء في الجزء العاشر من بحار الأنوار للمجلسي[5].

---

(١) نزهة المجالس، ص ٢٢٧.
(٢) راجع الجزء الخامس من بحار الأنوار.
(٣) الروض الفائق، ص ٢١٤.
(٤) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٣٩
(٥) راجع الجزء العاشر من بحار الأنوار.

وسميت فاطمة عليها السلام بالراضية لأنها راضية بقضاء الله عزَّ وجلَّ، وراضية بثواب الله عزَّ وجلَّ.

وسميت عليها السلام بالمرضية لأن الله عزَّ وجلَّ رضي عنها، ولأن جميع أعمالها مرضي عنها من قبل الله عزَّ وجلَّ.

وسميت فاطمة عليها السلام بالمباركة لأنها مباركة عند الله عزَّ وجلَّ حيث جعل الله عزَّ وجلَّ البركة فيها من جميع الجهات، ومن جملة ذلك البركة في نسلها وذريتها عليهم السلام.

وسميت فاطمة عليها السلام بالطاهرة لأن الله عزَّ وجلَّ طهرها تطهيراً، وقد شملها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وسميت فاطمة عليها السلام بأسماء أخرى كالزكية، ومن ألقاب سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، ولقب سيدة نساء العالمين، وإذا كانت مريم بنت عمران سيدة نساء عالمها ففاطمة عليها السلام سيدة نساء العالمين، ولا ملازمة بين ذكر الشخص في القرآن الكريم وبين أفضليته، فربما يذكر الشخص في القرآن وهو سيىء، ولا يذكر آخر وهو الأفضل، ألا ترى أن الله عزَّ وجلَّ ذكر إبليس بالاسم، وكذا فرعون وهامان، وكثرة من رجال السوء، ولم يذكر كثرة من الممدوحين إلا بالمواصفات، فلم يذكر الله عزَّ وجلَّ الخضر باسمه، ولا وصي عيسى عليه السلام باسمه، وهكذا فلا ملازمة بين التصريح بالاسم وبين الفضيلة وهذه مريم بنت عمران في خدمة سيدتنا فاطمة عليها السلام حين ولادتها، وهي مع أنها صديقة إلا أنها عليها السلام وكل صدّيقات الدنيا تعترف لفاطمة عليها السلام بالأفضلية.

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

وقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران»[1].

ولا ريب بأن الأحاديث ـ سيما حديث الكساء ـ الواردة في شأن خلق الوجود، وأنه لم يُخلَق أحد إلا لأجل خلق أهل البيت ﷺ ومنهم فاطمة ﷺ، تفيد فائدة تامة بأفضلية سيدتنا فاطمة ﷺ على سواها من النساء، وقد اتفق علماء السنة والشيعة على ذلك.

وقد ورد عن المفضل قال: قلت لأبي عبد الله الصادق ﷺ: أخبرني عن قول رسول الله في فاطمة إنها سيدة نساء العالمين، أهي سيدة نساء عالمها؟، فقال ﷺ: ذاك لمريم، كانت سيدة نساء عالمها وفاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين»[2].

ومن ألقاب سيدتنا فاطمة ﷺ لقب «أم أبيها» ولُقبت به لأنها كانت على وتيرة عالية من الرأفة والحنان والاهتمام المنقطع النظير بأبيها ﷺ، تماماً كرأفة وحنو الأم بولدها.

ومثل هذه المرأة المسماة بكل هذه الأسماء التي لو اجتمعت كل نسوة العالم على بلوغ صفة من صفاتها لاكتفوا بما وصلوا إليه من رفيع منزلة، مثل هذه السيدة العظيمة التي اجتمعت فيها كل هذه المزايا والمناقب يتشرف الكون برمته بوجودها النوراني، كيف لا والله «خلقها من نور عظمته فلما أشرقت أضاءت السموات والأرض بنورها وغشيت أبصار الملائكة وخرّت الملائكة ساجدين وقالوا: «إلهنا وسيدنا ما لهذا النور»، فأوحى الله إليهم: هذا نور من نوري، أسكنته في سمائي، خلقته من عظمتي، أخرجه من

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٧٩.
(٢) م.ن، ص ١٨٠.

صلب نبي من أنبيائي، أفضله على جميع الأنبياء وأخرج من ذلك النور أئمة يقومون بأمري يهدون إلى حقي وأجعلهم خلفائي في أرضي بعد انقضاء وحيي»[١].

وعن رسول الله ﷺ في حديث له نقله سلمان الفارسي رضي الله عنه، قال عليه الصلاة والسلام بعد أن تحدث مطولاً عن كيفية خلق الله عزَّ وجلَّ لأهل البيت عليهم السلام أنواراً قبل خلق العالم: «فخلق نور فاطمة يومئذٍ كالقنديل وعلّقه في قرط العرش فزهرت السماوات السبع والأرضون السبع، من أجل ذلك سميت فاطمة الزهراء، وكانت الملائكة تسبح الله وتقدسه فقال الله: وعزتي وجلالي لأجعلن ثواب تسبيحكم وتقديسكم إلى يوم القيامة لمحبي هذه المرأة وأبيها وبعلها وبنيها[٢].

وكيف لا تكون هذه السيدة عظيمة جداً وقد ورد عن ابن عباس قوله: «بينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا نوراً ظنّوه شمساً قد أشرقت بذلك النور الجنة فيقولون: قال ربنا «لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً» فما هذا النور؟ فيقول لهم رضوانه: «ليست هذه شمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي ضحكا فأشرقت الجنان من نور ضحكهما»[٣].

وكيف لا تكون عليها السلام فريدة الدهور، وسيدة العصور، ومصدر الطهور، وسرمدية الحضور وقد روت لنا عليها السلام حديث الكساء الذي له مضامين عالية جداً، ومن مشى في طريق الحقيقة أذعن لمحتوى هذا الحديث.

فعن جابر بن عبد الله الأنصاري عن فاطمة الزهراء عليها السلام أنها قالت: دخل عليّ أبي رسول الله ﷺ في بعض الأيام فقال: السلام عليك يا

---

(١) راجع كتب السيرة.
(٢) بحار الأنوار.
(٣) م.ن.

فاطمة. فقلت: وعليك السلام. فقال: إني أجد في بدني ضعفاً. فقلت له: أعيذك بالله يا أبتاه من الضعف. فقال: يا فاطمة إيتيني بالكساء اليماني فغطيني به. قالت فاطمة ﷺ: فأتيته بالكساء اليماني فغطيته به وصرت أنظر إليه وإذا وجهه يتلألأ كأنه البدر في ليلة تمامه وكماله.

قالت فاطمة: فما كانت إلا ساعة وإذا بولدي الحسن قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه. فقلت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي، فقال لي: يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله ﷺ فقلت: نعم يا ولدي إن جدك نائم تحت الكساء فأقبل الحسن نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه، السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معك تحت الكساء؟ فقال: وعليك السلام يا ولدي وصاحب حوضي قد أذنت لك. فدخل معه تحت الكساء.

قالت: فما كان إلا ساعة وإذ بولدي الحسين قد أقبل وقال: السلام عليك يا أماه. فقلت: وعليك السلام يا قرة عيني وثمرة فؤادي فقال لي: يا أماه إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة جدي رسول الله ﷺ. فقلت: نعم، إن جدك وأخاك تحت الكساء. فدنا الحسين نحو الكساء وقال: السلام عليك يا جداه السلام عليك يا من اختاره الله أتأذن لي أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟ قال ﷺ: وعليك السلام يا ولدي وشافع أمتي قد أذنت لك. فدخل معهما تحت الكساء. قالت فاطمة ﷺ فأقبل عند ذلك أبو الحسن علي بن أبي طالب ﷺ وقال: السلام عليك يا بنت رسول الله فقلت: وعليك السلام يا أبا الحسن يا أمير المؤمنين فقال: يا فاطمة إني أشم عندك رائحة طيبة كأنها رائحة أخي وابن عمي رسول الله ﷺ فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء. فأقبل أمير المؤمنين نحو الكساء وقال: السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أكون معك تحت هذا

الكساء؟ قال له: وعليك السلام يا أخي وخليفتي وصاحب لوائي قد أذنت لك، فدخل علي تحت الكساء. ثم أتت فاطمةﷺ وقالت: السلام عليك يا أبتاه السلام عليك يا رسول الله أتأذن لي أن أدخل معكم تحت هذا الكساء؟ قال لها: وعليك السلام يابنتي وبضعتي قد أذنت لك. فدخلت فاطمة معهم.

فلما اكتملوا واجتمعوا تحت الكساء أخذ رسول اللهﷺ بطرفي الكساء وأومأ بيده اليمنى إلى السماء وقال: اللهم إن هؤلاء أهل بيتي وخاصتي وحامتي لحمهم لحمي، ودمهم دمي، يؤلمني ما يؤلمهم ويحرجني ما يحرجهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ومحب لمن أحبهم، إنهم مني وأنا منهم، فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك عليّ وعليهم، وأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

فقال الله عزَّ وجلَّ: يا ملائكتي ويا سكان سماواتي إني ما خلقت سماءً مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً، ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري، ولا فُلكاً تسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء.

فقال الأمين جبرائيل: يا رب ومن تحت الكساء؟ فقال الله عزَّ وجلَّ: هم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، هم فاطمة وأبوها وبعلها وبنوها.

فقال جبرائيل: يا رب أتأذن لي أن أهبط إلى الأرض لأكون لهم سادساً؟ فقال الله عزَّ وجلَّ: قد أذنت لك، فهبط الأمين جبرائيل فقال: السلام عليك يا رسول الله! العلي الأعلى يقرئك السلام، ويخصك بالتحية والإكرام ويقول لك: وعزتي وجلالي إني ما خلقت سماءً مبنية، ولا أرضاً مدحية، ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة، ولا فلكاً يدور، ولا بحراً يجري

ولا فُلكاً تسري إلا لأجلكم، وقد أذن لي أن أدخل معكم تحت الكساء، فهل تأذن لي أن أدخل أنت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: وعليك السلام يا أمين وحي الله قد أذنت لك. فدخل جبرائيل معهم تحت الكساء فقال: إن الله قد أوحى إليك يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً.

فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله أخبرني ما لجلوسنا هذا تحت الكساء من الفضل عند الله؟ فقال النبي ﷺ: والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذُكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا إلا ونزلت عليهم الرحمة وحفّت بهم الملائكة، واستغفرت لهم إلى أن يتفرقوا.

فقال علي عليه السلام: إذن والله فُزنا وفاز شيعتنا ورب الكعبة، فقال رسول الله ﷺ: والذي بعثني بالحق نبياً، واصطفاني بالرسالة نجياً ما ذُكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم إلاّ وفرّج الله همه، ولا مغموم إلا وكشف الله غمّه، ولا طالب حاجة إلا وقضى الله حاجته.

فقال علي عليه السلام إذن والله فزنا وسعدنا وكذلك شيعتنا فازوا وسعدوا في الدنيا والآخرة»(١).

لا ريب بأن للسيدة العظيمة فاطمة عليها السلام من الفضائل والخصائص ما لا يُحصى، فهي بنت أشرف الموجودات على الإطلاق أي محمد ﷺ، وهي زوجة أشرف الأوصياء على الإطلاق أي علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي بنت خير الصديقات أي خديجة بنت خويلد عليها السلام، وأعمامها عليهم السلام أفضل

---

(١) مفاتيح الجنان.

الأعمام فالحمزة سيد الشهداء، وهي أم أشرف الأوصياء الحسن والحسين ﴿عليهما السلام﴾، وابنتها زينب الكبرى أشرف البنات ﴿عليها السلام﴾، وكذا ابنتها أم كلثوم ﴿عليها السلام﴾.

وقد نزلت بحقها آيات قرآنية، وبوصفها وبمدحها نطقت الكثير من الآيات القرآنية، فهي من نزلت بحقها منضمة مع محمد ﷺ، وعلي والحسن والحسين ﴿عليهم السلام﴾ آية التطهير[1].

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2]، ونزل كذلك قوله تعالى في آية المودة[3]: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾[4]، ونزل قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[5] وهذه الآية معروفة بآية المباهلة حينما باهل ﷺ نصارى نجران، وأحضر عليه الصلاة والسلام أهل بيته ﴿عليهم السلام﴾ أي علي وفاطمة والحسن والحسين ﴿عليهم السلام﴾، وعندما رأى نصارى نجران هذه الهالة النورانية المنبعثة من فاطمة ﴿عليها السلام﴾ وأهل البيت ﴿عليهم السلام﴾ تراجعوا عن المباهلة وأذعنوا للنبي ﷺ كما ورد ذلك في كتب التفاسير والسير»[6].

كما نزل بحق الزهراء ﴿عليها السلام﴾ سورة هل أتى، حيث قال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٦٦.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٣.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٦١.
(٦) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٦٠.

﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ إلى آخر السورة المباركة[١].

وقد ورد أن الحسن والحسين عليهما السلام مرضا يوماً، فعادهما النبي ﷺ ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن لو نذرت في ابنيك نذراً إن الله عافاهما، فقال: أصوم ثلاثة أيام شكراً لله عزَّ وجلَّ، وكذلك قالت فاطمة عليها السلام، وقال الحسنان عليهما السلام: ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة، فألبسهما الله عافية، فأصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق علي عليه السلام وأحضر طعاماً، وما أن جلسوا للطعام إذ بمسكين يطرق الباب فأعطوه كل الطعام، وباتوا جياعاً وأصبحوا صياماً ولم يذوقوا إلا الماء، وفي اليوم الثاني وحينما اجتمعوا عليهم السلام على المائدة بعد صلاة المغرب وإذ بيتيم يطرق الباب فأعطوه كل طعامهم وباتوا كما الليلة الأولى، وفي اليوم الثالث اجتمعوا عليهم السلام على نحو الليلتين السابقتين، وإذ بأسير يطلب طعاماً فأعطوه كل طعامهم وباتوا كما في الليلة الأولى والثانية فنزلت فيهم سورة هل أتى، وهي سورة الإنسان كما لا يخفى[٢].

فالزهراء إذن ممدوحة القرآن الكريم، وهي أيضاً ممدوحة الرسول الأعظم ﷺ، وهي صاحبة المنزلة العظيمة عنده، وهي ذات الرتبة الرفيعة لديه، فقد قال ﷺ لها عليها السلام يوماً: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[٣]، وأخذ ﷺ بيدها يوماً وقال: «من عرف هذه فقد عرفها، ومن لم يعرفها، فهي بضعة مني، يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها»[٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: «فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها فقد أغضبني»[٥]،

---

(١) سورة الدهر، الآيات: ٧ ـ ٩.
(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٦٣.
(٣) مستدرك الحاكم، ج٣، ص ١٥٤.
(٤) مسند أحمد، ج٤، ص ٣٢٨.
(٥) خصائص النسائي، ص ٣٥.

وقال ﷺ: «خير رجالكم علي بن أبي طالب، وخير نسائكم فاطمة بنت محمد»[١]. وقال عليه الصلاة والسلام: «فاطمة شجنة مني»[٢] وقال: فاطمة قلبي وروحي التي بين جنبي»[٣].

وقد كان ﷺ ومن فرط حبه لفاطمة عليها السلام إذا أراد سفراً كان آخر من يودع فاطمة عليها السلام، وإذا قدم من سفر ﷺ فأول من يدخل عليها فاطمة عليها السلام، وقد أمر ﷺ بسد جميع الأبواب الملاصقة للمسجد إلا باب فاطمة وعلي عليهما السلام، وكان عليه الصلاة والسلام إذا اشتاق إلى رائحة الجنة عمد إلى شم الزهراء عليها السلام.

وقالت عائشة في معرض حديثها عن علاقة النبي ﷺ بفاطمة عليها السلام: «ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه رحّب بها وقبّل يديها وأجلسها في مجلسه، فإذا دخل عليها قامت إليه فرحبت به وقبّلت يديه»[٤].

وكان ﷺ يقبل رأس فاطمة عليها السلام ويقول: فداكِ أبوك، كما كنت فكوني»[٥].

وها هو رسول الله ﷺ يدخل إلى بيتها عليها السلام، ويراها تلبس ثوباً زهيداً، وهي تطحن بيديها، وترضع ولدها، فتدمع عيناه ﷺ ويقول: يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة، فتقول له: يا رسول الله الحمد لله على نعمائه، والشكر لله على آلائه، فأنزل الله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾[٦].

---

(١) تاريخ بغداد، ج٤، ص ٣٩٢.
(٢) ومثله كذلك في مسند أحمد، ج٤٢، ص ٣٢٣.
(٣) الفصول المهمة، ص ١٥٠.
(٤) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٧٨.
(٥) م.ن، ص ١٧٩.
(٦) م.ن، ص ١٨٧.

وهذا رسول الله ﷺ يعلم فاطمة عليها السلام، حيث أتت فاطمة عليها السلام إلى رسول الله ﷺ فدقت الباب، فقال ﷺ: أسمع حس حبيبتي بالباب يا أم أيمن قومي وانظري! ففتحت لها الباب فدخلت، فقال ﷺ: لقد جئتينا في وقت ما كنت تأتينا في مثله؟ فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله ما طعام الملائكة عند ربنا؟ فقال: التحميد، فقالت: ما طعامنا؟ فقال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده ما اقتبس في شهر ناراً ـ أي لم تشتعل نار الطبخ في بيوت النبي ﷺ منذ شهر ـ وأعلمك خمس كلمات علمنيهن جبرائيل عليه السلام، فقالت: يا رسول الله ما الخمس الكلمات؟ قال: يا رب الأولين والآخرين، يا ذا القوة المتين ويا راحم المساكين ويا أرحم الراحمين.

فرجعت، فلما أبصرها علي عليه السلام قال: بأبي أنت وأمي ما وراءك يا فاطمة؟ قالت: ذهبت للدنيا وجئت للآخرة! فقال علي عليه السلام: خير أمامك خير أمامك»[1].

وقد جاءت عليها السلام تشكو إلى رسول الله ﷺ بعض أمرها، فأعطاها رسول الله كَربة وقال: تعلّمي ما فيها، وإذا فيها: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت»[2].

وها هو ﷺ يعلمها عليها السلام هذا الدعاء: «اللهم ربنا ورب كل شيء، مُنزل التوراة والإنجيل والفرقان، فالق الحبّ والنوى، أعوذ بك من كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء،

---

(١) م.ن، ص ١٨٩ ـ ١٩٠.
(٢) م.ن.

صل على محمد وعلى أهل بيته وعليهم السلام، واقضِ عني الدين، واغنني من الفقر، ويسر لي كل أمر يا أرحم الراحمين»[1].

وها هي ﷺ تعلم سلمان الفارسي دعاء النور الذي تعلمته من رسول الله ﷺ، حيث قالت ﷺ لسلمان إن سرك أن لا يمسك أذى الحمّى ما عشت في دار الدنيا، فواظب على هذا الكلام الذي علّمنيه أبي محمد ﷺ كنت أقوله غدوة وعشية:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور على نور، بسم الله الذي هو مدبّر الأمور، بسم الله الذي خلق النور من النور، الحمد لله الذي خلق النور من النور، وأنزل النور على الطور، في كتاب مسطور في رقٍّ منشور، بقدر مقدور، على نبي محبور، الحمد لله الذي هو بالعز مذكور، وبالفخر مشهور، وعلى السّراء والضراء مشكور، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

قال سلمان: والله لقد علّمت أكثر من ألف إنسان في مكة والمدينة كانوا مصابين بالحمى، فبرئوا بإذن الله»[2].

ولقد ترعرعت سيدتنا فاطمة ﷺ في كنف والدتها خديجة ﷺ، وبدأت رحلتها الوجودية معها منذ كانت جنينة في بطنها تحادثها، وتسلّيها، وتهدىء من روعها، فلما سأل الكفار رسولنا محمد ﷺ أن يريهم انشقاق القمر، وقد بان لخديجة حملها بفاطمة وظهر، قالت خديجة: واخيبة من كذّب محمداً وهو خير رسول ربي.

---

(١) مهج الدعوات لابن طاووس.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٩٢.

فنادت فاطمة ـ من بطنها ـ: «يا أماه لا تحزني ولا ترهبي، فإن الله مع أبي»[1].

وقد استقلت خديجة عليها السلام بإرضاع فاطمة عليها السلام، وهكذا تربت سيدتنا فاطمة عليها السلام في ظل عطف وحنان والدتها خديجة عليها السلام إلى أن اكتمل لفاطمة عليها السلام سبع سنوات أو ثمان، وإذ بفاجعة فقد أمها تنضم إلى جملة فجائع فُجعت بها الزهراء عليها السلام جرّاء ظلم المشركين لأبيها صلى الله عليه وآله، ولكن فاجعة فقد الوالدة الصديقة هي من أعظم الفواجع على قلب فاطمة عليها السلام، وإذا كان تأثير موت خديجة عليها السلام قد انسحب على كافة المسلمين، لا سيما نبي الإسلام صلى الله عليه وآله الذي سمى عام موتها عليها السلام بـ«عام الحزن»، فكيف بالزهراء عليها السلام وهي ابنتها، وأحب مخلوق في قلبها، نعم اشتد الحزن على فاطمة عليها السلام عند وفاة أمها، وراحت سيدتنا فاطمة عليها السلام تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتدور حوله وتسأله: يا رسول الله أين أمي؟ فجعل النبي لا يجيبها، وهي تدور على من تسأله، فهبط عليه جبرائيل فقال: إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وأعمدته من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام، وإليه يعود السلام[2].

ولا يخفى بأن خديجة عليها السلام كانت شديدة الحزن على فراق ابنتها فاطمة عليها السلام، فها هي تحتضر متأوهة باكية، فقالت لها أسماء بنت عيسى: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين؟ وأنت زوجة النبي؟ مبشرة على لسانه بالجنة؟ فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تفضي إليها بسرها وتستعين بها على حوائجها، وفاطمة حديثة عهد

(١) الروض الفائق، ص ٢١٤.
(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٠٠.

بصبا، وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذٍ.

ولا زالت فاطمة عليها السلام حزينة على أمها الصديقة، حتى فجعت هذه المرة وبنفس العام بحامي النبي صلى الله عليه وآله وناصره، وآويه، المؤمن حق الإيمان، والمسلم حق الإسلام، وصاحب الدين العملي والفعلي أبو طالب رضوان الله عليه، وهكذا وفي نفس العام تحولت سيدتنا فاطمة عليها السلام إلى مهاجرة لتكتسب سابقة إسلامية إيمانية لا مثيل لها، فقد أمر النبي صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام أن يبيت على فراشه حينما قرر أهل الشرك قتله صلى الله عليه وآله، فبات علي عليه السلام على فراشه صلى الله عليه وآله، وهاجر النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة سراً، وبعد نجاة علي عليه السلام من القتل جرّاء مبيته المؤثر على فراش النبي صلى الله عليه وآله، هاجر عليه السلام إلى المدينة لاحقاً بالنبي صلى الله عليه وآله، وهاجرت معه الفواطم، فاطمة بنت أسد أمه عليها السلام، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وسيدتنا المعظمة فاطمة الزهراء عليها السلام، وأثناء طي الطريق من مكة إلى المدينة شاهدت فاطمة عليها السلام بسالة وشجاعة ابن عمها، وزوجها اللاحق علي عليه السلام، حيث جندل الأعداء الذين لحقوا به وبالفواطم مريدين إعاقة لحاقه عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله.

ولدى وصول قافلة علي عليه السلام مع الفواطم وفاطمة عليها السلام، كان النبي صلى الله عليه وآله في انتظار الجميع، واستقبل صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام استقبالاً مميزاً وهكذا تم الاستقرار في المدينة المنورة بين الأب الأعظم صلى الله عليه وآله والإبنة العظمى عليها السلام، والصهر المستقبلي عليه الصلاة والسلام. وفي المدينة المنورة بدأت رحلة جهادية جديدة للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فكان عليها مواجهة استحقاقات المرحلة المدنية بمثل زخم الاستحقاقات المكية بل بشدة أعظم، وها هي فاطمة عليها السلام تنزل مع أبيها صلى الله عليه وآله في دار أبي أيوب الأنصاري، ولم تمضِ سنة إلا وبدأت سيدتنا فاطمة عليها السلام تتفاعل مع الأحداث التي عصفت بالمسلمين، والتي لا بد وأن تكون معنية بها من جهة كونها مسلمة أصيلة، ومن جهة

كونها ابن ذاك النبي ﷺ الذي يدير الشأن الإسلامي برمته، ومن جهة كونها لها دخالة أصيلة في عالم الهداية والتأسيس للإسلام تارة، وتكريسه تارة أخرى.

فعاشت عليها السلام كل الاستحقاقات والأحداث التي تتالت طيلة فترة حياة النبي ﷺ المدينة، وأغلب حياة النبي ﷺ المكية بعد البعثة ومنذ صباها عليها السلام.

فعاشت عليها السلام آلام الاضطهاد التي طالت النبي ﷺ في مكة، وراحت تزيل عن النبي ﷺ الأوساخ التي كان يضعها المشركون على جسده وثوبه، وراحت تزيل عنه ﷺ متاعبه وآلامه المعنوية حتى سميت بحق أم أبيها، كما أنها عليها السلام عايشت فقد أمها، وفقد أبو طالب فكانت حزينة، ومن ثم عايشت هجرة النبي ﷺ بما فيها من أسقام وآلام وهاجرت فكانت مهاجرة، وهناك في المدينة المنورة عايشت فترة توقيع الوثيقة بين النبي ﷺ والفريق الآخر، وكذا عايشت فترة بناء المسجد النبوي، والتآخي بين المهاجرين والأنصار، والمؤامرات اليهودية بوجه الإسلام والمسلمين، وفترة تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام، ومعارك بدر وأحد، والخندق، وغزوات قرقرة الكدر، والسويق، وذي أمر، وذات الرقاع، ودومة الجندل، وبنو قريظة، والقينقاع، وبنو النضير، وخيبر، وغزوة ذات السلاسل.

وعايشت عليها السلام معركة مؤتة، وفتح مكة، ومعركة حنين، وغزوة الطائف، وغزوة تبوك، وكذا عايشت عليها السلام حادثة المباهلة، وحجة الوداع.

كل هذه الأحداث والاستحقاقات عايشتها فاطمة عليها السلام بتفاصيلها، وتأثرت كثيراً بنتائجها وما تمخض عنها، فحزنت طويلاً لاستشهاد عمها الحمزة سيد الشهداء عليه الرضوان وكانت تواظب على زيارة قبره الشريف،

وشاركت عليها السلام في الكثير من هذه الحوادث إما مباشرة كما في معركة أُحد والمباهلة مع النصارى، وإما من ناحية التأثر والترقب، وتحمل النتائج الصعبة باستشهاد الأحبة.

وهكذا فقد أبلت سيدتنا فاطمة عليها السلام حسناً في كل تقلباتها وشؤونها، وعاشت كل هذه الفترات حياة البنت المعصومة الطاهرة، ومن ثم حياة الزوجة المعصومة العاملة، وثالثة حياة الأم المعصومة الرؤوفة.

ففي السنة الثانية للهجرة النبوية المباركة من مكة إلى المدينة المنورة، وبعد واقعة بدر، وما أن أكملت عليها السلام سن البلوغ أي تسع سنوات حتى صارت في مرحلة الزواج، وهكذا تقدم لخطبتها جمع منهم أبو بكر وعمر فردهما النبي صلى الله عليه وآله، بقوله: «إن أمرها بيد الله»[1].

وعن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وأني وأني . . . قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة. فسكت عنه أو قال: فأعرض عنه، فرجع أبو بكر إلى عمر فقال: هلكت وأهلكت. قال: وما ذاك قال: خطبت فاطمة إلى النبي صلى الله عليه وآله فأعرض عني. قال عمر: مكانك حتى آتي النبي فأطلب منه مثل الذي طلبت. فأتى عمر النبي صلى الله عليه وآله فقعد بين يديه فقال: يا رسول الله قد علمت مناصحتي وقدمي في الإسلام وأني وأني . . . قال: وما ذاك؟ قال: تزوجني فاطمة. فأعرض عنه، فرجع عمر إلى أبي بكر فقال: إنه ينتظر أمر الله فيها»[2].

ولا ريب بأن أبا بكر وعمر كانا على شراكة دائمة في كل شيء، فهما

---

(1) كنز العمال، ج2، ص 99 وغيره من المصادر.

(2) م.ن.

شريكان في التآمر على الإسلام منذ القدم حيث نجحا في تفريغ الإسلام من مضمونه الحقيقي وتقديمه للناس على أساس أنه الإسلام الصحيح، وها نحن نعيش في هذه الأيام مأساة جناية الأول والثاني.

وعلى أي فهما غفلا أو أنهما لا يؤمنان بأن للنبي ﷺ عيناً غيبية حيث أنه ﷺ كان يعلم بأنهما سوف يظلمان فاطمة ؑ، وسوف يغتصبا حقها، ويؤذياها أذية مادية ومعنوية، وكان ﷺ يعلم بأنها ستموت وهي غضبى عليهما.

وعلى كل حال فإن زواج فاطمة ؑ كان سائراً في ضمن مخطط إلهي منسق، يقضي بتزويج فاطمة من علي ؑ، وهذا الزواج سوف يكون ثمرته ولادة أوصياء محمد ﷺ.

فعن الإمام موسى بن جعفر الكاظم ؑ قال: بينا رسول الله ﷺ جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهاً فقال له رسول الله ﷺ حبيبي جبرائيل لم أرك في مثل هذه الصورة. قال الملك: لست بجبرائيل، يا محمد بعثني الله عزَّ وجلَّ أن أزوّج النور من النور، قال: من ممن؟ قال: فاطمة من علي، قال: فلما ولّى الملك إذا بين كتفيه محمد رسول الله، علي وصيه، فقال رسول الله ﷺ: منذ كم كُتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم باثنين وعشرين ألف عام»[1].

وعن الإمام جعفر الصادق ؑ قال: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين ؑ لفاطمة ما كان لها كفؤ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه»[2].

وقال ﷺ: ما أنا زوجت علياً، ولكن الله زوّجه ليلة أُسري بي عند سدرة المنتهى»[3].

---

(١) راجع بحار الأنوار وغيره.

(٢) راجع الجزء العاشر من بحار الأنوار.

وقال ﷺ: إنما أنا بشر مثلكم، أتزوج فيكم وأزوجكم إلا فاطمة، فإن تزويجها نزل من السماء»[١].

وهكذا «اقترح بعض الصحابة على علي ﷺ أن يخطب إلى النبي فاطمة صلوات الله عليهما».

وكان علي ﷺ يريد ذلك في نفسه، ويرغب إليه من كل قلبه إلا أنه كان ينتظر الفرصة المناسبة ليقدم على هذا الأمر.

فأتى علي ﷺ بنفسه إلى رسول الله ﷺ ولما رآه رسول الله قال: ما جاء بك يا أبا الحسن، حاجتك.

فمنع الخجل علياً من البوح بطلبه وسكت، وأطرق برأسه إلى الأرض، حياءً من النبي ﷺ.

فقال له رسول الله ﷺ: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فأجاب علي ﷺ بكلمات ضمّنها رغبته في الزواج من فاطمة بنت رسول الله ﷺ[٢].

فقال الرسول: يا علي قد ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك»[٣].

«ثم دخل ﷺ على فاطمة، فذكر لها الأمر، وأن علياً ﷺ خطبها إليه قائلاً: إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته، وفضله وإسلامه، وإني قد سألت ربي أن يزوجك خير خلقه، وأحبهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟

فسكتت فاطمة سلام الله عليها، ولم يرَ رسول الله ﷺ في وجهها كراهة فقام وهو يقول: «الله أكبر سكوتها إقرارها»[٤].

---

(٣) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١١٨.

(١) م.ن، ص ١١٩.

(٢) م.ن، ص ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) م.ن.

(٤) م.ن، ص ١١٤.

وهكذا أخبر النبي ﷺ علياً ﵇ بالبشرى السارة، وقال ﷺ لعلي: «هل معك شيء أزوجك به؟ فقال علي: فداك أبي وأمي! والله لا يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي ودرعي وناضحي!

فكان جواب النبي ﷺ: يا علي أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوجتك بالدرع ورضيت بها منك، بع الدرع وائتني بالثمن»[1].

«فباع علي ﵇ درعه، وأتى بثمنه إلى النبي ﷺ وسكب المال بين يديه. فقبض ﷺ قبضة الدراهم، ودعا بلالاً فأعطاه فقال: «ابتع لفاطمة طيباً ثم أعطى ﷺ بقية تلك الدراهم إلى أبي بكر وعمار بن ياسر وأمرهما أن يبتاعا لفاطمة ما يصلحها من ثياب وأثاث البيت، وما شاكل ذلك من احتياجات العروسين. ففعل ذلك واشتريا ما أمرهما به رسول الله ﷺ فكان جهاز فاطمة كالتالي:

١ ـ قميص بسبعة دراهم.

٢ ـ خمار بأربعة دراهم.

٣ ـ قطيفة سوداء لا تكفي لتغطية كل البدن.

٤ ـ سرير مزمّل بشريط (أي مصنوع من جريد النخل وأليافه).

٥ ـ فراشان من خيش مصر، حشو أحدهما ليف، وحشو الآخر من صوف الغنم.

٦ ـ أربع مرافق ـ والمرفق وسادة ـ اثنان من الصوف واثنان من الليف.

٧ ـ ستر.

---

(١) م.ن، ص ١١٥.

٨ ـ حصير هجري.

٩ ـ رحى لليد.

١٠ ـ مخضب من نحاس (والمخضب إناء المسك والطيب).

١١ ـ سقاء من أدم.

١٢ ـ قعب للّبن.

١٣ ـ شن للماء (والشن القربة).

١٤ ـ مطهرة مزفتة (أي مطلية بالزفت).

١٥ ـ جرّة خضراء.

١٦ ـ كيزان خزف.

فلما عرض المتاع على رسول الله ﷺ جعل يقلّبه بيده ويقول: اللهم بارك لقوم جُلُّ آنيتهم الخزف».

إن في مهر فاطمة أموراً تدعو إلى التأمل حقاً، أبرزها مقدار ذلك المهر. فمهرها هو مهر السنة وهو خمسمائة درهم»...

ثم بعد أن عقد رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام على فاطمة عليها السلام في رحاب مسجده على مرأى ومسمع من المسلمين وفي جو يسوده الفرح والابتهاج والسرور قال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام هيّىء منزلاً حتى تحوّل فاطمة إليه، فأخذوا منزل أحد الصحابة بصورة مؤقتة، وحوّلت فاطمة إلى علي عليه السلام في منزل ذلك الصحابي الجليل في زفاف جميل مبارك، وقد صنع علي طعاماً من لحم وتمر وسمن وأطعم المسلمون جميعاً تقريباً، وساد الناس فرح عظيم لم يُشهد له نظير.

وعن ابن بابويه: أمر النبي ﷺ بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين

والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة سلام الله عليها وأن يفرحن، ويرجزن ويكبرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضي الله.

قال جابر: فأركبها على ناقته ـ وفي رواية على بغلته الشهباء ـ وأخذ سلمان زمامها والنبي وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهرين سيوفهم ونساء النبي ﷺ قدامها يرجزن، فأنشأت أم سلمة تقول:

سرن بعون الله جاراتي ... واشكرنه في كل حالاتِ

واذكرن ما أنعم رب العلى ... من كشف مكروه وآفاتِ

فقد هدانا بعد كفر وقد ... أنعشنا رب السماواتِ

وسرن مع خير نساء الورى ... تُفدى بعمات وخالاتِ

ثم إن رسول الله ﷺ لما دخلوا الدار أنفذ إلى علي ﷺ ثم دعا فاطمة سلام الله عليها فأخذ يدها وقد علاها الاستحياء وتصبب منها العرق خجلاً، بل وقد تعثرت من شدة خجلها فقال لها رسول الله: أقالك الله العثرة، ووضعها في يده وقال:

بارك الله في ابنة رسول الله يا علي نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نعم الزوج علي.

ثم أخذ بيده إناء فيه ماء وصبّ منه على رأس فاطمة وبدنها ودعا لهما قائلاً: «اللهم اجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك.

اللهم إنهما أحب خلقك إليّ، فأحبهما واجعل عليهما منك حافظاً، وإني أعيذهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم...

ثم إن رسول الله ﷺ عدد لفاطمة فضائل علي كما ذكر لعلي فضائل فاطمة وأنها «لو لم يخلق علي لما كان لها كفؤ». ثم ذكر لهما وظائفهما

وواجباتهما العائلية فأوكل إلى فاطمة ما هو في داخل البيت من شؤون وأوكل إلى علي ما هو من شؤون الخارج»[1].

وهكذا تم زواج علي عليه السلام من فاطمة عليها السلام، وكان علي عليه السلام حينما تزوج في العشرين ونيّف من عمره المبارك، في حين كان عمر سيدتنا فاطمة عليها السلام قد وصل إلى حد البلوغ الشرعي للفتاة أي تسع سنوات.

ولقد عاشت سيدتنا فاطمة عليها السلام مع علي عليه السلام عيشة راضية قوامها الود والوئام، فكان عليه السلام سلوتها وتعزيتها في الدنيا، وكانت عليها السلام سلوته وتعزيته كذلك، وظلت عليها السلام تعيش بوداعة واطمئنان مع أفضل رجل عرفته البشرية بعد النبي صلى الله عليه وآله، وعاشت عليها السلام عيشة الصابر القانع، وفي السنة الثالثة للهجرة ولدت سيد شباب أهل الجنة الحسن عليه السلام، وفي السنة الرابعة أنجبت سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام، وهكذا أنجبت بعدهما عليهما السلام زينب الكبرى عليها السلام، وأم كلثوم، وأخيراً أنجبت طفلها المحسن، وتشكلت أسرة فاطمة عليها السلام من هؤلاء الصفوة الأطهار الذين ما عرفت العقول البشرية لهم بديل، وما خبرت لهم نظير ولا عديل.

وفي السنة الحادية عشرة من الهجرة النبوية المباركة تلقت سيدتنا فاطمة عليها السلام فاجعة أعظم من فجائعها التي تراكمت عليها سابقاً، وهذه الفاجعة تمثلت بتوديعها للنبي صلى الله عليه وآله، وبتوديعه لها عليها السلام، وبالحقيقة فإن فاجعة التوديع هذه مركبة من عدة فجائع بداخلها، فمن فاجعة اتهام عمر بن الخطاب النبي صلى الله عليه وآله بأنه مجنون، إلى فاجعة عدم استجابة أمره صلى الله عليه وآله بإتيانه القلم والقرطاس حتى يكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده، إلى هذا الغدر والانقلاب على الإسلام الذي بدر من بعض الذين يسمون بالصحابة، إلى التواطؤ الذي برز من أبي بكر وعمر لاغتصاب الخلافة الإسلامية بغية تفريغ

(١) م.ن، ص ١٢٤ وما بعدها.

الإسلام من مضمونه، إلى المؤامرة التي برزت من قِبلِ عائشة وحفصة من أجل جعل أبيهما في الطليعة، إلى بدارهما لسقاية النبي ﷺ دواءً لم يرض بسقايته أبداً، إلى غير ذلك من الفجائع.

نعم عايشت فاطمة ﷺ كل هذه الفجائع المركبة، وأبلت بلاءً حسناً بالصبر على كل هذه الفجائع والمصائب، وها هي ﷺ تقف وقفة المودع لأبيها محمد ﷺ في لحظاته الأخيرة.

وهذا النبي ﷺ وفي أثناء مرضه يقول لفاطمة ﷺ: «بأبي وأمي أنتِ! أرسلي إلى بعلك فادعيه لي، فقالت فاطمة للحسين أو الحسن: انطلق إلى أبيك فقل: يدعوك جدي، فانطلق إليه الحسين فدعاه. فأقبل علي بن أبي طالب ﷺ حتى دخل على رسول الله ﷺ وفاطمة عنده وهي تقول:

واكرباه لكربتك يا أبتاه! فقال لها رسول الله ﷺ: لا كرب عليّ بعد اليوم على فاطمة، ولكن قولي كما قال أبوك على إبراهيم: تدمع العينان وقد يوجع القلب، ولا نقول ما يسخط الرب، وإنّا بك يا إبراهيم لمحزونون»[1].

واللافت أن النبي ﷺ طلب من الجميع الخروج من بيته، ولم يسمح لأحد بالدخول عليه ما خلا فاطمة ﷺ، وزوجها علي ﷺ، وأولادهما ﷺ. ثم أن النبي ﷺ لما انفرد بأحب الناس إلى قلبه، قال لعلي ﷺ «أدنُ مني، فدنا منه فأخذ بيد فاطمة فوضعها على صدره طويلاً وأخذ بيد علي بيده الأخرى، فلما أراد رسول الله ﷺ الكلام غلبته عبرته، فلم يقدر على الكلام، فبكت فاطمة بكاءً شديداً وبكى علي والحسن والحسين ﷺ لبكاء رسول الله ﷺ، فقالت فاطمة: يا رسول الله قد قطّعت قلبي، وأحرقت كبدي لبكائك يا سيد النبيين من الأولين والآخرين، ويا

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٩٦.

أمين ربه ورسوله، ويا حبيبه ونبيّه من لوُلدي بعدك؟ ولذُلّ ينزل بي بعدك؟ من لعلي أخيك وناصر الدين! من لوحي الله وأمره؟

ثم بكت وأكبت على وجهه فقبلته، وأكبّ عليه علي والحسن والحسين فرفع رأسه إليهم، ويد فاطمة في يده فوضعها في يد علي وقال له: يا أبا الحسن وديعة الله ووديعة رسوله محمد عندك، فاحفظ الله واحفظني فيها، وإنك لفاعل هذا.

يا علي هذه والله سيدة نساء أهل الجنة من الأولين والآخرين، هذه والله مريم الكبرى. أما والله ما بلغت نفسي هذا الموضع حتى سألت الله لها ولكم، فأعطاني ما سألته.

يا علي أنفذ ما أمرتك به فاطمة، فقد أمرتها بأشياء أمر بها جبرائيل، واعلم يا علي أني راضٍ عمّن رضيت عنه إبنتي فاطمة، وكذلك ربي وملائكته.

يا علي: ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزّها حقها، وويل لمن هتك حرمتها ثم ضم فاطمة إليه وقبّل رأسها وقال: فداك أبوك يا فاطمة»[1].

وهكذا فارقت روح النبي ﷺ الدنيا، وعاشت فاطمة عليها السلام ما لا يتصور من أجواء الحزن، والبكاء، والألم، كيف لا وهي التي أصيبت بمثل هذه الأجواء قبل وفاته واستشهاده ﷺ، حينما قالت له: نفسي لنفسك الفداء ووجهي لوجهك الوقاء، يا أبتاه ألا تكلمني كلمة فإني أنظر إليك وأراك مفارق الدنيا، وأرى عساكر الموت تغشاك شديداً. فقال لها: بنية إني مفارقك، فسلام عليك مني.

وهكذا حينما استشهد النبي ﷺ نعته الزهراء عليها السلام بقولها:

---

(١) م.ن، ص ١٩٧.

يا أبتاه من ربه ما أدناه! وأبتاه جنة الفردوس مأواه! وأبتاه إلى جبرائيل ننعاه! وأبتاه أجاب رباً دعاه»[1].

وقام علي ﷺ بتجهيز النبي ﷺ، وصلى عليه ﷺ وصلت عليه فاطمة ﷺ.

وحينما دُفن عليه الصلاة والسلام نعته ﷺ نعياً شديد الأسى والحزن، وأخذت شيئاً من تراب قبر أبيها عليه الصلاة والسلام وجعلت تشمه وتقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدى الزمان غواليا

قل للمغيب تحت أطباق الثرى ... إن كنت تسمع صرختي وندائيا

صبّت عليّ مصائب لو أنها ... صُبّت على الأيام صرن لياليا

«ثم رجعت إلى منزلها، وأخذت بالبكاء والعويل، وكانت سلام الله عليها معصبة الرأس، ناحلة الجسم منهدّة الركن، باكية العين، محترقة القلب، يُغشى عليها ساعة بعد ساعة، وتقول لولديها: أين أبوكما الذي كان يكرمكما ويحملكما مرة بعد مرة؟ أين أبوكما الذي كان أشد الناس شفقة عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض، لا أراه يفتح هذا الباب أبداً، ولا يحملكما على عاتقه، كما لم يزل يفعل بكما»[2].

وهكذا بقيت سيدتنا فاطمة ﷺ حزينة على أبيها ﷺ حزناً شديداً، ومن مظاهر هذا الحزن أنه لما توفي ﷺ ولما وُوري الثرى كان المؤذن بلال الحبشي قد امتنع عن الآذان، ولكن لما طلبت منه فاطمة ﷺ أن يؤذن، فأخذ بالآذان فلما قال: الله أكبر الله أكبر ذكرت أباها وأيامه، فلم تتمالك من البكاء، فلما بلغ إلى قوله: أشهد أن محمداً رسول الله شهقت

---

(١) البخاري، ج٥، ص ١٥.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٢٠٥.

فاطمة عليها السلام وسقطت لوجهها وغُشي عليها، فقال الناس لبلال: أمسك يا بلال فقد فارقت إبنة رسول الله صلى الله عليه وآله الدنيا، وظنوا أنها قد ماتت، فقطع آذانه، ولم يُتمه، فأفاقت فاطمة عليها السلام وسألته أن يتم الآذان فلم يفعل وقال لها: يا سيدة النسوان إني أخشى عليك مما تنزلينه بنفسك إذا سمعت صوتي بالآذان. فأعفته عن ذلك[1].

ومن مظاهر هذا الحزن أن علياً عليه السلام كان كلما جعل قميص النبي صلى الله عليه وآله أمام مرآها عليها السلام، كانت تشمه ويَغشى عليها.

ومن مظاهر حزنها عليها السلام على النبي صلى الله عليه وآله أنها لم تضحك ولم ترَ ضاحكة بعد وفاة واستشهاد النبي صلى الله عليه وآله حتى استشهادها عليها السلام. فقد مكثت عليها السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً وكان دخلها حزن شديد على أبيها وكان يأتيها جبرائيل فيحسن عزاءها على أبيها ويطيّب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها وكان علي عليه السلام يكتب ذلك»[2].

وفي هذه الأيام القلائل التي قضتها عليها السلام حزينة على النبي صلى الله عليه وآله، جرى مع الزهراء عليها السلام ما من شأنه زيادة حزنها، وأنينها، فهذا أبو بكر وحليفه الاستراتيجي عمر يمضيان قدماً في إيذاء علي وفاطمة عليهما السلام، بعدما سبق منهما إيذاء النبي صلى الله عليه وآله، فأقدم عمر بن الخطاب بأمر من أبي بكر على الهجوم على بيت علي وفاطمة عليهما السلام، وقام عمر بإحراق بيت فاطمة عليها السلام، وبضرب فاطمة، وبكسر ضلعها، وبفتق بطنها، وبإسقاط جنينها، وهكذا قام عمر بإيذاء علي عليه السلام وأخذه، وهيهات لنذل وجبان مثل عمر أن يتسنى له فعل ذلك لولا وصية أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام ألزمه فيها بعدم الانجرار

---

(١) م.ن.

(٢) م.ن، ص ٨٤.

إلى الحرب مع هؤلاء، وهكذا امتثل علي عليه السلام لأمر وصية النبي صلى الله عليه وآله، وصبر مع أنه أجدر من كل جدير، ولا ريب بأن الصبر على عدم الفعل أحياناً يكون أصعب من الفعل نفسه.

والآن لننصت سوياً إلى حديث كيفية إقدام عمر على إحراق بيت فاطمة عليها السلام، وضربها، وكسر ضلعها، وإسقاط جنينها:

فقد قال عمر لأبي بكر: «يا هذا إن الناس أجمعين قد بايعوك ما خلا هذا الرجل ـ (أي علي عليه السلام) ـ وأهل بيته فابعث إليه، فبعث إليه ابن عم لعمر يقال له قنفذ، فقال له: يا قنفذ انطلق إلى علي فقل له: أجب خليفة رسول الله، فبعثا مراراً وأبى علي عليه السلام أن يأتيهم، فوثب عمر غضبان ونادى خالد بن الوليد وقنفذاً فأمرهما أن يحملا حطباً وناراً ثم أقبل حتى انتهى إلى باب علي وفاطمة صلوات الله عليهما وفاطمة قاعدة خلف الباب قد عصّبت رأسها، ونحل جسمها في وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله.

فأقبل عمر حتى ضرب الباب ثم نادى: يا ابن أبي طالب افتح الباب! فقالت فاطمة: يا عمر ما لنا ولك لا تدعنا وما نحن فيه، قال افتحي الباب وإلا أحرقنا عليكم، فقالت: يا عمراً أما تتقي الله عزَّ وجلَّ تدخل على بيتي وتهجم على داري فأبى أن ينصرف، ثم دعا عمر بالنار فأضرمها في الباب فأحرق الباب ثم دفعه عمر فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت يا أبتاه يا رسول الله فرفع السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها فصرخت فرفع السوط فضرب به ذراعها فصاحت يا أبتاه، فوثب علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ بتلابيب عمر ثم هزّه فصرعه ووجأ أنفه ورقبته، وهمّ بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به من الصبر والطاعة، فقال: والذي كرّم محمداً بالنبوة يا ابن صهّاك لولا كتاب من الله سبق لعلمت أنك لا تدخل بيتي، فأرسل عمر يستغيث. فأقبل الناس حتى دخلوا الدار فكاثروه وألقوا في عنقه حبلاً

فحالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت، فضربها قنفذ الملعون بالسوط»[1].

وهكذا خرجت سيدتنا فاطمة ﷺ وبالرغم مما تحمل من ألم ووجع، خلف القوم الذين أخذوا علياً ﷺ وهي تطالب بتخلية علي ﷺ وإطلاق سراحه.

ولقد طابقت هذه الحادثة ما قاله النبي ﷺ حول ما سيجري على سيدتنا فاطمة ﷺ حيث قال عليه الصلاة والسلام إبان توديعها ﷺ الوداع الأخير:

«وأما ابنتي فاطمة فإنها سيدة نساء العالمين من الأوّلين والآخرين. وهي بضعة مني وهي نور عيني وثمرة فؤادي وهي روحي، وهي التي بين يدي ربها جلّ جلاله زهر نورها للملائكة في السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض، فيقول الله عزَّ وجلَّ للملائكة يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة سيدة نساء خلقي قائمة بين يدي ترتعد فرائصها من خيفتي وقد أقبلت بقلبها على عبادتي، أشهدكم أني قد أمنت شيعتها من النار وإني لما رأيتها تذكرت ما يُصنع بها بعدي وكأني بها وقد دخل عليها الذل في بيتها وانتُهكت حرمتها وغُصب حقها ومُنعت إرثها وكسر جنبها وسقط جنينها وهي تنادي: وامحمداه فلا تُجاب وتستغيث فلا تُغاث، فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية فتذكر انقطاع الوحي عن بيتها مرة وتذكر قرابتي أخرى وتستوحش إذا جنّها الليل لفقدي وفقد صوتي الذي كانت تأوي إليه إذا لهجت بالقرآن، ثم تُرى ذليلة بعد أن كانت عزيزة فعند ذلك يؤنسها الله تعالى ذكره بملائكته فتناديها بما نادت مريم ابنة عمران: «يا فاطمة إن الله اصطفاك وطهرك

(١) بحار الأنوار، ج٤٣.

واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين.

ثم يبتدئ بها الوجع فتمرض ويبعث الله عزَّ وجلَّ إليها مريم ابنة عمران فتمرضها وتؤنسها في علّتها، فتقول عند ذلك: «يا رب إني قد سئمت الحياة وتبرمت بأهل الدنيا فألحقني بأبي» فيلحقها الله عزَّ وجلَّ بي، فتكون أول من يلحقني من أهل بيتي، فتقدم عليّ محزونة مكروبة مغمومة مغصوبة مقتولة، فأقول عند ذلك: اللهم العن ظالميها وعاقب من غصب حقها، وأذلّ من أذلّها، وخلّد في النار من ضربها على جنبها حتى ألقت ولدها، فتقول الملائكة عند ذلك: آمين[1].

وصدق رسول الله ﷺ في كل ما استشرفه عن مستقبل فاطمة عليها السلام، فتعرضت لكل ما سرده وقصّه، وهذا الخليفة الأول وبتحريض من الثاني يمنع سيدتنا فاطمة عليها السلام من إرثها المستحق لها، فيغتصب حقها وإرثها الطبيعي في فدك، فيأخذ فدك[2] غصباً محتجاً برواية انفرد بها، في حين أن القرآن الكريم نطق بحقها عليها السلام في فدك، وكون هذه الأرض تحت سلطتها وبيدها دليل آخر على أحقيتها، ومع ذلك فإن ذاك اللعين غصب حقها.

ولهذا بقيت عليها السلام غاضبة على كليهما ـ أبو بكر وعمر ـ حتى ماتت شهيدة.

ومن المعلوم أن غضبها عليها السلام يعني غضب الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ.

وبما أن فاطمة غاضبة على أبي بكر وعمر، فالله عزَّ وجلَّ غاضب عليهما، وكذا الرسول ﷺ، وظلت فاطمة عليها السلام مريضة من جراء الظلم الذي

---

(١) م.ن، الجزء العاشر.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٢٢١.

لحق بها، وطريحة الفراش، باكية حتى أن علياً بنى لها بيتاً مخصصاً للبكاء سمي بيت الأحزان، حتى استشهدت روحي فداها.

«ولقد أوصت أمير المؤمنين أن يتخذ لها نعشاً رأت الملائكة قد صوّرت لها صورته.

وأن لا يشهد أحدٌ ممن ظلمها جنازتها ولا أن يصلوا عليها.

وأن يتزوج بأمامة ابنة أختها زينب لتقوم بشؤون ولدها.

وأنه إذا أنزلها في القبر وسوى التراب عليها يجلس عند رأسها قبالة وجهها ويكثر من تلاوة القرآن فإنها ساعة يحتاج الميت فيها إلى أنس الأحياء.

وأن لا يعلم بموتها إلا أم سلمة وأم أيمن وعبدالله بن العباس وسلمان والمقداد وأبا ذر وعمار وحذيفة»[1].

وهكذا ماتت شهيدة مظلومة مهضومة، مكسورة الضلع، مسودّة المتن، ناحلة الجسم صابرة محتسبة فيما بين المغرب والعشاء بعد خمسة وسبعين يوماً من وفاة النبيﷺ في ١٣ جمادى الأولى سنة ١١هـ.

وغسلها عليعليه السلام ليلاً ـ كما أوصت ـ وكفّنها في سبعة أثواب وصلى عليها، وحضر في الصلاة على جنازتها الحسن والحسين وسلمان والمقداد وأبو ذر وعمار وحذيفة وعبدالله بن مسعود والعباس وعقيل بن أبي طالب. ولم يحضر جنازتها أبو بكر ولا عمر ولا أحد ممن ظلمها. ودفنها عليعليه السلام ليلاً وعفّى موضع قبرها. وعمل صورة عدة قبور لأجل إخفاء موضع قبرها»[2].

---

(١) م.ن، ص ٤٢٥.

(٢) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٤٤٤.

واختلف في موضع قبرها فقيل دُفنت في بيتها، وقيل ما بين قبر النبي ﷺ ومنبره، وقيل غير ذلك، وجاء في الكافي الشريف عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: دُفنت في بيتها فلما زادت بنو أمية المسجد صارت في المسجد(١).

والآن هلمي أيتها المرأة في كل مكان لنجيب عن سؤال وجيه هو:

كيف نقتدي بفاطمة عليها السلام؟؟

والجواب: أننا نقتدي بفاطمة الصغيرة التي عاشت منذ صغرها أجواء الرسالة، وخدمة الدين الحنيف، وهكذا أنت تستطيعين عيش رسالة الإسلام والدين في عصرك هذا، فتعملين على نصرة الدين من خلال نصرة أولياء الدين المعروفين، أي مراجع الإسلام الأصيل.

فها هي فاطمة عليها السلام تذهب إلى أبي طالب عليه السلام وتطلب منه نصرة النبي ﷺ حينما اعتدى عليه أهل الشرك فيجيبها مؤمن قريش إلى ذلك، وها هي عليها السلام تزيل عن جسد النبي ﷺ المبارك الأوساخ والأدران التي وضعها أهل الشرك، وها هي عليها السلام تأتي للنبي ﷺ بزاده أيام الحرب.

وإننا نقتدي بفاطمة سلام الله عليها المهاجرة في سبيل الرسالة والإسلام، ونقتدي بفاطمة عليها السلام الزوجة التي اختارت رجل الإيمان والعقيدة ولم تختر المال والجاه، نقتدي بفاطمة عليها السلام الزوجة التي رضيت بمهر قليل، وبأثاث بيت زهيد!!!

نقتدي بفاطمة الزوجة التي تعبت في بيتها الزوجي حتى مُجِلت يداها!!

نقتدي بفاطمة الأم التي وضعت أولادها وهي تعلم مصائرهم، فذاك

---

(١) م.ن، ص ٤٣٨.

يقتل مسموماً، وذاك مذبوحاً ومع ذلك هي ترضى بما يرضاه الله عزَّ وجلَّ.

نقتدي بفاطمة العابدة التي تورمت قدماها من شدة العبادة لله عزَّ وجلَّ!!!

نقتدي بفاطمة الزاهدة التي آثرت المساكين والأيتام والأسارى على نفسها، والتي كانت تتصدق بكل ما تملك من أجل غيرها، وقد ورد أن النبي ﷺ صنع لابنته فاطمة عليها السلام قميصاً في يوم عرسها وكان قميصاً جديداً فيما كان لديها قميص آخر مرقوع، وإذا بسائل على الباب يقول: أطلب من بيت النبوة قميصاً خَلِقاً، فأرادت أن تدفع له القميص المرقوع، فتذكرت قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ فدفعت له الجديد».

نقتدي بزهد فاطمة وتصدقها حينما قدّمت عقدها الذي أهدتها إياه فاطمة بنت حمزة سيد الشهداء إلى ذاك الأعرابي المحتاج ولم تكن تملك غيره، وقد ذهب العقد من عند فاطمة عليها السلام إلى الأعرابي، ثم اشتراه عمار بن ياسر، ثم عاد إلى الرسول ﷺ، ثم إلى فاطمة عليها السلام بعدما أشبع جائعاً، وكسى عرياناً، وأغنى فقيراً، وأعتق عبداً وكل ذلك بفضل وببركة فاطمة عليها السلام.

نقتدي بفاطمة عليها السلام حينما يأتيها زوجها علي عليه السلام فيراها قانعة صابرة بالحال التي هي عليه من فقدان القوت.

نقتدي بفاطمة عليها السلام التي من فرط كرامتها عند الله عزَّ وجلَّ، ولأجل بركتها كانت تمسي وليس عندها شيء من القوت، فيرزقها الله من حيث لا تحتسب، فقد ورد أن علياً عليه السلام خرج يوماً وفاطمة وأولادها عليهم السلام يتضورون جوعاً، فاستقرض ديناراً، وهنيهة يجد المقداد بن الأسود الصحابي

المخلص قد خرج لطلب الرزق، فيؤثره علي عليه السلام على نفسه كعادته، ثم يذهب للصلاة في المسجد، فيعرض عليه النبي صلى الله عليه وآله أن يتعشى عنده، فاستحى علي عليه السلام لأنه لا يوجد أي شيء من الطعام في بيت فاطمة عليها السلام، ولو كسرة خبز، ولكن النبي صلى الله عليه وآله كان يعلم بأن صهره الإمام علي عليه السلام لا يوجد عنده شيء من الطعام، ويعلم بقصة الدينار، فقال صلى الله عليه وآله للإمام عليه السلام: يا أبا الحسن مالك لا تقول: لا فأنصرف، أو تقول: نعم فأمضي معك، فقال عليه السلام حياءً وكرماً: فاذهب بنا.

فأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله يده عليه السلام ومضيا إلى فاطمة عليها السلام، وإذ بها تصلي وخلفها جفنة، فلما انتهت من صلاتها، طلب صلى الله عليه وآله منها العشاء، فوضعت الجفنة التي يفترض أن تكون فارغة، فإذ بها ممتلئة بما لذّ وطاب من الطعام، فقال علي عليه السلام: يا فاطمة أنّى لك هذا الطعام الذي لم أنظر إلى مثل لونه قط، ولم أشم ريحه قط، وما آكل أطيب منه؟؟ فقال الرسول صلى الله عليه وآله: يا علي هذا بدل دينارك، وهذا جزاء دينارك من عند الله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم بكى النبي صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي أبى لكما أن تخرجا من الدنيا حتى يجزيكما، ويجزيك ـ يا علي ـ مجزى زكريا، ويجزي فاطمة مجزى مريم بنت عمران، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً.

نقتدي بفاطمة عليها السلام التي رآها ولدها الحسن عليه السلام قائمة في محرابها ليلة الجمعة فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وهي تدعو لغيرها قبل نفسها قائلة: الجار ثم الدار.

نقتدي بفاطمة عليها السلام التي إذا قامت في محرابها زهر نورها لملائكة السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض. فيقول الله عزَّ وجلَّ

لملائكته: يا ملائكتي انظروا إلى أمتي فاطمة. سيدة إمائي قائمة بين يدي، ترتعد فرائصها من خيفتي، وقد أقبلت بقلبها على عبادتي.

نقتدي بفاطمة ﷺ التي استبدلت الدراهم بالشفاعة، والخدم والحشم بالتسبيح المعروف بتسبيح الزهراء ﷺ.

فلقد استقت ﷺ بالقربة أي كانت تعمل في جلب الماء حتى بدت آثار القربة على صدرها، وجرّت بالرحى حتى مُجِلت يداها، وكنستِ البيت حتى امتلأت ثيابها بالغبرة، وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها، ومع ذلك فإنها رضيت بأن تستبدل الخادمة بتسبيحتها التي هي هدية الرسول ﷺ إليها. وهي سبحان الله والحمد لله والله أكبر، مائة مرة، فكانت ﷺ تسبح عقيب كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة، وتحمد كذلك، وتكبر أربعاً وثلاثين مرة. وقد كانت ﷺ تسبح بسبحة مصنوعة من خيط صوف مفتّل معقودة بعدد الأذكار، وبعد استشهاد الحمزة ﷺ صنعت من تربة قبره مسبحتها وهكذا فعل الناس، فلما استشهد الحسين ﷺ صارت السبحة مصنوعة من تربة قبره المطهر رزقنا الله زيارته.

نقتدي بفاطمة ﷺ التي كانت بغاية العفة، والمحافظة على الحجاب، وهي التي قالت «خير للنساء أن لا يرين الرجال، وخير لهن أن لا يراهن الرجال» وهي التي أبت أن تبقى في مكان فيه أعمى لأنه إن لم يكن يراها فهي تراه.

نقتدي بفاطمة ﷺ التي كانت من المؤسسات لمسيرة النبوة، والمدافعات عن الإمامة، والرابط الأوحد بين مقام النبوة والإمامة.

نقتدي بفاطمة ﷺ العالمة والتي خطبت تلك الخطبتين، وفيهما من العلم ما لا يبلغه إلا النبي ﷺ وعلي ﷺ، والمعصومين ﷺ.

نقتدي بفاطمة عليها السلام حينما وقفت في وجه طاغية عصرها الخليفة الأول، ولقد وقفت تلك الوقفة الشجاعة وحاججته بالأدلة والبراهين، وأفحمته أمام الملأ، وانتصرت لنهج أبيها صلى الله عليه وآله، وزوجها عليه السلام.

نقتدي بفاطمة عليها السلام المظلومة التي تحملت كل صنوف الإحن والمحن لأجل الإسلام.

نقتدي بفاطمة عليها السلام من خلال الدخول في دائرة محبتها وعشقها، وبغض ظالميها وخصومها، ومبغضيها، والدخول في دائرة شفاعتها، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقها عليها السلام: يا فاطمة أبشري فلك عند الله مقام محمود، تشفعين فيه لمحبيك فتشفعين»[1].

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا فاطمة وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لقد آليت على نفسي من قبل أن أخلق السموات والأرض بألفيّ عام أن لا أعذّب محبيك ومحبي عترتك بالنار»[2].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام جعلت فداك يابن رسول الله حدثني بحديث في فضل جدتك فاطمة، إذا أنا حدثت به الشيعة فرحوا بذلك.

فقال أبو جعفر عليه السلام: حدثني أبي عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا كان يوم القيامة تنصب للأنبياء والرسل منابر من نور، فيكون منبري أعلى من منابرهم يوم القيامة، ثم يقول الله: اخطب، فأخطب بخطبةٍ لم يسمع أحد من الأنبياء والرسل بمثلها، ثم ينصب للأوصياء منابر من نور، ويُنصب لوصيي علي بن أبي طالب في أوساطهم منبر، فيكون منبره أعلى من

---

(١) م.ن، ص ٤٥٧.

(٢) م.ن.

منابرهم، ثم يقول الله: يا علي اخطب، فيخطب خطبة لم يسمع أحد من الأوصياء بمثلها، ثم ينصب لأولاد الأنبياء والمرسلين منابر من نور، فيكون لإبني وسبطيّ وريحانتي أيام حياتي منبر من نور، ثم يُقال لهما اخطبا، فيخطبان بخطبتين لم يسمع أحد من أولاد الأنبياء والمرسلين بمثلها!

ثم ينادي المنادي: وهو جبرائيل ﷺ: أين فاطمة بنت محمد؟ فتقوم ﷺ . . . يقول الله تبارك وتعالى: يا أهل الجمع لمن الكرم اليوم؟

فيقول محمد وعلي والحسن والحسين ﷺ: لله الواحد القهار. فيقول الله تعالى: يا أهل الجمع إني قد جعلت الكرم لمحمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين، يا أهل الجمع، طأطأوا الرؤوس، وغضوا الأبصار، فإن هذه فاطمة تسير إلى الجنة، فيأتيها جبرائيل بناقة من نوق الجنة، مدبّحة الجنبين، خطامها من اللؤلؤ الرطب، عليها رحل من المرجان، فتُناخ بين يديها فتركبها، فيبعث الله مائة ألف ملك ليسيروا عن يمينها، ويبعث إليها مائة ألف ملك ليسيروا عن يسارها، ويبعث إليها مائة ألف ملك، يحملونها على أجنحتهم، حتى يصيّروها على باب الجنة، فإذا صارت عند باب الجنة تلفت، فيقول الله، يا بنت حبيبي ما التفاتك وقد أمرتُ بك إلى جنتي؟

فتقول: يا رب أحببت أن يعرف قدري في مثل هذا اليوم! فيقول الله: يا بنت حبيبي! ارجعي فانظري من كان في قلبه حب لك أو لأحد من ذريتك، خذي بيدي فأدخليه الجنة.

قال أبو جعفر ﷺ والله يا جابر، إنها ذلك اليوم لتلتقط شيعتها ومحبّيها، كما يلتقط الطير الحب الجيد من الحبّ الرديء، فإذا صار شيعتها معها عند باب الجنة، يلقي الله في قلوبهم أن يلتفتوا، فإذا التفتوا يقول الله تعالى: يا أحبائي ما التفاتكم، وقد شفّعت فيكم فاطمة بنت حبيبي؟

فيقولون: يا رب أحيبنا أن يُعرف قدرنا في مثل هذا اليوم؟

فيقول الله: يا أحبائي ارجعوا وانظروا، من أحبكم لحب فاطمة، انظروا من أطعمكم لحب فاطمة، أنظروا من كساكم لحب فاطمة، أنظروا من سقاكم شربة في حب فاطمة، أنظروا من ردّ عنكم غيبة في حب فاطمة فخذوا بيده وأدخلوه الجنة»[1].

لا ريب بأن فاطمة الزهراء، المحدِثة، والمحدَثة، والزكية، والمباركة، والطاهرة، والراضية، والبتول، والصديقة، والشهيدة، وأم أبيها، وسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، والشفيعة، والمشفعة، والعابدة، والزاهدة، والمتبتلة، والعالمة العاملة، والمهاجرة، والمجاهدة، والمتصدقة، والقانعة، والصابرة، والمصطفاة، والهادية، والخارجة إلى الآخرة، والتاركة لمغريات الدنيا، والبنت الرسالية، والزوجة الكادحة، والأم الرؤوم، والمرأة العفيفة، والمحتشمة، والحيية، والحوراء الإنسية؛ هي امرأة جمعت كل الكمالات المادية والمعنوية في شخصها المبارك، وبالحق فإن من الإعجاز بمحل أن تكون امرأة كالزهراء عاشت تلك الفترة القصيرة من العمر واستطاعت أن تكون علية إلى هذه الدرجة، وأنا أقول للمرأة إذا أردت امرأة أفضل من الأنبياء والرسل ما خلا محمد وعلي عليهما الصلاة والسلام فعليك الافتخار بفاطمة، وإذا أردت أن تقتدي بامرأة فلا تخطأي منهج الزهراء، ولا تقولي أنّى لي الاقتداء بفاطمة وهي هي وأنا أنا، فمن الواضح عدم مكنتك على الوصول إلى درجتها، لأنها المعصومة والكاملة، ولكن بمكنتك أن تسيري وفق نهجها بما يتاح لك، وبحسب طاقتك، ولتعلمي أنك إذا عملت وفق منهج فاطمة بحسب طاقتك وقدرتك، فلا ريب بأنك ستصلين إلى مقام عظيم

(١) م.ن.

وعظيم جداً، لأن الاقتداء بفاطمة عليها السلام بالشيء اليسير لا يستهان به، فكيف بالاقتداء بحسب الطاقة؟؟!!

لا ريب بأن فاطمة عليها السلام هي النموذج الأرقى للإنسانية في هذا الوجود، ولا ريب بأنها عليها السلام هي سيدة العوالم. مِن عالم خِلقتها إلى الأبد والسرمد، ولا يسع أحد إلا أن يقول بمثل مقالتي هذه إذا ما أمعن في ولوج بحر فضائلها اللجيّ، وخاض في سيرتها الملكية والملكوتية، وتلمس آثار بركاتها العمّالة في كل أرجاء الوجود.

هي فاطمة عليها السلام، وما أدراك ما فاطمة؟؟ ولنعم ما قال آية الله الأصفهاني في حقها:

تصوّرت حقيقة الكمال ... بصورة بديعة الجمال

فإنها الحوراء في النزول ... وفي الصعود محور العقول

يمثّل الوجوب في الإمكان ... عيانها بأحسن العيان

فإنها قطب رحى الوجود ... في قوس النزول والصعود

ولنعم ما قال آخر حيث يقول:

إن قيل حواء قلت: فاطم فخرها ... أو قيل مريم قلت: فاطم أفضل

أفهل لحوّا والد كمحمد ... أم هل لمريم مثل فاطم أشبُلُ

٢ ــ خديجة بنت خويلد:

وهي امرأة عظيمة الشأن، رفيعة المنزلة، انقادت لها سيادة النساء، وتتوجت بشتى الصفات النسوية الكاملة.

وكانت السيدة خديجة بنت خويلد أول النساء إسلاماً، بل سبقت كل أحد إلى الإسلام ما خلا محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام.

وكانت السيدة خديجة عليها السلام امرأة مرموقة قبل الإسلام، وكان لها من

المكانة ما لا يبلغه الوصف، ولقد طارت سمعتها في الآفاق، فاشتهرت بالطهارة، والعفة، والكياسة، والفطنة.

وبالرغم من تلك الفترة الموبوئة بقذارة الشرك والتخلف، فإن السيدة خديجة عليها السلام كانت محصنة من كل الآفات والسيئات «فكانت امرأة بيضاء، طويلة حسناء، شريفة في قومها، عاقلة في أمورها، لها نصيب وافر من الذكاء، وبصيرة في الأمور، تعتمد على نفسها وشخصها، تدير عجلة التجارة بفكرها الوقّاد، وتعرف مبادئ الاقتصاد والاستيراد والتصدير»[1].

تزوجها رسول الله صلى الله عليه وآله برغبة شديدة منها، وكانت بكراً لم تتزوج من أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله خلافاً لما هو متعارف بأنها كانت متزوجة ولها أولاد، والدليل على أن النبي صلى الله عليه وآله تزوجها بكراً وعذراء غير ثيّب ولا متزوجة من قبل، أن الأحاديث في زواجها القديم قبل النبي صلى الله عليه وآله مضطربة غير مستقرة، كما أنّ أرباب السير والتاريخ أكثرهم من أنصار عائشة التي كانت تعيش حالة شديدة من الحسد والغيرة والحقد على خديجة وابنتها فاطمة عليهما السلام، فأراد هؤلاء أن يقولوا بأن خديجة كانت متزوجة لكي يرفعوا شأن عائشة وينتصروا لها، والكل يعلم بأن عائشة كانت على وتيرة عالية من الحقد والغيرة والحسد حيال خديجة عليها السلام وكذا ابنتها فاطمة عليها السلام، وهذا بديهي لأن خديجة كانت أجمل وأعقل، وأشرف مكانة من عائشة، ولأن خديجة عليها السلام أنجبت وعائشة لم تنجب، ولأن خديجة عليها السلام لم تشاركها أي امرأة أخرى في زوجية النبي صلى الله عليه وآله، وعائشة كانت واحدة من تسع، ولأن خديجة عليها السلام كانت أسبق من عائشة في الزواج من النبي صلى الله عليه وآله، وأسبق منها إلى الإسلام، ولأن خديجة كانت دائماً مستقرة المحبة في قلب النبي صلى الله عليه وآله، ومستقرة الذكر على لسانه صلى الله عليه وآله بخلاف عائشة التي ذمها القرآن الكريم حينما

---

(١) م.ن، ص ٢٥.

وصفها بأنها صغى قلبها ومال عن الحق، والتي ذمها النبيﷺ في غير موطن وموقف.

وعلى هذا فخديجة ﷺ تزوجت رسول الله ﷺ وكانت عذراء كما دلت على ذلك بعض الروايات التاريخية، وبعض التحقيقات(١).

ولنفس السبب الذي ذكرنا، حول محاولة أنصار عائشة للقول بأن خديجة كانت متزوجة قبله ﷺ فإنهم قالوا بأنها ﷺ كانت بنت أربعين سنة حينما تزوجها النبي ﷺ، في حين أنها تزوجت وكان عمرها ﷺ ستة وعشرين سنة أو ثمانية وعشرين سنة(٢).

وعلى هذا فقد تزوجت خديجة ﷺ من النبي ﷺ وكانت بنت ستة وعشرين سنة، أو ثمانية وعشرين سنة، وكانت عذراء لم تعرف زوجاً من قبل وأدل دليل على كونها عذراء ولم تتزوج من قبل هو رفضها الزواج من كل من تقدم إليها بالزواج، فقد رفضت الزواج من أبي سفيان، وأبي جهل، وعقبة بن المعيط وغيرهم.

ولا ريب بأن بعض المؤرخين أشاروا إلى هذا المغزى في كتبهم بنحو لا يرقى إليه الشك(٣).

ومن المسلم به أن خديجة ﷺ كانت ترغب رغبة شديدة من الزواج بالنبي ﷺ، لما سمعته عنه، ورأته فيه، فقد أخبرها غلامها ميسرة عما رآه من معجزات للنبي ﷺ حينما كان وإياه ﷺ في رحلة الشام، ومن شدة فرحها بما أخبرها ميسرة عن كرامات ومعجزات محمد ﷺ، وما قال فيه الراهب بحيرى في الشام أعتقت ميسرة مع عائلته وزودته بالمال، وقد

---

(١) م.ن، ص ٢٧.
(٢) م.ن.
(٣) راجع كتاب سيد المرسلين.

سمعت من عمها أو ابن عمها ورقة بن نوفل عن محمد ﷺ ما يجعلها راغبة بالزواج به.

وقد مر النبي ﷺ يوماً بمنزل خديجة وهي جالسة في ملأ من نسائها وجواريها وخدمها وكان عندها حبر من أحبار اليهود، فلما مرّ النبي ﷺ نظر إليه ذاك الحبر وقال: يا خديجة مُري من يأتي بهذا الشاب، فأرسلت إليه من أتى به، ودخل منزل خديجة فقال له الحبر: إكشف عن ظهرك فلما كشف له قال الحبر: هذا والله خاتم النبوة. فقالت له خديجة: لو رآك عمه وأنت تفتشه لحلّت عليك نازلة البلاء وإن أعمامه ليحذرون عليه من أحبار اليهود. فقال الحبر: ومن يقدر على محمد هذا بسوء، هذا وحق الكليم رسول الملك العظيم في آخر الزمان، فطوبى لمن يكون له بعلاً، وتكون له زوجة وأهلاً فقد حازت شرف الدنيا والآخرة.

فتعجبت خديجة، وانصرف «محمد» وقد اشتغل قلب خديجة بنت خويلد بحبه فقالت: أيها الحبر بم عرفت محمداً أنه نبي؟ قال: وجدت صفاته في التوراة أنه المبعوث آخر الزمان يموت أبوه وأمه، ويكفله جده وعمّه، وسوف يتزوج بإمرأة من قريش سيدة قومها وأميرة عشيرتها، وأشار بيده إلى خديجة فلما سمعت خديجة ما نطق به الحبر تعلق قلبها بالنبي ﷺ فلما خرج من عندها قال: اجتهدي أن لا يفوتك محمد فهو الشرف في الدنيا والآخرة»[1].

ولقد عاينت خديجة ؓ بأم عينها أمانة النبي ﷺ، وتميزه عن غيره فلذا اختارته زوجاً.

وهكذا رغبت خديجة ؓ بالزواج من النبي ﷺ، فحينما أخبرها

---

(١) سيد المرسلين، ج١، ص ٢٧١.

غلامها ميسرة «بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ فقالت له: يا ابن عم إني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك [أي شرفك ومكانتك] في قومك، وأمانتك وحُسن خلقك، وصدق حديثك» ثم اقترحت عليه أن تتزوج به.

ويعتقد أكثر المؤرخين أن «نفيسة بنت علية» بلّغت رسالة خديجة إلى النبي ﷺ على النحو التالي: قالت لرسول الله ﷺ: يا محمد ما يمنعك أن تتزوج... ولو دُعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجيب؟ فقال رسول الله ﷺ: فمن هي؟ فقالت: خديجة، فقال رسول الله ﷺ: وكيف لي بذلك، فقالت: عليّ، فذهبت إلى خديجة فأخبرتها، فأرسلت خديجة إلى رسول الله ﷺ بوكيلها عمرو بن أسد لتحديد ساعة من أجل مراسم الخطبة في محضر الأقارب.

فشاور النبي ﷺ أعمامه وفي مقدمتهم «أبو طالب»، ثم عقدوا مجلساً فخماً حضره كبار وجوه قريش، ورؤساؤها فخطب أبو طالب، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه وصف ابن أخيه محمداً قائلاً: ثم إن ابن أخي محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفاً ونُبلاً وفضلاً وعقلاً، وإن كان في المال فإن المال ظل زائل، وأمرٌ حائل، وعارية مسترجعة وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة، والصّداق ما سألتم عاجله وآجله من مالي، ومحمد من قد عرفتم قرابته... ثم أُجري عقد النكاح ومهرها النبي ﷺ أربعمائة دينار»(١).

ولما تزوجت خديجة عليها السلام بمحمد ﷺ قالت له ﷺ وهي بغاية الأدب والاحترام: إلى بيتك، فبيتي بيتك، وأنا جاريتك»(٢).

الله أكبر تلك المرأة العظيمة، التي كانت سيدة نساء عصرها، وأرفعهن

---

(١) م.ن، ص ٢٧٣.
(٢) م.ن، ص ٢٦٨.

مكانة، وعظمة وشرفاً، وأكثرهن جمالاً ومالاً تعتبر نفسها جارية عند النبي ﷺ!!! وهذا يعني أن محمداً ﷺ لم يكن مجرد زوج لخديجة، بل وطنت نفسها على أن تكون طوع أمره باعتباره قائداً عظيماً، ونبياً مرسلاً.

وهكذا عاشت سيدتنا خديجة عليها السلام مع النبي ﷺ حياة قدسية ممتلئة بالمحبة، وطافحة بالمودة، يسودها الاحترام والتفاهم، ويزينها اشتراك الهدف الرسالي، ولما بُعث نبينا محمد ﷺ أيدته خديجة عليها السلام تأييداً كاملاً، ولما عرض عليها النبي ﷺ الإسلام قبلت من دون تردد، وهذا بلا شك يعود إلى رجاحة عقلها، واتزان شخصيتها، ومنسوب خبراتها العالي، مضافاً إلى ما سمعته سابقاً عن النبي ﷺ، وخبرته منه ﷺ، وعاينت شيئاً ما من كراماته وأماناته ﷺ.

وهكذا كانت خديجة عليها السلام أول امرأة مسلمة، وقد قال علي عليه السلام «لم يجمع بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما»(١).

ولم تكن خديجة عليها السلام أول من أسلمت من النساء فحسب، بل أول من صلّت، فقد ورد أن رجلاً قدم مكة أيام الحج فرأى رجلاً يصلي باتجاه الكعبة، وامرأة تصلي خلفه، ورأى غلاماً يصلي معهما، فسأل العباس عم النبي ﷺ عن هؤلاء الثلاثة وعن دينهم فأجاب قائلاً: هذا محمد بن عبدالله ابن أخي زعم أن الله أرسله، وهذه امرأته خديجة آمنت به، وهذا الغلام علي بن أبي طالب آمن به، وأيُم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة»(٢).

ولم تكتفِ سيدتنا خديجة عليها السلام بالإسلام والإيمان القولي المنعقد في

---

(١) م.ن، ص ٢٥٩.
(٢) م.ن، ص ٢٦٠.

القلب انعقاداً شديداً ومحكماً، بل أسلمت وآمنت فعلاً وعملاً، فها هي تبذل كل طاقاتها وإمكاناتها المادية والمعنوية في سبيل الإسلام والرسالة، ولا ريب بأن خديجة عليها السلام أعطت للإسلام ولم تأخذ مقابل ذلك شيئاً من حطام الدنيا الزائلة، وكل ما استفادته ـ وهذا شيء عظيم ولكنها تستحق ذلك ـ هو أجرها عند الله عزَّ وجلَّ، بينما نلاحظ أن بعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله وبالأخص عائشة لم تعطِ للإسلام شيئاً بل استفادت منه مالاً وأبهة لا عن استحقاق وجدارة، فترى عائشة تؤازر معاوية بن أبي سفيان ضد إمام زمانها علي عليه السلام، وتعتدي على أهل البيت عليهم السلام بعد ذلك من خلال اغتصاب مرقد النبي صلى الله عليه وآله والادعاء بأنه بيتها الأمر الذي أدى إلى منع الحسن عليه السلام من أن يُدفن بالقرب من قبر جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وكل ذلك بادعاء أنها زوجة النبي صلى الله عليه وآله، والمعلوم أن كون المرأة زوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وآله لا يعني أن تكون بالضرورة مؤمنة، وهذه امرأة لوط، وامرأة نوح خير شاهد على ذلك.

وبناءً على هذا فإن سيدتنا خديجة عليها السلام لم تدخل في الإسلام، ولم تؤمن به من أجل أن تكسب غنائم دنيوية حقيرة، بل لأجل ذاك المخزون الاعتقادي السليم، والإيماني العميق.

وليعلم بأن النبي صلى الله عليه وآله لو قُدّر له أن تكون زوجته خديجة حية ترزق، وكانت لديه بعض أزواجه المنقلبات عليه وعلى دينه كعائشة، لما كان صلى الله عليه وآله ليقارن بينهن وبين خديجة عليها السلام البتة، لعدم وجود أدنى مقارنة بين فضائل خديجة ورذائل غيرها.

وهكذا ولأجل الإسلام ورسول الله صلى الله عليه وآله، وهبت خديجة عليها السلام كل ما تملك من أجل ذلك، فقد وهبت كل ثروتها للنبي صلى الله عليه وآله لينفقها في نشر الإسلام، وإعلاء كلمة الحق، وإرساء قواعد التوحيد، وبث الدين الجديد، وأصبحت تلك الدار الفخمة التي كانت تزينها الكراسي المرصعة، والستر

المطرزة، المصنوعة من أغلى الأقمشة الهندية، والإيرانية، ملجأ للمسلمين، وملتقى لأنصار الرسالة!!»[1].

وقد يقوم الشخص بوهب ما عنده، ولكنه يبقى آمناً من الأذى المادي والمعنوي، بل إن من يهب المال الكثير، والجاه العظيم إنما يفعل ذلك لأجل كسب الشهرة، والاحترام والتأييد، ولكن خديجة ﷺ وهبت كل ما تملك من أجل الإسلام، وفوق ذلك هي تعرضت للجوع والأذى المباشر في سبيل الإسلام، وها هي ﷺ تعيش أجواء حصار المشركين للمسلمين في شعب أبي طالب، وتلاقي كل صنوف المرارة والأذى في سبيل الإسلام.

أجل خديجة ﷺ «المرأة الغنية الثرية العائشة في أفضل عيش تصبح في بيت زوجها الرسول ﷺ تلك الزوجة المطيعة الخاضعة، الوفية المخلصة، وتسارع إلى قبول دعوته، واعتناق دينه بوعي وبصيرة وإرادة منها واختيار، وهي تعلم ما ينطوي عليه ذلك من مخاطر ومتاعب، وتجعل كل ثروتها في خدمة العقيدة والمبدأ، وتشاطر زوجها آلامه ومتاعبه، وترضى بأن تذوق مرارة الحصار في شعب أبي طالب ثلاث سنوات»[2].

وقد ورد أنها ﷺ كانت تفرج عن رسول الله ﷺ كل هم وغم، وكانت تخفف عنه، وتهون عليه أمر الناس، وكانت وزيرة صدق على الإسلام، وكان رسول الله يسكن إليها.

وقال أبو أمامة النقاش: إن سبق خديجة وتأثيرها في أول الإسلام ومؤازرتها ونصرتها وقيامها لله بمالها ونفسها لم يشركها فيه أحد لا عائشة ولا غيرها من أمهات المؤمنين»[3].

---

(١) م.ن، ص ٢٥٩.
(٢) م.ن، ص٢٦٦.
(٣) م.ن، ص ٢٦٧.

ولقد تأذت سيدتنا خديجة في سبيل الإسلام، ومن ذلك لما أرادت أن تضع فاطمة الزهراء ﷺ، لم ترضَ نساء العرب وقريش في إعانتها على ذلك مجافاةً لها جراء زواجها من محمد ﷺ، فأكرمها الله عزَّ وجلَّ أن جعل أفضل نساء الدنيا خدامها في ولادة سيدتنا المعظمة فاطمة بنت محمد الزهراء ﷺ.

ومن ذلك «أن رسول الله ﷺ عندما أُمر بأن يصدع بالرسالة صعد إلى الصفا، وأخبر الناس بما أمره الله به فرماه أبو جهل قبحه الله بحجر فشجّ ما بين عينيه، وتبعه المشركون بالحجارة فهرب حتى أتى الجبل، فسمع علي وخديجة بذلك فراحا يلتمسانه ﷺ وهو جائع عطشان مرهق، ومضت خديجة تبحث عنه في كل مكان في الوادي وهي تناديه بحرقة وألم، وتبكي وتنحب، فنظر جبرائيل إلى خديجة تجول في الوادي فقال: يا رسول الله ألا ترى إلى خديجة فقد أبكت لبكائها ملائكة السماء؟ أدعها إليك فأقرأها مني السلام وقل لها: إن الله يقرئك السلام، ويبشرها أن لها في الجنة بيتاً من قصب لا نصب فيه ولا صخب فدعاها النبي ﷺ والدماء تسيل من وجهه على الأرض وهو يمسحها ويردها، وبقي رسول الله ﷺ، وعلي وخديجة هناك حتى جنّ الليل فانصرفوا جميعاً ودخلت به خديجة منزلها، فأقعدته على الموضع الذي فيه الصخرة وأظلّته بصخرة من فوق رأسه، وقامت في وجهه تستره ببردها وأقبل المشركون يرمونه بالحجارة، فإذا جاءت من فوق رأسه وقته الصخرة، وإذا رموه من تحته وقته الجدران الحُيّط، وإذا رُمي بين يديه وقته خديجة رضي الله عنها بنفسها، وجعلت تنادي يا معشر قريش تُرمى الحُرّةُ في منزلها؟ فلما سمعوا ذلك انصرفوا عنه، وأصبح رسول الله ﷺ وغدا إلى المسجد يصلي»(١).

(١) م.ن، ص ٢٦٧-٢٦٨.

ولما أن سيدتنا خديجة عليها سلام الله كانت على هذه الشاكلة الحميدة، فإنها غدت قريبة من الله عزَّ وجلَّ، فبعث الله عزَّ وجلَّ بسلامه إليها، وبشّرها بالجنة، فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أتاني جبرائيل عليه السلام فقال يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك ومعها آنية فيها أدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيتٍ في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب»(١).

وقد جاء جبرائيل إلى النبي ﷺ وعنده خديجة فقال: إن الله يقرئ خديجة السلام فقالت: إن الله هو السلام، وعليك السلام، ورحمة الله وبركاته»(٢).

وإكراماً لقدرها وعظمتها وقربها من الله عزَّ وجلَّ، جعلها الله عزَّ وجلَّ واحدة من أربع هن سيدات أهل الجنة، فعن عائشة أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله، وخديجة بنت خويلد، وآسية»(٣).

وقد وردت في هذا الصدد روايات كثيرة.

وقد ظلت سيدتنا خديجة عليها السلام مجاهدة صابرة، وداعمة للنبي ﷺ ولرسالته العلية، حتى مرضت وغدت «طريحة الفراش، وقد خيّم عليها شبح الموت، فدخل عليها رسول الله ﷺ وهي تعالج سكرات الموت فقال لها: بالرغم منّا ما نرى بك يا خديجة، فإذا قدمت على ضرائرك فأقرئيهن السلام! قالت: من هنّ يا رسول الله؟ قال ﷺ: مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون، فقالت: بالرفاه يا رسول الله»(٤).

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٠٠.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن، ص ١٧٩.
(٤) مسند أحمد نقلاً عن المصدر السابق.

وسيدتنا خديجة عليها السلام وكما في حياتها، كانت حزينة مهمومة على مستقبل ابنتها الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، فقد بكت وتأوهت قبيل وفاتها، ولما سألتها أسماء بنت عيسى عن سبب البكاء والتأوه وهي من هي، كان جوابها عليها السلام: إن فاطمة حديثة عهد بصبا، ولا بد لها من امرأة تستعين بها في قضاء حوائجها ليلة الزفاف، فتكفلت أسماء بأن تقوم مقامها.

وهكذا ارتحلت سيدتنا خديجة عليها السلام، فحزن النبي صلى الله عليه وآله عليها حزناً شديداً وسمي عام وفاتها بعام الحزن، أو عام الحداد، ولزم بيته وقلل من الخروج، ودفنها في منطقة الحجون، ونزل صلى الله عليه وآله عند دفنها في حفرتها، وأدخلها القبر بيده المباركة.

«وكانت فاطمة عليها السلام تلوذ برسول الله صلى الله عليه وآله وتدور حوله وتسأله: يا رسول الله أين أمي؟ فجعل النبي لا يجيبها، وهي تدور على من تسأله، فهبط عليه جبرائيل فقال إن ربك يأمرك أن تقرأ على فاطمة السلام وتقول لها: أمك في بيت من قصب، كعابه من ذهب، وأعمدته من ياقوت أحمر، بين آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، فقالت فاطمة: إن الله هو السلام ومنه السلام، وإليه يعود السلام»[(١)].

ومن شدة تأثير موت خديجة عليها السلام على مسيرة النبي صلى الله عليه وآله، وكذا وفاة عمه مؤمن قريش فقد سمي عام وفاتهما عليهما السلام بعام الحزن، واضطر إلى الهجرة من مكة إلى المدينة المنورة بأمرٍ من الله عزَّ وجلَّ.

ولأجل تلك الأعمال الجليلة التي صدرت من خديجة عليها السلام، ولأجل تلك الصفات الخلاّقة والحميدة التي توصفت بها خديجة عليها السلام، ولأجل تلك الخدمات المؤثرة والفعالة التي خدمت فيها خديجة الإسلام والمسلمين،

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٠٠.

فإن النبي ﷺ بقي مادحاً لخديجة، وشاكراً لها، ومذكراً بفضائلها وخدماتها الواضحة والجلية، وها هو ﷺ يكرّم خديجة بلسانه المبارك، ويُقبل بشوق على كل من يذكر بخديجة، ولقد عنّف عليه الصلاة والسلام عائشة وذمّها لأنها تعرضت لخديجة عليها السلام بالسوء، فقد «دخل رسول الله ﷺ منزله، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة، ما ترين إلا أنه لأمك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا، ما هي إلا كبعضنا، فسمع ﷺ مقالتها لفاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله ﷺ بكت، فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟!

قالت: ذكرت أمي فتنقصتها فبكيت، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: مه يا حميراء، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الودود الولود، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً، وهو عبدالله وهو المطهر وولدت مني القاسم، وفاطمة، ورقية، وأم كلثوم، وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً»[1].

ولقد تبين أن عائشة كانت تعيش حالة حسد وخصام مع فاطمة عليها السلام بسبب أن خديجة أولدت وهي عاقر، وهذا يدل على أن عائشة كانت كبقية النساء العاديات بل أقل شأناً، لأن أي امرأة إذا تزوجت برجل دين عادي، فإنها تعيش عيشة رسالية فكيف بزوجة نبي الإسلام؟!! ولكن للأسف فإن عائشة كانت كذلك فهي لم تحترم نبوة محمد ﷺ، بل كانت تتعامل مع النبي ﷺ على أساس أنه زوج عادي لا على أساس أنه نبي وقائد، فكانت تقول له: أنت تزعم بأنك نبي!!! وكانت تضع رجلها قدامه أثناء صلاته ﷺ، وكانت تصوغ الحيل والخطط والمؤامرات لإبعاده ﷺ عن

---

(١) م.ن، ص ١٠٨.

علي وفاطمة من جهة، ولبعثه على كره بعض أزواجه من جهة أخرى كما أخبر القرآن بذلك، كما أنها لم تحضر عزاء الزهراء عليها السلام.

وها هي عائشة تعترف بغيرتها من خديجة فقد قالت: «ما غرت على امرأة ما غِرت على خديجة، ولقد هلكت قبل أن يتزوجني بثلاث سنين، كما كنت أسمعه يذكرها، ولقد أمره ربه عزَّ وجلَّ أن يبشرها ببيت من قصب في الجنة، وإن كان ليذبح الشاة ثم يهديها إلى خلائلها»[1].

نعم لقد كان ذكر محمد ﷺ لخديجة عرفاناً للجميل، فهو ﷺ قد رزق حبها، فقد ورد عن عائشة أن رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت: فأغضبته يوماً فقلت: خديجة!! فقال رسول الله ﷺ: إني قد رُزقت حبها»[2].

وكما نرى فإنه ﷺ كان يكرم كل من كان يذكر بخديجة عليها السلام، فقد وقف ﷺ مع عجوز ذات يوم، وراح يسألها، ويبالغ في احترامها، ولما سُئل عن سبب احترامه لها، قال ﷺ: إن حسن العهد من الإيمان، إنها كانت تأتينا أيام خديجة»[3].

وكان ﷺ إذا جيء له بهدية كان يبعث بها إلى إحدى صديقات خديجة لأنها كانت تحبها.

فقد كان ﷺ يحب خديجة، ويحب كل من يحبها ولم يكن حب محمد ﷺ لخديجة ليكون عن فراغ، بل لأجل قربها من الله عزَّ وجلَّ، وتضحياتها لأجل الإسلام، فعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام

(١) سيد المرسلين، ج١، ص ٢٦١.
(٢) م.ن.
(٣) م.ن.

فأدركتني الغيرة فقلت: هل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها، فغضب حتى اهتز مقدم شعره من الغضب، ثم قال: لا والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني وكذبني الناس وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء»[1].

وإذا كان المال وسيلة من وسائل الدنيا، فإنه في الأوقات الحرجة والصعبة ينفع كثيراً أكثر من نفعه في الأوقات المريحة، ومال سيدتنا خديجة نفع حين عزّ المال، ولذا قال ﷺ: «ما قام ولا استقام الدين إلا بسيف علي ومال خديجة. وقال ﷺ: وأشركتني في مالها حين حرمني الناس» ولقد أنجبت خديجة رضي الله عنها لمحمد ﷺ «من الأولاد اثنين من الذكور، أكبرهما القاسم ثم عبدالله اللذان كانا يُدعيان بـ«الطاهر» و«الطيب» ومن الإناث فاطمة رضي الله عنها ولم يرزق ببنت غيرها.

لا ريب بأن خديجة بنت خويلد بن أسد هي امرأة جديرة بالاقتداء، فهي الصديقة الكبرى، والمهاجرة العظمى، والمصلية الأولى، والمؤمنة المتيقنة، والباذلة مالها لله عزَّ وجلَّ، والمتعرضة للأذى في سبيل الإسلام، ومحل بشرى الله عزَّ وجلَّ، وساكنة جنته، وسيدة جنات الإله، وسيدة نساء العالمين، وممدوحة النبي ﷺ، ومحل ذكره ﷺ على الدوام، وهي زوجة الرسول الأعظم ﷺ، ووالدة أشرف نساء العالمين من الأولين والآخرين، وهي جدة أئمة المسلمين، ومحل افتخارهم أجمعين.

فلقد آمنت، وصدّقت، وبذلت، وآزرت، وساندت، وصلّت، وصامت، وتعففت، وتحجبت، وأطاعت، وتصدقت، ولقد انفرجت لها كل أبواب الدنيا فأغلقتها لتفتح عوضاً عن ذلك ثغراً من ثغور تأسيس الإسلام، وتعرضت للأذى المادي والمعنوي في سبيل ذلك، بينما نجد في

---

(١) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ٢٦.

المقابل أن نساءً وأزواجاً للنبي ﷺ أغلقوا أبواب الزهد، والإيمان، ونصرة الرسالة ليفتحوا عوضاً عن ذلك أبواب الدنيا بما تحمل من أهواء ورغبات.

وللأسف فلو أن خديجة عليها السلام كانت هي المتصدرة لعملية الاقتداء لدى المسلمين وبالأخص المسلمات لكنا في حال غير هذا الحال السيئ، ولكن وللأسف وضعوا للمسلمات نموذجاً تاريخياً سيئاً وكل ذلك بدعوى زوجية النبي ﷺ، فكم تحتاج المسلمة إلى امرأة تقول لزوجها المؤمن: البيت بيتك وأنا جاريتك» وكم لا بد لها من الاستغناء عن زوجة تقول لرسول الإسلام أنت تزعم أنك نبي؟!!!!

٣ ــ السيدة العظيمة زينب الكبرى عليها السلام

بعد ولادة أخيها سيدنا الإمام الحسن عليه السلام (١٥ شهر رمضان ٣هـ) وبعد ولادة أخيها سيدنا الإمام الحسين عليه السلام (٣ شعبان ٤هـ) ولدت سيدتنا زينب عليها السلام (٥ جمادى الأولى ٥ هـ).

الاسم: سماها سيدنا رسول الله ﷺ بـ زينب (مركبة من كلمتي: زين + أب) فكانت عليها السلام زيناً لأبيها حقاً وصدقاً.

جدّها لأمها: الرسول الأكرم ﷺ حيث يقول تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، ويقول ﷺ عن نفسه: أدبني ربي فأحسن تأديبي.

جدتها لأمها: سيدتنا خديجة بنت خويلد عليها السلام، أول من آمنت به وصدّقت به من النساء.

أمها: سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، سيدة نساء العالمين(١).

---

(١) قال ﷺ: «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها فقد أغضبني» ج٣، ص١٣٦١، فضائل الصحابة ب١٢: مناقب قرابة رسول الله ومنقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي ﷺ ح٣٥١٠.

جدها لأبيها: سيدنا أبو طالب: عم النبي وناصره وحاميه، مؤمن قريش، وقد حزن النبي على فقده حتى اعتبر عام وفاته ووفاة سيدتنا خديجة ﵂ بعام الأحزان، فلا يمكن أن يحزن النبي لمشرك.

جدها لأبيها: سيدتنا فاطمة بنت أسد ﵂.

عم أبيها: سيدنا حمزة بن عبد المطلب ﵇، عم النبي سيد الشهداء، الشهيد في أُحد.

أبوها: سيدنا الإمام علي بن أبي طالب ﵇[1] أمير المؤمنين، وليد الكعبة، أخو النبي (في قصة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار)، باب مدينة علم النبي.

عمها: سيدنا جعفر بن أبي طالب ﵇ الطيّار: الملقّب بـ «ذي الجناحين».

زوجها: سيدنا عبد الله بن جعفر الطيار ﵇ الملقب ببحر الجود والكرم.

أخواها: سيدانا الإمامان الحسن والحسين ﵉ سيدا شباب أهل الجنة، وريحانتا النبي من الدنيا.

لقبت بألقاب كثيرة أهمّها «أم المصائب»، لأنها رأت مصائب كبرى في حياتها تتمثل بـ:

١ ـ وفاة جدها سيدنا الرسول الأعظم ﷺ عام ١٠هـ وكانت طفلة عمرها حوالي ٥ سنوات.

٢ ـ وفاة أمها سيدتنا فاطمة الزهراء ﵂ عام ١١هـ وكانت طفلة أيضاً وعمرها حوالي ٦ سنوات.

---

(١) قال ﷺ لـ علي ﵇: «أنت منّي وأنا منك» ج٣ ص١٣٥٧: فضائل الصحابة ب٩، مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي الله عنه ج١ غير مرقمة.

٣ ـ مقتل أبيها سيدنا الإمام علي ﷺ بعد أن ضرب بالسيف المسموم على رأسه في المسجد أثناء الصلاة عام ٤٠هـ وكان عمرها حوالي ٣٥ سنة.

٤ ـ مقتل أخيها سيدنا الإمام الحسن ﷺ بدس السم إليه عام ٥٠ هـ وكان عمرها حوالي ٤٥ سنة.

٥ ـ مقتل أخيها سيدنا الإمام الحسين ﷺ عام ١٠ محرم ٦١هـ طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف ورمياً بالسهام ورضخاً بالحجارة، مع أكثر من ٧٠ نفراً من أهل بيته وأصحابه من قبل جيش الكوفة الذي كان قوامه ما بين ٣٠ ألف إلى ٧٠ ألف وكان آخر من أجهز عليه شمر ابن ذي الجوشن العامري (قائد المسيرة في الجيش)، وذلك بأمر من «عمر بن سعد بن أبي وقاص» (القائد العام لجيش الكوفة)، وهو بأمر من «عبيد الله بن زياد ابن أبيه»!؟ (والي العراقين: البصرة والكوفة)، وكل ذلك بأمر من «يزيد بن معاوية بن أبي سفيان» الخليفة الأموي!!؟!!

ولم يكتفوا بذلك حتى داسوا بالخيل على جسده الشريف المقطع الملقى على الأرض وقد بقي ثلاثة أيام على رمضاء (الأرض الحارة) في كربلاء، ثم فصلوا رأسه الشريف عن جسده الطاهر ووضعوه على رأس رمح طويل وكذلك باقي الرؤوس وكانت أكثر من ٧٠ رأساً اقتسمتها القبائل ووضعوها على الرماح ليدوروا به البلدان، من بلد إلى بلد: (كربلاء، الكوفة، الموصل، حلب، حماه، حمص، بعلبك، دمشق) والناس يتفرّجون إليهم ويشمتون بهم ومنهم من يرميهم بالحجارة، بل أكثر من ذلك: لعبوا بالخيزران على وجهه الشريف في موقفين:

(١) **في الكوفة**: كان «ابن زياد» يضرب رأسه الشريف بعصاه!؟!؟! حتى اعترض عليه الصحابي «أنس بن مالك»، وفي رواية: «زيد بن أرقم».

(٢) في دمشق: كان «يزيد» يضرب وجهه وأسنانه الشريفتين بعصاه!؟!؟! حتى اعترض عليه الصحابي «أبو برزة الأسلمي» وكلا الحادثتين كانت بمحضر من أخته السيدة زينب عليها السلام وسائر أهل بيته من نسائه وبناته وابنه الإمام زين العابدين عليه السلام وبمرأى ومسمع منهم!!؟

٦ ـ وزادت مصيبتها عندما أضرمت النيران في خيمتها وخيام نساء الحسين وأهل بيته من بنات الرسالة والنبوة فهربن للنجاة بأنفسهنّ ثمّ بدأ النّهب لكلّ ما في الخيام وسلب ما عليهم من حليّ وحلل ـ ألبسة ـ، ثم أصبحن سبايا أسيرات بيد جيش «يزيد» وكان معهم سيدنا «الإمام زين العابدين عليه السلام» ، وهم مربوطون بالحبال بعضهم ببعض وسيّدنا الإمام زين العابدين عليه السلام يداه مكبلتان بسلاسل من حديد وعنقه مغلول بالجامعة (طوق من حديد)، بالإضافة إلى سبّهنّ وشتمهنّ وسبّ ابيهنّ الإمام علي عليه السلام وإيذائهنّ ومنعهنّ من البكاء ومحاولة جلب القناع من على رؤوسهنّ، وأدخلوا بهذه الصورة الحزينة إلى دمشق: عاصمة الخلافة الإسلامية!!؟ والأمر الأشدّ من ذلك كله تسميه أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله بالخوارج (أي الذين خرجوا من الدين!!؟) تغطية لأعمالهم، وادّعوا أن هؤلاء من الديلم (وكانت أراضي غير مفتوحة بعد) أي أنهم الكفار الذين أسروهم من تلك المناطق!!، بينما هم أولاد رسول الله وبناته وحريمه وأعراضه. .

ثم عندما وصلوا إلى موطن جدهم الرسول صلى الله عليه وآله: المدينة المنورة حرموها من مجاورة قبر جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وتسلى من حزنها بوجود البقية الباقية من أسرتها من أهل البيت عليهم السلام حتى أجبرت على الخروج من «المدينة المنورة» إلى «دمشق» قسراً من قبل «يزيد»، فبقيت سنوات وهي تعاني مرارة ألم الفراق والغربة بعيداً عن باقي أهل البيت.

حتى التحقت بجدها رسول الله صلى الله عليه وآله وتوفيت في ٦٥هـ. ودفنت عليها السلام في

قرية «راوية» حيث مقامها ومزارها الآن في أراضي كانت لزوجها عبد الله بن جعفر عليه السلام.

فتشرفت هذه البلدة باحتضانها فلذة كبد رسول الله ﷺ وتبركت بها هذه الأرض حيث طهرت وطابت.

ومن مفاخر سوريا أن بها مقامها الشريف، فلا بد من أن نعرف قدرها بالاستمرار والمداومة على زيارتها والتأدب في حضرتها بآداب الزيارة: بالسلام عليها والصلاة والدعاء وتلاوة القرآن في حضرتها بكامل الخضوع والخشوع.

ولا أدلّ على بركة هذا المقام وكرامته عند الله شيء من كثرة المعجزات والكرامات الربانية التي تحصل ببركتها في المقام الشريف والتي تظهر للعيان بين آونة وأخرى مثل شفاء الأبكم والمشلول والمقعد و،،، و،،، بإذن الله كرامة لها.

ويزور مقامها كل عام مئات الألوف من مختلف بقاع العالم، فبالإضافة إلى ما أوجده هذا المقام الشريف من أثر كبير في تنشيط السياحة في هذا البلد فقد هذّب أهداف السياحة من نزهة وقضاء للوقت أو حتى مجرّد استطلاع إلى هدف أجلّ وأسمى وأرفع، ألا وهو: التزود بالطاقة الروحية العالية والمشاعر الدينية الطيبة، نسأل الله سبحانه وتعالى أن لا يحرمنا من هذه النسمات الروحانية في هذه الأماكن المقدسة والمشرفة.

٤ ــ آمنة بنت وهب:

هي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان إلى آخر نسب رسول الله ﷺ من جهة الأب والأم.

وعلى هذا فإن آمنة بنت وهب تلتقي مع عبدالله والد النبي ﷺ من حيث القرابة، عند الجد الثالث للنبي ﷺ، أي عبد مناف.

وكانت امرأة جليلة القدر، معروفة بالعفة، والطهارة، والنجابة والكمال، ولذا فقد عزم عبد المطلب رضوان الله عليه تزويجها من ولده الغالي على قلبه عبدالله والد النبي ﷺ، «ثم إن عبد المطلب عيّن موعداً للزفاف، وعند حلول ذلك الموعد تمت مراسم الزفاف في بيت آمنة طبقاً لما كان متعارفاً عليه في قريش، ولبث عبدالله مع آمنة ردحاً من الزمن حتى سافر إلى الشام للتجارة»[١].

ومن المعروف أنه كان على جبين عبدالله نوراً يسطع، وحينما تزوج من آمنة عليها الرضوان انتقل هذا النور إليها، وقد ورد أن هذا النور الساطع على جبين عبدالله كان سبباً ومدعاةً لجد النبي ﷺ عبد المطلب أن يأخذ عبدالله ولده ليطلب الاستسقاء بالماء حين تأتي مواسم الجدب والقحط[٢].

وآمنة بنت وهب وإن لم تدرك الإسلام لأنها توفيت قبل ذلك، إلا أنها كانت موحدة على دين إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام.

فعن أسماء بنت رهم قالت: شهدت آمنة أم النبي ﷺ في علتها التي ماتت بها، ومحمد ﷺ غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه وخاطبته بقولها:

إن صح ما أبصرت في المنام ... فأنت مبعوث إلى الأنام

فالله أنهاك عن الأصنام ... أن لا تواليها مع الأقوام

ثم قالت: كل حي ميت وكل جديد بال، وكل كبير يفنى وأنا ميتة وذكري باق وولدت طهراً[٣].

---

(١) سيد المرسلين ج١، ص ١٩٠ـ١٩١.

(٢) م.ن، ص ١٩١.

(٣) م.ن، ص ٢٩٢.

وهذا الكلام منها ﷺ يدل على توحيدها، وكذا يدل على علمها المسبق بنبوة ولدها محمد ﷺ، ولقد صدقت سيدتنا آمنة ﷺ حينما قدرت بأنها لها ذكرٌ باقٍ أبداً، وهذا الذكر الباقي تجسد بالنبي ﷺ، كيف لا والكل يقول هذا ابن آمنة، ومن ذلك قول أبي طالب:

إن ابن آمنة النبي محمداً عندي يفوق منازل الأولاد

ولقد رأت آمنة عليها الرضوان بأم عينها دلائل وعلامات نبوة ولدها المصطفى ﷺ، الأمر الذي يؤكد سبق معرفتها بذلك، سيما أنها عليها الرضوان خافت على النبي ﷺ من اليهود، فقد ورد أن آمنة بنت وهب «خرجت مع النبي ﷺ وهو ابن خمس أو ست سنين ونزلت بالمدينة تزور أخوال جده وهم بنو عدي بن النجار ومعها أم أيمن «بركة» الحبشية، فأقامت عندهم، وكان الرسول بعد الهجرة يذكر أموراً حدثت في مُقامه ويقول: إن أمي نزلت في تلك الدار، وكان قوم من اليهود يختلفون وينظرون إليّ فنظر إليّ رجل من اليهود فقال: يا غلام ما اسمك؟ فقلت: أحمد، فنظر إلى ظهري، وسمعته يقول: هذا نبي هذه الأمة، ثم راح إلى أخوانه فأخبرهم فخافت أمي عليّ فخرجنا من المدينة»[١].

ولقد تزوجت آمنة بنت وهب بعبدالله وأنجبت منه خير البشر على الإطلاق، أي محمد ﷺ، وروي أن آمنة حينما تزوجت بعبدالله وأثناء حملها بالنبي ﷺ توجه زوجها عبدالله إلى رحلة تجارية هدفها الشام، وبعد مضي عدة أشهر رجعت القافلة التي خرج برفقتها عبدالله من دونه، وعندما وصلت القافلة إلى مكة كانت آمنة عليها الرضوان تنتظر زوجها عبدالله بشوق كبير إلا أنها لم تجده، وظهر فيما بعد بأن عبدالله مرض أثناء الطريق عند العودة في يثرب، فبقي عند أخواله في يثرب للاستراحة، وهنا أمر عبد

---

(١) م.ن، ص ٢٩١.

المطلب أحد أولاده بالتوجه إلى يثرب لتفقد عبدالله، وبالفعل وجد عبدالله هناك ولكنه فارق الحياة بعد شهر من تخلفه عن القافلة.

وهكذا عاشت سيدتنا آمنة أجواء الحزن والكآبة جرّاء فقد زوجها الحبيب، ولكن الذي هون خطبها، وسلاها، وأثلج قلبها هو مجيء محمد ﷺ إلى عالم الدنيا، حيث ورد أن آمنة كانت حاملاً به ﷺ حين وفاة زوجها عبدالله، وقيل أن النبي ﷺ وُلد قبل وفاة عبدالله.

وهكذا بقي لآمنة بنت وهب ثمرة فؤادها محمد ﷺ التي أولدته في دار أبيه عبدالله، وفرح الجميع بقدوم هذا الوليد الميمون ﷺ، وقامت آمنة بنت وهب بإرضاع النبي ﷺ ثلاثة أيام ثم حظيت بشرف إرضاعه كل من ثوبية مولاة أبي لهب، وحليمة السعدية، وكانت حليمة السعدية تتردد بالنبي ﷺ بين الوقت والآخر إلى مكة لتكحل أمه آمنة عينها بالنظر إليه.

وكانت آمنة الحزينة على فقدان زوجها الشاب عبدالله تتحين الفرص لزيارة قبر زوجها، وهكذا حصل حيث لا وجود لأي عائق أمام آمنة يمنعها من زيارة المعشوق سيما وأن النبي ﷺ أصبح يافعاً، فما أن بلغ النبي ﷺ السادسة من العمر، حتى اصطحبته أمه آمنة لزيارة قبر زوجها من جهة، ولزيارة أقاربها من جهة أخرى، فتجهزت للسفر، وسافرت من مكة إلى يثرب برفقة ولدها محمد ﷺ، وجاريتها أم أيمن، ووصلت إلى مكان هو المكان الذي توفي فيه زوجها بعدما سكبت دموع الحزن، وتذكرت تلك الفترة الوجيزة التي قضتها بحب ووئام مع زوجها الشاب عبدالله، كما أن النبي ﷺ كان حزيناً جداً وقتها خاصة بعد تلك القصص التي روتها آمنة له عن زوجها الحبيب.

ومكثت آمنة بنت وهب شهراً واحداً، ثم قررت العودة إلى مكة ولكنها

توفيت وهي عائدة من يثرب إلى مكة في منطقة تسمى الأبواء ودفنت هناك، وقد ترك هذا الحادث في نفس ولدها الوحيد محمدﷺ أثراً كبيراً.

وهنا وفي هذا المجال لا يسعنا إلا أن نستحضر قول آمنة حينما قالت: «كل حي ميت وكل جديد بالٍ، وكل كبير يفنى، وأنا ميتة وذكري باق وولدت طهراً»[1].

فهذه المقولة المترامية الأبعاد لهي درس من أروع دروس الحياة تتعلمها كل امرأة من آمنة بنت وهب.

٥ ــ فاطمة بنت أسد:

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف إلى آخر نسب النبي محمدﷺ. وأمها فاطمة بنت هرم بن دواحة بن حجر. وجدها هاشم جد النبيﷺ الثاني، ولدت في جو عائلي يعتنق التوحيد لله عزَّ وجلَّ على ملة إبراهيمؑ، وعرفت فاطمة بنت أسد بالعفة والطهارة، والأدب والأخلاق، وكانت فصيحة لسنة، وأديبة.

وقد كانت من أوائل النساء إسلاماً، بل أسلمت وبايعت النبيﷺ بعد عشرة كما ورد، وكانت عليها الرضوان من الفواطم المهاجرات واللواتي خرجن مع عليؑ أيام الهجرة.

تزوجت من أبي طالب عم النبيﷺ، وأنجبت له أولاداً كثر، فقد أنجبت ذكوراً وإناثاً ومنهم طالب، وعقيل، وجعفر، وعليؑ، وأم هانئ، وأسماء، وجمانة.

ولقد عاينت فاطمة رضي الله عنها ولادة النبيﷺ، وحضرت وقت

(١) م.ن، ص ٢٩٣.

ولادة آمنة عليها السلام، وقد شاهدت بأم عينها ذاك النور الذي انبعث من مكان الولادة الميمونة لمحمد صلى الله عليه وآله وانتشر في الآفاق، كما أن لفاطمة بنت أسد كرامة عظيمة حيث أنها لما حملت بعلي عليه السلام، وفاجأها المخاض ارتبكت ووقعت في حرج شديد، ففتح الله عزَّ وجلَّ لها جدار الكعبة فدخلت إلى الكعبة، ووضعت علياً عليه السلام داخل الكعبة وظلت داخل الكعبة فترة زمانية يأتيها الرزق من الله عزَّ وجلَّ كرامة لها.

ولقد آزرت فاطمة بنت أسد النبي محمد صلى الله عليه وآله في دعوته، وحينما كفله أبو طالب كانت خير معين لأبي طالب في كفالة محمد صلى الله عليه وآله، وكانت عليها الرضوان تعتني وتهتم بالنبي صلى الله عليه وآله اهتماماً شديداً، وكانت تميزه في الاهتمام عن باقي أولادها، ولشدة تعلق النبي صلى الله عليه وآله بها صار يناديها: أمي.

وقد ورد في حق فاطمة بنت أسد مديحاً كبيراً فعن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله إني حرّمت النار على صلب أنزلك وبطن حملك وحجر كفلك، وأهل بيت آووك، فعبدالله بن عبد المطلب الصلب الذي أخرجه، وآمنة بنت وهب البطن الذي حمله، والحجر الذي كفله فاطمة بنت أسد، وأما أهل البيت الذين آووه فأبو طالب[1].

ومكافئة لفاطمة بنت أسد، ومجازاة لها على صنيعها دعا رسول الله صلى الله عليه وآله لها بقوله: «اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ولقنها حجتها، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك محمد والأنبياء الذين قبلي فإنك أرحم الراحمين».

ولما مرضت فاطمة بنت أسد عليها الرضوان طلبت من النبي صلى الله عليه وآله أن يعتق خادمها ففعل صلى الله عليه وآله.

---

(١) أمهات الأئمة، ص ٦٢.

ولما أخبر علي عليه السلام رسول الله ﷺ بوفاة أمه فاطمة بنت أسد، أمر ﷺ بتغسيلها وتكفينها، ولما انتهى الأمر على هذا الحال، حُملت جنازة فاطمة بنت أسد، وشارك ﷺ في حمل جنازتها على عاتقه، ومن ثم نزل إلى قبرها واضطجع فيه، وراح يبكي ﷺ على فقدها، بعدما ألبسها إحدى قمصانه وهو يقول: لا إله إلا الله، اللهم إني أستودعك إياها»[1].

نعم لقد فعل النبي ﷺ كل هذا لأنها كانت أبرّ الناس به ﷺ بعد وفاة أبي طالب، فقد قال ﷺ: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبر لي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حلل الجنة، واضطجعت معها في قبرها ليوسعه الله عليها وتأمن من ضغطة القبر»[2].

ولقد توفيت فاطمة بنت أسد عليها الرضوان، في السنة الرابعة للهجرة، ودفنت في مقبرة البقيع.

وإلى هنا نكون قد انتهينا من الحديث عن نساءٍ يقتدى بهن، وهن سيدتنا ومولاتنا فاطمة عليها السلام، وسيدتنا خديجة بنت خويلد عليها السلام، وسيدتنا زينب بنت علي عليها السلام، وسيدتنا آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ عليها السلام، وسيدتنا فاطمة بنت أسد أم علي عليهما السلام.

وللمرأة أن تقتدى بهكذا نسوة، ولا أرى لها من ذلك مفراً.

ولقد أحببت أن أنهي بحثي حول المرأة، بجولة قرآنية ألمح فيها كل امرأة ذكرت في القرآن الكريم بحسب ما يتسنى لي، وبعض من ذكرن في القرآن هن في وارد الاقتداء، وبعضهن لسن كذلك:

١ ـ قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ

(١) م.ن، ص ٧٤ـ٧٥.
(٢) م.ن، ص ٨١.

لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾[1].

وهذه الآيات القرآنية تعطينا دروساً عملية أهمها في هذا المجال:

أ ـ إن القرابة من أعظم أولياء الله عزَّ وجلَّ ليست مقياساً في التفاضل والإيمان، وإن القرابة من أعظم جبابرة الأرض لا تعني بالضرورة الكفر والعصيان، فزوجة النبي نوح، وكذا زوجة النبي لوط عليه السلام هما من أهل النار، ولم تشفع زوجيتهما من نبيين من أنبياء الله عزَّ وجلَّ لهما للخلاص والوقاية من النار ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.

فكلتاهما تدخلان النار مع غيرهما من العصاة والكفرة.

فيما أن زوجة فرعون الطاغية، والكافر، ومدعي الألوهية، تدخل الجنة.

وهذا بالحقيقة رد قاطع على أولئك الذين يقدسون أزواج النبي صلى الله عليه وآله لمجرد أنهن أزواج له صلى الله عليه وآله مع أن بعضهن فيهن ما فيهن من المثالب، ولئن كان موقف زوجة نوح، وزوجة لوط، موقفاً معانداً ومباشراً بوجههما، إلا أن موقفهما السيء من هذين النبيين، لم يكن له هذا التأثير بمقدار ما كان تأثير بعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله على الرسالة الإسلامية، حيث أن معظم التحريفات، والتأويلات الخاطئة والتي لا زلنا نعاني منها إلى الآن كانت بسبب أهواء بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله.

(١) سورة التحريم، الآيات: ١٠ـ١١ـ١٢.

ولو أن أبناء الإسلام سيما العلماء لم يعطوهن قيمة لما وصلنا إلى ما وصلنا إليه، ولكنهم عمدوا إلى تقديسهن قداسة مثبتة لهن، ونافية لغيرهن، الآمر الذي جرّ الويلات الفكرية على المسلمين.

ب ـ لقد أثبتت الآيات القرآنية أن الميزان والمعيار في عملية الاقتداء والتأسي، وفي عملية الصلاح والفساد، هو نفس عمل الشخص وتقواه، فالصالح ومن هو أهلٌ للإقتداء والتأسي هو من يعمل صالحاً ويعيش أجواء التقوى ولو كان قريباً بالسبب والنسب من طاغية، والفاسد هو من يعمل سوءاً حتى لو كان قريباً بالسبب أو بالنسب من نبي أو صدّيق.

وقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ و﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1] و﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ و﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾[2].

كل هذه العبارات تدل على أن العمل هو المقياس في التفاضل والتمييز، فسبب دخول زوجة نوح ولوط إلى النار هو الخيانة، وسبب دخول زوجة فرعون إلى الجنة هو إعلانها البراءة من فرعون وعمله، وسبب كون مريم عليها السلام صديقة، ومحل نفخ الروح هو أنها أحصنت فرجها، وصدقت بكلمات ربها، وكتبه، وقنوتها.

ج ـ إن الخيانة التي بدرت من زوجتي نوح ولوط عليهما السلام، ليست خيانة زوجية بالمعنى الجنسي والعياذ بالله، بل هي خيانة بمعنى الإنحراف عن نهجهما وخطهما المستقيم، يعني الانحراف عن الدين.

وقد ورد أنه: «كانت امرأة نوح كافرة، تقول للناس: إنه مجنون، وإذا

(١) سورة التحريم، الآية: ١١.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١٢.

آمن بنوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به. وكانت امرأة لوط تدل على أضيافه، فكان ذلك خيانتهما. وما بغت امرأة نبي قط، وإنما كانت خيانتهما في الدين[١].

د ـ إن النساء اللواتي ذكرن في هذه الآيات هن أربع:

١ ـ زوجة نوح وقيل إسمها «واغلة» أو «والغة».

٢ ـ زوجة لوط وقيل إسمها «واهلة» أو «والهة».

٣ ـ زوجة فرعون وهي آسية بنت مزاحم.

«قيل: أنها لما عاينت المعجز من عصا موسى وغلبته السحرة، أسلمت. فلما ظهر لفرعون إيمانها، نهاها فأبت، فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد، وألقاها في الشمس، ثم أمر أن يُلقى عليها صخرة عظيمة، فلما قرب أجلها (قالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة) فرفعها الله تعالى إلى الجنة، فهي فيها تأكل وتشرب»[٢].

٤ ـ مريم بنت عمران عليها السلام فقد أحصنت فرجها، بمعنى أنها منعت فرجها من دنس المعصية، وتعففت عن الحرام، ولقد نفخ الله عزَّ وجلَّ فيها من روحه فحملت بعيسى عليه السلام.

وليعلم أنه ورد في صدد هذه الآية عن مقاتل قوله: يقول الله سبحانه لعائشة وحفصة لا تكونا بمنزلة امرأة نوح، وامرأة لوط في المعصية، وكونا بمنزلة امرأة فرعون ومريم»[٣].

---

(١) قصص الأنبياء، ٩٥.
(٢) راجع مجمع البيان، وقصص الأنبياء.
(٣) م.ن.

ولكنهما لعلهما اختارتا منهج زوجة نوح ولوط عليهما السلام بل هذا هو المتعين.

هـ ـ إن من الناس من يبالغ في الإفراط باتهام أقارب الأنبياء والأوصياء بأنهم ليسوا على مستوى لائق إلا بالعمل والصلاح، وهذه القاعدة صحيحة ولا غبار عليها، ولكن لا تحول هذه القاعدة إلى مسألة متبناة من دون تمحيص، ولهذا ضرب الله عزَّ وجلَّ لنا مريم بنت عمران مثلاً في إعطاء قرابة الأنبياء والأوصياء حقها، إذ أن مريم عليها السلام تتمتع بقرابة مقدسة وعزيزة، وهي في نفس الوقت مقدسة من خلال صلاحها وتعففها.

وطالما أن الكلام يجر الكلام، فقد ارتأيت أن أذكر بعض خصائص ومزايا مريم بنت عمران عليها السلام، لتكون محلاً للإقتداء:

١ ـ أنها منذورة لله عزَّ وجلَّ، حيث قال تعالى حكاية عن أمها: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[(١)].

٢ ـ أن الله عزَّ وجلَّ تقبلها، وأنبتها نباتاً حسناً، حيث قال تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾[(٢)].

٣ ـ أن رزقها من الله عزَّ وجلَّ مباشرة. فقد قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(٣)].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

٤ ـ أنها حظيت بكفالة النبي زكريا ﷺ، حيث قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[1].

٥ ـ أنها محل خطاب الله عزَّ وجلَّ، وخطاب الملائكة، حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2].

٦ ـ أنها صديقة، حيث قال تعالى في وصفها ﷺ: ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾[3].

٧ ـ أنها مصطفاة ومطهرة: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾[4].

٨ ـ أنها سيدة نساء عالمها، وإحدى سيدات نساء العالمين حيث قال تعالى: ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[5] وعن رسول الله ﷺ: «سيدات نساء أهل الجنة أربع: مريم بنت عمران، وفاطمة بنت رسول الله وخديجة بنت خويلد وآسية»[6].

٩ ـ أن الله عزَّ وجلَّ جعلها بريئة من كل ما نسب إليها، حيث قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾[7] وقال تعالى: ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾[8].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٥.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤٢.
(٦) فاطمة من المهد إلى اللحد، ص ١٧٩.
(٧) سورة النساء، الآية: ٥٦.
(٨) سورة مريم، الآية: ٢٧.

١٠ ـ أنها عليها السلام أحصنت فرجها، وصدقت بكلمات ربها، وبكتبه، وكانت من القانتين: ﴿ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ﴾[1].

١١ ـ أن الله عزَّ وجلَّ جعلها آية من آيات الله، حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ﴾[2].

٢ ـ قال تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ۩ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ مَاذَا يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتۡ إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفۡرِيتٞ

(١) سورة التحريم، الآية: ١٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

مِنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَـٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

إن هذه الآيات الطويلة نسبياً والواردة في سورة النمل، تتحدث عن قصة النبي سليمان عليه السلام مع بلقيس ملكة سبأ، وأبطال هذه القصة في الحقيقة هم:

أ ـ النبي سليمان بن داود عليه السلام.

ب ـ هدهد سليمان عليه السلام.

ج ـ بلقيس.

د ـ قوم بلقيس شراحيل أو شرحبيل.

هـ ـ عفريت من الجن.

و ـ الذي عنده علم من الكتاب وهو آصف بن برخيا.

والقصة بالإجمال هي:

أن سليمان عليه السلام كان إذا جلس على العرش تجمع الطير حول عرشه بحيث يظلونه من الشمس، ولما تفقد الطير وتفحصهم وجد أن الشمس قد وصل شيئاً من شعاعها، فعرف أن هذه الثغرة هي نتيجة طبيعية لغياب

---

(١) سورة النمل، الآيات: ٢٠ ـ ٤٤.

الهدهد، فقرر سليمان عليه السلام أن يعذب الهدهد حينما يأتي من خلال نتف ريشه حياً، أو من خلال ذبحه كلياً فيما لو لم يأتِ بحجة دامغة تبرر غيابه، وهكذا جاء الهدهد بحجة دامغة، وبعذر قوي برر غيابه، فقد ذهب الهدهد بجولة تحقيقية بحثية فوصل إلى منطقة اليمن، فوجد بلقيس بنت شرحبيل ملكة سبأ، ولها جاه عظيم، وعز مقيم، ووجدها تعبد الشمس وكذا قومها، فأخبر الهدهد النبي سليمان بكل ما رآه. ولكن سليمان عليه السلام أراد التحقق من إخبار الهدهد، فحمّله رسالة هي عبارة عن كتاب مختوم بختم يده، وفيه يدعو ملكة سبأ وقومها أن يؤمنوا بالإسلام ويأتوا إليه للإنضواء تحت راية الحق، وكانت لدى بلقيس شرفة تطل عليها الشمس فألقى الهدهد الكتاب كتاب سليمان عليه السلام من هذه الشرفة فتلقفته بلقيس وقرأته وفهمت مغزاه، ومن ثم هي لحكمتها ورجاحة عقلها، وحصافتها لم تنفعل من دعوة سليمان عليه السلام لها ولقومها بالإذعان، بل إنها عقدت مجلساً تشاورياً مع قومها، وأخبرتهم بشكل الكتاب ومضمونه والذي خلاصته «الدعوة إلى الإسلام»، والإنصياع للحق، ولكن قومها عرضوا عضلاتهم أمامها، وأكدوا لها بأنهم على استعداد لتحمل تبعات أي قرار تتخذه، ولكنها ولكونها حكيمة وعاقلة أعطتهم قاعدة عامة مسنونة وهي: إن الملوك إذا دخلوا أي قرية أو مدينة فإنهم يعيثون فيها فساداً من جهة، ويحطموا كل عزيز ويجعلوه ذليلاً من جهة أخرى، وقد أقر الله عزَّ وجلَّ كلامها هذا، ومن هنا فإن خيار الحرب صار منتفياً بالنسبة لبلقيس، فاتجهت نحو خيار آخر وهو خيار السياسة، والاسترضاء، والتهدئة، وهو خيار ينتهجه الملوك فيما بينهم عادة، وتمثل هذا الخيار بإرسال هدية لسليمان عليه السلام، وقد أرادت بلقيس بهذا العمل أن تقف على حال سليمان إجابة عن سؤال: هو هو نبي أم ملك؟؟

وبالفعل فقد كان فعل بلقيس حكيماً، إذ أن سليمان عليه السلام لا يريد هدايا ولا مال ولا شيء آخر، وكل ما يريده هو هداية بلقيس وقومها إلى الإسلام

والحق، وصدّهم عن عبادة الشمس، وقد اكتشف قوم بلقيس ومنهم مرسل الهدية أن سليمان ﷺ يغرقهم بالمال والذهب وما شاكل، وحينما رفض سليمان ﷺ الهدية، لم تجد بلقيس ومعها قومها بداً من الإتيان إلى سليمان ﷺ كما طلب، ولكن النبي سليمان ﷺ أراد أن يمتحن بلقيس فطلب من الحضار من الجن والإنس، أن يأتوا بعرشها قبل مجيئها إليه، فتلقى سليمان ﷺ عرضان أولهما عرض عفريت من الجن حيث عرض على سليمان أن يأتيه بعرشها قبل أن يقوم من مقامه، وثانيهما عرض عرضه آصف بن برخيا وهو رجل لديه علم من الكتاب، ولديه حرف من أحرف الإسم الأعظم، ويقضي هذا العرض بإتيان عرش بلقيس إلى قدام سليمان قبل أن يرتد طرفه، فرفض سليمان العرض الأول، وقبل بالعرض الثاني، فما هي إلا لحظات رد الطرف حتى مثُل العرش أمام سليمان ﷺ، فطلب سليمان ﷺ من الحضّار أن يغيروا شكل العرش ليمتحن بلقيس في ذلك، ولما وصلت بلقيس ووجه السؤال لها عن عرشها هل هو أم لا؟؟ فكان جوابها واعياً حيث قالت كأنه هو، فلم تقل هو نفسه لأن فيه تغير، ولم تقل ليس هو لأنها علمت أنه هو بعينه ولكن طرأ عليه تغيير وهكذا وبسبب رؤية المعاجز والدلائل الباهرة، أعرضت عن عبادة الشمس وكل من هو سوى الله عزَّ وجلَّ.

ثم أنه قيل لبلقيس ادخلي الصرح وهو عبارة عن أرض واسعة لا سقف فيها، وهي مليئة بالقوارير، وهذا الصرح فيه من اللمعان ما يدفع الناظر إليه إلى الإعتقاد بأنه مليء بالماء، فقامت هنا بلقيس بكشف ساقيها ظناً منها أن هذا الصرح مليء بالماء، وقد ظنت أنها إذا دخلت فإنها ستغرق، ولكنها أرادت أن لا تظهر ضعفاً حيال ذلك، فدخلت الصرح ولكن سليمان ﷺ أخبرها بأن هذا الصرح ليس مملوءاً بالماء بل هو مرصع بالقوارير، وهذا لمعان لا ماء، وبعد هذا استغفرت بلقيس من ذنوبها ومما كانت تعبد، ودخلت الإسلام.

ولا ريب بأن بلقيس كانت على وتيرة عالية من الحكمة والعقلانية.

٣ ـ قال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

وهذه الآية تتحدث عن إبراهيم عليه السلام وكيف أنه اتخذ لزوجته هاجر ولإبنها إسماعيل عليه السلام مسكناً في منطقة معدومة الحياة فلا كلأ ولا ماء، ولقد عمل إبراهيم عليه السلام هذا العمل بوحي من الله عزَّ وجلَّ فقد أمره أن يخرج إسماعيل وأمه هاجر من بادية الشام، خلاصاً من غيرة زوجته سارة التي أحب، والحال أن هاجر أنجبت ولداً لإبراهيم عليه السلام بخلاف سارة التي لم تنجب، فغارت سارة من هاجر، وهكذا خرج إبراهيم عليه السلام بوحي من الله عزَّ وجلَّ من بادية الشام وأخرج معه هاجر وابنها إسماعيل، ولما سأل إبراهيم عليه السلام ربه عزَّ وجلَّ عن جهة خروجه، قال الله عزَّ وجلَّ: «إلى حرمي. فأنزل عليه جبرائيل عليه السلام بالبراق، فحمل هاجر وإسماعيل عليه السلام وكان إبراهيم عليه السلام لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع، إلا وقال يا جبرائيل إلى هاهنا؟ فقال: لا، إمضِ. حتى وافى مكة، فوضعه موضع البيت، وقد كان عاهد سارة ألا ينزل حتى يرجع إليها، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساءً كان معها، فاستظلوا تحته فلما وضعهم وأراد الإنصراف إلى سارة قالت له هاجر: يا إبراهيم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان هو يكفيكم. ثم انصرف عنهم، فالتفت إليهم، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.

﴿ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾[1] فبقيت هاجر، فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء، فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى، فنادت هل في الوادي من أنيس؟ فغاب إسماعيل عنها، فصعدت على الصفا، ولمع لها السراب في الوادي وظنت أنه ماء، فنزلت في بطن الوادي وسعت، فلما بلغت المسعى غاب عنها إسماعيل، ثم لمع لها السراب في موضع الصفا، فهبطت إلى الوادي تطلب الماء، فلما غاب عنها إسماعيل عادت حتى بلغت الصفا فنظرت حتى فعلت ذلك سبع مرات، فلما كان في الشوط السابع، وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجليه، فجمعت حوله رملاً، فإنه كان سائلاً فزمته بما جعلت حوله، فلذلك سمي زمزم، وكان جرهم نازلة بعرفات، فلما ظهر الماء بمكة، وعكفت الطير والوحوش عليه، اتبعوها حتى نظروا إلى امرأة وصبي نازلين في ذلك الموضع قد استظلا بشجرة، قد ظهر الماء لهما، قال لهاجر: من أنتِ وما شأنك وشأن هذا الصبي؟ قالت: أنا أم ولد إبراهيم خليل الرحمان، وهذا ابنه، فقالوا لها: فتأذنين لنا أن نكون بالقرب منكم، ثم أنها استأذنت إبراهيم؟ فأذن لهم: فنزلوا بالقرب منهم، فأنست هاجر وإسماعيل بهم فلما رآهم إبراهيم عليه السلام في المرة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم، فسر بذلك سروراً شديداً[2].

وهكذا استجيب دعاء إبراهيم عليه السلام، أما هاجر والتي هي موضوع حديثنا عن المرأة فنستفيد من سيرتها الكثير من العِبر، وأهمها على الإطلاق أن المرأة عليها أن تطيع زوجها الرسالي كما فعلت هاجر مع إبراهيم عليه السلام، وإذا كان للمرأة زوج ينضوي تحت لواء رسالة حقة كالإسلام فعليها أن تتعامل مع زوجها على أساس هذه الرسالة الحقة، ولقد كانت طاعة هاجر

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٣٧.
(٢) راجع مجمع البيان، وقصص الأنبياء.

لإبراهيم عليه السلام طاعة لله عزَّ وجلَّ، هذه الطاعة المزينة بالصبر والقناعة.

٤ ـ قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

وقال تعالى في نفس السياق: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾[1].

لا ريب بأن محور موضوعنا يدور حول المرأة، وفي هذه الآيات فإن

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٢٣ ـ ٥٣.

محور الموضوع يدور حول امرأة العزيز ونساء المدينة، ولكن لا نستطيع الحديث عنهن بمعزل عن باقي أطراف الموضوع، ولهذا نعمد إلى إيضاح إجمالي للقصة الواردة في الآيات ومن بعدها نخلص إلى النتيجة التي نريدها من الحديث عن المرأة هاهنا.

فهذه الآيات تتحدث عن أشخاص معينين هم:

أ ـ امرأة العزيز واسمها زليخا.

ب ـ العزيز، وهو خازن فرعون مصر، وصاحب جنده واسمه قطفير أو أظفير.

ج ـ النبي يوسف بن يعقوب عليه السلام.

د ـ الشاهد وهو طفل على قرابة نسبية بزليخا.

هـ ـ نساء المدينة.

و ـ الملك وهو الريا بن الوليد وهو رجل من العماليق وقيل هو العزيز نفسه.

والقصة بالإجمال تتحدث عن النبي يوسف عليه السلام حينما التقطه بعض السيارة، وباعوه ووصل يوسف عليه السلام في نهاية المطاف إلى بيت عزيز مصر، ولما كان يوسف عليه السلام على قدر مهول من الجمال، غدت زليخا زوجة عزيز مصر مولعة به إلى حد كبير، فتنازلت عن مكانتها، وأسقطت كبريائها وخضعت لجمال يوسف عليه السلام، وعرضت عليه كل إمكانياتها المادية والمعنوية لقاء قبوله بقضاء الوطر معها، ولكن يوسف عليه السلام وبما أنه نبي معصوم ولا يتطرق إليه الخطأ البتة، لا على الصعيد الفكري التصوري، ولا على الصعيد العملي فقد رفض قبول عرضها المغري والمشوق، ولكن زليخا أصرت على تنفيذ غرضها الجنسي وعبّرت عن إصرارها هذا بفعل عملي وهو مقاربة يوسف عليه السلام من جانبها، بيد أن يوسف عليه السلام استعصم منها،

واندفع عملياً لصدها عن محاولاتها الإغرائية والعملية، وحينما كان يوسف عليه السلام منشغلاً عنها بالفرار من تنفيذ رغباتها، وحينما كانت هي منشغلة بيوسف عليه السلام لتنفيذ رغباتها به، لقيهما على الباب عزيز مصر وزوج زليخا، فبادرت زليخا إلى تبرئة نفسها أمام زوجها من جهة، وإلى اتهام يوسف عليه السلام بإغوائها من جهة أخرى، ولكن عزيز مصر لم يأبه لشيء بل أراد طمس وكتمان القضية من أساس، وهنا انتقل الخبر بطريق أو بآخر إلى نساء المدينة، فبدأن بالتقول على زليخا، ويعيرونها على فعلتها، وهذا اعتراف صريح منهن ببراءة يوسف عليه السلام وباتهامها شخصياً، ولكن زليخا أرادت أن توقع النسوة بما وقعت هي به، حتى يعلمن بأن السماع غير الرؤية، وحتى يفهمن بأن ما ابتليت هي به لو ابتلي به أي من النساء لفعلت كما فعلت هي، ولهذا عمدت زليخا إلى تهيئة مجلس خاص لنساء المدينة، وجعلت بين أيديهن سكاكيناً، وأمرتهن بتقطيع ما هو قدامهن من الخضار أو الفاكهة أو ما شاكل، ومن ثم طلبت من يوسف عليه السلام أن يخرج عليهن ليرينه، فلما خرج يوسف عليه السلام ورأينه انشغلن عن تقطيع الخضار أو الفاكهة بتقطيع أيديهن ويجرحها جراء ما رأينه من جمال يوسف عليه السلام، وهنا بادرت زليخا إلى تأنيب النساء على تقريعهن لها، لأن ما أصبن هن به أشد مما أصيبت هي به، وهكذا اعترفت زليخا أمام النساء بأنها هي التي دعته إلى نفسها، وبأنه عليه السلام أبى ذلك ورفض رفضاً شديداً، ولكن زليخا ورغم اعترافها بذلك، بقيت مصرّة على يوسف عليه السلام أن ينفذ رغباتها الجنسية، وعرضت عليه عرضان أحدهما أن ينفذ رغبتها بقضاء الوطر، وثانيهما أن يدخل السجن، فهو مخير بين أحد هذين العرضين، وهكذا وقف يوسف عليه السلام موقفاً شجاعاً فاختار السجن على النساء، فإنه عليه السلام خيّر بين نساء يردن قضاء الوطر معه، وبين السجن فاختار السجن على النساء، ثم أن الملك الذي

كان في ذلك العصر احتاج إلى من يفسر له حلمه الذي رآه في منامه، فتصدى يوسف عليه السلام لتفسير حلمه، وبالفعل فقد تحقق ما حكاه يوسف عليه السلام بعد حين، فبعث الملك رسولاً من عنده إلى يوسف عليه السلام ليقربه منه، ولكن يوسف عليه السلام أراد إظهار براءته فطلب من الملك أن يسأل النسوة وزليخا عن قضيتهن مع يوسف عليه السلام، فسأل الملك النسوة وزليخا، فاعترفت النسوة بنزاهة يوسف عليه السلام، وأكدن بأنهن لم يرين من يوسف عليه السلام أي عيب أو سوء، وهنا قامت زليخا واعترفت بالحق، ونطقت أمام الجميع بأنها هي من أغوت يوسف عليه السلام، وهي من طلبت منه تنفيذ رغبتها ولكنه أبى ذلك ورفض، وهنا أكد يوسف عليه السلام بأنه لا يمكن أن يخون رجلاً استضافه في بيته، وآواه فيه.

وهكذا فإننا نستفيد من هذه القصة أن المرأة الحقة هي المرأة التي تحجم نفسها عن المعاصي والموبقات وإن كان هناك ثمة دواعي قاهرة لفعل المعاصي والموبقات وذلك بخلاف ما فعلت زليخا، كما نستفيد من ذلك أيضاً بأن المرأة العاقلة هي التي لا تتسرع في إطلاق الأحكام التعسفية والجزافية على امرأة أخرى حتى تضع نفسها في موضعها، فإن نساء المدينة عيّرن زليخا على فعل فعلته، ولكنهن لما أصبحن بوضع مشابه تقريباً لها فعلن أزيد مما فعلته هي، كما نستفيد من ذلك أيضاً أن على المرأة أن تفهم مجتمعها جيداً وتتصرف بحكمة وبتخطيط مع هذا المجتمع، فزليخا فهمت مجتمعها النسوي، وعمدت إلى إسكاتهن عملياً من خلال دعوتها لهن لرؤية يوسف عليه السلام وهن حاملات للسكاكين.

كما نستفيد من ذلك أيضاً أن على المرأة الاعتراف بالخطأ، وقول الحق، تماماً كما فعلت نسوة المدينة، وكما فعلت زليخا وعمّدت هذا الاعتراف بالخطيئة، والشهادة الصريحة بالحق، وهو قول زليخا كما قال تعالى ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾.

خاتمة

وفي ختام الكلام عن موضوع المرأة لا يسعنا الكلام إلا أن نرمي كل ما قلناه في طيات الصفحات التي مرت في جعبة المرأة، وهي تحقق في كل ذلك وتدقق، وتناقش، وتحلل، وهي لائقة بالفهم والتمحيص، ولها من الكياسة ما يمكنها تكوين رؤية كاملة عن الوجود فتختار ما يناسبها ويصلحها، وترفض ما لا يناسبها، وما يفسدها.

ولتعلم المرأة أن كل ما تم إيراده فيما سبق إنما يندرج في إطار شهادة الحق، هذه الشهادة التي نطقت بها معتمداً على الله عزَّ وجلَّ، ولو كانت شهادة الحق هذه تقتضي ذكر ما هو معاكس لِما ورد لذكرت من دون تردد، ولهذا فإنني أتوجه إلى المرأة في كل مكان لأخاطبها خطاباً تدقيقياً مفاده:

إن ثمة مفاهيم ذكرت في هذا الكتاب قد تكون غريبة ومستهجنة سيما بالنسبة للمرأة التي لم تعايش هذه المفاهيم من قبل، ولكن هذه المفاهيم بالحقيقة هي التي تنتج مجتمعاً نسوياً فاضلاً وإن حاول الكثير تقويض هذه المفاهيم، واتهامها بالرجعية والتخلف، فإن الاستهزاء بالشيء، ونعته بالغرابة، ووصفه بالتخلف لا يجعله باطلاً وغير ذي جدوى، وبالحقيقة فإن التصورات الموضوعة في هذه الأعصار حول المرأة، وحول ما ينبغي أن تكون عليه جميعها مخالف لقانون الطبيعة البشرية، وهي كالزبد الذي يذهب جفاءً، والمرأة الجديرة بالتقدير تلك المرأة التي تضع كل النظريات

الموضوعة حولها على طاولة التحقيق ومن ثم تختار ما يصلح لها، أما أن تعمد إلى رفض بعض النظريات والطروحات من قبل مناقشتها، ومقارنتها مع الأخرى فهذا ظلم وإجحاف كبيرين، وهذا ما يحصل الآن حيث تدرس المرأة كل النظريات المتعلقة بها حتى إذا ما عرضت عليها نظرية الإسلام حولها، تراها لا تعير لذلك اهتماماً.

والصحيح أن تناقش المرأة كل النظريات المؤدية إلى جواب سؤال:

من هي المرأة النموذجية؟؟!!

المصادر والمراجع

(أ)

١ ـ الأحكام الفقهية، آية الله الحكيم «دام ظله».

٢ ـ الأخلاق والآداب الإسلامية، هيئة محمد الأمين(ص).

٣ ـ الأخلاق وشؤون الحكمة العملية، الأستاذ مظاهري.

٤ ـ إقتصادنا، آية الله السيد محمد باقر الصدر (قده).

٥ ـ أمهات المعصومين(ع)، حازم الخاقاني.

٦ ـ الإنجيل، جماعة من المؤلفين.

(ب)

٧ ـ بحار الأنوار، المحدث المجلسي (قده).

(ت)

٨ ـ تاريخ بغداد.

٩ ـ تحرير الوسيلة، الإمام الخميني (قده).

١٠ ـ تحف العقول عن آل الرسول، الحرّاني (قده).

١١ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر.

١٢ ـ توضيح المسائل، آية الله محمد تقي بهجت (دام ظله).

(ج)

١٣ ـ جامع الأحكام، الشيخ حسين مرعي (قده).

١٤ ـ جمال المرأة وجلالها، آية الله الجوادي الآملي (دام ظله).

(ح)

١٥ ـ حياة الإمام الرضا (ع)، باقر شريف القرشي.

(خ)

خصائص النسائي.

(ر)

١٧ ـ الروض الفائق.

١٨ ـ الرياض النضرة.

(س)

١٩ ـ سنن ابن ماجة، ابن ماجة.

٢٠ ـ سيد المرسلين، آية الله السبحاني.

(ص)

٢١ ـ صحيح البخاري، البخاري.

٢٢ ـ صحيفة النور، الإمام الخميني (قده).

٢٣ ـ صراط النجاة، فتاوى الإمام الخوئي وآية الله التبريزي.

(ع)

٢٤ ـ علي من المهد إلى اللحد، العلامة القزويني.

(ف)

٢٥ ـ فاطمة من المهد إلى اللحد، العلامة القزويني.

٢٦ ـ الفصول المهمة، الإمام شرف الدين (قده).

(ق)

٢٧ ـ القرآن الكريم.

٢٨ ـ قصص الأنبياء، المحدث العلامة الجزائري.

(ك)

٢٩ ـ كنز العمال.

(م)

٣٠ ـ مجمع البيان، العلامة الطبرسي.

٣١ ـ المدرسة القرآنية، آية الله السيد محمد باقر الصدر (قده).

٣٢ ـ مرآة الكمال.

٣٣ ـ المسائل المنتخبة، آية الله السيستاني (دام ظله).

٣٤ ـ مستدرك الحاكم، الحاكم النيسابوري.

٣٥ ـ مسند أحمد.

٣٦ ـ مصباح الفقاهة، الإمام الخوئي (قده).

٣٧ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن، فؤاد عبد الباقي.

٣٨ ـ مفاتيح الجنان، المحدث الشيخ عباس القمي.

٣٩ ـ مكارم الأخلاق، الطبرسي.

٤٠ ـ مهج الدعوات، ابن طاووس.

٤١ ـ ميزان الحكمة، الري شهري.

(ن)

٤٢ ـ نزهة المجالس.

٤٣ ـ نهج البلاغة، الإمام علي (ع).

(و)

٤٤ ـ وسائل الشيعة، الحر العاملي (قده).

٤٥ ـ وسيلة النجاة، آية الله الأصفهاني (قده).

٤٦ ـ الوصية الخالدة، الإمام الخميني (قده).

بالإضافة إلى عدد كبير من المجلات والصحف الدورية والمنشورات وغيرها.

كتب للمؤلف

١ ـ مائة نصيحة للزوج السعيد.

٢ ـ مائة نصيحة للزوجة السعيدة.

٣ ـ يأجوج ومأجوج في عصر الظهور.

٤ ـ هاروت وماروت وقصة السحر.

٥ ـ الآداب الأربعمائة للإمام علي (ع).

٦ ـ معجم الصواب والخطأ في اللغة العربية.

٧ ـ قصص وعبر من حياة العلماء والفقهاء.

٨ ـ قصص المسيح وأحاديثه في المصادر الإسلامية.

٩ ـ الحسين لكل المسلمين وليس للشيعة وحدهم!!

١٠ ـ نساء قتلن أزواجهنّ.

١١ ـ المرأة في ظل العولمة (هذا الكتاب).

١٢ ـ الموسوعة الميسّرة للأديان.

١٣ ـ الإمام الخامنئي ورؤاه المعاصرة.

١٤ ـ نساء يقتدى بهن.

١٥ ـ محاضرات في العشرة الفاطمية.

الفهرس

الإهداء ٧
المقدمة ٩
تصدير ١١
المرأة إنسان ١٣
المرأة لم تخلق من ضلع آدم ٣٢
التكامل بين الرجل والمرأة ٤٠
المرأة ليست أداةً بيد الرجل ٤٩
المرأة ليست أداةً للشيطان ٥٢
امرأة أعبد وأتقى من الرجال ٥٨
المرأة والحرية ٦١
المرأة شر إن أساءت وريحانة إن أحسنت ١٠٠
تحليل دقيق للشهيد الصدر (قده) ١٠٢
المدار على التقوى ١٠٤
المرأة والحياء ١١٤
المرأة والستر ١٢٣

نصوص في الحجاب والستر ١٥٣
سيرة الناس في الحجاب ١٥٥
في المسيحية دلالات على الستر والحجاب ١٥٦
كلام في غير محله ١٥٨
بين تمامية الحجاب ونسبيته ١٦٠
الحجاب ليس انغلاقاً ١٦١
ليس الحجاب مجرد ثوب ١٦٣
لماذا يريد الإسلام للمرأة أن تكون محجبة؟؟ ١٦٩
المرأة ومصافحة الرجال ١٧٤
ليس بهذا الأسلوب تعالج قضية الحجاب ١٨٢
أمور ترتبط بمنهج الحجاب العملي ١٨٦
المرأة والفن ١٩٥
فنانة أم منحرفة ١٩٩
عارضة للأزياء أم مبرزة للقيمة الإنسانية ٢٠٨
كلام غير صحيح ٢١٣
المرأة والغناء ٢١٥
ممثلة أم مكرّسة للخطيئة ٢٢٦
المرأة والدعاية والإعلان ٢٣٠
الإمام الخميني يفتخر بالمرأة ٢٣٢
الصراع والتفاضل بين الرجل والمرأة ٢٣٤
لما لم يجعل الله عزَّ وجلَّ المرأة نبياً أو إماماً؟ ٢٣٧

انتقاص طرف لا يجبر آخر ٢٤٠
القوامة ٢٤٢
المرأة وجريمة الزنا ٢٤٨
المرأة والجمال ٢٥٣
المرأة والحب ٢٥٧
كيف تحدث القرآن الكريم عن المرأة؟ ٢٦٠
الوليدة ٣١٥
الربيبة ٣٢١
المكلفة ٣٣٣
الزوجة ٣٣٧
الأم ٣٧٢
نساء نموذجيات ٣٧٩
خاتمة ٤٦٢
المصادر والمراجع ٤٦٤
كتب للمؤلف ٤٦٨